سنائى الغزنوى



الجزء الأول

ترجمها إلى العربية وقدم لها وشرحها
الدكتور/ إبراهيم الدسوقي شتا



سنائى الغزنوى

ـديقة الحقيقة
ـشريعة الطريقة

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع ● نشر ● توزيع

القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من شارع الألفي (مطابع سجل العرب)

ت : ٩٣٢٧٠٦

ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١.

الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم - ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١.

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

رقم الإيداع ٢٤٠١/١٩٩٥

I.S.B.N.

977-5424-98-4

أولاً : تصـــدير

أقدم للقـارىء العربى المنظومة الـرائدة من منظومات العرفـان والحكمة الإسلامية الموسـوعية المكتوبة بـاللغة الفارسية .. منظومة « حديقة الحقيقة وشريعـة الطريقة » للشاعر العارف الحكيم أبى المجد مجدود بنى آدم المتخلص بسنائى والمنسوب إلى غزنـة ، والتى أتمها حوالى منتصف القرن السادس الهجرى لتكون أسـاسًا لمنظومات أصبحت أكثر شهرة منها كمنظومـات فريد الدين العطار وكتاب المثنوى لمولانا جـلال الدين الرومى وبقيت الحديقة مجهـولة إلا عند عدد من الدارسين المتخصصين .. ولا ذنب لها إلا أنها لم تحظ بمترجم أوربى عـرفها للعالم .. فلم يترجم منها إلا فصل واحد تـرجمه الميجور ستيفنسن ونشر سنـة ١٩١٠ فى ترجمة تكاد تكـون حرفيـة وشروح لا تكشف تمامًا عن النص فضلاً عن أنها لم تقدم أكثـر من عُشر الحديقة .. وبقى سنائى الغزنوى بلا دراسـات تقريبًا أو شروح حتى فى إيران نفسهـا وذلك ربما لأن الحديقـة منظومة صعبـة ، وأن سنائى لا يتميـز بتدفق جـلال الدين الـرومى وعـاطفيته وشفافيته كما لا يتميز أيضًا بمدرسية فريد الدين العطار ووضوحه .

وكنت فى مفترق طرق عندما كنت أختار مـوضوعًا لرسالة الدكتوراه منـذ حوالى ربع قرن من الزمان ، كنت أود أن أختار موضوعًا مـن موضوعات الأدب المعاصر لكن أستاذى المرحوم الدكتـور محمد عبد السلام كفافى اقترح علىَّ الحديقـة وكان تعليقـه : إنها صعبـة ولكنهـا ستكونـك وستبنيك ونطق الحق على لسانـه يـرحمه الله . فما أن أمسكت بالحديقـة حتى شدتنى تمامًـا حتى صعوبتهـا آنذاك بعثت فى الشاب - الـذى كنته - روح التحـدى . وشمرت عن ساعد الجد .. وكانت لى مع أستاذى جلسات طويلة حول ترجمة الحديقة وحول صعوبة بعض أبياتها .. وفى أمسيات عديـدة كنا نخرج سـويًا من الجامعة مشيًـا على الأقدام تحت أشجار شـارع الجامعة وحتى منزلـه فى منتصف شارع الهرم.. وبالطبع كان حديثنا كله عن الحديقة .. وبعض الأبيـات التى كنا نقف أمامها مندهشين .. وكان أيامها رحمه الله قد أتم نشر تـرجمة الكتاب الأول والكتاب الثانى من مثنـوى مولانا جلال الـدين .. فكانت تحلو له المقـارنة بين الشاعـرين العظيمين .. وكانت هـذه المقارنة تفتح أمـامى آفاقـًا واسعة حول رحلـة الثقافة الأسـلامية بين العـربية والفارسية والفارسية والعربية فى تبادل لم تخف حدته .

كانـت حصيلة رسالـة الدكتـوراه بحثًا حـول الحديقة ودراسـة تحليلية لها وبيـان مصادرها وتـأثيرها فى الأدب الفـارسى .. وملحقًا للبحث يحتـوى على ترجمة للفصـول السبعة الأولى من الحديقـة وهى الفصول التى تحتـوى على الجانب الفكـرى فى حوالى ستمائة وسبعة آلاف بيـت .. وبعد مناقشـة الرسـالة فى خـريف ١٩٧٢ - والتى لم يكتب لأستاذى رحمه الله أن يناقشها إذ توفى فى يـونية ١٩٧٢ والرسالة ماثلة للطبع وناقشها مشرفـا أستاذى المرحوم الدكتور أحمد الساداتى رحمه الله رحمة واسعة ، بعد مناقشة الرسالـة عكفت على بقية أبيات الحديقة وكانت حوالى أربعة آلاف فترجمتها وظلت طوال هذه الفترة أى حوالى إحدى وعشرين سنة مجال مراجعة منى بين الحين والآخر إذا احتجت إلى سنائى فى موضوع يتصل بالدراسات المقارنة أو بتيار الأدب الفارسى .

ثم بـدأت العمـل فى جلال الدين الرومى وفى كتـابه المثنـوى تكملة لعمـل أستاذى المرحـوم الدكتور محمـد عبد السلام كفـافى .. وفرضت الحديقة نفسها من جديـد وإذا بى أكتشف أن جلال الدين فى المثنوى كـان ناظرًا إلى الحديقة وشارحًا لها وناقلاً منها ذاكرًا ذلك فى بعض المواضع ضاربًا كشحًا فى مواضع أخرى وأصبحت أقف وقفات طويلـة أمام أبيات وحكايـات وأفكار فى مثنوى مـولانا جلال الـدين .. ومكتشفًا بعد جولـة فى الحديقة المترجمة أن أصولها فيها .. وبعثت الحديقة حية أمامى من جديد وفرضت نفسها .. ومع صدور الكتاب الثالث فى مثنوى مولانا جلال الدين مشروحًا ومشيرًا فى بعض مواضع الشرح إلى حـديقة الحقيقة ، كان الاقتراح من عشاق الأدب الفارسى وعشاق العرفان الفارسى وطلاب الحكمة الإسلامية .. لماذا لا تُنشر الحديقة ؟..

وعندما فكرت تساءلت : أيَّة حديقة ؟! تلك التى بينى وبينها عشرون سنة من القراءة والترجمة ووضع المعاجم وترجمة مثنوى جلال الدين وشرحه .. ورأيت أن نشر الرسالة بصورتها الموجودة لن يكون مفيدًا .. فهى - شأنها شأن كل رسالة - عمل أكاديمى قد يكون جافًّا يصد عن القراءة .. فضلاً عن أن تقديم نص الحديقة كما هو لن يفيد أيضًا فهناك مئات الأبيات فى حاجة إلى شرح .. وقلت : أنشُرها متوخيًا الأسلوب الذى أنشر به المثنوى .. أى أقدم النص كاملاً ومشروحًا فى تعليقات ولن أتحدث عن أن الأمر احتاج إلى عام كامل .. فقد كان لزامًا علىَّ أن أقرأ النص المترجم من جديد .. وأطابقه على النص الفارسى .. وأصلح وأبدل وأصحح وأتجرد تمامًا عن كون النص لى .. نعم إنه لى .. ولكن للشاب الذى كان منذ ربع قرن .. وهكذا صححت لنفسى وبدأت فى الشرح .

ولم يكن شرح الحديقة بالأمر اليسير .. فعدما أقوم بشرح المثنوى يكون أمامى على الأقل عشرة شروح ما بين عربى وفارسى وتركى .. لكن الحديقة لم تُشرح فيما أعلم إلا على يد شارح هندى هو عبد اللطيف العباسى ولم يكن شرحه بين يدى .. وهناك أيضًا بعض التعليقات كتبها مدرس رضوى ناشر الحديقة فى كتاب مستقل سمَّاه «تعليقات حديقة الحقيقة » ولم يجرؤ على تسميته شرحًا .. لكنه نجدنى فى مواضع كثيرة لأنه كان يمتلك نسخة من شرح عبد اللطيف العباسى .. وكان جلال الدين الرومى يطرح نفسه كثيرًا كشارح للحديقة ومن ثم تكثر الإشارة إليه فى الشروح والإحالة إلى شروح المثنوى العربية بالذات والتى قمت بها (الكتاب الثالث والرابع منشوران والخامس تحت الطبع والسادس قيد الانتهاء) ولست أزعم أننى قدمت الشروح الضافية ، التى أرضى عنها.. لكنها على كل حال ما توصلت إليه .. وما أعطيته .

وكان ثمة مشكلة أخرى عندما وصلت إلى الأبواب الثلاثة الأخيرة من الحديقة .. ولا أخفى أن أفكارًا راودتنى فى ألا أنشرها .. ذلك أنها تحتوى على كمية من المدائح والهجويات والفخر .. هذا فيما يبدو ، لكن قراءة متأنية جعلتنى أصل إلى نتيجة غريبة وهى أن سنائى فى مدائحه للملك قدم آراءً سياسية جديرة بالدراسة وفى هجوياته هجا أناسًا بصفاتهم أغلب الظن أنهم هم أنفسهم الذين مدحوا بأسمائهم فى قسم المديح .. وأنه فى هذه الأبواب الثلاثة قدم صورة حيَّة لمجتمع فى حالة انهيار وتمزق جديرة بأن تقرأ .. ثم أية موسوعة إسلامية تخلو من هزل وسخرية وسقط قول فى بعض الأحيان ؟ وقد دافع هو نفسه .. فحذرنا من أن نعتبر هزله هزلاً إنه جد - تمامًا كما يقول لنا مولانا جلال الدين - وألا نعتبر غزله غزلا إنه تحميد وتمجيد وأوصانا بأن نقبل هزله .. فليس كل الناس جديرين بخطاب الجد .. وكثيرٌ منهم لا يقتنعون إلا إذا هزلت .. وها أنا أعمل بالوصية وأقدم الحديقة كاملة ومشروحة بالقدر الذى أعاننى الله عليه .. وقد توخيت فى ترجمتها وفى شرحها نفس الأسلوب الذى توخيته فى ترجمة مثنوى مولانا جلال الدين وفى شروحه .. فإن كنت أصبت فلله الحمد والشكر من قبل ومن بعد .. وإن كنت أخطأت فأرجو أن تكون صعوبة النص فى الحسبان .. وهذا وقد رأيت من المفيد أن أقدم فى مقدمة موجزة التعريف بسنائى وأبعاده الفكرية والأدبية آملاً أن أكون قد أتحفت عشاق الأدب الفارسى بتحفة جديدة .. وأثريت مكتبتنا العربية بزاد أدبى دسم .. منى الجهد ومن الله سبحانه وتعالى التوفيق .. وهو من وراء القصد .

إبراهيم الدسوقى شتا
أستاذ اللغات الشرقية
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

٢٦ من ذى الحجة ١٤١٣هـ
الموافق ١٦ يونية ١٩٩٣م

مقـــدمة

سنائى وآفاق شعره

١ - أبو المجد مجدود بن آدم . اسمه الشعرى سنائى . ولد فى عام بين ٤٣٧ أقدم تاريخ ذكر لمولده أو عام ٤٦٥ وهو التاريخ المقبول منطقيًا من بعض الإشارات إلى عمره فى ثنايا شعره . شأنه شأن الشعراء القدماء جميعًا لا نعرف شيئًا ثابتًا عن ظروف حياته أو طفولته أو دراساته .. وكل ما نعرفه عنهم أنهم كتبوا كذا أو ألفوا كذا . وغالبًا ما يمكن الوصول إلى بعض أحداث حياتهم عن طريق أشعارهم أو عن طريق ممدوحيهم من السلاطين والملوك ورجال الحكم .. ومن ثم فأقدم مما نرى من أسماء السلاطين فى ديوان سنائى هو مسعود بن إبراهيم الغزنوى (٤٩٢ - ٥٠٨هـ) ومن المعقول أن يكون سنائى قد زاول شاعريته أول ما زاولها فى سن السابعة والعشرين . وقد يكون قضى معظم شبابه فى قراءات إسلامية تتجلى واضحة فى النص الذى بين أيدينا . كما أنه اطلع اطلاعًا لا بأس به على الشعر الفارسى من قبله . وجمع ديوان الشاعر المعاصر له مسعود سعد سلمان .. وكان شاعرًا ومن رجال الدولة وتعرض للسجن فترة طويلة .. واشتهر بحبسياته (أى قصائده التى نظمها فى السجن) . وهذه الفترة السابقة على مزاولة الشعر وتكسبه بشعر المدح تكاد تكون غامضة . كل ما نعرفه أنه أصيب بالاكتئاب فى مستهل شبابه وعالجه أبو الحسن جمال الحكماء على بن محمد الطبيب ومدحه بقصيدة قال فيها :

كنت مضطرب الحال وماذا أقول عن السوداء كنت كمن خدر بأفيون أو تعاطى سمًا
كنت أعيش فى غزنة ويصور لى خيالى الفاسد إننى أعيش حينا فى الصين وحينا فى الموصل

« ديوان سنائى ص ٢٨٥ » كما نعلم من شعره أنه تعرض لتجربة زواج فاشلة ، ففى إحدى قصائد الديوان نجد عنوان « فى هجاء امرأة سليطة له حملها إلى القاضى » :

لقد أردت منك امرأة لراحتى آخر الأمر فكان أن أصابنى ما أصاب كل البلهاء
وهذا خليق بك أيتها الأم التى تلدينا للسجن نحن فى السجن وأنت تنظرين إلينا عن بعد
وإذا كان يجب علينا أن نرى كل هذا الألم فى الزواج فهذا هو الإقبال الذى يملكه البلهاء اليوم فحسب
ولست يوسف بن يعقوب فلا تطل فى هذه القصة إذا لم يكن ليوسف حيلة فى أولئك اللعوبات

« ديوان سنائى ص ٧٨٥ - ٧٨٦ » وأظن أن سنائى أضرب بعدها عن الزواج فلا يعرف له نسل . وسنرى نص الحديقة أنه أفرد المرأة بقدر كبير من هجومه كما أنه فخر فى مقدمة الحديقة « بأبناء العقل لا أبناء الجسد » كما يذكر فى شعره أيضًا أنه وحيدٌ فى دنياه (ديوان سنائى ص ٣٠١) .

٢ - هذه الحياة المجردة أتاحت له الفرصة للتنقل كيفما شاء وأنى شاء . ونلتقى فى ديوانه بأسماء مدن « بلخ » و « سرخس » و « هرات » و « نيسابور » . وتدل القصائد التى قالها فى هذه البلاد على نضج فنى ، كما تدل على أن سنائى كان قد حاز شهرة كبيرة بحيث كانت المجالس تعقد لسماع شعره « وكان تقليدًا شائعًا فى إيران » ، لكنه كان يستزيد من الحكمة خلال تلك الرحلات ففى إحدى هذه الرحلات اكتسب تجارب عديدة حدثنا عن بعضها فى حديقة الحقيقة . فهو يقص عن مجلس حضره فى « سرخس » وعن تاجر فى « بلخ » . كما يحدثنا فى الديوان عن

مناقشـاته مع الملاحـدة فى العراق عنـد إقامتـه فيها فى طـريقه إلى الحج وكـان فى إحدى هـذه الرحـلات أن حدث الانقلاب المزعوم فى حياة سنائى أى تحوله إلى التصوف .. وله حديث آخر وشيك .

٣ - وتتميـز قصـائد المدح فى ديـوان سنـائى بظهـور شخصيـة « الحكيم » لا شخصيـة « المداح » كما تتميـز بمقدمـاتها الطويلة التـى استحدث فيها الحديث فى الحكمـة والفلسفة بدلاً من شعـر الطبيعة والغـزل والخمر التى افتتح بها السابقون قصائدهم وبدلاً من المقدمة الطلليـة التى تمسك بها بعض معاصريه ففى مقدمة قصيدة فى مدح بهرامشاه يمـدح العقل « ديوان ٨٥ » وفى مقـدمة قصيـدة أخرى يمـدح الفهـم « ديوان ١٣٣ » ولـدى سنائى اهتمام مفرط بمقدمة القصيدة لا فى المعانى فحسب بل وفى بنائهـا أيضًا ، ذلك البناء القصصى الذى أبدع فيه سنائى وإن لم يكن قد استحـدثه إذ أن لـه نظائرًا عنـد شعراء عصر السلطان محمـود ، إلا أن هذا اللـون من المقدمـات استغرق سنائى تمامًا فهناك قصيـدة يفتتحها بما جرى بينه وبين غلام هندوكـى أراد أن يشتريه ، « ديوان ٤٨٧ - ٤٨٨ » هذه الإجادة فى مقدمات القصائد .. وموضـوعها البعيد عن المدح يثير الشك فى أن سنائى كان يتهرب من المدح . كما أن بعض قصائد المدح الموجودة فى الديوان تتميز بخاصية غـريبة جدًا وهى أن مقدماتها هى الموجودة فحسب . ويقال أنه محا كل المدح الموجود فى ديوانـه بعد « توبته ».. وبعض قصائده تتصدرها أسماء ممدوحيـه ثم نجد القصيدة كلها فى الغزل. كل هذه الظواهر : الإغراق فى المقدمات الحكميـة وإطالتها وقصائد الغزل التى يقصد بها المدح وقصـائد المدح فى شخصيات فكرية لم تكن من شخصيات عصره « أبى حنيفة مثلاً » قد تدل على شىء آخر وهو عدم اقتناع سنائى فى الأصل بممدوحيه من السلاطين وأرباب الحكم .. وسوف نرى فى متن الحديقة كيف مدح بعضهم باسمه وهجاه بـوصفه ، ولم يجد إلا فى مدح الأطباء والعلماء والعـارفين .. كما أننا نلمح فى بعض قصائد المدح ملمحًـا آخر جديرًا بالذكر وهو أن سنائى كان شاهدًا على أحوال دولة منهارة « اشتغل فيها العلماء خدامًا للعسكر » و « العسكر الذين صدئت سيوفهم داخل أغمدتها وهم يتشدقـون بسير رستم » وهذا النوع من القصائد فى شعر سنائى يدل على فنان حسـاس يقظ الرأس يعيش فى عـالم منهار « لـه قصيدة طـويلة تحمل كل هـذه المعانى فى ديـوانه ص ١٣٦ - ١٣٩» .. لم يكن الشـاعر يتحمل الريـاء .. ومن ثم ترك السـلاطين ومدح العلماء الحقيقيين « الـذين من الممكن أن يجعلوا من « غزنة » جنة الأرض » ومعظم القصائد التى مـدح بها هؤلاء قصائد ذات موضوع أو ذات برامج إذا جاز هذا التعبير .. أنه لايمدح الممدوح لشخصه أو لنواله .. بل « لقيمـة » موجودة فيه . وقد حول قصيدة فى مدح العالِم معين الدين أبى النصر أحمد بن فضل الغزنـوى .. من معنى « خاص » هو مدح الوزارة وأهميتهـا بالنسبة للملك إلى معنى عام هو مكانة الروح من الجسد .. ومع ذلك فقد كان يضيق جملة من المدح ويعلن عن ذلك فى شعره :

حتـام تسـوق هـذا الهذر مـن الكـلام	وحتـام تتلـو هـذا المدح الـذى لا نفع فيـه
أحيـانـا تسنـد الفضـل إلى من لا فضل لـه	وأحيـانًـا تنثر الجواهـر عن من ليس أهـلا لها

« ديـوان ص ٢٠٨ - ٢١٢ » .. وفى بعض المواضع كـان ينصرف إلى نفسه إلى همومـه وطمـوحـاته وتطلعـاتـه ويذكرنا فى هذا بشاعرنا المتنبى .. وحين يقول : « ديوان ص ٣٠٤ »

هكـــذا انصرفت مـن بلخ إلى سرخـس	مـع البـــلاء والعنـــاء والحسرة والهم
مثـل المـــذنب يـونس بـن مـتى	حين صـار مـن نينـوى إلى سـاحـل اليم

يذكرنا بقول المتنبى :

مـا مقـامى بأرض نخلـة إلا	كمقـام المسيح بين اليهـود
أنـا مـن أمـة تـداركهـا الله	غـريب كصالح فى ثمـود

وطالما يذكر أنه ينتسب فى شعره إلى الله سبحانه وتعالى :

إلهى لقـد جعـلت نسـبتى إليـك   فى حين أن كل شاعر ينتسب فى شعره إلى هذا وذاك

« ديوان ص١٠٦ » وحين انصرف عن « عالم الجبارين » بتعبيره .. كان صفوه مع المسحوقين والأرامل والأيتام .. ولعله أكثر الشعراء فى عصره حديثًا عن ذلك الفرق الهائل بين حياة أولئك الذين يضعون الذهب فى مؤخرات مطاياهم وأولئك الذين لا يجدون قوت يومهم .. وعن دماء عيون الأرامل والأيتام التى نقشوا بها قصورهم .. وعن بؤس الرعايا من الفلاحين والصناع .. وهى إشارات تجاهلها الباحثون خلال الحديث عن سنائى الصوفى والعارف .. وبرغم إحساسه الشديد الرقى بالنسبة لهذه الطبقات فقد كان شديد النفور من عوام « الثقافة والفكر » أولئك الذين يطيرون خلف كل ناعق .. يحولون الشوارع والطرقات إلى ساحة للصراعات المذهبية .. التى ألقت بكلكلها عن كل شعر سنائى وبخاصة فى الحديقة التى تعد وثيقة تبرئة لنفسه من بعض التهم التى كانت توجه إليه فى عصرٍ بدأه محمود الغزنوى بعبارة تعبر عن أمله فى معرفة ما يدور فى قلوب الخلق حتى يريح الخليفة من كل « أعدائه المذهبيين » وانتهى بتكرار لنفس العبارة عن نظام الملك وزير السلاجقة الشهير .. وإذا كان لنا أن نتصور سنائى يدافع عند نفسه من خلال أبيات طوال فى الحديقة .. لنا أيضًا أن نتصور مصير من لم يكن يملك أية وسيلة للدفاع .

٤ - هذا الجو العام جعل شاعرنا ميالاً إلى العزلة .. فى البداية كان يعيش فى دائرة محدودة من شعراء عصره الكبار وتصادفنا فى الديوان إشارات إلى علاقات مع مختارى الغزنوى .. ونظامى العروض ومسعود سعد سلمان .. وتصادفنا أيضًا مرثية فى الشاعر السلجوقى معزى .. ويتحدث عن كتاب فى علم الإيقاعات تلقَّاه من أبى الفتح الأصفهانى ويمدحه « الكتاب لا الكاتب » فى قصيدة .. لكنه سرعان ما اعتزل تمامًا .. عزلة لم يكن الوزراء بقادرين على إخراجه منها .. استدعاه وزير السلطان محمود السلجوقى مرتين .. فاعتذر .. وورد برسالة قال فيها : « أية طاقة للجسد المهدود ببلاط الجبارين وكيف يتحمل الرضيع مخالب الأسود » وأرفق بها قصيدة قال فيها :

ان صدرك ملك وجناح الجسد مهيض

ووجهك قمر وعين الروح كليلة

فحرر روحى حتى يقول لك عقلى فى كل زمان

ما أحسنك من إنسان حر   « ديوان ١١٢ - ص ١١٣ »

وكان ذلك قبل أن يعود سنائى إلى « غزنة » .. مَلولاً ضائقًا من كل شىء .. فقيرًا .. لا يملك دارًا ولا مالاً ولنا أن نتصور حساسية حكيم زمانه يجد نفسه فى أخريات حياته « صُفر اليدين » وثمة شعور آخر لا يحسه سوى الفنانون . إنه فضلاً عن ذلك لم يترك شيئاً يمكن أن يكون خالداً على مر الزمن .. لم يكتب ما يمكن أن يعوضه عن إحساسه بالفقر المادى وحياة الأسرة فكان أن اعتزل عندما أهداه أحد كبراء « غزنة » بيتًا وأجرى عليه رزقًا .. ولم يكن الأمر غامضاً أو غير مفهوم بحيث يخوض الباحثون فيما يذكر تحت عنوان « الانقلاب فى حياة سنائى » أى انقلاب سنائى من شاعر مدح إلى شاعر تصوف فهو فى الأصل شاعر تصوف ، ولم يكن صوفيًا صاحب طريقة .. لم يكوِّن طريقة ، ولم ينتسب إلى طريقة أو حتى إلى شيخ بحيث يقال أن ثمة انقلابًا حدث فى حياته كالذى حدث فى حياة العطار أو كالذى حدث فى حياة جلال الدين الرومى بعد لقائه بشمس الدين التبريزى .

كانت عزلة سنائى موقفًا نفسيًا وموقفًا اجتماعيًا ولم تكن موقفًا فكريًا .. وهو نفسه عبر عنه بقوله :

وكـان مـن أمـرى أن شيطـان حـرصى	أوقعنى فى الحاجـة فترة مـن الـزمـن
وحين أبـدى ملـك فنـاعتى عـن جمالـه	رأى محالا الجمـع بين المنـع والطمـع
وقـد صرت ملـولا من طـلاب المال	فـاعتـزلت الـدنيـا وأهلهـا
ولست بـرجل النسـاء أو الـذهب أو الجاه	وكل مـا أفعلـه أو أريـده بـالله

« حديقة ص ٧٠٧ و ص ٧٣٦ » .. وإذا كانت الحديقة هى قمة « تصوفه » أو « فكره العرفانى » .. فلا يكاد يوجد موضوع واحد من موضوعات الحـديقة لم يوجد فى الـديوان فالـزهد موجود فى قصائد طويلة موجودة فى الديوان .. أغلبها ناشىء عن موقف اجتماعى من زهاد عصره وتنطعهم وكظاهرهم :

إنك لا تملك القدرة على الاستغناء فلا تتحدث بأحاديث الدراويش .
وليس لك وجه كوجوه قطاع الطرق فلا تقتلع روحك كالأدنياء .
فإما أن تذهب كالنساء وتلون وجهك بالأصباغ .
وإما أن تأتى كالرجال وتلقى بالكرة فى الميدان .
وكل ما تراه غير الهوى فهو الدين استمسك به بروحك .
وكل ما تجده غير الله صنم فحطمه « ديوان ٣٧٦ - ٣٧٧ »

وكان سنائى لا يرى أن الزهد يأتى وليد اللحظة :
ومتى وصل كل خسيس من تلوين الكلام إلى هذا الطريق .
ينبغى ألم محرق للعمر وينبغى أن يكون المرء جَلدًا .
وتلزم سنين حتى يصير حجر من تأثير الشمس .
ياقوتاً فى بدخشان أو عقيقاً فى اليمن .
وتلزم شهور حتى تصير بذرة قطن من الماء والتراب .
حلة لإحدى الحسان أو كفنا لواحد من الشهداء .
وتلزم أيام حتى تصير قبضة من الصوف فى ظهر شاة .
خرقة لزاهد أو مقودًا لحمار .
وتلزم أعمار لكى يصير طفل موهوب .
عالماً فاضلاً أو شاعراً حلو الكلام .
وتلزم قرون حتى تصير نطفة من ظهر آدم .
« عارفاً » كأبى الوفاء الكردى أو أويس القرنى . « ديوان ٣٧٧ »

أصعب الطرق وأطولها إذن هو طريق ظهور عارف من العارفين .. ولا يمكن أن يكون وليد موقف مفتعل أو لحظة عابرة . وليس موضوع الزهد فحسب هو الموضوع المشترك بين الديوان والحديقة فهناك قصائد يدعو فيها إلى سلوك العشق الصوفى وقصائد طويلة عن آفات النفس وعلاجها وقصائد عن قصور العقل فى الطريق الصوفى بل إن تعبيرات بعينها تكررت بين الديوان والحديقة فليست الحديقة إذن بناءً فكريًا مختلفًا نتج بعد تغيير موقف من مواقف

الحياة أو اتجاه من اتجاهات الفكر .. ولم يكن سنائى من المجندين لما شاع فى عصور تالية من اعتزال تام .. فقد كان دائماً يدعو إلى السعى ويدعو إلى العمل :

وحينما يكون لديك علم فاسع كالعلماء .

فقبيح أن يحرم الصينى والمكى نائم فى البطحاء

وقد أعطوك سيفًا لتجاهد مع نفسك

وحين تلقى به لا تبقى حيًّا فى هذه الهيجاء « ديوان ص ١٠٣ »

والحر تبدأ حريته باستغنائه عن الآخرين :

ألا تعلم من أى شىء تكون قيمة الرجل الحر

حين يقصر يده عن مائدة الأخساء « ديوان ص ٧٩ »

وفى الحديقة التى يعتبرها بعض الباحثين كتابًا صوفيًّا :

لقد خلقت من أجل العمل — وهكذا فصل رداء خلقتك

فلماذا تكون قانعًا بالأسمال — إذ لم تطمع فى تلك الحلل

ومن بطالة النهار وراحة الليل — لا تصل إلى العرش الساسانى « حديقة ص ٧٣ »

٥ - وكما ضاع ابتكار سنائى لفن المنظومات العرفانية الموسوعية فى ضوء شهرة العطار وجلال الدين الرومى ضاع ابتكاره لفن آخر وهو الغزليات العرفانية أو القلندريات فى ضوء شهرة الشيرازيين العظيمين سعدى وحافظ ، فلا جدال أنه أول من قدم ذلك الفن الذى يتحدث عن المعانى الصوفية بألفاظ وتعبيرات بعيدة عن التصوف بل وبعيدة عن الدين نفسه . كان سنائى أول من حدثنا عن شيخ المجوس كناية عن المرشد وعن الخمر كناية عن الفيض وعن خرابات المجوس كناية عن الحانات وحدثنا أن العشق هو أصل الوجود .. وتحدث عن معشوق لايمكن أن تكون صفاته فى بشر .. وقدم لنا شخصية ذلك العاشق اللاهى الثائر على كل رسوم المجتمع .. وهو الميدان الذى طور فيه الشيرازيان العظيمان سعدى وحافظ وصار ميدانًا من ميادين الشعر الفارسى حتى عصرنا الحديث وكانت عاطفية سنائى فى هذه الغزليات جزءًا لا يتجزأ من شخصيته فثمة أبيات عديدة فى الحديقة نلمح فيها شفافية وعاطفية تشذ عن شخصية الأستاذ الحكيم المتجهم التى تغلب على سنائى .. فقد كان بحثه طوال حياته عن « الحكمة » وهو القائل :

لا تبحث عن ملك الدنيا واطلب الحكمة

ذلك أن ملك الدنيا حقير والحكمة عظيمة « ديوان ١٨٩ »

ومن أجل هذه الحكمة جمع سنائى ثقافة عصره بحيث انعكست فى شعره وأضفت عليه هذه الصعوبة الظاهرة فمن المعلوم أنه حتى القدماء أقروا بأن شعر سنائى لا يمكن أن يكون مفهومًا إلا بعد الاطلاع على عصر كامل من العلوم الإسلامية النظرية العملية والنقلية والعقلية ... فنحن أمام أبيات تشير إلى أحداث فى تاريخ إيران القديمة وشخصيات من كافة عصورها قبل الإسلام .. ومن الطبيعى أن يكون سنائى مطلعًا على حوالى قرنين من الأدب الفارسى من قبله .. فهناك إشارات إلى الفردوسى وفرخى السيستانى وناصر خسرو وبعض الاقتباسات من أشعارهم .. وهذا الإلمام بكل الثقافة الفارسية ينصرف أيضًا على إلمامه بأديان إيران القديمة واستخدام

مصطلحاتها فى أشعاره وأحيانًا يشير إلى شعراء فرس لم يرد عنهم ذكر فى كتب التاريخ الأدبى كيوسف سعيد وأثبت سنائى إنه قارىء ناقد للتاريخ الإسلامى فقد قدم لنا فى الحديقة تاريخ الإسلام حتى ظهـور بنى أمية بنظرة تقـدم فى بعض الأحيان آراءً تشبـه بعض آراء الباحثين المعاصرين الذيـن يكتبون فى التاريخ الإسلامى ، فحين يتحـدث عن عثمان - رضى الله عنـه - مثـلاً يتحـدث عن عصبته وذوى قـرباه الـذين أساءوا إليـه .. ويعبر عنه بهذا التعبير المختصر « وكان حياؤه بدايـة للدولة الأموية » وحين يتحدث عن الخلاف بين علي - رضـى الله عنه - وبين معاوية يخبرنا - كما أخبرنا العقاد فيما بعد - أن الخلاف كان بين عالمين وكان بين نظريتين ولم يكن خلافًا بين شخصين ..

ولأن سنائى كـان يجب أن يسوق الحكمة فى شعـره فقد قام أسـاس الحديقة على مسـائل وقضايا كـان اتصالها بالفلسفة الإسلاميـة وعلم الكلام أوثق من اتصالها بالتصوف فهناك آراء فى الحديقـة حول مشكلات الجبر والاختيار والذات والصفـات والعدل والتـوحيد وكلهـا مشكلات كـلامية .. وهنـاك مصطلحات الفلسفـة والمنطق كـالطباع والعناصر والآبـاء والأمهات والكـون والفساد والهيـولى والصورة والجوهـر والعرض والعقـول والنفوس وتـرتيبها .. وسـوف يرى القـارىء فى شروح نص الحديقة الـذى بين يديـه كيف اعتمد سنـائى فى كثير من أفكاره على « إخـوان الصفا » ومـا ورد فى رسائلهم .. وإلى جـوار هذا كلـه تنبئ الحديقة عـن أن سنائى قد اطلـع اطلاعًا لا بـأس به على التراث الصوفى العربى من قبلـه .. وإنه فخر فى شعره بأنه قرأ « شرح التعرف » وهـو شرح فارسى ضخم على تعرف الكلابـاذى وأنه قـرأ « إحياء علوم الـدين للغزالى » وفى مـواضع عديدة من الشروح أشرنـا إلى الأجـزاء التى ترجع أصولها إلى هذه الكتب .

هذا ويطـول بنا المقام إذا تحدثنـا عن سيطرة سنـائى على الأدب العربى وكيف استفاد سـواء فى الحديقة أو فى الديـوان من هذا الأدب ومن أعلامه فهـذا من المسلَّمات بالنسبة لـلأدب الفارسى .. وكله أشير إليه فى مـوضعه من الشروح .. فلا داعى لتكـراره هنا .. ويكفى أن فى الحديقة فصل يـرُد فيه سنائى على الـذين « اتهمـوه » بأنـه عربى الأدب .. وهناك أبيـات فى الحديقة تعـد ترجمة لأبيـات من الشعر العـربى وهو أيضًـا ملمح من ملامح كـل شعراء الفرس .

كل هذه الخلفيات صُبت فى إطار من الشريعة الإسلامية فلا جدال أن سنائى حاول أن يلفق كل هذه المعارف بالشريعـة . دعمها بالقـرآن الكريم والأحاديث النبويـة الشريفة وأقوال مشـايخ الصوفية وتعـاليمهم ونظرة السلف الصالح وتفسيراتهم فى نوع من « الأسلمة » لمعـارف العصر .. وكأنـه كان يقصد أن « يحفظ » عن طريق الـشعر على ما يراه ضروريًا بأن يحفظ تماما كما عمد الفردوسى قبله بقـرنين بنظمه للشاهنامه على المحافظة على كل ما رآه ضروريا من تاريخ إيران القديم وأساطيرها قبل الإسلام وهو هدف يغفر - فى حد ذاته - لسنائى الكثير مما تعنت فيه واشتط مما سيطالعه القارىء بين دفتى هذا الكتاب .

٦ - بقى لنا فى هذه العجالة أن نذكر أن سنائى توفى بعد عام ٥٣٥ وهو العام الذى كنت قلته قبل ذلك تاريخًا لوفـاته فهناك أحـداث يذكرهـا فى أشعاره تعود إلى مـا بعد هذا التـاريخ وكنت أظن أن الحديقة آخـر أعماله .. لكن اكتشفت أن معظم منظوماته الصغيرة قد كتبت بعد الحديقـة ومن ثم قد يكون سنائى قد عاش على الأقل فترة عشرة سنوات بعد هذا التاريخ .

وكان تأثير الحديقـة منذ أن نظمت تأثيرًا طاغيًا .. فقـد استخدمت أبياتها كشـواهد فى كتب أُلفت فى عصر لم تكن الحديقة قد تم تأليفها بعد (!!) فمن المعاصرين الذين استشهـدوا بأبيات منه أبو الفضل رشيد الدين الميدى فى تفسير « كشف الأسرار » وأبـو المعالى نصر الـدين بن عبد الحميـد فى ترجمة كليلـة ودمنة .. والـراوندى فى تـاريخه المسمى « راحة الصدور » .

وتأثـر كثيرٌ جـدًّا من الشعـراء الكبـار بسنائى منهـم خاقـانى (من شعـراء القـرن السـادس) وجمال الـدين الأصفهانى .. ونظامى والعطار وجلال الدين الرومى الذى قال فيه :

كان سنائى روحاً وكان العطار عينيه　　　ونحن جئنا فى أثر العطار وسنائى

ولا أكرر أن هناك مواضع عديدة فى أعمال مولانا جلال الدين نقلها عن سنائى نقلاً .. ويصل بعض الباحثين بتأثير سنائى إلى بعض الشعـراء المعاصرين مثل قـاآنى « من شعراء القـرن التاسع عشر » وميرزا محمـد تقى سبهر لسان الممالك من شعراء القرن العشرين ، ومن ثم يعد سنائى من بناة الشعر الفارسى ومن عُمدُه ..

ولا أطيل فى هذه المقـدمة .. فهناك كثير من جـوانب حياة سنائى وشخصيتـه وكآبته وجهـامته وتخوفه وعـزلته وآفاق شعـره تحدثت عنها من خلال شروح نص الحديقـة .. ولا أحول بكلامى بين القـارىء وبين النص .. فهو بين يديه .. أدعو الله أن يكون مقبولاً لديه .. إنه نعم المولى ونعم النصير ...

إبراهيم الدسوقى شتا

ثانيًا : النص

مقدمة الحكيم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثناء للمبدع ؛ الذى أبدع الكلام الطاهر والعالم به والمتحدث به ، والشكر والمدح للمخترع الذى اخترع بنوره نور هذين الشريفين ، الصورة والمادة ، هو المصور للوجود ، يحرك تلك الطبيعة الكلية بواسطة هذه الصورة والمادة ، جعل الوجود قابلاً للصور ، وجعل ذلك الجسم الأعظم متجليًا فى ثلاثة أبعاد : الطول والعرض والعمق ، ثم جعل من العالِم بحديث الكل علة الدهر ، ومن المتحدثين الطاهرين علة الزمان ، وبعد ذلك نقى الآباء السبع العلويين والأمهات الأربعة السفليات ، ثم ربى بواسطة هؤلاء السبعة وأولئك الأربعة ثلاثة أنواع من الأبناء تحت هذه القبة ، وحينما أتى بمائة ألف من أخص المواليد من خدر الغيب وحجر الأمر إلى الوجود كان منها جوهر الإنسان . وبعد ذلك – من أجل التقوية والتنقية نشر أمام أولئك المدللين الذين كانوا فى رحم « أول الفكر آخر العمل »[2] مئات الألوف من الحجب بينهم وبين كلمة الحق ، ثم قرأ عليهم الدفتر اللامبالى ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾[3] حتى يضع بين جمال ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾[4] وكمال ﴿ روحًا من أمرنا ﴾[5] حاجزًا من الحدوث وحائلاً من الحروف . ورد المناطق الأربعة للنفس إلى المناطق الأربعة للطبع . الأولى : النفس النباتية وهى شهوانية ، والثانية : النفس الباحثة وهى حيوانية ، والثالثة : النفس الناطقة وهى إنسانية ، والرابعة : النفس الغاسلة وهى ربانية – وبين هذه السائرات الإلهيات صنع مدارجَ ومعارجَ لا متناهية ومؤكد ذلك الآية الكريمة ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق ﴾[6] الآية . حتى تجاوز بعض السالكين عن نقش النفس ، وصاروا حمالين لجمال الكلمة ، والبعض الآخر أعد خيل الأسباب وساقها ، ولما كانت الألف التى لا تعد شيئًا لم ترد فى خط خطابهم ، فإن أولئك الذين كانوا قد بقوا تحت حجاب الصورة قد سموها حادثًا ومحدثًا ، وأولئك الذين كان لهم ثقل ظاهر على القدم فقد تخيلوها قدم الحروف . أما أصحاب الكلام الطاهر بذاته المحيط على الأزل والمدرك على الأبد ، أولئك الذين كانوا وراء الحجاب فهم أولو العزم من الأنبياء ، قد اتحدوا مع نور الكلمة . أما أولئك الذين رقت بهم الحجب فى النظر إلى جمال تلك المخدرات ، فكانوا أهل التحقيق من الأولياء ، وكانوا يقتبسون من نور الكلمة ، أما الذين كانوا من وراء الحجب ينظرون لونًا بلون فى نقوش الحجب فأولئك هم الشعراء . وقد تحقق عين الجمال فى العالم للأنبياء ، أما الأولياء فكان لهم مجال نطق صفته ، وللشعراء الكدح فى حظيرة قوله ، وصورة كل هؤلاء واحدة ولكنهم ثلاثة بحكم الواسطة ، فمن مشرب القدم جعل الصفوة للملائكة والأنبياء ، والنصيب الأوسط وهبة للأصفياء والأولياء ، أما القسم الأخير فللحكماء والشعراء : إذ أنهم كانوا من هذه الخلق أكمامها ، ومن تلك السموات أرضها ، ولما كان من سنة الكرام أنه (للأرض من كأس الكرام نصيب)[7] فإنهم لم يبخلوا بنصيب من هذه الجرعة ، حتى

(١) اعتمدت فى الترجمة على النسخة المحققة التى نشرها مدرس رضوى (طهران سنة ١٣٣٣ هـ . ش) .

(٢) ذكرها ناصر خسرو قبله فى خوان الإخوان منسوبة إلى ابن قتيبة .

(٣) سورة نوح : آية ١٣ .

(٤) الحجر : آية ٢٩ .

(٥) الشورى : آية ٥٢ .

(٦) الإسراء : آية ٢١ .

(٧) شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة وللأرض من كأس الكرام نصيب – بديع الزمان الهمذانى .

حصل الشعراء بتجرع جرعتهم على العمر الثانى والذكر الباقى فكما جاءوا أولاً من الكلمة الطاهرة يعودون ثانية إلى الكلمة الطاهرة حتى تتحقق (منه بداء وإليه يعود)[1] ، وإذن فإنهم لتربية الأنبياء وتقوية الأولياء محتاجون ، ذلك أنهم أطفال ، ولغير البالغين تجب الحواضن ، وللذين لا أحد يؤنسهم يلزم جيران ، حتى يسيرون إلى التمام برعايتهم ومددهم ، وحتى لا يذهبون ناقصين إلى عالم الكمال ، ولا يسمعون طعنه ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾[2] ومن ذلك أخبر مدرك الرؤى ومحرك الخليقة أنه : « إذا مات ابن آدم ينقطع عمله إلا عن ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به الناس ، وولد صالح يدعو له بعد موته »[3] ومعنى الخبر : أنهم حينما يجردون جوهر الآدمى من لباس الماء والتراب ، ويحبسون جواسيسه النفسانية الخمسة فى سجن العدم ، ويعيدون أوتاد جسمه الأربعة إلى المعادن الأربعة ، يوصلون ترابه (جسده) إلى التراب ، ولكن طهارته (روحه) لا تكون قد وصلت إلى الطاهر بعد ، وكأنما أوقف الزاد وبقى المركب ، فتكون يده قد قصرت عن كل ما تتعلق به الأيدى إلا عن ثلاثة أشياء : (صدقة جارية) أو مائدة مزينة تكون مدد القوت وقوة الإخوان . و (علم ينتفع به) أو نور لا يخفت يكون له وللآخرين عين ومصباح فى ظلمات الحدوث . و (ولد صالح يدعو له بعد موته) أو وكيل باب يكون عالـمًا بطريق خطة الأمان والإيمان .

وذات يوم نظرت أنا مجدود بن آدم سنائى فى مجد هذه الكلمات وسنائها ، فلم أر لنفسى جسمًا من ذلك المجد ، ولا قسمًا من ذلك السناء ، وطالعت فى هذه الخزينة ، فلم أر للروح نفقة من هذه الخزانة ، ولم أر للجسم ورقا من هذه الروضة ، فجاشت روحى ، وثار جسدى . وقلت : وآسفاه : أن روحى راحلة عن البراق الذى يوصل الكلام الطاهر إلى العالم الطاهر ومصداق ذلك ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[4] ، وروحى عمياء عن الشمس التى تظهر جواهر الغيب للروح ومؤكد ذلك ﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ﴾[5] . ومن كثرة ما أتعبتنى هذه الفكرة وغلبت على هذه الماليخوليا ، صرت من هذه السوداء أرى البياض سوادًا قد تسلط على ، وتحول بياض صبحى إلى سواد . وحين بلغ همى غايته ، وغمى نهايته وصل إلى بيت دولة روحى مفرج الهم ومفرج الغم لكل البائسين ، هذا الواهب العاطى عين الحيوان للقلوب الميتة ، وروضة أنس الأرواح الذابلة ، اسمه صفة لذاته أحمد ، وحظه هو أيضًا اسم أبيه مسعود ، هو صفى وعرضه مصفى ، وهو مستوفى ومكرمته مستوفاه ، هو من معتقدى الداعى إلى طريق الصدق ، وهو من متعهدى الصدق بمواصلة الحذق ، حرس الله روحه ، وطاب صبوحه، حين رآنى فى تلك الشبكة ساقطًا مكسورًا مهدمًا ، شق صدف اللؤلؤ ، ذلك لأنه كان يعلم أن القلب الحزين للخائف يمكن أن يوجد فى اللؤلؤ ، وعن طريق الأذن ملأ أفواه روحى بالدر ، ثم قال : إننى أرى حزنك وضيق صدرك وأنت الذى سودت جميع النقوش الشيطانية ، ومن أى شىء هذا الحزن ، وأنت قد صلبت كل هؤلاء الخصوم الحيوانية ، فلأى سبب إذن ضيق صدرك فأخبرته عن حرمان دقائقى من معنى هذا الخبر ، وقلت : أن سبب حزنى وضيق صدرى هو (خلوى) من هذه الثلاثة التى تتعلق بها اليد وأرشد عنها الوكيل فى خلقه ، فبعد وفاتى تكون يدى قصيرة عن هذا المال ، حتى أصير محرومًا فى الدارين ، ومع كل هذا الطريق الطويل المخوف أمامى وآخذ المال فيه ، وأخاف أنه فى ذلك الزمان الذى يقرأ فيه تحول الزمان التكبيرات الأربعة على أركانى الأربعة، وتسحب قامة عمرى على باب بوابة القيامة ، أخاف أنه ما لم يكن لى من هؤلاء الوكلاء الثلاثة عون ، أن أبقى فى

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ سورة الروم آية ١١ .

(٢) سورة الكهف : آية ٤٨ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وغيرهما من رواة الحديث .

(٤) سورة فاطر : آية ١٠ .

(٥) سورة النحل : آية ٢ .

حضرة الواحد دون قـدر أو مال . وحين سمع منى هذه القصة ، ذلك الذى يمحو حـزنى كالشراب ولا يأكل كبدى كالسراب ، فتح باب منزل شراب الروح ؛ من أجل تسليتى وللتفريـج عنى ، وناول كأس جمشيد لراح الروح ، ثم قال لى : أقص عليك أثرًا من آثار ولى نعمة المخلوقات وسيـد الكائنات والموجودات ، قلت :إيت به ، فقال:[1] اعلم أنه ذات يوم نظـر سلطان الشريعـة وبرهان الحقيقـة وبطل الطريقـة الذى هو من كمال الفتـوة قد شـدت على أجنحته الأربع النبـوة ، فرأى جماعـة من نساء أشراف المهـاجرين وسيـدات سادات الأنصـار قد دخلن عليـه ، وقمن بشرط التحية ، وتوجهن نحو سيدة القيامة فاطمة الزهراء وقلن لها : « يا فلذة كبد المصطفى ، ويارکن قلب المرتضى

نحن فى مجلس أنس بك تحقيق مجازه ، قد نسجنا الأنس ثوبًا فتفضل بطرازه

وقلن للسيد : يـا رسول الله إن نسـاء الرؤسـاء والأشراف قد تجمعن فى دعـوة ، فمر هـذه العين والمصباح حتى تضىء المجلس ، وأرسل هـذا الجوهر الطـاهـر حتى تكون واسعـة عقد هـذا المحفل . وكـان هؤلاء الحسـان يلبسن الثياب الفضفـاضة ، ويجرجـرن ذيولهن على أرض التنعم ، ولكن أى نفع مـن ذلك وليس فى ثيابهن رقعـات . وشتان بينهن وما كانت فاطمة عليه من الجوع والعرى . فأذن لها السـيد . فنظرت سيدة النسـاء إلى أبيهـا وبكت وقالت : يا أبى كنـت أملك شالاً فى وقت ما . وقـد فرطت أيضًـا فى القباء فى مقـابل عدة سعفـات . وهو رهن عنـد شمعون اليهودى . فقال قيم الكونين وسيد الثقلين . يا عينى ومصباحى لا بد أن تذهبى فليست حضرتنا هى حضرة البأس ، فذهبت سيدة الدنيا بحكم سيد الأرض إلى هذا الجمع . وقد حـط على أسارير جبهتها المباركة مائة ألف هزار تمسح العرق . وأخذت تمطر مسكًا . وحينما انتهى الحفل وعادت سيـدة النسـاء إلى الحجرة ، قالت : أيها السيد أيكون حسنًا أن تـرسل فلذة كبـدك إلى مجلس لا يـزالون يحصـدون فيه ثمار ﴿ حمية الجاهليـة ﴾[2] وتوقـد مصباحك فى مجلس لايزالون فيه حتى الآن يثرثـرون بـ ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾[3] فاحتضن سيد العالم رأسهـا وقبل جبهتها وقال : يا روح أبيك ليست من لا أم لها تكـون كذلك فالرســول يصفى أطفـاله فى هـذه البوتقـات ، وكان سيـد العالم لا يـزال فى حديثه، حتى حفيف قوادم جبريل وخـوافيه ، وتجلى أثر الوحى على دائرة جماله ، ونظر إلى فـاطمة وقال لها : لماذا هذا الضيق ؟ وأنت جاء لم تسألين مرة أولئك المحجبات ماذا يملكـون من أثواب وماذا تملكين أنت ، قالت : أنا لا أجد نفسى محلاً لهذا الكلام ، قال : فـادع النساء وأساليهن ، فدعتهن وسألتهن فقلن فى هكذا كان فى ذلك الـزمان الذى جملت فيه سيـدة الخليقة هـذا المحفل ، أن تحير فيها كل النـاظرات ، وظهر أمـامها كل الكـاسيات وهن عـاريات ، وأخذت امـرأة تقول لأخرى : « مـا رأيك ؟ فى أية ولاية نسجـوا هذا القصب وتقول هـذه لتلك : « ترى من أى بيت أزياء خـرج هذا الزى ؟ هـذه هى خبرة يد الأستاذ ، وهـذه هى مهارة الأصبع المتمرس ، متى استطـاع أن يتعلم هذا العلم ، هذه هى مهارة المطرز الذكى الذى استطاع أن يطرز مثل هذا الثوب » وذلك مصداق الآية الكريمة : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾[4] قالت : يا أبى لم تظهر لى ذلك حتى أسر ؟ قال : يا حبيبة أبيك ، إن جمالك كان فيما كان مختفيًا فيك غير مـرئى لك . ولعمرى أن هذه المشقة للجسد سلامـة الأمر وضياء الأيام ، إذ أنهم هكذا يربون المرء فى الحجب ولكن هذا الفطام كان مسلمًا لفاطمة ، إذ أنهم لم يخرجوها ليد الاقتداء .

---

(١) الحكاية الواردة هنا لم ترد فى مصدر قبل سنائى وان كان ملا محمد باقر المجلسى قد أوردها فى بحار الأنوار (القرن العاشر الهجرى) وذكر أن الزفاف كان عنـد يهود أرادوا الاستهانة بفاطمة رضى الله عنها : مدرسى رضـو ى ، تعليقات حديقة الحقيقة ص ٥٩ تهران بدون تاريخ .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ الفتح ٢٦ .

(٣) سورة التكاثر : آية ٢ .

(٤) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

أما الشخص الـذى صار مقتدى فى العلم والفضل فليس هـذا مسلمًا له . فكذلك يجب أن تكون هـذه الخلعة مخفية فيـه ولا تكون مخفية عليه . حتى يكـون ذلك متعديًا وليس لازمًا . وأنت يا من حتى الآن تعتبر نفسك عريـانًا منها فقد كسوك من منزل كسوة الأزل ، ولكنها مخفية عنك ، ألم تستمع إلى هذا الخبر « إذا أراد الله بعبد خيرًا أحب أن يرى أثره عليه »[1] فيجب أن تكون دائمًا جالبًا للخلعة الإلهية وشاكرًا لمواهبـه اللامتناهية ، أما ذلك الخير الذى تذكره وتخفى معناه عن نفسك « إذا مات ابن آدم ينقطع عملـه إلا عن ثلاث » فالمقصود به أشيـاء الموجودات ويعنى ، أنه حينما تفتح لموحد سلاسل العنـاصر الأربعة وتغلق الأبواب الخمسة لروحـه ، تذرو كل تاجه وطيلسانـه وحله وعقده مع الرياح إلا ثلاثة أشياء : أولها صدقة جـارية : وأنت تتذكر هذه النكتة أيها الحكيم ، فلماذا نسيت تلك الإشارة إن نـاقد الكـائنات قـال : « كل معـروف صدقـة ومن المعروف أن تلقى أخـاك بـوجه طلق وأن تفـرغ من دلوك فى إنـاء أخيك »[2] لقد قـال : ليست كل الصدقة أن تضع خبزًا أمـام أكول ، أو تضع النفاية فى يـد ما لا مال له ، والصـدقة بالصـدق أكثر ، وعدم الريـاء هو مضيفها ، لكى تتنـزه فى روضة أرواح الأحرار ، وتنضر بستـان الوجه أمام أصـدقاء الحى ، و « أن تفـرغ من دلوك فى إنـاء أخيك » أى : أن ترى السـائر فى الطريق مفتت الكبـد فتسقيه ، وتترك البـاقى لنفسـك ، والغذاء الـذى يتولد بعده الأذى يكـون ثقلاً للروح ، وعلامـة ذلك أن تكون المنة له لا عليـه ، وهذا تأويل نص التنزيل ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾[3] ، ذلك أنه لو كانت لهم صورة الصدقة فإن لك صدقها ومعناها . فإذا كانوا قد وضعوا مـوائد الخبز أمام الإخوان ، فقد وضعت أنت مائدة الروح أمام الأرواح ، وكل ساعة تنبع فى لسـانك هذه الدعوة كـالمسيح من أجل بضعة الجياع أن ﴿ أنزل علينـا مائدة من السماء ﴾[4] ، وأذن فقـد ذلك المـائدة ذات القيمـة الروحـانية فى ضيافـة المنزل الجسـمانى . وقـرأت « ملـعون من أكل وحـده » على النفس الحيوانية ، وأخذت تقـاوم بتوفيق الديـان النفس الشـهوانية والخصـال الشـيطانية ، وتجعل الخـاص والعـام من البشر بالإحسـان الـربانى والإنعـام السبحـانى فى منزل ضيافـة الإسلام وذلك فى كرم ضيـافتك العـام ، ومع ذلك تقـول أننى محروم من الصـدقـة . وأمـا ما قلتـه من « علـم ينتفع به » فهـو العلم الـذى يـأخذون منـه النفع ، فالمشـاطة مثل المـاء من أجل غسـل العيب لا كالمرآة من أجـل البحث عن العيب . والعلم النـافع هو ذلك الذى يوصل من الكسـل والضعف إلى النشـاط وسلامـة الجسـد ، لا من النجـاسة إلى الوقـاحة . وهو فى الجملـة يكون كالمـاء والمرآة . بظهـرهم لانفسهم دون تدخل منـه . وإذا تدخل فإنـه يسـوّد سطح المـاء ويفسـد المرآة بـالصدأ . وهـذا هو العلم الـذى يقـال أنه يتحـول إلى حجـاب . إذ أن وجود وتفكير (مثـل هـؤلاء العلماء) قـد تحول إلى حجـاب لنـور علمهم . ومن هنا كان أمر طبيب الملكوت بالاحـتراز من هذه العلة . ومن هذه العقـاقير الشـيطانية « نعوذ بـالله من علم لا ينفع »[5] ورفع حارس بـابه الحجب عن (رب عالم قتلـه علمه وعـلمه معـه « لا ينفعه»)[6] وإذن فحين يكون العلم نافعًا يكون نفعه عامًا وليس خـاصًا ويكـون أثره متعديًا وليس لازمـا . فدققت النـظر فـإذا به ليس علم الأصـول ، فعلم الأصـول يكون حين الوصـول عين الفضـول . ولا يكـون مقـبولاً مع سيـاسة إقبـال ﴿ مـا قــدروا الله حق قـدره ﴾[7] . والأخـر هـو علم الكـلام ومـا أدراك مـا هـو علم الكـلام . هـو قيـد الـرغبـة

(١) حديث نبوى صحيح الإسناد . (جامع الصغير ١/ ص ٦٧) .

(٢) حديث نبوى صحيح الإسناد . (الترمذى ٨/ ص ١٤٦) .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٦٣ .

(٤) سورة المـائدة : آية ١١٤ .

(٥) حديث نبوى يبدو حديثًا قال مدرس رضوى أنـه لم يوجد فى كتب الأحاديث لكنه جزء من دعاء « نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع » .

(٦) من أقوال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه . (نهج البلاغة ص ٢٧٦) .

(٧) سورة الأنعام : آية ٢١ .

والاسم ، وشراك الشبهات العامة ، فهو مع تهمة (من تكلم تزندق)[1] ساذج ، وهو مع النكتة العظيمة التى تقول (علم حديث الميلاد ضعيف الإسناد)[2] بدعة تامة والسلام . وأيضًا علم الحساب وهو حين يكون خارجًا عن حاجة الشرع حجاب ، هو شاغل الحقائق وحجاب الدقائق . وأيضًا علم النجوم فهو بالإضافة إلى ذلك علم تخميني وهو مع هذا التحذير أن « من صدق كاهنًا أو منجمًا فقد كفر »[3] بذرة الكفر وإذن فقد ظهر أن فى خلاء صدور بضعة ممن لا كنز لهم ، أية زاوية كانت لكنز العلم ، فكلهم صنعوا النفس الآدمية بالاستعانة بنقاب النقش الشيطانى ، وأعطو صفة الشيطان وقاحة اسم الإنسان ، ولم يسقط قط صوت موكب الحقيقة فى آذانهم ، ولم يذر قط غبار من جادة الجود على لعبة بصائرهم ، فعظموا ألقابهم باستراق السمع الذى كانوا يقومون به على أظهار السموات ، ورأوا فى ظلهم الذى من خلف وقدام شمسًا ونسوا قاماتهم الضئيلة ، فأى أمر للعمى فى نهار الربع المسكون بإشراق جمال الشمس ، وأى شغل لخاصفى النعال فى ريف الجهل مع الذين يشقون الصدف فى بحر العلم وكل هذه التمويهات والتهويلات والموهومات والمظنونات التى لهم مقصورة على قصور أفهامهم . إذن فقد صار معلومًا أن ذلك العلم الذى ربى من كلمة الشرع هو خاطرك العاطر ، الذى هو مشهورٌ بجميع أطراف وأكناف العالم فهذا هو العلم الذى ينفع به من بساط الثرى حتى مناط الثريا - من أول مرتبة الروح حتى مرتبة الجان فمن هؤلاء الذين لا نفع لهم فى إنشاده ؟ فليس جمهور الغرق والملك هو الذى يكسب حسبه من طاهر مقالتك ، بل كافة الصادقين والعاشقين يضيفون الروح فى رموزه وإشاراته ، وكل جماعة أرباب القياس والظن يجعلون من لونه وعباراته زينتهم ومادتهم ، وطائفة طائفة من رعاية عباس الدبس[4] يتكدون عن طريق هذه الهدية ، ولرضاع آدم منه التربية ، ولحزانى العالم منه التسلية ، وللمتألمين من الشوق منه التقوية ، ولأبناء حرام العهد منه التعزية ، ولمرضى القلب منه التهنئة ، فهو أنفس رأسمال فى خزانة العهد ، وأعلى زينة من معالم النفس والخير الكثير مصداق للإشارة الإلهية ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرا ﴾[5] ، (هذا) هو رأسمالك والجواهر الروحانية طبقا للإشارة للنبوة (إن من الشريعة لحكمة)[6] هى زينتك ، وها أنت تشرب من مثل هذه الشربات ، ومع ذلك تنسى شكر الحق . ولا تعلم (قدر) نفسك . فمن هذه المواليد الثلاثة التى هى نتيجة السبعة والأربعة اختيار للإنسان ونسله . وبهذه الخطوط الثلاثة التى هى المعادن والنبات والحيوان غرض الإنسان ومقصوده ، ومن أجل ذلك فروحه باحثة عن الشرف ، ونفسه ناطقة ، ولقد ألبسهم قباء البقاء وطرازه الأبة الكريمة ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾[7] وفى فناء فنائهم أمرهم على الحيوانات ، وعلامة ذلك الآية الكريمة ﴿ وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا ﴾[8] ، ثم أوصل طائفة منهم من الأسامى إلى المعانى ، وفجر من باطنهم عيون الحكم الموزونة ، حتى يجعلهم كما أرادوا يتصرفون فى ملك الكلمة بالجد والهزل على قضية السجية ، وكانوا قد نسجوا الكتاب المفتوح من ديوان الوهم والخيال ، وحين رأى متصرف عالم الكون والفساد تلك الأمارات فى التصرف بالكلمات لقبهم بلقب أمير الأمراء ، بذلك التشريف

---

(١) من كلمات أبى بكر الوراق الترمذى (طبقات الصوفية للسلمى ص ٢٢٤) .

(٢) من كلام الإمام الغزالى .

(٣) حديث نبوى لم يرد فى كتب وورد فى (رسائل وتعليقات الشيعة ص ٦٨) .

(٤) عباس الدبس: شخصية شعبية كان يضرب بها المثل فى الكذبة ورد فى أكثر من موضع من مثنوى جلال الدين (تعليقات ٦٨-٦٩) .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٦٩ .

(٦) حديث نبوى صحيح الإسناد (ورد فى مسند أحمد ٥/ ١٣) و (صحيح الترمذى ٨/ ١٨٢) .

(٧) سورة الإسراء : آية ٧٠ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٩ .

« الشعراء أمراء الكلام »[1] أى : إذا كان البشر من قشور الكلام أمراء على الحيوان فأنتم من لباب الكلام أمراء على البشر ، وحينذاك فصل من بوتقة الإدراك الحق الذى كان مختلطًا بالباطل ، وجلى الخبر وقال « إعطاء الشعراء من بر الوالدين »[2] وحقر السىء وقال : « الشعر مزامير إبليس »[3] ثم طالع مغرس التخيل والتحقيق ففصل قش ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾[4] عن حبوب ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾[5] وللذين تربوا فى روضة التقديس وضع تابع التنصيص فى ميدان التبعيض إذ يقول « إن من الشعر لحكمة » ، وجعل للملونين من مربط التلبيس سوطًا وسكينا من « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا حتى يرديه خير من أن يمتلىء شعرًا »[6] وجعلكم موطىء قدم الدارين بهذه الإشارة التى قال فيها « احثوا فى وجوه المداحين التراب »[7] حتى لا يدعى كل هازل وعابث دعوى أمراء الكلام ، فهذا التشريف مسلم للشاعر المسلم لا للفاجر والظالم . وهذا الشاعر المسلم هو أنت . ومن أجل تلك الدرر التى نظمتها فى هذا الدرج ، ويعلمها الفاتحون لأصداف الأزل ، وهذه الحلوى التى عبأتها فى قماطر حكمتك ويعرفها الشاكرون للأبد . ثم يأتى القسم الثالث من الخبر « وولد صالح يدعو له بعد موته » وهذا نفسه وخلعته مخصوص لك ، ذلك من أجل من أبناؤهم مجد الحياة وهم أبناؤك ، فأى ابنٍ ولد من أرحام التوالد والتناسل أكثر نجاحًا من أبنائك ، وأية فلذة أبدت وجهها من مشيمة الكون والفساد أشرف من فلذاتك ؟ ومن أيام عباس الجنود[8] من الذى كان معلمًا حتى عهدك ؟ وأنت ابن معلم فمن رأيت مثل أولادك ؟ فهم طيبوا الحظ - كثيرو المؤونة ، جديرون بالعرش ، كلهم ساكنون على ذروة الفلك الأعظم ، وكلهم آمنون من صروف الأيام ، ولم ؟ لأن ضوء الشمس الذى شرفه من شرف العرش لا تستطيع أن تسود مشقة الكسوف وجهه ، والجوهر الذى ولد من منجم ﴿ كن ﴾[9] لاتستطيع أن تفتنه صدفة استحالة التركيب ، ومثل هؤلاء الأبناء هم « الولد الصالح » ، إذ أنهم قبلوا التربية من الجوهر البسيط ، ولم يقبلوا التركيب من الأجساد المركبة ، وأبناء الشعراء هم كلام الشعراء ، وفى هذا المعنى ساق الأستاذ القديم[10] هذه القصة وهذه الدرة المثقوبة .

لا يميل الأريب إلى الولد أو المرأة أبدا   فنسل هذين فان ونسل الأريب باق

وواسفاه أن يكون للعاقل ابن ولا يكون عاقلا

وإذا كان للأب أدب ومعرفة ، فهى لا تنتقل بالميراث إلى الابن وأى ذنب للأب إذا لم يكن للابن حاصل . وابن الصورة غالبًا ما يكون سببًا فى تلوث الأسرة إذ يقول تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[11] أما ابن الفطرة والفطنة والفكرة لهو سبب زينة الأسرة والأسباب إذ « لله كنز تحت العرش مفاتيحه ألسنة الشعراء »[12] ولكن أى نفع

---

(١) حديث نبوى ضعيف الإسناد .

(٢) حديث نبوى ضعيف الإسناد .

(٣) حديث نبوى ورد فى كنوز الحقائق للمناوى ط . مصر ص ١٥٠ .

(٤) سورة الشعراء : آية ٢٢٤ .

(٥) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

(٦) حديث نبوى صحيح الإسناد ورد فى الجامع الصغير ٢/ ١٣٢ .

(٧) حديث نبوى ورد فى الجامع الصغير ١/ ٢٧ .

(٨) يبدو أنه شخصيته شعبية لم أستطع العثور على أصلها .

(٩) المقصود به الآية الكريمة ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ سورة البقرة : آية ١١٧ .

(١٠) البيت للرودكى .

(١١) سورة التغابن : آية ١٥ .

(١٢) حديث نبوى متداول ولكنه ضعيف الإسناد .

من هذه المائدة لو أن أبناءك لؤلؤ شاهانى ولكنهم من حفظك ورعايتك كالصدف غير المقبول (أى عافاك الله)[١] الأبناء الذين لهم المدد من القوى الشهوانية يسل العاقلون فى تقويتهم السيوف ، وإذن فلماذا يلقى العقلاء المجنات فى تربية الأحرار الذين لهم المادة من الناحية الروحانية ، فخفض قدر الملاك الناضجين بنفس روح الله سذاجة ، وتفتيت أجزاء الحسان الذين وجدوا القوام من العقل الكل عدم رأى ، ولا يمكن أن يوضع القدم بسهولة خارج الذين يكونون سببًا لعون حياتك ، ولا يمكن أن ترفع اليد قليلاً قليلاً عن الخاطفين للقلب الذين يكونون مددًا لتثبيت اسمك ، لماذا يبقى الدر اليتيم يتيماً لراغب القلب الذى يكون كريم مثلك له مربيا ، وأى واجب لجعل قائد الجيش الذى يكون له مثلك مددًا بلا صديق ، ذلك أنك جعلت هذا الدر اليتيم فى أيدى حفنة من بائعى الخرز يتيماً ، وشتت أولئك الغربيات الحسناوات فى طريق الباحثين عن الغرباء ، حتى يصفعهن حينا صاحب غرض، ويجتز شعورهن حينا صاحب علة ، والعرائس اللائقات بحجلة الأرباب الإلهية ، بقين فى حجرة أرباب الملاهى ، وقد سلكت الجواهر التى تجمل بملك الملوك فى سلك أصحاب الجراب والحراب ، فحتام لا تلتقطها ، وحينا تروج بالباطل هذه الكلمات الذهبية فى صورة النحاس الأحمر زيفا عند العميان ، وليس هناك شهم يحمل شروانى يد المزيف إلى الحمية ، وحينا يحلل بائع سم حسنه بسم جهله ، وليس هناك حاذق يضع له الترياق شفقة به وحينا يعطيه (شروانى)[٢] شريانا من شره ، وليس هناك حر يخلص هذا الجوهر الطاهر من هذا المشاكس ، وأحيانًا يجعل محتال تلك الحسان كالشعرة من حرارته ، وليس هناك كريم ينجيها من هذا التلوث والمرض ، وحينا يسود حلاج وجه هذه الملائكة الأبيض ، وليس هناك غيور يغسلها من قربة ماء المؤونة ، ومثل هذه الحفنة المشعوذة من الأنذال الدنسين فارغى النفس ، المليئين بالهوس ، المسرعين إلى العبث ، الباحثين عن البدعة ، الفارغين من السنة غير الشرفاء ، المحتالين ، المخرفين ، الممتلئين بالخيانة ، الفارغين عن الصيانة والديانة ، كل قلبهم ذل ، ورؤوسهم شر ، وجسدهم حسد ، وعقدهم حقد - قد أسروا ، هؤلاء الكرماء والكريمات مثل آل فرعون لبنى إسرائيل ، وأنت قد وضعت عصا الكليم فى ركن الحجرة ، وضربت على الشفة بخاتم الصمت ، وفقدت أذن الفهم ، وهذا لا يتقبله الأفاضل منكم، إذ لا يتقبلون الضعف قط ، ومثل هذه القدرة من الناس القادرين ، وسادات العصر وكافة الأشراف وجمهور الأفاضل يعتبرون أنها شقاء الروح لا راحة الجسد ، وهم يحملون هذا الكسل على الغفلة لا على العقل وما أحسن قول المتنبى :

ولم أر فى عيوب الناس شيئا   كنقص القادرين على التمام

إذن فما دام الأمر على هذا الحال ، فلا تأت أمام العين بهذا المثل من دفتر الكسل ، وهو (الكسل أحلى من العسل) واقرأ من اللوح المحفوظ للعقل هذه النكتة فى أذن الفهم أن (الكسل من باب الزندقة)[٣] واقفز خارجًا من قفص العافية وضع القيد للعاقبة إذ أن (من تفكر فى العواقب لم يشجع)[٤] ، واغسل وجوه هؤلاء الأيتام الذابلة من ماء الحياة ، ومشط شعور تلك العرائس ذوى الشعور المشعثة بالمشط الروحانى ، ولا تسم البعض الأسد الخاصة لادريس والبعض خدم إبليس إذ أن « العدل ميزان الرحمن والجور مكيال الشيطان »[٥] ولا تجعل بعضهم فى روضة الحفظ وتحقر البعض الآخر فى مربط النسيان ، وتمنطق بهذا الأمر الصادر عن منطق النبوة وهو « سووا أولادكم فى العطية »[٦] يعنى: أولادكم عطية الحق فاجعلوهم متماسكين كأجرام النجوم، وما داموا هم مرايا الأرواح فساووا بينهم

---

(١) الحديث موجه إلى سنائى .
(٢) نسبة إلى شروان . وربما كان سكان شروان مشهورين بالشر لاتصالهم بمناطق غير إسلامية .
(٣) حديث نبوى صحيح الإسناد .
(٤) من كلام الإمام على بن أبى طالب : ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ /١٧ .
(٥) حديث نبوى صحيح الإسناد .
(٦) حديث نبوى صحيح الإسناد .

كأسنان المشط ، واجعلوا أولئك الـذين هم مساحل القلوب نصلا واحدا كالمنشـار ، وصل هذه الأرحام المقطوعة ، حتى تكون المادة مددا لعمرك ، إذ أن (صلة الرحم تزيد فى العمر)[1] وجدد الحفظ لحسن عهد أولئك المهجورين ، حتى يصير ذلك سببًا لإيمانك إذ أن (حسن العهـد من الإيمان)[2] وأسلك هذه الجواهر المبعثـرة فى عقد واحد ، وانقد تلك الدنانير الدارسة فى بوتقة واحـدة ، فما دام نقد أبناء النسل مشروعًا ، فنقد أبناء العقل ليس ممنوعًا . وحينما تزينت عروس روحى من كلامه ، جعلت من الحاجة ذريعـة للدلال ، وثنيت بحجة الدار والغذاء ، واعتذرت بتعذر الكساء والوعاء ، إذ أن هذه الخدمة لا تتيسر دون يسار ودون مكنة :

وحينما سمع منى هـذا الفصل ضرب بيده على صـدره فألـف رحمة من الله على تلك اليـــد وذلـك الصــدر

أخذ يضرب بيد القبـول والإقبال على صدره المبارك ، وأمر فى الحال أن يقيمـوا منزل شمس على سماء الهمة من أجل دفع ظلم الشتـاء ، وأن يقيموا مظلـة على الشمس الحارة كمجن لسيف الصيف ، ومن أجل الغـذاء كتب خط الرواج على ميكـائيل الذى فى يده مكاييل الأرزاق ، وبـالنسبة للباس ألبسنى خلعة الشتـاء والصيف من بيت كساء العفة والعـافية كالبستان ، وتكفل بـالنفقات التى لم يستطع الفلك أن يتكفل بها ، وفى الجملة فقط سد طـرق الروح على كل مزاحم يمكن أن يكـون نبوة على العقل ، وفتح طـرق القلب لكل متفتح يمكن أن تكون للروح تسليـة منه ، وأقول لـه أن ذلك المصطفى الربـانى قال لى ﴿ واصطفيتك لنفسى ﴾[3] ، وذلك المتكلم الروحـانى بمصداق الآية الكريمة : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾[4] قال فى مناجاته : « إلهى طفت البلاد وجربت العباد وأنت خير من الكل » واعلـم أننى قلت هذا حين وجدت اسمه من دون الخلق أحمد ، وحين جعلنى كاسم والده مسعودا ، وفى الجملة فإن ذلك الصدر - أبقاه الله - لم يجعل بابًا باقيًا من التضحية بالـروح وابداء القلب ، وماذا أقول له ما قال الأستاذ فرخى فى حق ممدوحة :

(كلما أنظر إلى قصتى مـع كرمه ، مثل قصـة ذلك الجيل والقمر والأعـرابى[5]) فهـو مثل سميه عـديم المثل ، ومثل اسم أبيهمسعود الحظ ، حين امتتر روحى الحرة بخلقة الكريم وجعلتنى قانعًا بقبول اقباله ، وأنا أيضًا أسعدت روحى ، وأنشأت وأنشدت هذه القطة لتدل حالى ، وذكرت اسمه فى آخر القطعة .

« قطعـــــة »

ولـــو أنـى مثل البلطـــة من قبل المؤونـــة والقطع فلـم أكـن أبــــــدًا للطمـع أو للغــــــاب

ومـن طعـن بلطتـى مـن أجل غصـن واحـــــد لم يكـن هنـــا أبــــدًا ألم بشجـــر الغـــاب

وإذا كـــــانـت رأسى قبـل ذلـك تحت البلطـــة فهـــو الـــذى جعـل جـذورهـــا من الـــذهب

ولكنى الآن من كثـــرة كـرمــه غـــارق فى المؤونـــه مــؤونـة للسيــد الـرئيس أحمد بن مسعـود تيشـه

---

(١) حديث نبوى صحيح الإسناد جامع ٢/ ٤٤ .

(٢) حديث نبوى صحيح الإسناد .

(٣) سورة طه : آية ٤١ .

(٤) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٥) نسب هذا البيت فى أمثال وحكم إلى الفرخى ولم يجده مدرس رضوى عند الفرخى لكنه شرح الحكاية بأن أعرابيًا ضاع بعيره وعندما سطع القمر بنوره وجده فـانطلق مادحًا القمر وأرجعها إلى التعالبى (يتيمة الدهر ٤/ ٢٨٧) والزمخشرى فى ربيع الأبرار كما نظمها الشاعران ظهير الفاريابى (القرن السادس الهجرى) وفريد الدين العطار , تعليقات (ص ٧٩ - ٨٠) .

والآن لكونى تحت نعمته ، فقد نفـذت إشارته ، فأرسلت فى ليلة واحدة ذو ى الوجوه النوروزيـة الذين يلزمون لنزاهة روحـه الطاهرة ، وجمعت على عتبة واحدة أولئـك المـاهرين الذين يجدرون بخدمة قلبـه ، وحررت تشبيها على هـذا النسق ، ووضعت تـرتيبًـا على هـذا الأصل ، وقمت بهذا الكتـاب على التشبيـه والترتيب نـزولا على رغبـة ذلك السالب للصواب الطالب للثواب ، ذلك القابل للدولة والقائل للحكمة ، قبله الاقبال وكعبة الآمال ، السيد الذكى والقيم اليقظ ، بانى العافية ، ناظر العاقبة ، قارىءالحقائق ناظر الدقائق ، قابل الحكمة ، عارف الحق ، ناظر الكلم ، طارز المعانى ، ليمتعه البارى عز اسمه بالحياة ، (ويمتعنا) من بقائه- وكما أن هذه المادة السماوية قد صارت مزينة بوجود جوده ، لتكن الفـائده الربانية فى كل لحظة مرتبطـة بروحه وجاهه ، ما دام الجهـد والتوفيق صنوين ، ووفقه الى إجتلاء العلم والحكمـة وعلى اجتلاء أصحاب الحق والحقيقـة ، وعلى تفخيم وتعظيم أرباب الذوق والطـريقة (آمين يارب العالمين) والحمد لله على منه وأفضاله والصلاة على نبيه محمد وآله .

فهرست جميع المؤلف فى عشرة أبواب

البـــاب الأول : فى التوحيد والتمجيد .

البـاب الثـانى : فى ذكر كلام البارى عز وعلا .

البـاب الثـالث : فى نعت النبى عليه السلام وفضائل أصحابه رضى الله عنهم .

البـاب الـرابع : فى صفة العقل .

البـاب الخامس : فى فضيلة العلم ومعنى العشق وحالاته .

الباب السـادس : فى ذكر النفس الكلية ومراتبها وكمال العقل .

البـاب السـابع : فى صفة الأفلاك والبروج ودرجات القلوب والعشق والأنس .

البـاب الثـامن : فى مدح السلطان بهرامشاه وأمرائه وأعيان دولته .

البـاب التـاسع : فى الحكمة والأمثال والمثالب .

البـاب العـاشر : فى صفة تصنيف الكتاب .

الفهرست المنظوم

ولو أن أبوابه فى الظاهر عشرة

إلا أنها فى الباطن خير من مائة وخمسين (بابا) .

الباب الأول فى بيان التحميد ،

والتنزيه المحض والتوحيد الصرف .

الباب الثانى فى ثناء الرسول ونعته ،

وليتم القبول أضف إليه (الحديث) عن الصحابة الأربعة .

والباب الثالث أتحدث فيه هن العقل ،

ذاك الذى يتسع فيه مجال الحديث .

والباب الرابع عن العلم وطلب العلم ،

وسوف أتحدث فيه (من وجهتى نظر) المعرفة والحلم .

والباب الخامس فى العشق وتعبيره ،

ومن أين وإلى أين (يمتد) تأثيره .

والباب السادس عن الغفلة والنسيان ،

وكيف يستوليان على الإنسان .

والباب السابع عن حال العدو والصديق ،

ذلك الذى تجد الحديث عنهما حيثما كنت .

والباب الثامن عن حالة الأفلاك ،

هل هى مقبولة هكذا أو تثير الخوف .

والباب التاسع فى الثناء على ملك العالم ،

ذلك الذى يتوارى العدو من سيفه .

والباب العاشر فى صفات هذا التصنيف ،

إذ أنك لا ترى قط مثل هذا التأليف .

الباب الأول

فى توحيد البارى تعالى

- يا من أنت مربى الباطن ومزين الظاهر (الجسد) ، ويا واهب العقل وغافرًا لمن لا عقل له .
- أنت خالق المكان والزمان ورازقهما ، وأنت حافظ المكان وساكن المكان وحارسهما .
- فالمكان والزمان كلاهما من صنعك ، والزمان والأرضين كلها بأمرك .
- والنار والماء والريح والتراب الثابت (الأرض) ، كلها تحت قدرتك التى لا مثيل لها .

٥ - فأنت مبدع الجزئيات من العرش حتى الفرش (الأرض) ، والعقل الحى رسولك المسرع .
- وأينما وجد لسان دائر فى الأفواه ، تنفث فيه الروح من ثنائك .
- وأسماؤك العظيمة المقدسة ، هى المرشدة لجودك ونعمتك وكرمك .
- وكل واحد منها أعلى من العرش والأرض والملك ، تبلغ (عددا) ألفا وواحد (وقد تبلغ) تسعا وتسعين .
- وكل واحد منها ينتسب إلى حاجة ، ولكن من ليس أهلا للسر يحجب عنها .

١٠ - فيارب من فضلك ورحمتك ، اجعل القلب والروح جديرين بالنظر إلى اسمك .
- والكفر والدين كلاهما فى طريقك مسرعان ، قائلين « وحده لا شريك له » .
- هو الصانع والمكرم والقادر ، وهو الواحد الكافى بنفسه ليس مثلنا .
- وهو الحى القيوم والعالم القادر ، وهو رازق الخلق والقاهر الغافر .
- وهو فاعل الحركة والسكون ، وهذا مصداق الواحد الذى لا شريك له .

١٥ - وعجزنا دليل على كماله ، وقدرته تنوب عن أسمائه .
- فإن المنكر والمقر يعودان من تلك الدار يوم الجزاء بجيب خاوٍ وكيسة خالية .
- فأى شىء أسمى من الوهم والعقل والحس والقياس سوى خاطر العارف بالله ؟
- وحيثما وجد عارف فى كل الأرض ، يصير العرش أرضًا تحت قدمه .
- وأنها لتجدف تلك الروح ، التى تبصر الخلق بدون الخالق .

٢٠ - هو ذلك الذى استطاع أن يصور الجسد من التراب ، وجعل الريح سجلاً للكلم .
- واهب العقل وملهم الألباب ، منشىء النفس ومبدع الأسباب .
- وكلها من صنعه الكون والفساد ، وهو لكل الخلق المبدأ والمعاد .
- كلهم منه ورجعتهم إليه ، ونهاية الخير والشر كلها إليه .
- وهو خالق الاختيار للخير والشر ، هو باعث النفس ومبدع العقل .

٢٥ - وهو الذى جعلك شيئًا من لا شىء ، وكنت ذليلاً فجعلك عزيزًا .
- وليس لقلب قط طريق إلى كنهه ، وليس للعقل والروح خبرة بكماله .
- فقلب العقل من جلاله فى حيره ، وعقل الروح من كماله متخبط .
- فالعقل الأول نتيجة من صفته ، وقد أعطاه الطريق لمعرفته .

- وجولان الوهم ضعيف عن عز ذاته ، وميدان الفهم ضيق عن وصفه .

٣٠ - وقد أحرقت نيرانه جناح العقل ، فطوى بساطه حسدًا منه .

- والنفس فى موكبه لا تزال تحبو ، والعقل فى مدرسته تلميذ مبتدىء .
- وأى شىء يكون العقل فى هذه الدنيا ، إلا مزور يقلد خط الله ؟
- وليس هنا من أحد عارف بالله ، إلا عن طريق العقل والوهم والحواس .
- فلو أسفر عز وصفه عن جماله ، لخطف من العقل العقل والروح .

٣٥ - فإن الإنسان يستطيع أن يعطى عقله التمكين ، لو أنه كان فى مقام جبريل الأمين .

- (بل) أن جبريل من هيبته لأقل من عصفور ، مع كل ما يملكه من صولة
- وحين يصل العقل إلى ذلك الحد يطأطىء رأسه ، وحينما يطير الروح إلى ذلك الأوج يطوى جناحيه .
- وكل من تحدث عن القاع والثقل ، فقد قال أن له شريكا فحذار .
- وليس إلا بالحس الركيك والنفس الخبيث ، يتحدث الحديث (الإنسان) عن القدم والحداثة .

٤٠ - ففى طريق قهره وعزة صفاته ، يكون كنهك فقط بمعرفته .

- فتلل من هذا العقل الذى يثير الترهات ، وكفى عن هذا الفلك والطبع المتلون .
- وحينما كشف للعقل طريقه بذاته ، مدحه حينذاك بالقابلية .
- (فاعتبر) العقل أول المخلوقات ، وجعله على رأس كل المختارين .
- والعقل الكل كلمة واحدة من دفتره ، والنفس الكلية راجلة واحدة على بابه .

٤٥ - وهو الذى أعطى للعشق الكمال بالعشق ، وهو الذى جعل للعقل العقال بالعقل .

- والعقل مثلنا تائه ، (وهو) فى طريق كنهه مثلنا حائر .
- فهو عقل العقل وروح الروح ، وكل ما هو أعلى من ذلك فمنه هو .
- ومن ذا الذى يستطيع بمناقشة العقل والنفس والحواس أن يكون عارفًا بالخالق ؟
- وإذا لم يمكن الله قد دله على الطريق ، فمن أى طريق صار عارفًا بالألوهية ؟

فصل فى المعرفة

٥٠ - لا يستطيع امرؤ أن يعرفه بنفسه ، إذ يمكن معرفة ذاته بذاته .

- لقد أدى العقل حقه فلم يتهاد تمامًا ، وعلم أن العجز فى طريقة معرفة .
- وقال كرمه إعرفنى بنفسى ، وإلا فمن ذا الذى يعرفه بالعقل والحواس ؟
- ومن الذى يجيز هداية الحواس ؟ ومن الذى يغرس الجوز على ظهر قبة ؟
- العقل دليل ولكن إلى بابه ، وفضلك هو الذى يحملك إليه .

٥٥ - إنك لن تقطع الطريق بهداية العقل ، فلا تتخبط كالحمار مثل الآخرين .

- والمرشد لنا فى الطريق هو فضله ، والدليل والبرهان إليه هو صنعه .
- ويا من صرت عاجزًا عن معرفة نفسك ، متى (تيسر لك) أن تعرف الله على الإطلاق ؟
- وما دمت - مع علمك - بلا حيلة فكيف تكون عارفًا بالخالق ؟
- وإذا كنت لا تعلم سر صنعه ، فكيف تستطيع معرفته ؟

٦٠ - فالأوهام قاصرة عن أوصافه ، والأفهام تتحدث بالهذر عند الحديث عنه .

- وعند الإتيان بالدليل فى وصفه ، يكون النطق تشبيهًا والسكوت تعطيلا .
- فالحيرة هى غاية العقل فى طريقه ، والغيرة هى جوهر العقل تجاهه .
- فهو للعقل والروح المراد والمالك ، وهو المنتهى للمريد والسالك .
- فعقلنا دليل على وجوده ، والموجودات كلها تحت قدم وجوده .

٦٥ - وفعله خارج عن « الداخل » و « الخارج » ، وذاته أعلى من الكيفية والسببية .
- والإدراك لا يملك الطريق إلى ذاته ، ففى هذا الطريق تمزق العقل والروح والقلب .
- ذلك أنه بدون كحل معرفته ، يكون العقل غافلاً عن ألوهيته .
- فكيف تحث الوهم على البحث عنه ؟ ومتى كان للحديث حديث مع القدم ؟
- فقد تحير الأنبياء من هذا الحديث ، واحتار الأولياء من هذه الصفات .

فصل فى الوحدة وشرح العظمة

٧٠ - هو واحد والعدد عنه معزول ، وهو صمد والحاجة منتفية عنه .
- وهو ليس ذلك الأحد الذى يعرفه العقل والفهم ، وهو ليس ذلك الصمد الذى يعرفه الحس والوهم .
- لا يكون فى وفرة ولا يكون فى قلة ، فحاصل ضرب واحد فى واحد هو واحد .
- ففى الاثنين لا يكون هناك خطأ إلا بالنسبة له ، ولا يمكن أن يكون هناك خطأ فى الواحد قط .
- وما دمت منهمكًا فى العد والشك ، فسواء معرفتك بالواحد أو بالاثنين فكلاهما سواء .

٧٥ - واعلم علم اليقين أن مرعى الشيطان ، من « ما » و « كم » و « لماذا » و « كيف » فحذار .
- إذ لا تكون عظمته من الزيادة ، وذاته أعلى من الكمية والسببية
- ومن أجل بحث الطالب العاجز ، يكون هو قول « هل » و « من » جائزا .
- ولم يقل أحد أن صفاته المبدعة ، هى « كم » و « كيف » و « لماذا » و « ماذا » و « متى » و « أين » .
- فيده قدرته ووجهه بقاؤه والمجىء حكمه والنزول عطاؤه .

٨٠ - وقدماه جلال القهر والخطر ، وأصبعاه نفاذ الحكم والقدر .
- والموجودات تحت قدرته ، كلها معه وكلها تبحث عنه .
- فحركة النور تكون إلى النور ، ومتى كان النور بعيدًا عن الشمس ؟
- ومع وجود الأزل فقد سبقه هو ، إذ أن (الأزل) أتى مبكرًا ولكنه متأخر عنه .
- ومتى كان عمله مرتبطًا بالأزل ، والأزل غلامٌ ولد فى بيته .

٨٥ - وابعد (أيضًا) الوهم والخيال عن الأبد ، فإن الأبد أخذ علامته من الأزل .
- فكيف يكون له مكان ؟ اتسع هذا المكان أو ضاق ، ذلك أنه ليس لمكانه مكان أيضًا .
- فقد جعل للخلق دنيا على هذه الصفة ، حتى يجعله لذاته علوًا عليهم .
- وبأى شىء يجدى المكان لخالق المكان ؟ وأى تأثير للسماء إذا كانت فوق السماء ؟
- فسماء الأمس لا تكون موجودة اليوم ، ذلك أن الغد لا يكون موجودًا فى الحاضر .

٩٠ - وقد طواها أمام ستر الدخان ، فاذهب واقرأ « يوم نطوى السماء »[٢] .
- وحين أكثر العارفون الحديث عن القديم ، شطروا مواجيدهم وتجاوزوا عنها .

---

(١) ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾ . الأنبياء آية ١٠٤ .

– ليس بالأركان يكون ثبات أوقاته ، وليس المكان محلا لوجود ذاته .
– فيا من أنت فى إسار الصورة والنقش ، وقد تعلقت بآية « استوى على العرش » .
– ليست الصورة خالية من المحدثات ، وهىء ليست جديرة بالعز الأبدى .
٩٥ – ذلك أنه كان النقاش ولم يكن نقش ، كانت هناك آية « استوى » لم يكن عرش أو فرش .
– فاقرأ « استوى » من أعماق الروح ، ولا تعتبر ذاته مرتبطة بالجهات .
– و « استوى » آية من القرآن ، أما قول « لا مكان » فمن الإيمان .
– والعرش كالحلقة موجودة خارج الباب ، لا علم لها بشىء من صفات الله .
– ففى اللوح المحفوظ كلام مسطور ، لكن ينتفى عنه الصوت والشكل والصورة .
١٠٠ – « وينزل الله » موجودة فى الأخبار ، فلا نعتقد أنها المجىء والذهاب .
– فلفظ العرش من أجل التشريف ، والنسبة الكعبة إليه من أجل التعريف .
– فقل « لا مكان » فهذا هو حاصل الدين ، وحرك رأسك (استحسانًا) فهنا ينبغى التحسين .
– فقد عادى الحسين ذلك الذى كان يقوله « ألا مكان لعلى »

فصل فى التنزيه

– ليس الدهر قالبًا لقدمه ، وليس الطبع باعثًا لكرمه .
١٠٥ – فليس هناك دهر ولا طبع دون قوله ، ولا تسكن الروح الجسد دون أمره .
– هذا وذاك كلاهما ناقص وأبتر ، وهذا وتلك كلاهما أبله لا قيمة له .
– فمادته ليست من القديم ولا من الحديث ، وهو الذى لا وجود إلا به .
– فلا يعرف ملكه بأن له نهاية ، ولا توصف ذاته بأن لها بداية .
– إذ لا يميل إلى الشعوذه والاحتيال والسحر ، ذلك الذى ينظر جيدا إلى التوحيد والصدق .
١١٠ – فالبصر الذى يرى العقل يختار الحق ، أما البصر الذى يرى الألوان فلا يرى الحق .
– وذلك الذى يزينه البصر يكون باطلاً ، فالحق لا يأتى من أوهام الماء والطين .
– والعقل يكون محيطًا بالخلط والوهم ، أجل بكليهما ولكن على وجه البسيطة .
– فكيف يبدى ذاته للخلق ، وفى أية مرآة يتجلى ؟
– فالمكان والروح كلاهما خادمان لك ، وكلاهما حارساك وصديقاك الحميمان .
١١٥ – وحينما تتخلص من المكان ومن الروح ، ترى حينئذاك الله بالله .
– ولا يستطيع كل شخص أن يحمل ثقل التوحيد ، ولا يستطيع كل خسيس أن يذوق طعم التوحيد .
– فالله معبود فى كل مكان ، ولا يكون المعبود محدودًا بمكان .
– فالرجل المجسد ضال عن الطريق ، والكفر والتشبيه كلاهما للآخر رفيق .
– فاترك النفس فى طريق الصدق ، وانهض وارفع يديك عن هذه النفس المشؤومة .
١٢٠ – وقد رسم صنع الإله باطنك ، ليس من الأصفر والأبيض والأحمر والأسود .
– وهو الذى صور الأفلاك من حولك من أى شىء ؟ من الرياح والماء والنار والتراب .
– فعله وذاته خارجان عن الآلة والجهة ، إذ أن هويته مليئة بـ « كن » و « هو »[1] .

---

(١) ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ سورة الأنعام : آية ٧٣ .

- « وكن » تتكون من حرفين عاجزين ، و « هو » بحران خاليان من الهوى .
- وذاته فى نظر العارف والعالم ، أعلى من « أين » و « وكيف » ومن و « هل » و « لم » .
١٢٥ - وكل ما أعطاه يستطيع الفلك أن يسترده ، ويظل باقيًا نقش « الله خالد » .
- وذلك الذى صورك بلا لون ، لا يسترد منك اللون مطلقًا .
- ولكن الفلك لا يترك لك خالدًا ، اللون الأصفر والأسود والأحمر والأبيض .
- وقد هيأ لك وأكثر مما تحتاج ، كل ما يكون أسبابًا لك (ووضعها) أمامك .
- خلقك من صنعه فى تكليف ، وعرف فضل نفسه إليك .
١٣٠ - قال : كنت كنزًا مخفيًا ، وخلقت الخلق كى يعرفونى .
- وصنع من الكاف والنون بالدر الثمين ، البصر فجوة مملوءة بالـ« ياسين »[1] .
- فقد وضع الإله تحت الفلك بأمر وضعه خصوما أربعة فى مكان واحد .
- وجمعهم دليل على قدرته ، وقدرته صورة لحكمته .
- كلها أضداد ولكن بأمر الله ، أصبحت كلها معًا رفقاء .
١٣٥ - وقد صورها كلها بأمر المقدم ، منذ الأبد فى سراى العدم .
- وقد جعل المصور الجواهر الأربعة بلا لون بسعى الكواكب السبعة .
- ذلك الذى صورك بلا قلم ،يستطيع أن يصور أيضًا بلا لون .
- فلم لا تقر بأن الدنيا من خير وشر ليست إلا منه وإليه بل هى نفسه .
- فقد وجدت كلها الحظوظ والصور منه ، (ووجدت) أصلها الهيولانى وأساسها .
١٤٠ - فالعناصر والمادة الهيولانية ، والطبع وألوان الأركان الأربعة .
- اعلم أن غايتها كلها التناهى ، وكلها سلم إلى المشهد الإلهى .

فصل فى الصفاء والإخلاص

- إذن فمادام المطلوب لا يوجد فى مكان ، فمتى كان سفرك إليه بالقدم ؟
- فالطريق المباشر إلى الحق هو النفس والنفس ،وأن تخلص مرآة القلب من الصدأ فحسب .
- فمرآة القلب من صدأ الكفر والنفاق ، لا تكون مضيئة من الخلاف والشقاق .
١٤٥ - وجلاء المرآة يقنيكم ، وما هو (هذا اليقين) ؟ هو محض صفاء دينكم .
- وذلك الذى لا يسكن الشك فى قلبه ، لا تكون الصورة والمرآة لديه سواء .
- ذلك أنه إذا كنت أنت فى المرآة ظاهرًا ، فهو الذى فى المرآة ولست أنت .
- ذلك أنك تختلف إذا اختلفت المرآة ، فلا علم للمرآة إذن بصورتك .
- فمرآة الصورة بعيدة عن الصفة ، ذلك أن قابلية (المرآة) للصورة تكون من النور .
١٥٠ - والنور فى حد ذاته ليس منبتا عن الشمس ، والعيب فى المرآة وفى البصر .
- وكل من هو فى الحجاب خالد ، مثله كمثل البومة والشمس .
- فإذا كان البوم بلا قوة أمام الشمس ، فذلك من ضعف وليس منها .
- فنور الشمس ساطع على العالم ، أما الآفة فهى من ضعفها عين الخفاش .

---
(١) ياسين : أحد أسماء النبى ﷺ .

- فأنت لا ترى إلا الخيال والحواس ، ما دمت لست عارفًا بالخط والسطح والنقطة .
١٥٥ - وأنت مخطئ في الطريق إلى المعرفة ، وقد قضيت السنين والشهور في حديث فارغ .
- وذلك الشخص الذى يتحدث فى هذا الطريق بالفضول ، لا يعرف التجلى من الحلول .
- وإذا كنت تريد أن تعطى البصيرة ، فلا تنظر فى مرآة معيوبة بل عليك بالمضيئة .
- فلا ذنب هناك لنور الشمس ، وأنت (تضع) قارورتك تحت السحاب .
- فيوسف وهو أكثر جمالاً من الملك ، أظهر وجهًا (كوجه) الشيطان على نصل خنجر .
١٦٠ - فلا يعاين الحق (من هو) فى الباطن ، وخنجرك لا يقوم بعمل المرآة .
- ذلك أنك تستطيع أن ترى صورتك فى مرآة قلبك ، أفضل مما تستطيع أن تراها فى طينك (جسدك) .
- فاقطع هذا القيد الذى قيدت به ، فمتى ابتعدت عن الطين نجوت .
- ذلك أن الطين مظلم والقلب مضىء ، وطينك مجمرة والقلب روضة .
- وكلما كان سطح قلبك أكثر صفاء ، كان منه التجلى أكثر لك تهيئًا .
١٦٥ - وقد صار أبوبكر خاصا فى التجلى ، وأليس ذلك لأنه كان زائدًا فى إخلاصه عن الأمة .

التمثيل فى شأن « من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى »
جماعة العميان وأحوال الفيل

- كانت هناك مدينة كبيرة فى حدود الغور ، وكان كل أهل هذه المدينة عميانا .
- ومر ملك بهذه المدينة ، فأحضر العسكر وضرب الخيام .
- وكان له فيل كبير ذو هيبة ، (اتخذه) من أجل الجاه والحشمة والصولة .
- فرغب الناس فى رؤية الفيل ، وذلك من كثرة ما سمعوا عنه من تهويل .
١٧٠ - وتقدمت مجموعة من هؤلاء العميان إلى الفيل .
- ولكى يعلموا شكل الفيل وهيئته ، أسرع كل واحد منهم إليه متعجلاً .
- فتقدموا إليه وأخذوا يلمسونه بأيديهم ، ذلك أنهم كانوا جميعًا بلا بصر .
- فلمس كل واحد منهم عضوا ، واطلع على جزء منه .
- وتعلق كل منهم بصور مستحيلة ، وربط روحه وقلبه وراء خيال .
١٧٥ - وحينما عادوا إلى أهل المدينة ، تجمع (العميان) الآخرون حولهم .
- وكان كل واحد من هؤلاء الضالين سيئى العقيدة راغبًا ومتشوقًا .
- فسألوا عن صورة الفيل وشكله ، وسمعوا جميعًا ما قالوه .
- فذلك الذى وقعت يده على الأذن ، سأله آخر عن شكل الفيل .
- فقال : شكل مهول وعظيم ، عريض وسميك ومتسع كالكليم .
١٨٠ - وذلك الذى وقعت يده على الخرطوم ، قال : لقد صار شكله معلومًا لدى .
- فهو كالأنبوبة فارغ القلب ، هو عظيم ومسبب للحيرة .
- وذلك الذى وقع ملمسه من الفيل ، على قوائمه الغليظة المليئة بالتجاعيد .
قال : أن شكله كما هو مضبوط ، حقيقة كأنه العمود المخروط .
لقد رأى كل واحد منهم جزءًا من الأجزاء ، ووقع لهم جميعًا الظن الخطأ .

١٨٥ – فليس لقلب قط اطلاع على الكل ، ولا يكون العلم رفيقًا لا عمى قط .
– كان للجميع خيال محال ، وقد صنعوا جميعًا ما صنع الأبله بالجوال .
– فليس للخلق اطلاع على الإله ، وليس للعقلاء طريق إلى هذا الكلام .

فصل فى أن الاستواء معقول والكيفية مجهولة

– قال ذاك : هو رجل وقال الآخر : يد ، وقد خلطوا جميعًا فى الكلام إلى غير حد .
– وذلك الآخر قال بالأصبعين والنقل والنزول وسار فى طريق الحلول .
١٩٠ – والثالث قدر الاستواء فى علمه بالعرض والسرير .
– وقال واحد جهلا : قعد وجلس ، وقد ربط جرسا فى رقبته من الجهل .
– قال واحد وجه وقال الآخر قدمين ، ولم يقل له شخص ما : إلى أين ؟
– فمما قالوه جميعا جاء القيل والقال ، وأصبح حالهم كحال العميان والفيل .
– فهو منزه – جل ذكره – عن الكيفية والسببية ، وقد صارت أكباد الأنبياء من هذا دما .
١٩٥ – وقد تتبعوا فى هذا الحديث عقولهم ، وطوى جميع العلماء علومهم .
– وأقر الجميع بعجزهم ، فويل للذى يصر على الجهل .
– فاقر المتشابه[1] ولكن لا تتعلق به ، واهرب من الخيالات الفارغه .
– فقد آمنا بما هو موجود بالنص بأكمله ، وسلمنا أيضا (بما ورد) فى الأخبار .

التمثيل فى أصحاب تمنى السوء

– سأل رجل أريب أحد الغافلين حين رآه شديد الغلظة جاهلا .
٢٠٠ – قال (له) : ألم تر الزعفران قط ؟ أو لم تسمع عنه إلا الإسم ؟
– فأجاب : لقد أكلته كثيرا مع « الزبادى » ، أكثر من مائه مرة لا مرة واحدة.
– فقال له الحكيم : هذا أنت يا مسكين يا صاحب القلب السليم .
– أنت أيضا لا تعرف البصل ، وتثرثر[2] كثيرا فيما لا نفع فيه .
– وذلك الذى لا يعرف نفسه ، كيف يشعر بنفوس الآخرين .
٢٠٥ – وذلك الذى يعرف اليد والقدم ، كيف تتيسر له معرفة الله .
– والأنبياء عاجزون عن هذا المعنى ، فكيف تدعى أنت ذلك جزافا ؟
– فإذا كنت تريد البرهان لهذا الكلام ، فحسبك أن تعلم أنه الإيمان .
– وإلا فأين هو وأين أنت ، فالصمت خير لك ولا تكثر من الثرثرة .
– والعلماء جميعا يثرثرون بلا جدوى ، فليس الدين جديرا بكل شخص[3] .

---

(١) ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات ﴾ سورة آل عمران : آية ٧ .
(٢) حرفيا : وتحرك لحيتك .
(٣) حرفيا : فالدين لا ينسج على قدم كل شخص .

فصل فى الدرجات

٢١٠ - لاتجعل لروحك من جهنم مقرا ، ولا تتخذ من المحال بيتا لخاطرك .

- ولا تدر حول الهراء والمحال ، ولا تحم حول باب دار الخيال .
- وانفض يديك عن الخيال المحال ، حتى تجد الاستقبال فى هذه الحظيره
- وفى هذا البحر الذى لا ساحل له ، اضرب بيديك وقدميك كالضفدعه لعلك (تنجو) .
- فدار البقاء تلك من أجلك ، ودار الفناء هذه ليست مكانك .

٢١٥ - ودار البقاء هى المعاد من أجلك ، فاترك اليوم وهيىء الروح من أجل الغد .

- فالقبيح والجميع واليسار واليمين فى الدنيا ، كلها لخلفة السوء (أبناء) آدم .
- والدرجات كثيرة نحو السطح العالى ، فكيف تصير قانعا بدرجة واحدة .
- والدرجة الأولى اليه هى الحلم ، فهو بالتحقيق سيد العلم .
- وقد جمعت أنت على الدرجة الأولى ، العقل والروح والصورة والجوهر .

٢٢٠ - فاعلم حقيقة أن فى (هذا) العالم ، من أجل نتاج آدم ؟

- وليس من سلم إلى الأزل ، أفضل من العلم والعمل .
- ومن أجل مرتفعات المنزل ومنخفضاته ، تقوى حكمة الروح القلب .
- ولو لم تفعل ذلك فى هذا الطريق ، فاضرب برجلك ويدك فلا ضير .
- وكل من يبذر بذور الكسل ، فإن كسله يورثه الكفر[1] .

٢٢٥ - وكل من ارتبط بالجهل والكسل ، ضلت قدمه الطريق (وانساب) عمله من يده .

- وأنا لا أعلم شيئا أسوأ من الكسل ، فالكسل هو الذى يجعل الابطال مخنثين[2] .
- فقد خلقت من أجل العمل ، (وعلى أساسه) فصل رداء خلقتك .
- ولماذا تصير قانعا بالأسمال ، ما دمت لا تطمع فى تلك الحلل .
- والصادق يجعل العوالم الأربعة واحدا ، والعاشق يجعل من المنازل التسعة واحدا .

٢٣٠ - فكيف تحصل على الملك والملك ؟ ما دمت تجعل من الشهر ستين يوما دون عمل[3] .

- فمن بطالة النهار وراحة الليل ، لا تصل أبدا إلى السرير الساسانى .
- فتاج الملوك وعرشهم (من) قبضة ، تعرف المقمع ويد تعرف السيف وعين لا تعرف البكاء[4] .
- ولكن من كان غير أهل لهذا ووضيعا يصير خسيسا أمام الفضه وما يعطيه الفلك .
- فلا تخط كيس (الحرص) ولاتمزق حجب (العلم) ، ولا تلعق الأطباق ولا تشتر الضلالة .

٢٣٥ - وإذا كنت عالما فكن بالحلم كالجبل ، ولا تكن شكاء أمام نوائب الدهر .

- فالعلم بة حلم شمع بلا نور ، وهما معا كالعسل الصراح .
- والشهد بلا شمع رمز للأحرار ، والشمع بلا شهد يفضى إلى النار .
- فأعبر دار الكون والفساد هذه ، وخل عنك المبدأ واذهب إلى المعاد .

---

(١) الكسل بذرة الكفر : حديث نبوى غير متداول .

(٢) فى الأصل : رستهان جمع رستم البطل الفارسى الشهير .

(٣) المقصود : قضاء النهار مثل الليل فى البطاله .

(٤) حرفيا : بسحابة غير ممطرة : والمقصود بها العين التى لا تبكى .

- ففى كتلة التراب[1] هذه التى لا ماء فيها ، تكون نيران الرياح دليلا على السراب .

فى الحفظ والمراقبه

٢٤٠ - كل من كان من عون الحق محيطا به ، يصير عنكبوته ناسجا للاستار .
- يلهج عليه بالثناء لسان الضب ، وتبحث عن رضائه الأفاعى .
- ويظلل نعله ما فوق السماء ، ويكون ياقوته جديرا بزينة الأرض .
- ويصير السم سكرا فى فمه ، ويصير الحجر جوهرا فى قبضته .
- وكل من يضع رأسه على هذه العتبه ، يضع قدمه على تريكة الزمان .

٢٤٥ - والعقل يدعو العاجز إلى هذا الباب ، ذلك أن الذى يبتعد عن هذا الباب يظل عاجزا .
- وإنى أخاف عليك من الجهل وعدم المعرفة ، أن تصبر عاجزا فجأة على الصراط .
- فثمه جاهل يسحبك إلى النيران ، ما دام يعطيك الفرن والخشخاش .
- فلقد رأيت اللقمة التى يمضغها المرء ، تخرج من بينها حبه قمح .
- كانت أمام الطير والجراد والدواب ، وتحت نظرة الحمار القاسية ولهب التنور .

٢٥٠- ثم صارت أيضا بين شقى طاحونتك ، وبالرغم من ذلك فقد حفظها الله .
- فمن أجل حفظ المال والنفس ، هو حسبك إذ أنك من صنعه .
- وأنا أتحدث إليك ولو أنك عاقل فطن فاستمع إلى نصيحتى .
- حينما تحصل على الكلب والقيد ، تستطيع أن تنزل الهزيمه بغزال الصحراء .
- وأنت بهذا الاعتقاد وهذا الاخلاص ، من أجل المعاش وكسب الخلاص .

٢٥٥ - أرى أن اعتمادك على الكلب والقيد ، أكثر من الاعتماد على السميع البصير .
- وفى هذا البناء أغار الحديد (القيد) ، وأغار الكلب على إيمانك .

التمثيل فى قوم يؤتون الزكاة

- وهب رجل أريب كريم أمام ابنه ، بضع آلاف بدرة من الذهب
- وحين رأى الابن بذل والده ، أطلق عليه لسانه يعيبه ويعذ له .
- فقال : يا أبى أين نصيبى ، قال : يا بنى (نصيبك) فى خزانته .

٢٦٠ - فنصيبك دون (اللجوء إلى) وصى أو مخزن ، أعطيته للحق وهو سيرده إليك .
- فما دام هو صانعنا ومولانا ، فليس كثيرًا عليه ديننا ودنيانا .
- فهو ليس إلا بارىء الأرواح ، ولا يظلمك منها قط .
- وهو يعوض البدرة بسبعين (مثيلاتها) ، وحينما يغلق بابا يفتح أمامك عشرة أبواب .

فى الحكمة وسبب رزق الرزاق

- ألم تر أن الذى سبق كل الوجوه ، حين خلق وجودك فى الرحم .

٢٦٥ - أعطاك رزقك من الدم تسعة شهور ، الخالق الحكيم الذى لا مثيل له .

---

(١) كتلة التراب : المقصود بها الدنيا .

- ورباك أيضًا فى بطن أمك ، وبعد تسعة شهور أتى بك إلى الوجود .
- وحينما أغلق هذا الباب للرزق فى وجهك ، أعطاك بعده بابين أفضل (منه) .
- أعطاك بعد ذلك الألفة بالثديين ، فهما أمامك طوال النهار والليل ينبوعان جاريان .
- وقال لك : اشرب من هذين الاثنين ، « كل هنيئًا »[1] فليسا حرامًا عليك .

٢٧٠ - وحينما فطمت بعد عامين ، تبدلت جميع أحوالك .
- أعطاك رزقك من يديك وقدميك ، أمسك بتلك واسع بذى فى كل مكان .
- فإذا كان البابان قد جاز غلقهما عليك ، فقد أقام بدلا منهما أربعة أبواب .
- فخذ باليدين واسع بالقدمين بدأب ،واطلب الرزق من أنحاء العالم .
- وحين يحم القضاء فجأة ، تكون أمور الدنيا كلها مجازًا .

٢٧٥ - عجزت اليدان والقدمان عن العمل ، وبدلا من الأربعة أعطاك ثمانية .
- فحينما قيدت الأربعة منك فى اللحد ، صار الجنان الثمان خالدة من أجلك .
- فقد أعاد فتح الأبواب الثمانية لك ، وأحضر أمامك الحور والغلمان .
- حتى تذهب إلى أى باب مسرورًا وكيفما تشاء ولا تتذكر شيئًا من الدنيا .
- فهو أكثر حنانًا عليك من الأم والأب ، وهو رائدك إلى الخلد .

٢٨٠ - ويا أيها الفتى استمع إلى هذه النقطة ، ولا تكن قانطا من عطاء الله .
- حينما أعطاك الله المعرفة ، وضع الإيمان فى أعماق قلبك .
- والخلعة التى كانت لك يوم عرسك ، لا يستردها منك عند البعث .
- فإذا لم يكن لك علم أو مال ، وهو لك فلم تخسر شيئًا .
- ولو وضعك فى مقام الفخر لا ترى عارًا ، ولو أعزك لا تنقلب ذليلاً .

٢٨٥ - فلا تربط قلبك بما تملكه ، واعلم أن الباقى هو ما يعطيك إياه .
- فالذى تكتنزه لا تجده ثانية ، أما إن أعطيته فهو يرد لك عطيتك .
- وحينما تضع الذهب المزيف فى النار تلتهمه ، أما الذهب النضار فيتألق لك .
- والسىء الذى يحرقه يخلفه عليك حسنا ، وتيمم دولة الفلك وجهها شطرك .
- ونفع النار فى أن تكون متوقدة باستمرار ، ومشعل النار حينذاك أكرم منها .

٢٩٠ - فأنت لا تعلم الخير من الشر ، وهو خازنك أحسن إليك منك .
- فالصديق حيه فلماذا تدق على بابه ، والحية صديق فلماذا تهلع منها ؟
- ويا أيها الباحث فى الصدف عن جوهر (الا) ، ضع الروح والثوب على ساحل (لا)[2] .
- فلا يميل الحق إلا إلى من لا وجود له ، وزاد هذا الطريق ينبغى أن يكون من العدم .
- فما دمت لا تضع من العدم خوذة على رأسك ،فإنك لا تيمم وجهك شطر البقاء .

٢٩٥ - وحين تصير عدمًا فانت نسرع نحو الحق ، وما دمت « موجودا » فانت فى طريق التسول .
- ألم تقرأ فى كتاب الله ، ليس الرجال أموات بل أحياء[3] .

---

(١) ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ سورة الحاقة : آية ٢٤ .

(٢) إشارة إلى كلمة الشهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ سورة آل عمران : آية ١٦٩ .

- فلو أن الزمان أذل وجودك ، لجعلك أحسن الخالقين موجودًا .

فى الهــداية

- سبب هدايتك هو أيادية ، وهو الهادى والمهتدى للنفس .
- ففى طريق شرعك وفرضك وسنتك ، عدد منة الحق لا منة نفسك .
٣٠٠ - ويقينه وتلقينه واهبان للنور ، وهو صاحب الدنيا والناظر إلى الدنيا .
- وحين يعبد (المرء) جسده الثقيل ، فكيف تعرفه النفس والروح .
- وهناك تكون قطعة الحجارة ياقوت منجم ، وهناك يكون الفضولى عقلاً وروحا .
- وأنت بلا لسان ولسان ثنائك كافيك ، وأنت تتحدث الحديث الفارغ وحسبك هذا حزنًا وخسارة .
- فانظر إلى منة الخالق الهادى الذى اصطفى الآدمى من جملة مخلوقاته .
٣٠٥ - فمن بعد الكفر جعلنا أهل دين ، وفى وسط الظلمة أضاء بالنور أبصارنا .
- ومن أجل الذكر والأنثى ، ليست هناك حاجة إلى مرشد أو رسول إلى حضرته .
- ومن أجل إرشاد الأمراء الستة ، جعل القط بشارة والكلب مرشدًا .
- والذى لا يولى وجهه شطر الخالق ، اعتبر صنما كل ما يعرف وكل ما يملك .
- وهاديك تمامًا هو لطفه ، ثم يكون الفلك بعد ذلك غلامًا لك .
٣١٠ - وأولئك الذين ولوا وجوههم عن الحق ، أقول حقيقة أنهم ليسوا يبشر .
- والكلب خير من الخسيس الذى يلوى وجهه ، ذلك أن الكلب الذى لا يبحث لا يجد الصيد .
- والكلب الكسول الذى صار سمينًا ، ليس كالمهاجم يحسن فى الأمور .
- فهو من انبثاق الصبح ومن وراء الشفق ، يمم فى سبيل العشق وجهه شطر الإله .
- فماذا يكون النهار إلا كاشفا للحجب ، وماذا يكون الليل إلا ستارا ؟
٣١٥ - وكل من جاء إليه وارهف السمع ، لم يأت من تلقاء نفسه بل أن لطفه هو الذى أتى به .
- واعلم أن الروح تسجد أيضًا منه ، ذلك أنه من السحاب يجود المطر .
- وكل ما لك من هداية أيها الدرويش ، عدها هدية الحق لا فعل نفسك .
- وقد صار آل برمك شيئًا من الجود ، ومع السخاء صاروا كتوائم النفس .
- وبقى اسمهم كأنه الروح ، بالرغم من أن الفلك أومأ إليهم نحو الفناء .
٣٢٠ - وأناس هذا الزمان وإن كانوا طينين ، إلا أنهم كالذباب وقحون قذى فى العيون .
- فهم عند الكلام كأنها يرتشفون السكر ، وعند السخاء ممزقو القلب مضطربو الأرواح .

فى المجاهدة

- حينما تتحول من وجودك إلى عدم ، تمنطق بحزام الجهد وقف فى الطريق .
- وحينما تقف متمنطقًا بالحزام ، فإنك تكون قد وضعت التاج على مفرق القلب .
- فضع تاج الإقبال على رأس القلب ، وارفع قدم الإدبار عن النفس والجسد .
٣٢٥ - وإذا أردت أن ينقلب الضعيف فيك إلى قوى ، فاعط أولا فراءك إلى القصار .
- وإذا كان الغافل يضحك من هذا العمل ، فالعاقل لا يقبل إلا إياه .

- وألق بالرداء فحتى أبواب الملك ، ما أكثر الفراء الموجود فى الطريق .
- ففى أول خطوة خطاها آدم ، مزق رداءه ذئب الظلم .
- وليس مثل قابيل الذى كان متعطشاً إلى الجفاء ، فألبس هابيل رداء الفناء .
٣٣٠ - ولكن مثل إدريس الذى ألقى عنه رداءه ، فلم ير باب الفردوس مغلقاً أمامه .
- ومثل الخليل الذى كشف الرداء عن النجم والشمس والقمر دون أن يلقى بالا للذلة .
- فأضحى ليله كأنه النهار المضىء ، وأصبحت نار النمرود (عليه) كأنها الروضة الندية .
- وانظر إلى سليمان الذى أعطى رداء الأمل إلى القصار من أجل العدل .
- فأصبح الجن والأنس والطيور والنمل والجراد ، (سواء منها) من هو فى قعر ماء القلزم وعلى رأس الجبل .
٣٣٥ - كلها عظمت وجهه ، وصارت جميعها مطيعة لرأية .
- وحينما إحترق من نار القلب ذرف الدموع ، واعتلى كاهل رياح الفلك .
- وحينما ترعرع الحزن فى قلب الكليم الكريم ، يمم وجهه شطر مدين بحزن وألم .
- فسحب الرداء عن وجه الخرقة كأجير ، وذلك من جوهر الألم .
- فقام عشر سنوات بخدمة شعيب ، حتى فتحت أمام قلبه أبواب الغيب .
٣٤٠ - فأصبحت يده (مضيئة) كأنها عين المبصر ، وأصبح قدمه تاجاً على مفرق سيناء .
- وحينما تنفس « روح الله »[1] من البحر الروحانى ، وأصبح قابلاً للطف الربانى .
- أرسل الرداء منذ أول منزل إلى قصار القلوب .
- وحينما أعطاه قلبه العظمة الإلهية ، أعطاه الملوكية وهو لا يزال صغيراً .
- فمن الثناء الخفى واللطف الجلى ، صار منه يفضل القدرة الأزليه .
٣٤٥ - جسم الأبرص كأنه ظل الفرش ، وعين الأكمة كأنها قاعدة العرش .
- وكل من كان مثله يبحث عن العار عن طريق الشرف ، يستطيع من دون واحد أن يخرج عشرة ألوان .
- ويصير البعر لديه كالمسك النافذ الرائحة ، ويصبح (مثله) يجعل الموتى أحياء .
- فقد جعل (عيسى) طينة القلب من لطف الروح رأساً ، وجعل قلب الجسد من يده كالروح .
- وحين ختم القضاء على هذا الدكان ، أصبحت يد التقدير فى خطاف الفناء .
٣٥٠ - وأصبح العالم مليئا بالهوى والهوس ، وأصبح السوق مليئا بالجلادين والعسس .
- وأرسل شرطياً إلى هذا العالم ، وذلك من أجل أن يقوم بدفع الظلم .
- ذلك أنه حينما صار ظاهراً من سماء القلب ، كان مثل الزوح طاهر الجسد .
- وفى طريق الدين لم يملك رداء قط ، فأى شيىء إذن أعطاه لقصارى الأرض ؟
- وحينما جاء من الفناء بشطر البقاء ، كان زينة وجمالاً لهذا العالم الفانى .
٣٥٥ - وكل من صار صامتاً من أجله ، أصبح خالداً (وأصبح) حديثه حياة .
- فإذا لم يتحدث لا يكون هذا من الكسل ، وإذا تحدث فليس هذا من الجهل .
- فلقد رأيت أيها السيد المكثر من الحديث ، إن باب قلبك قد صار سميكاً من كثرة الحديث .
- ففى صمته لم يكن يفكر فى لهو ، وعند حديثه لم يكن ناشراً للغو .

---

(١) روح الله هو سيدنا عيسى ـ سمى روحًا لأنه لم يخرج من أصلاب الفحول ولم تحتويه أرحام الطوامث

- ولقد عقد من الجهد والعشق والطلب طرف رداء الليل على جيب النهار .
٣٦٠ - فتسوية الليل والنهار بمسطرة الانصاف خير من أى جزاف .
- ويجد كل من لا لسان له لسانا ، حينما يجد رائحه الروح من داخله .
- فلا تشك أنت فى حديثى هذا ، وافتح عينيك وتخيل أنك واحد .
- وفى طريقه يقرأ العاشقون على الروح آية كل من عليها فان[١] .
- وهؤلاء السفهاء اللصوص النشالون ، يملكون العقل ولكن من أجل قطع الطريق .
٣٦٥ - ذلك أن صنعه عدل وحكمة وجلى ، وملكه قهر وعزة وخفى .
- فجسم الماء والطين من قهره عار ، وحسناء العين والقلب عن كنهه عمياء .
- فالعقل ملوث من (خداع) البصر ، فقل أرنى[٢] وكن مثل موسى .
- ذلك أن جسده حينما خرج من التجلى ، قال فى أذنه أن قد تبت اليك[٣] .
- فاعلم صفة ذاته بالعلم ، وأقرأ أسماءه الألف وواحد المطهرة .
٣٧٠ - ووصفه تحت (سطوة) العلم ليس خيرا ، وكل كما سمعته الأذن ليس هو .
- ومع صفته تكون النقطه والخط والسطح ، كأنها جسم ذات بعد وجهات سته له .
- وهو مبدع تلك الثلاثه من وراء المكان ، وهو خالق هذه الثلاثه من داخل الزمان .
- ولا يرى عاقل فيه عيبا ، وهو ذلك الذى يعلم ما فى داخل الغيب .
- وهو المطلع على الضمائر والأسرار ، وهو الذى يجعل ما لم تقم به بعد يخطر على قلبك .

فصل فى التقديس

٣٧٥ - ليست الكاف والنون إلا كتابة لنا ، ولكن ما هى كن ؟ إنها سرعة نفاذ القضاء .
- وليس من العجز إمهاله وقضاؤه ، وليس من الطبع غضبه ورضاؤه .
- فاعلم أن علته ليست من الكفر أو الدين ، واعلم أن صفته ليست هذه أو تلك .
- فتعالى وتقدس عما قاله الغافلون ، وزاد تعاليا وتقدسا عما قاله العاقلون .
- ليس الوهم والخاطر دليلا على الخبر ، حيثما يكون الوهم والخاطر لا يكون هو .
٣٨٠ - فالوهم والخاطر مستحدثات من خلقه ، وآدم والعقل من مستحدثاته أيضا .
- فذاته خالية من السببية والشر والخير والباطن والظاهر .
- ذلك أن إثبات وجوده بالنسبة للعدم ، مثل إثبات ام الاعمى .
- يعلم الاعمى أنه له أما ، لكنه لا يستطيع أن يتخيل كيف تكون .
- وفى مثل هذا العالم ذى الوجهين ، من الشر أن تكون أنت هو وهو أنت .
٣٨٥ - فلو لم تقل إليه ليس هذا بخير ، ولو قلت موجود فكأنك ترى أنه ليس موجودا .
- ولو لم تقل ذاك كنت فارغا من الدين ، ولو قلت أنك هذا لكنت مشبها .
- فهو معك كالوجه فى المرآة المصقولة ، ليس عن طريق الاتحاد أو عن طريق الحلول .

---

(١) الرحمن : آية ٢٦ .

(٢) قال ربى أرنى انظر إليك قال لن ترانى الأعراف ١٤٣ .

(٣) فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك الأعراف ١٤٣ .

- ولما كان هو خارجا عن المكان والزمان[1]، فكيف تكون زاوية خاطرك متحده معه ؟[2].
- وحينما يسرع العامه نحو حضرته، يقولون متخبطين : ها هو ذا، ها هو ذا.
٣٩٠ - أما الرجال فهم كالفاختة فى الطريق، الطوق فى أعناقهم وهو يقولون : أين ؟ أين ؟ (كوكو).
- والفاختة الغائبة تقول « كو » (أين ؟)، وإذا كنت أنت حاضرا فلم تقول « هو ».
- فكن راجيا أردت أو خائفا، لم يخلق الحكيم شيئا عبثا.
- فهو عالم بكل ما فعل وكل ما يفعل، وأنت لا تعلم واعلم أن (جهلك هذا) يسبب لك الألم.
- فليس هناك ما هو أفضل من التسليم فى علمه، حتى تعلم حكمته وحلمه.
٣٩٥ - فلقد أعطى الخلق من حكمته، ولكل امرئ الوسيلة أكثر من الحاجة.
- أعطاهم جميعا الوسيلة المناسبة، من أجل جلب النفع ودفع الضرر.
- فكا ما ذهب فى الدنيا وكل ما يأتى (إليها) وكل ما هو موجود (فيها) كما ينبغى أن يكون.
- فلا تتحدث فى هذا قط بالفضول، وأنظر إلى كل ما ساق بعين القبول.

قصة قديمة

- رأى أبله بعيرا فى المرعى، فقال له : لماذا (أرى) كل صورتك معوجة ؟
٤٠٠ - فقال له البعير : انك فى هذا الجدال تعيب على النقاش فحذار.
- فلا تنظر منى إلى الصورة المعوجة، واطلب منى طريقة السير المستقيم.
- فمن المصلحة خلقت صورتى هكذا، ومن الاعوجاج تأتى الاستقامة.
- فالق بالفضول خارج حديثك، فأذن الحمار ملائمة لرأسه.
- ذلك أنك حينما تغضب، يكون حاجباك مناسبين لعينيك.
٤٠٥ - فلا تعيبوا عليه فى كل ما صنع، ولا تفعلوا إلا الخير مع الشرير والطيب.
- فإن يد العقل تقوى بالسخاء، وانظر إلى عين الشمس صارت (من تحت) حاجبيك.
- فالقبيح والجميل عند العقلاء، كلاهما جميل جدا فمنه لا يتأتى القبيح.
- فاعلم إنه جدير بالألوهية، وذلك مثلما يكون الليل مناسبا لصوت القمرى[3].
- فخير لك أن كل ما تراه منه، مهما كان قبيحا تراه جميلا.
٤١٠ - وقد قدر للجسم الراحة والتعب، أما الراحة فهى دائما للروح وكأنها الكنز.
- ولكن حية مؤذية على رأس (هذا الكنز)، يواجهها العقل بيديه وقدميه.

التمثيل لقوم ينظرون بعين الأحوال
« مناظرة الولد مع الوالد »

- سأل ابن أحول والده وقال له : يا من حديثك لكل أمر صعب كأنه المفتاح.
- لقد قلت أن الأحول يرى الشيء الواحد اثنين، وأنا لا أرى أكثر مما أرى.

---

(١) حرفيًا : عن « ابن ومتى ».

(٢) حرفيًا : زاوية خاطرك هى هو.

(٣) حرفيًا : فاذهب واطلب منه الليل والقمرى.

– وإذا كنت قد عددت فى الأحول أى اعوجاج ، فإن القمر الذى هو على الفلك اثنان (يكون) أربعة أقمار .
٤١٥ – إذن فقد أخطأ من قال بهذا ، فالأحول إذا نظر إلى المفرد وجده زوجا .
– وأخاف أن تكون فى رأى المشرع للدين ، مثل الأحول المعوج النظر .
– أو مثل الأبله الذى دخل مع البعير فى جدال ، فظن عبثا فى صنع الخالق .

* * *

– هو الذى أعطى الروح الشرف من العقل ، وهو الذى أعطى العفو غذاء من الذنب .
– والله يعرف الإنابة جيدا ، وحكمته هى التى تمنع الاستجابة .
٤٢٠ – وبالرغم من أن الطبيب يكون مجيبا حين السؤال إلا أنه لا يعطى الطين لآكل الطين .
– وطوال عمر ذلك الذى يطلب الطين متى تعطيه إياه حتى ولو أراده بكل قلبه ؟
– فكيف يكون تصرفه بلا سبب ، وكيف يكون فعله متجاوبا مع تفكيرك الضحل ؟
– والأشخاص الذين يشربون قدح السم الزعاف ولا يموتون منه كثيرون جدا .
– ذلك أنه يصير لأولئك الذين يكونون من أمراضهم كالخيرزان غذاء للروح .
٤٢٥ – وقد أعطى الجميع عن طريق الحكمة والعدل ، أكثر مما ينبغى لهم جميعا .
– فلو أن البعوضة تمزق أذن الفيل ، فقل له حرك أذنيك فهى مذبة للبعوض .
– ولو أن هناك قملا فهناك أيضا أظافرك ، وهى التى تقضى على البراغيث حين تقفز .
– ولو امتلأ الجبل بالحيات فلا تغضب ، فالحجر والترياق أيضا فى الجبل .
– وإذا أحسست بقلبك بوجود عقرب ، فأنت أيضا تملك الحذاء والنعل من أجلها .
٤٣٠ – ومهما كانت الآلام فى هذا العالم كثيرة ، فلكل واحد منها ألف دواء .
– وقد علقهما معا من أجل التصوير ، كرة الزمهرير وكرة الأثير .
– ولكى يكون هناك اعتدال البدن ، فإن برودة المخ (فى مقابل) حرارة القلب .
– وجعل الكبد والقلب من الأكحل والشريان ، ومن كليهما جعل الماء يجرى للجسد .
– حتى تعطى الحياة للجسد بواسطة النفس والدم ، هذا للحركة وذلك للسكون .
٤٣٥ – والملكوت والملك فى العالم ، فمن فوق العرش نور ومن تحته ظلمة .
– وقد وهب هاتين المادتين فى الصنع ، حينما مد الظل على الصنع .
– (فقد وهب) الروح للملكوت من شرفه ، ووهب الروح للملك من لطفه .
– حتى يكون الباطن والظاهر قابلين للقوت ، الجسد من ذى الملك والروح من ذى الملكوت .
– فاعلم أنه عسل كل ما كان سما من لدنه ، واعلم انه لطف كل ما كان قهرا منه .
٤٤٠ – ومن أمهاتنا تكون الحجامة لنا خيرا كما يكون التمر .

فى أصحاب الغفلة

– ألم تر ما تفعله الحاضنة (مع) الطفل ، وهو فى زمن الصغر وعلى أول درجة (من العمر) .
– تضعه حينا فى المهد ، وحينا تحمله على كتفها بحنان .
– تضربه أحيانا بشدة وأحيانا تدلله ، وأحيانا تنثر حوله السكر .
– أحيانا تقبل بحنان وجنتيه ، وحينا تدلله وتحتضنه .

٤٤٥ - وحينما ينظر رجل غريب ، ويغضب من الحاضنة ويطلق (من فعلها) الآه .
- ويقول إنها ليست حاضنة حنونا (على الطفل) ، مع أنه طفل قليل الحيلة .
- وكيف تعلم أنت إن الحاضنة تحسن صنعا ، وشرط الفعل أن تسوقه هكذا .
- وأيضا فإن الخالق يعامل العبد كما ينبغى ، وفى كل الأمور كما ينبغى .
- إنه يعطيه الرزق كما ينبغى له ، حينا يصيب بالحرمان وحينا يعطى النصر .
٤٥٠ - أحيانا يضع على رأس (العبد) تاجا من الجوهر ، وأحيانا يحوجه إلى الدانق .
- فكن راضيا بحكم الله ، وإلا فاغضب واذهب أمام القاضى .
- حتى يخلصك إذن من قضائه ، وهكذا دائما يفعل الأبله .
- فكل ما هو كائن من بلاء وعافية خير محض والشر عارية .
- فهو لا يفعل الشر إلا مع الجلف والذى لا عقل له ، ذلك أن الطيب لا يفعل الشر أبدا .
٤٥٥ - ومنك تكون السمعة الحسنة والسمعة السيئة ، وإلا فهو عطاء محض كل ما يكون منه .
- ففى وجوده لا يتأتى السوء أبدا ، فمن أين يجوز على الله السوء .
- ذلك الذى خلق العالم بكن فيكون ، كيف يصيب الناس بالشر كيف ؟!.
- فالخير والشر ليسا مجرد كلمتين فى العالم ، فلقب الخير والشر منى ومنك .
- وفى ذلك الزمان الذى خلق الله فيه الآفاق ، لم يخلق شرا على الإطلاق .
٤٦٠ - فالموت لهذا هلاك ولذا مؤونة ، والسم لذاك غذاء ولذا موت .
- فإن وجه المرآة هو الذى يقوم بفعلها ، وإن كان ظهرها مملوءا بالجوهر .
- وإذا كان وجه المرآة أسود كظهرها ، لا ينظر فيها شخص قط .
- وانعكاس ضوء الشمس يكون جميلا فى المرآة ، سواء كان ظهرها أبيض أم أسود .
- ذلك إنه حينما صورك فى سويداء القلب ، جعل مرآتك دائما أمام القلب .

فصل فى الصنع والقدرة

٤٦٥ - هو المصور لظاهر الأجساد ، واعلم أيضا أنه المصور لباطن القلوب .
- وكان صنعه مقدما على العدم ، وذاته مسلم لها بالقدم .
- وإذا كنت متكبرا فهو لا يحتد غضبا عليك ، وإذا كنت ذا عين فهو لا ينظر إليك بعينيه .
- ولو كان قدم الطاووس (جميلا) مثل جناحه ، لظهر بها فى الليل والنهار .
- فمن الذى يستطيع أن يصور فى البشر ، نقش القلم وصورة القدم .
٤٧٠ - لقد جعل العقل قائلا للسورة ، وجعل المادة قابلة للصورة .
- هو مبدع الوجود وما لا وجود له ، وهو صانع اليد وما فى اليد .
- وصنعته التى لا خلل فيها هى قبلة العقل ، وذاته التى لا بدل لها هى كعبة الشوق .
- وقد وهب العقل طريق اليقظة ، فماذا تظن أنت ما هو العقل ؟
- فالمربط (مناسب) للكلب والطريق (مناسب) للحجر ، وأنت مثل الياقوت تتألق خارج الصندوق .
٤٧٥ - ذلك أن الملك يملك الفضة من أجل الانفاق ، ويملك الياقوت من أجل أن يخزنه .
- فالفضة شاكية من قيمتها الدنية ، والياقوت سعيد من وجوده الملئ بالدم .

– لقد صنع ساقية من الزبرجد الصرف ، وربط على الدولاب قدرا فضيا[1] .

فى تعظيم قدره

– النار والريح والماء والتراب والفلك ، فوقها العقل والروح ووسطها الملك .
– واعلم أن العقل والروح والصورة المطلقة كلها من الأمر والأمر من الحق .
٤٨٠ – فهو المصور ومادة الفرجال ، والنعمة والشكر والشكور كلها صور .
– وقد أدار فى طريق كل من هم ليسوا برجال الشمع والشمعدان فى الأثير .
– وجعل الفعل والقوة فى الطريق الرئيسى للمعاش والمعاد قرينين للكون والفساد .
– وقد جعلت قدرته النطق فى العالم ، وجعل القوة حبلى بالفعل .
– وكل ما يأتى بالفعل فهو سببه ، وكل ما فى القوة من توليده .

فى الأمثال والمواعظ ، الفقر سواد الوجه والدنيا دار الزوال وتغيير الأحوال والانتقال

٤٨٥ – كن مع السواد فهو لا يهرب منك ، فالسواد لا يقبل لونا آخر .
– ويكون السرور قرينا مع ذى الوجه الأسود ، وقليلا ما يكون ذو الوجه الأحمر مثيرا للطرب .
– وذلك أن حرارة النار هى التى تبحث عن القلب ، ويكون طالبها المحترق أسود الوجه .
– والزنجى القبيح الذى يعانى البلاء ، يجد سعادة القلب فى وجهه الأسود .
– وليس طربه من جمال لديه ، كما أن سعادته من رائحته العطرية .
٤٩٠ – وهى أكثر ضياء من ضوء الهلال ، كشف حال « هلال » ونعل « بلال » .
– وإذا كنت لا تريد أن تفشى سر القلب ، فكن مع سود الوجوه فى الدارين .
– ذلك إن الذى استولى عليه الهوى ، هو عبد فى النهار وصاحب ستر فى الليل .
– فارفع اليد عن هذه الرغبات الفارغة ، واعلم أن الشهوات سم والمعدة مثل الحية .
– وإذا كانت أفعى تزويرك آخذة فى اللدغ ، فإن هذه الأمور لا تطيب معك كثيرا .
٤٩٥ – ففى هذا الطريق يوجد الخير فى داخل السوء ، مثلما يوجد ماء الحيوان فى قلب الظلمة .
– وأى حزن للقلب من السواد ، والليل يحمل النهار فى طياته .
– وكل ما هو سوى الحق مرتبط بالطين ، اللهم إلا طريق حقيقة الدين .
– ذلك أن الرجال فى هذا المنزل القديم ، حازوا على الجديد دون شرك أو حب .
– وحينما مالوا إلى بستان الله ، ألقوا بعيدا بكل ما هو تلقين .
٥٠٠ – وعدم التعلق بالنفس منتهى سرهم جميعا ، ومرجع الروح الطاهرة متعلق بكلمة .
– فدعك من الروح والعقل مرة واحدة ، حتى تصل إلى أمر الله ولو مرة واحدة .
– وأنت يا من لم تطو فرش الزمان ، وأنت يا من لم تترك (الطبائع) الأربعة و (الأفلاك) التسعة .
– أنك لا ترى إنك فى الليل أعمى ، وأنت مجرد فى النهار كعقول البلهاء .
– وأنا لا أقول لك الكلام غمزا ، بل (أقول لك) عن طريق الحق بالنكتة والرمز .

(١) الساقية الزبرجدية هى السماء والدولاب هو الفلك والقدر الفضى هو القمر .

٥٠٥ - ما دمت لا تترك الباطل فلا حق هناك ، وتأرجحك (بين الحق والباطل) ليس حقا محضا .
- ولا زاد إلا هذا لطريق العالم الحى ، فاعلم أن القوة لا خير فيها والمال لا شيء .
- ولا خير هناك فى قوة مالكى الذهب ، مثلما يكون عقل شاربى الخمر هباء .

فى عدم الاحتياج إلى غير الله تعالى والتعلق به من سر الحقيقة

- إن خالق الوجود فى غير حاجة إلى تضرعنا بغير لسان فى ملكه .
- وبالنسبة لعدم احتياجه إلينا سواء الكفر والدين ، وبالنسبة لعدم التضرع له سواء الشك واليقين .
٥١٠ - فهل الذى لا يحتاج باحث عن الحاجة منك ، وهل هو مدين لك بالشكر حتى يكون شاكرا لك .
- واعلم حقيقة أن الله جدير بالحكم وجدير بالحكمة .
- والطاعة والمعصية عار عليك ، وإلا فإن كل شيء يستوى بالنسبة له .
- وذلك الذى يريد أن يصل إلى باب الله ، متى وصل بالعقل واليد والقدم ؟
- هو راعيك وفيك قابليته للذنب ، وهو داعيك وأنت المحتاج .
٥١٥ - ويوسف والذئب يبدوان لك حينا كبيرين وحينا صغيرين ، ولكن يوسف والذئب لديه سواء .
- وبالنسبة للطفه ما هو المنع وما هو العون ؟ وبالنسبة لقهره من هو موسى ومن هو فرعون ؟ .
- فالنفس والأفلاك خلفه ، وما أسعد ذلك الشخص الذى اختاره .
- وأية عزة للعقل والفكر لديه ، وأية عظمة للنفس والفلك بالنسبة إليه .
- ذلك أن الفلك ومن يدير الفلك ، مثالهما كالطاحونة والطحان .
٥٢٠ - فالحكم أمر والعقل قابل للأمر ، والنفس مصورة والطبع قابل للصورة .
- وحركة الفلك الذى لا يسكن و (حركة) الأرض ، كأنها نملة فى ذيل تنين .
- والتنانين لا تسقط النملة على الأرض ، وهكذا يدور الفلك دون أن تدرى بدورانه .
- وهو يديرها فى طاحونة البلاء ، بينما هى (مستغرقة) فى نوم الغفلة فى مشيمة (لا) .
- وعمرك كأنه الحبة فى ذيل صنعه ، وعرسه جليس لمأتمه .
٥٢٥ - ومن أجل أن يقول لك « أقبل » و « اذهب » ، ركب لك فى جسدك يدين وقدمين .
- وأنت لا تصل إلى طريقة إلا بفضله ، مهما كنت قوى النفس فى طاعته .
- وذلك الذى يصل إلى ذاته بيديه وقدميه ، كيف يستطيع أن يصل بهما إلى الله ؟ .

فى التضرع والعجز

- تكون الشكوى منك طيبة إما القوة فتكون سيئة،ولس من الخبر أن يدخل المرء عاريًا إلى عش النحل الهائج.
- فأترك القوة وطف حول الضراعة ، حتى تمحو الغبار عن مفرق الهواء .
٥٣٠ - ذلك أن الله يعلم من علم حذقه ، أن القوة منك زور والشكوى صدق .
- وحينما تدعى أنك تملك القوة والذهب ، فانك بهذا تجعل عينيك عمياء وأذنك صماء .
- ومع الوجه والذهب الأحمرين والثياب الملونة ، يكون شرفك عارا وصلحك حربا .
- فطف بالشكوى على باب الحق ، فسوف تصير فردا بالشكوى فى هذا الطريق .
- ولا يكون هذا منك من قبيل رد الدين ، بل يكون من قبيل التخلص من استغنائك .

٥٣٥ - فلا تنظر إلى قدرته بعين العجز ، ولا تكن مؤذيا للسيد هكذا .
- وما دمت قائما بنفسك (فانفق) على ملبسك ومأكلك ، ولو أنك دائم فخط وادخر .
- وكل ما هو موجود - أيها العزيز - فموجود منه ، وأنت - مجرد وسيلة - فلا تكابر .
- ويكون الجسد بدونك مسجدا (أما) معك فهو كنيسة ، ومعك يكون القلب نارا وبدونك جنة .
- وبدونك أنجز هو كل الأمور ، ومعك صارت هناك كثير من العقبات (فى الطريق) .
٥٤٠ - فمن « أنت أنت » نشأ الحب والبغض ، ومن « أنت أنت » نشأ الكفر والدين .
- فكن عبدا بلا نصيب أو سيادة ، فالملك (لا يحس) بالجوع أو بالشبع .
- ورجاؤك وخوفك يسيران الدولة ، وحينما تذهب أنت لا يبقى خوف أو رجاء .
- وحينما تحوم البوم حول قصر الملك ، تصير شؤما (عليه) وسوءا ليومة ومليئة بالذنب .
- (ولكنها) حين تقنع بالأماكن الخربة ، يصير جناحها أفضل من عظمة « طائر البُلّح »[1] .
٥٤٥ - والمسك قابل للفساد من الماء والنار ، وبالنسبة لنافجه المسك سواء الرطب واليابس .
- فالمسلم والمجوسى سواء على بابه ، والكنيسة والصومعة سواء بالنسبة له .
- والمجوسى والمسيحى والطيب والمعيوب ، كلهم طالبوه وهم المطلوب .
- فذات الله لا تقبل علة أبدا ، فكيف تبحث أنت الآن عن مكان العلة .
- ولا يأتى حب الدين من التلقين ، وينمحق القمر حين يبدو نور اليقين .
٥٥٠ - وإذا كان الزاهد طيبا فطيبته له ، وإذا كان الملك شريرا فأى شأن لنا .
- فكن طيبا (إذن) حتى تنجو ، ولماذا تعاند القضاء والقدر .
- وفى هذا المنزل الذى هو أسبوع واحد ، الموجود فان والآتى ذاهب .
- واقرأ لفظ « يسعى » ففى يوم النشر ، يقول المؤمن « افسحوا الطريق » فى الحشر .
- وقد قال المصطفى « مرحى » ومنها صار عظيما ، وجعلت يد موسى وجعلت الخليل أواها .
٥٥٥ - فأعطته « الواو » من « أواه » وفاء الدين ، وأعطاه يقين الرتبة والقرب .
- وحينما ذهبت « الواو » من قلب « أواه » ، بقيت الـ « آه » وهذا هو العجب .
- وبقيت الـ « آه » تذكارا منه ، لم تكن « أمته » بل كانت « عمله » .
- وقبل أن ينفخ فى الصور ، أقتل نفسك بسيف الحاجة .
- وإذا قبلوا ذلك منك صرت مستريحا ، والاصار كل ما كان كأن لم يكن .
٥٦٠ - وعلى باب الاستغناء عن الكبير أو الصغير ، لو بقيت أنت أو لم تبق فماذا يجدى (ذلك) له .
- وماذا يعنى النهار بالنسبة للديك ، حينما يحين وقت الطعام يخرج (من مكمنه) .
- فسواء وجودك وعدمك بالنسبة له ، ومثلك لا يصيب بابه بالنقصان .
- ذلك أنه حينما تنفجر عين الضياء ، لا تكون حاجة هناك لقرع القارعة .
- وكل هذه الضوضاء من الماء والطين ، ذلك أنه ليس هناك إلا الروح والقلب .
٥٦٥ - وأى شىء تفعله (طرقوا)[2] من بعض الأخساء ، إن من يقول (طرقوا) هو نوره فحسب .

---

(١) طائر البُلّح هو المسمى بالفارسية « هُمَا » وهو طائر اسطورى يقال أن من أظله بجناحه صار ملكا ومن ثم كان من القاب ملوك ايران « هُمايون » .

(٢) طرقوا كلمة كانت تقال لافساح الطريق .

- وذلك المصباح الذى يكون له منك الأمل ، يصل إلى نهايته بسطوع الشمس .
- وهذا الشمع لا تطفئه الريح الصرصر ، بل تأخذ منه الروح نصف عطسه .
- إذن فليس لكم فى هذا الحى طريق ، ولو أن هناك طريقا فمن آهاتكم .
- فكلكم بعيدون عن طريق العبودية ، وكلكم كالحمير مغرورون بالشهور والسنين .
٥٧٠ - وما دمت حينا طيبا وحينا شريرا ، فان خوفك من نفسك وأملك (أيضا) من نفسك .
- فحين يبيض (منك) وجه العقل ووجه الخجل ، فاذهب وعد الخوف والأمل بالنسبة لك سواء .

حكايـــة

- ذات يوم ألقى عمر نظرة على مجموعة من الأطفال (يلعبون) فى طريق .
- كانوا جميعا مشغولين باللعب ، وأخذ كل منهم يظهر علو كعبه .
- وأخذ كل منهم يسرع من أجل أن يصارع الآخر .
٥٧٥ - ومن أجل حفظ الأدب كانوا قد سحبوا أرديتهم على رؤوسهم كعادة العرب .
- وحينما نظر عمر ناحية الأطفال ، مزقت هيبته ستارة السرور .
- فأسرع الأطفال هاربين منه ، إلا عبد الله بن الزبير لم يتحرك (من مكانه) .
- فقال (له) عمر : لماذا لم تهرب منى ولأى سبب ، هيا قل لى .
- (فقال) : ولماذا أهرب من أمامك أيها المكرم ، لست أنت ظالما ولست أنا بالمجرم .
٥٨٠ - وبالنسبة لذلك الشخص الذى أدرك جوهره ، سواء القبول والرد وسواء الخير والشر .
- وحينما يكون الأمير قرينا للدين والعدل ، يكون قلب الخلق مسرورا من عدله هذا .
- وإذا كان برأيه ميالا إلى الظلم ، فإنه يذرو ملكه كله أدراج الرياح .
- وإذا كنت طيبا تخلصت من ألم الرأس ، وإذا كنت شريرا فقد خنت جميع العهود .
- وما دمت قد أخذت من العدل قوتك ، فإن مركبك صار سابقا بمنزلين .
٥٨٥ - فانظر إلى ملكه بحيرة ، بحيث لا تذكر ثانية أحدا سواه .

فى الذكر والتذكير

- الذكر (واجب) على الأصدقاء وعلى قليلى الحديث ، فكيف تعتبره عادة النسوة العجائز .
- والجور مع حكمه كله عدل ، والعمر بلا ذكره (يكون) كله هباء .
- وذلك الذى يبكى منه يكون ضاحكا ، والقلب الذى لا ذكر فيه يكون سندانا .
- فانك تصير آمنا حين تذكر اسمه ، وإذا أنهكت قدميك فى الطريق .
٥٩٠ - فرطب لسانك مثل الورد بذكره ، حتى يجعل لسانك كبطن الأرض مليئا بالذهب .
- فإنه يجعل روح العاقل روحا مشبعة ، ويجعل عاشقه متعطش القلب .
- فلا تغب لحظة عن بابه ، حتى يصير عزمك ورأيك صائبين .
- فالفكر القاصر من شيمة الجاهل ، إذ لا يتذكر إلا الشخص الذى يكون أمامه .

حكايـــة

- من أجل أن يتتبع الثورى با يزيد البسطاسى فى الطاعة وحسن السيرة .

٥٩٥ - سأله سؤالا جيدا وبكى ، إذا قال : أيها الشيخ : قل لى من هو الظالم ؟ .

- فأجابه الشيخ ، وأعطاه شربة من أم الكتاب .

- قال : الظالم هو شخص ساءت أيامه ، الذى هو فى لحظة من النهار أو الليل .

- يغفل عنه لحظة واحدة ، ولا تكون حلقة العبودية فى أذنه .

- فلو أنك نسيته مقدار نفس واحد ، لا يكون هناك ظالم متخبط مثلك .

٦٠٠ - ولو أنك حاضر وتذكر اسمه ، فان هبة ريح منه تقوم بتحطيمك .

- وكذلك فاذكره من القلب والروح ، (حتى) لا تصير غائبا عن الأرض والزمان .

تمثيـــــل

- تذكر هذا الكلام من ذلك اليقظ ، رجل هذا الطريق حيدر الكرار .

- فأعبد الرب فى الصلاة تراه ، وإذا لم تكن (هكذا) فوا غوثاه .

- وهكذا عبده فى الكونين ، كأنما كان يراه رأى العين .

٦٠٥ - وإذا كانت عيناك لا تريانه ، فاعلم أن الخالق يراك .

- وليس الذكر إلا عن طريق المجاهدة ، لا يكون الذكر فى مجلس المشاهدة .

- وإذا كان الذكر يقودك فى بداية الطريق ، إلا أن الأمر يصل به فى النهاية أن يكون هباء[1] .

- ذلك أن الغواص فى أعماق البحار ، يبحث فى الماء فيسحبه الماء ويصيبه بالأذى .

- والفاختة الغائبة تقول « كو » (أين) ، وإذا كنت أنت حاضرا فلم لا تقول « هو » .

٦١٠ - وللحاضرين نوال من الهيبة ، فلو كان نصيبك الغيبة فنح .

- واستمع إلى شكوى شوق الفاختة ، فإن الحال والذوق المصطنعين لا يساويان حبة شعير .

- فذلك الذى يبحث عن رضا الأحد ، يبحث عن نور التوحيد فى اللحد .

- ويصير لحده روضة من رياض الجنة ، وأمام كلتى عينيه تكون الجنة غير ذات قيمة .

- تكون حاضرا حينما تكون فى مأمن ، حاضر القلب تكون لا حاضر الجسد .

٦١٥ - فما دمت ساعيا فى هذه الخطة ، إما أن تكون كلك وجها (وإما أن تكون) ظهرا .

- وحينما سارت روح الطالب خطوة أو خطوتين من هذا المقام أمسك بها عنان العشق .

- وكل من صار راضيا عن نفسه ولو لحظة واحدة ، قيد سنين بالنار والدخان .

- ومن الذى يضحى بالأصل والمنصب ، إلا ذلك الشخص الذى يكون على رأس المسلمين .

- إن العشق وقصد الحياة الأخرى ، ليس من شرطهما حديث الروح .

٦٢٠ - والجهل موت والدين حياة ، ومهما قالوا فلب هذا هو ذاك .

- وأولئك الذين هم رجال هذا الطريق ، ليس لديهم خبر بحزن القلب والروح .

- وحين تكون قد عبرت عالم البحث والكدح ، فأبحث هناك عن « عين الحياة »[2] .

---

(١) يعنى الذكر والذاكر والمذكور .

(٢) عين الحياة فى المأثورات الإسلامية هى العين الذى يقال أن من يشربها يعيش مخلدا . وان الخضر قاد الإسكندر للبحث عنها الظلمات .

- إن الأجل هو مفتاح بيت السر ، وباب الدين لا يصبر مفتوحا بدون الأجل .
- وما دامت هذه الدنيا موجودة فتلك الدنيا لا تكون موجودة ، وما دمت موجودا فلا إله لك .

٦٢٥ - واعلم أن روحك صندوق محكم الرتاج ، وخرزة هذا الختم نور إيمانك .
- ومن قبل أن تخلق هناك من أجلك كتاب مغلق ، ومن أجلك أودعك خاتمك .
- وحتى إن عشت إلى أرذل العمر ، فأنت لا تعلم ما هو موجود هناك .
- والذى ختم هذا الخطاب هو الله عز وجل ، ولا تفضه إلا يد الأزل .
- وما دام النفس البشرى لا يستريح منك ، فإن صبح دينك لا ينبثق من مشرق الروح .

٦٣٠ - وما دمت لم تذق حلو الزمان ومره ، فأنك لا تستطيع أن تصل إلى باب القصر الالهى .
- وليس لك خبر بعالم الغيب ، ولا تستطيع أن تعرف الفضائل من العيب .
- وأحوال تلك الدنيا لا صورة لها ، كما أن الأحوال الأخرى (أحوال الدنيا) لا دوام لها .
- وتصل الروح إلى الحضرة فتستريح ، وما هو معوج تبدو فيه الاستقامة .
- وحينها تصل إلى حضرة الامر ، تسيطر على الروح إذن من هناك .

٦٣٥ - ويصير جواد الدين عارفا بمرعاه [1] ، مثل الطائر حين (يكسر) القفص ويطير إلى الحديقة .
- وما دمت حيا لا يظهر عليك الدين ، فليلة موتك يولد صبح الدين
- وقد قال رجل عظيم فى هذا المعنى ، فكلماته كأنها الفتوى؛
- الناس نيام من الحرص والغلو ، وحين يحين الأجل يقول « فانتبهوا »
- وكل خلق العالم يغطون فى النوم العميق ، وكلهم (يعيشون) فى هذا العالم ذى الابواب الخربة .

٦٤٠ - وهذا الهواء الذى كان موجودا قبل الآن ، كان من الرسم والعادة وليس من الدين .
- ذلك أن الدين الذى هو (موجود) فى هذه الحياة ، ليس دينا وإنما هو ترهات .
- والدين والدولة قرع لباب العدم ، وقلة (العدم) تأتى من قله القرع (على بابه) .
- وذلك الذى قلل من القرع على هذا العالم ، قل له : أنظر إلى المصطفى وآدم .
- وذلك الذى يطلب الزيادة ، قل له : أنظر إلى عاد وقارون .

٦٤٥ - فهذا بقيت قدمه عاجزة عن الركب ، والآخر بقى نهبا للفزع .
- فاختطفت قدم العالم قدم ذاك ، وحطم الندم يد هذا .
- وإقترنت ريح الهبية بعاد ، وأصبح تراب اللعنة جديرا بقارون .
- فأية خسارة تكون لو أنك جعلت نفسك فدى للحسان كأنك العود من خوف الأذى .
- فلا ترفع وجهك أمام رجال الطريق ، واحرق نفسك كأنك البخور .

٦٥٠ - فأى عقل ودين لك أيها الأبله ، إذا كنت تجعل رأسك من رأس الحق .
- وإذا كان الأسد يكسر القفص (الذى يوضع فيه) ، فإن الرجل لا يقيم شركًا حول نفسه .
- فيا من اكتفيت بنفسك هذا هو الجوع ، ويا من صرت منحنيًا من الندم هذا هو الركوع .
- فإذا برئت من جسدك ومن روحك ، طفت حول الوحدة والرئاسة .
- ولا تظهر وجهك أبدا متألقا أمام المدينة ، وإذا فعلت فاذهب واحرق البخور .

---

(١) فى الأصل : رخش وهو الحصان الاسطورى للبطل رستم .

٦٥٥ – فأى شىء يكون جمالك ؟ هو سكرك ، وأى شىء يكون العود الذى تحرقه ؟ هو وجودك .
– وحين تكون الشفة على عتبة الدين ، تكون قرينة لعيسى بن مريم .
– فذوب نفسك فى هذا الطلب ، وقامر بروحك وجسدك فى طريق الصدق .

فى الوجود والعدم

– جاهد حتى تصيرمن العدم وجودًا ، وأن تكون ثملا من شراب الإله .
– فلذلك الذى صنع الدين وجوده ، تكون كرة الدهر وصولجانه فى يديه .
٦٦٠ – وحين تصير روحك ثملة من هذه الجرعة ، وتكون فى أرقى درجات الرفعة تصير ذليلاً .
– وكل من كان حرًا هنالك ، تكون الحلقة فى أذنه والقيد فى قدمه .
– لكن ذلك القيد أفضل من مركب الحظ ، وهذه الحلقة أفضل من حلقة العرش .
– فالقيد الذى يضعه « هو » عده تاجا ، ولو أعطى الخرقة فعدها ديباجا .
– فمن ذلك أنه محسن أيضًا ومجمل ، ومن ذلك أنه مكرم أيضًا و مفضل .
٦٦٥ – فأى شىء تفعله من أجل أنك محتاج ، إلا الفرح والسرور والانشراح .
– فكن فرحًا به وكن فى رفعة من دينه ، حتى تظفر برضائه وتمكينه .
– والرفيع هو ذلك الذى يرفعه هو ، والسعيد هو ذلك الذى لا يتركه .
– وما أسعد حظ ذلك الشخص الذى يكون عبده ، ويكون راضيًا عليه فى كل الأحوال .
– ولو صرت بلا نصيب من هذه الفروع (المثمرة) ، فإنك تكون معانقًا للموت .
٦٧٠ – وإذا وجدت خبرًا من عالم الحياة ، لا تنكر ثانية عالم الموت .
– وحينما تصل يداك إلى حاصل الموت ، تسرع قدماك حول قصر المؤونة .
– والقدم التى تكون بعيدة عن سماء الهُدَى ، ليست قدمًا وأنا هى دماغ مخمورة .

يقول فى الشكر

– إن الإنسان ليسرع نحو الحق ، ومن الأفضل له أن يأخذ فى شكره .
– وهو بلا شكل ولا جسم ولا سبعة ولا أربعة ، هو الله الفرد والخالق الجبار .
٦٧٥ – والشكل والجسم والطبائع والتبديل ، للآدمى الذى هو عديل الشهور والسنين .
– وليس موضع الكفر إلا فى الكدح ، وليس مرجع الشكر إلا رأس الكنز .
– وحينما تصبر على قضائه صابرا ، يسميك حينذاك شاكرًا .
– فاقرأ الشكر من أجل الزيادة ، (اقرأه) لعالم الغيب والشهادة .
– ومن ذا الذى يستطيع أن يترك عنه سكر شكره ، و من الذى يستطيع أن يثقب جوهر ذكره .
٦٨٠ – هو الذى يهب وهو أيضًا يثيب ، هو الذى يقول وهو الذى يجيب .
– وكل ما يأخذه من نعمك وعزك ، يعطيك أفضل منه أو يعطيك إياه .
– وإننى لأرى أنه لو للشعر السنة ، لكان لكل لسان ألف روح .
– حتى تزيد كلها فى شكره ، فكيف تشكر أنها وفقت إلى الشكر ؟
– فهم يميلون إذن إلى شكر نعمته ، وإذ يتحدثون فهم يتحدثون إليه .

٦٨٥ - والجسد والروح من أجل القضاء فى شُكْر ، والقلب مترنم أن « يا رب لك الشكر » .
- وإلا فإنهم فى طريق العلم والتدبير ، من النساء والرجال ومن الشبان والشيب.
- عمى الأبصار فى عالم الهوس ، وعرى الأجساد كالنمل والذباب .

فى الشكر والشكوى

- المتدين هو شاكر لطفه ورحمته ، والكفار هم الشاكون من قهره وغيرته .
- ألا ترى أنه فى ذلك الوقت الذى يغضب فيه الله ، ينبغى أن يكون ما فى عين (الماء) فى عين (البصر)[1] .
٦٩٠ - وقهره ولطفه اللذان فى العالم الجديد ، تهمة المجوسى وشبهة الثنوى .
- ولطفه وقهره علامتان للمنبر والدار ، وشكره وسكره مقاما الفخر والعار .
- ولطفه راحة للأرواح ، وقهره نار للنفوس .
- ولطفه يعطى السرور للعبد ، وقهره يصيب الرجل بالغرور .
- وحينما تسفر « لام » لطفه عن وجهها ، تسلب من « دال » الدولة عزها .
٦٩٥ - وحينما تهاجم قاف « قهره » ما حولها ، تذيب جبل « قاف » كأنه الفضة .
- والعالم كله خائف من قهره ولطفه ، والصالح والطالح كلاهما فى الفزع سواء .
- وحينما يختلط لطفه بما يبعث السرور ، ينهض نعل الصوفى بالكشف .
- وحينما يتدخل قهره ثانية فى الأمر ، يسحب الكشف رأسه كما تفعل السلحفاة .
- وقهره مذيب للمستغنى ، ولطفه مدلل للمحتاج .
٧٠٠ - وهو الذى يربى نفسك على الكفر والدين ، وهو الذى خلق روحك مختارة.
- وروح روحك تحيا من لطفه ، ذلك إن روحك ثابتة باللطف .
- ومن القهر واللطف أخرج الصانع ، الحى من الميت والميت من الحى .
- وقد قتل قهره حينما تدخل فى الحرب ، باشق الملك ببعوضة عرجاء .
- وحينما يسرج جواد اللطف ، الجراد الذهبى طعمة للدود .
٧٠٥ - وأيضا فمنه عند العقل والرأى الرزين ، كان من الدودة الفضية اللون جرادة ذهبية اللون .
- وحينما رأى فى العطاء بلاء المبتلى ، ضحك من العطاء يأتى مع البلاء .
- وحينما يبسط شبكة قهره ، يأتى بالكلب من صورة بلعام[2] .
- وحينما يتدخل لطفه فى الأمر ، يكون كلب أهل الكهف على باب الغار .
- وجعل الأولياء كلهم يثقون به ، وجعله جديرا بالمدح والثناء .
٧١٠ - وقال السحرة من لطفه أن « لا ضير » ، وقهر عزازيل إذ قال « أنا خير » .
- ولا يستكثر على الله خير أو شر قط ، ولمن أقول فليس فى الدنيا إنسان .
- ويصل قهره ولطفه لكائن من كان ، سواء إلى الأنذال وإلى الرجال .
- فالأكاسرة فى طريقه حاسرو الرؤوس ، والأبطال على بابه يضحون برؤوسهم .

---

(١) أى ينبغى أن يكون على العين ماء حتى لا تبصر .

(٢) بلعام : هو نبى بنى إسرائيل الذى أضله الله على علم منزلة فيه الآية الكريمة ﴿ وأتل عليهم نبأ الذى أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان وكان من الغاوين ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

- والملوك كأنهم التراب على بابه ، والفراعنة جميعا خافوا من بطشه .

٧١٥ - وقد قلب مئات الألوف من الأعلام ، لشخص تركى جلف حدث رقيق .

- وطوى بساط جماعة من الجياع ، ومن هنا ركعوا له عبادة وتضرعا .
- وكل من كان منانا فى ملكه ، فقد لوى العنان عن طريق الحق .
- لو قال لميت « هيا قم » ، لأتى الميت يجرجر أكفانه فى قدمه
- ولو قال لحى « مت » ، لمات فى الحال ولو كان اميرا .

٧٢٠ - والخلق مغرورون من أفضاله ، وليسوا قط خائفين من إمهاله .

- فكفى سمه للأبطال طعاما ، وكفى قهره للعاصين لجاما .
- وقد كسر رقاب الأبطال بقهره ، وأعطى الضعفاء من لطفه ضعفين .
- وسرعة عفوه عن طريق القول ، هى التى أدت إلى عادة استغفاره .
- جعل عفوه سابقا للذنب ، و « سبقت رحمتى » تثير العجب .

٧٢٥ - أعطى الملجأ للتائب من الذنب ، ومحا الذنب من صحائفه .

- وهو واهب الروح وصاحب الروح وليس مثلنا ، وهو صاحب الستر والكاشف عنه وليس مثلنا .
- جعل الأنذال بلطفه رجالا ، واكتفى با لمصبر والشكر من عبيده .
- وفضله علم وعدل أمام العين ، ذلك لأنه أغلق باب الحس وفتح طريق الروح .
- وحينما جعلك حلمه ساكنا ، صرت آمنا من ألسنة السوء .

٧٣٠ - ففى الصحراء ينجو الرجل الجبلى دائما من نكبة النكباء .

- ويعلم غيبه عيب الخلق ، ويستطيع عفوه أن يمحوه .
- وعلمه يستر عيوبنا ، وهو يسمع السر الذى لم تقله .
- وابن آدم ظلوم وجهول ، يضرب فضل الحق بالفضول .
- وهو من أجل لطفه وغاية كرمه ، جعل فى اللوح قسمة قدمه .

٧٣٥ - وهو يضرب العقل الواعى على قدميه بيديه كالسكارى .

- مثلما يجلس العروس على « التخت » ، ذلك الذى سد أمامها سبيل البخت .
- وهو فعال للخير وأنتم فعالون للشر ، وهو العلام بالعيوب وأنتم العيابون .
- فمن بعد الشك انظر أنت إلى تلك العناية ، (انظر) إلى عالم الغيب بعالم الغيب .
- وإذا لم تكن منه العناية الطاهرة ، فمتى صارت قبضة من التراب ذات تاج .

٧٤٠ - ففى صحراء الذنب منزل عفوه ، وعسكر لطفه قابل للآه .

- وحينما تأخذ آه العارف طريقها ، تخمد نيران جهنم من الخوف .
- ولعفوه القبول من أجل الذنب ، ومن أجل العطاء نزول كرمه .
- وبالرغم من أن المصابين بالصفراء يرون أنفسهم فى يد تصويره فإن غضبهم لا يخمد .
- لقد جفوت أنت وهو وفى معك ، وهو أكثر وفاء منا إليك .

٧٤٥ - فهو المستغنى ويحب المحتاجين وهو حاجتهم .

- وهو حافظك وأنت عن نفسك غافل ، هكذا أنت بلا عقل ظالم وجاهل[1] .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ [يوسف : ٦٤] .

- لقد خلق طبيعتنا طيبة فى داخلنا ، وهو أكثر حنانا علينا منا .
- وهو الذى يعقد مثل هذا الحب ، وأين يوجد مثله من الأمهات للأبناء .
- وفضله هو الذى جاء بك إلى العمل ، وإلا فمتى كان هذا السوق على الأرض ؟[1] .

٧٥٠ - فالوجود منه لكل ما كان عدما ، وكل من يسقط يأخذ بيديه لينهضه .
- وهو الآخذ بيد من لا أهل لهم ، ولكنه لا يقبل مثلنا أخساء .
- ذلك أن الطاهر يطلب الطاهر ، وعالم الغيب يطلب التراب .

فى اطلاعه على ضمائر العباد

- علمه طريق إليه فارعه ، وعطيته ضرورة فكن كافيا بها .
- وهو يعلم مشارب خلقه فردا فردا ، ويستطيع العطاء ما هو ضد العطاء .

٧٥٥ - هو فاطر فطرتك ، وعلمه منزه عن خاطرك .
- انه يعلم منك ما هو موجود فى قلبك ، ذلك لأنه هو الذى خلق قلبك وجسدك .
- وحينما تعلم أنه يعلم كل شىء ، فإن حمار طبعك يسكن فى جسدك .
- فتلوى (حينذاك) العنان عن الشريعة السيئة ، ويربى الإسلام رأيك .
- وحينما تصاب بالغرور من حلمه ، تملك فى قلبك نارا ولست (تملك) نورا .

٧٦٠ - وما دمت لا تنظر إلى علمه ، فلا تطمع فى حلمه أيها الرجل .
- فعلمه مصباح مضئ للعقل ، كما أن حلمه هو الذى يعلم الطبع الذنوب .
- وإن لم يكن حلمه دائما ملجأ لنا ، فأية جرأة تبقى للعبد كى يرتكب الذنب ؟
- وهو الناظر إلى مصلحة الخلق قبل احتياجهم ، وهو المطلع على الضمير السابق للسر .
- وهو الذى يعلم (ما يجول) فى خاطرك ، وهو الذى يسير الأمر باللفظ الذى لم ينطق .

٧٦٥ - فلم تضع روح قط بصبرها عنه ، ولم يخدعه عقل قط بمهارته .
- وهو المطلع على الضمائر على الدوام ، وأنت فى تفكير وقد انتهى الأمر تماما .
- وأنت بلا لسان وعليه تجد الفصاحة ، وقوة روحك من المائدة التى لا خبز عليها .
- والله هو الذى يوجب السرور ويزيل الحزن ، والله هو الذى يعرف السر ويملك السر .
- وما قد هيأه كله من أجل الإنسان ، حسب رغبة (هذا الإنسان) وهو (أى الإنسان) قد طلب ما لا يعلم .

٧٧٠ - وهو يعلم كل شىء عن الخلق مهما قل أو كثر ، يستطيع أن يراهم ويستطيع أن يعطيهم .
- وقد أعد مكانك فى النعيم ، ما دمت تجعل اليوم قرينا للغد .
- وهو الذى وضع من أجل أولى الألباب ، الخوف والرجاء فيما تبديه الرؤيا .
- وقد جعل قائما من أجل النظم والقوام ، وهو المتقاضى على صلة الأرحام .
- وهو الخبير بدبيب قدم النملة ، النمل والحجر والليل والزمان الأسود (كلها يعلمها) .

٧٧٥ - ولو تحرك الحجر فى قاع البحر فى الليل الداجى يراه علمه .
- ولو أن هناك دودة فى أعماق البحر ، ولتلك الدودة ذرة من الجزم .
- فإنه يعلم صوت تسبيحها وسرها المختبئ بعلمه الإلهى .

---
(١) المقصود بالسوق الحياة .

- وهو الذى دلك على طريق العلم ، وهو الذى رزق الدود فى بطن الحجر .
- وهو يجعل كل ما هو عدم وجودا بعلمه ، وهو أيضا الذى يستطيع أن يجعل الوجود عدما (بعلمه) .

٧٨٠ - والعجز والجهل خير لك تجاه القهر والعلم الإلهيين .
- فالعجز هو الذى يجعلك عالما ، وعدم القدرة هو الذى يعليك .
- وعيبك فى أنك لا تعلم أن ذلك الذى صورك يستطيع أيضا أن يعلم الغيب .
- وهو يعلم بحالك خير مما تعلمه ، فلماذا تدور إذن حول الهزل والمحال .
- هو القائل فحسب فكن أخرس ولا تتحدث ، وهو الطالب فحسب فكن أعرج ولا تسرع .

٧٨٥ - فلا تتحدث أنت عن ألم قلبك فهو الذى يتحدث عنه ، ولا تبحث أنت عنه فهو الذى يبحث عنك .
- وإذا كنت لا تزال ترتكب الذنب حتى الآن ، فهذا الأمرلا يخرج عن إحدى حالتين :
- فإما أنك تعلم أن الحق لا يعلم ، وحينئذ أقول لك أن هذا هو كفرك المطبق .
- وإما أنك تعلم أنه يعلم فحسب ، فأنت حينذاك وقح وخسيس .
- ولأفرض أن أحدا غير مطلع عليك ، فالحق يعلم والحق ليس أقل من البشر .

٧٩٠ - وأنا أرى أن عفوه هو ساترك ، وليس علمه عنك ما يعلم .
- فتب عن أفعالك الشنيعة هذه ، وإلا تراها فى يوم عرضك .
- وتكون نفسك فى حالتك هذه ، غارقة فى (بحر) كالقلزم خجلا منك .

يقول فى الرزق

- حينما مد مائدته أمام الأحياء ، وضع الطعام أكثر من الآكل .
- ولكل (هذه الأحياء) منه الروح والعمر والرزق ، وحسن الحظ وطيب العيش منه .

٧٩٥ - وذلك لأنه أبدى لكل واحد منهم رزقه ، ولم يختم على باب خزائنه .
- والكافر والمؤمن والشقى والسعيد ، كلهم لهم منه الرزق والحياة الجديدة .
- وقد أعطت « جيم » جودة الرزق للخلق ، و « حاء » الحاجة لا تزال منهم فى الحلق .
- وليست حياتنا بالخبز وحده ، كما أن أكلنا هذا الخبز ليس إلا شرها .
- وهو لا يضيق من توجه عبده إليه ، فيعطى الرزق ويعطى الخبز للجميع .

٨٠٠ - فطعامك وروحك فى خزائنه ، وأنت لا تدرى خبرا عن دفائنه .
- فإذا كان رزقك فى الصين ، فإن حصان كسبك يكون تحت سرجه .
- فإما أن يحملك بالقرب منه مسرعا ، وإما أن يحمله إليك وأنت نائم .
- ألم يقل لك أنا رازقك ، أنا عالم السر وعالم العلن .
- أعطيت الروح وأعطى الجحود القوت ، وكل ما تريد أعطيك إياه فى التو واللحظة .

٨٠٥ - واعلم أن أمر الرزق مثل النهار على الأبواب ، فالنهار يفسح السبيل لرزقك .
- فالسفلة هم الذين يخافون على رزقهم ، والحكيم لا يأكل ما فى القدر وهو ساخن .
- ولا يأكل الأسد صيده وحيدا ، وحين يشبع يترك بقية الصيد .
- ومن لطف الإله أن عهد القوت معك ما دامت فيك الروح .
- فاحمل هم الروح فتلك هى آكلة الرزق حتى حافة القبر (حين) تتحول إلى تراب .

٨١٠ - فلم يعط الله أحدا روحا بلا قوت ، ذلك أن الروح تبقى قائمة بالقوت .
- فتمسك بهذا العهد بشدة وكل قوتك ، وإذا ذهب هذا العهد فكل قوت الروح .
- والنسوة العجائز اللائى قد شبن عنك ، (يقلن) أن اليوم الجديد يحمل للمرء الرزق الجديد .
- ورزقك على العليم والقدير ، فلا تتحمل أنت غضب الأمير والوكيل .
- وفى ذلك الزمان الذى تهلع فيه الروح من الجسد ، اعلم يقينا أن رزقك يصل إلى (نهايته) .
٨١٥ - ورزقك يكون من باب الله ، ليس من الأسنان والحلق والحلقوم .
- وتكون السيادة للكادح بالتعب ، وخاصة وهو لا يملك الحكمة أو الذهب .
- والكدح كله حزن وهوس ، فتحرر من الكدح وحسبك الله .
- واعتمادك على الله فى كل الأحوال ، أفضل من اعتمادك على الطاحونة والجوال .
- فإذا لم يرسل السحاب الغيث عليك ذات عام ، فإننى أرى أن أحوالك تكون شديدة الاضطراب .

تمثيـــــل

٨٢٠ - أطلت عجوز برأسها من كوخها ، فرأت حقلها جافا وقالت :
- يا من لك الزمن الجديد والآن القديم ، الرزق عليك فافعل ما تشاء .
- وعلة رزقك للطيب والشرير ، ليست (من) بكاء السحاب أو ضحك المزارع .
- فأنت واحد ولكنك أفضل من ألوف الألوف ، وعلى ذلك فقليلك لا يكون قليلا .
- فالشعلة منه بمائة ألف نجم ، والقطرة منه (تساوى) مائة ألف بحر .
٨٢٥ - وأنا أعلم بيقين أنك الرازق دونما سبب ، وكلاهما منك رزقى وروحى .
- وليس رجلا ذلك الذى يعانى الهم ، ويكون فى اليقين أقل من امرأة .

حكاية الطائر مع المجوسى

- ألم تسمع أنه ذات زمن كم أزمنة القحط ، وجدت بعض الطيور رزقها على باب مجوسى .
- فتحدث إليه كثير من المسلمين ، وكان أحدهم ذكيا فصيحا .
- (قال) : أن مكرمتك هذه غير مقبولة ، بالرغم من أن الطيور قد أخذت منك الحب .
٨٣٠ - فقال المجوسى : إذا لم يكن (الله) قد اختارنى ، فإنه يرى على الأقل تعبى .
- وذلك لأنه رحيم ومحسن ، ولا يجعل البخل سواء مع الكرم .
- وقد ضحى جعفر بيديه فى سبيله ، فأنبت الله جناحا له مكان كل يد .
- فلا تعلق القلب بفضل الخلق وفضولهم ، واربط القلب به تنج من الحزن والقيد .
- إذ لا يفتح عليك عملك إلا الله ، بالرغم من أنه لا يتأتى له شىء من الخلق .
٨٣٥ - فلا تتخذ صديقا إلا إياه قدر استطاعتك ، ولا تضع الخلق فى حسابك قط .
- لا تجعل الخلق متكأ لك على الإطلاق ، ولا تكن لاجئا إلا إلى بابه .
- فكل هذه المتكآت هوس ، والمتكأ إلى الله حسبك .
- فقوتك كائن ما دمت باقيا ، وآلاؤه مؤتلفة مع روحك .
- واعلم أن لكليهما فى الدنيا العشق والطلب ، وهو فى الفارسية « بابا » وفى العربية « أب » .

٨٤٠ – وما دمت لا تدرى شيئا عن طريق الاحتياج ، فأنت فى حجاب كثمرة البصل .

– وما دمت منفصلا عن النور (الذى تجلى) لموسى ، فأنت أعمى فى ضوء النهار كطائر عيسى .

– وفى سبيل البحث عن عشقه باعث الراحة ، اجعل الرأس قدما كالقلم ثم ابحث عنه .

– حتى تصل إلى المكان الذى هو فيه ، فتعلم حينذاك أنه لا يجب البحث .

تمثيل فى اليقظة

– سأل كسول عليًّا ، حينما سمع من لسان قلبه كسلا .

٨٤٥ – قل أيها الأمير المضئ الروح ، هل الليل المظلم خير أم النهار ؟

– فقال المرتضى : اسمع أيها السائل ، ولا تكن مائلا إلى طريق ادبارك .

– فى هذا الطريق المحرق للريح تكون حرارة السر أفضل للعاشقين من ضوء النهار .

– وكل من يملك طريق الحرارة إلى قلبه ، لا يبقى سائرا على قدمه فى هذا المنزل .

– وفى الدنيا التى يقول العشق فيها السر ، لا تبقى أنت ولا يرتد إليك العقل .

فى الحب والمحبة

٨٥٠ – العاشقون نحو حضرته سكارى الرؤوس ، العقل فى الجيب والروح على اليد .

– وما داموا يسوقون نحوه براق القلب ، فإنهم جميعا يتفرقون بددا فى ركابه .

– والروح والقلب يبذلان فى طريقه ، ويعدان نفسيهما جديرين بذلك .

– وأى خطر للعقل والروح لديه ، انهم يضحون بالقلب والدين والكفر .

– وحجاب العاشقين أكثر رقة ، وصورة هذا الحجاب أكثر دقة .

٨٥٥ – وغالب العشق يكون مغلوبا له ، ومقلوب ذلك قد شرح لك وهذا صحيح .

– وحين يبتعد السحاب عن الشمس ، يكون عالم العشق مليئا بالنور .

– فالسحاب كالمجوسى مظلم وكدر ، والماء فى جملته نافع ومضر .

– فالقليل منه حياة الإنسان ، والكثير منه آفة الروح .

– فالموحد إذن محب لحضرته ، إذ أن المحبة حجاب عزته .

٨٦٠ – فالتلقين لا يكون بالنسبة للمحدث ، أما الطيب فهو المحب الممتحن .

– وانظر بعين المحبة إلى تأليفه ، فمن كل هذه المحنة يكون تصحيفها (أى المنحة) .

– ويا أيها المحب لجمال حضرة الغيب ، (إنك) ما دمت لا تبحث عن الوصال مع طلعة الغيب .

– فإنك لا تحسو شربة ملاقاته ، ولا تذوق إذن لذة مناجاته .

– وفى مواجهة توحيده لا قديم هناك ولا حديث ، كلهم فناء فى فناء وهو هو .

٨٦٥ – وما دمت تعرف الواحد وتقول الواحد ، فلماذا تسرع إلى الاثنين والثلاثة والأربعة ؟

– وما دام قد خلصك من الفخر والعار ، فأى شأن لك بالقدم أيها الحديث .

– ومع الألف تكون الباء والتاء رفيقتين دائما ، فاعتبر الباء والتاء صنما أما الألف (فاعتبرها) الله[1] .

– ودوام على السعى بيديك وقدميك فى الجدول ، وحين تصل إلى البحر لا تفكر فى الجدول .

(١) الباء والتاء : إشارة إلى كلمة « بُت » بالفارسية ومعناها صنم .

- ولا زلت تقول أن يديك ممدودتان ، ولا زالت حالتك كمن سقطت قدمه فى شراك .

٨٧٠ - فكن ببحر العدل والدين لحظة واحدة ، بجسد عريان كالحنطة وكآدم .

- وهكذا حتى تتوب ويكون لك جملة القبول ، وحتى لا تطوف مرة أخرى حول الفضول .
- وأنت لا زلت حتى الآن من متابعى الشيطان ، ولم تتب إذن فكيف تكو ن إنسانا ؟
- ولا تتحدث للحظة واحدة عن القدم أيها الحديث ، يا من لا تعرف رأسك من قدمك .
- وهناك فى طريقك مائة ألف حجاب ، ولكن همتك قاصرة وقصيرة .

٨٧٥ - وحينما يسمح لك بالمثول على عتبته ، لا تطلب رغائبك منه بل فارغبه .

- ذلك أن الله حينما يختارك لصداقته ، ترى عيناك الجريئتان ما يرى .
- وحينما تفرط أنتيك فى ذاتها ، فإن الإقبال يرفع مقامك وموضعك .
- ودنيا الحب لا تتحمل الا ثنينية ، فأى حديث هذا عن ذاتى وذاتيتك .
- وليس من شرط الاتحاد الطيب ، دعوى الصداقة ثم القول بـ « أنت » و « هو » .

٨٨٠ - وكيف يصير عبدًا ذلك الذى هو حر ، ومتى استطاع أحد أن يملأ الإناء الممتلىء .

- فكن دائمًا على بابه ففى هذا العالم ، كل من ليس « هو » فهو قليل مهما كان فى جمع .
- وحينما تتوصل إلى تقبيل غمازة الحبيب ، اعتبر وخزه عسلا وشوكه وردا .
- ومن أجل وجود الصدأ على مرآة قلب الحر ، فإن « لا » مقلمة الأظافر قاطعة للوجود .
- ولا تتحول عن طريق العجز ، وكن « كالسفينة » فى كل لحظة حبلى .

٨٨٥ - واعتبر سواء الخير والشر والجميل والقبيح ، وكل ما يعطيكه الله فاحفظه فى روحك .

- لا كعزازيل الذى رأى من الرحمن الرحمة واللعنة واعتبرهما سواء .
- وذلك الذى على باب الأمير ، كأنما الشراع فى يده والريح مواتية .

يقول فى التجريد

- إن كل من يرغب فى ولاية التجريد ، وكل من يبحث عن هداية التوحيد .
- تبدو الراحة من باطنه ، ولا تكون هناك زينة على ظاهرة .

٨٩٠ - فالمظهر الممدوح الذى يبدو عليه ، يتأتى له من ترك الزينة والمديح .

- وعلى أبواب الملك يطلب الشحاذ الخبز ، أما العاشق فيطلب غذاء الروح .
- والعاشقون يضحون بالقلب والروح ، ويتغذون على ذكره بالليل والنهار .
- وقد أعطوا بأقصى ما استطاعوا من سرعة الماء والنار والتراب والريح على طريق التجريد .
- ذلك أنه على عرصة معالم العصر ، يستوى أمامه الجهال مع عالم العصر .

٨٩٥ - فيا أيها الأخ اعتبر كبدك على نار التجريد شواء وليس ثريدا .

- والكلب الدنى الهمة يبحث عن العظام ، أما قبضة الأسد فتبحث عن لب الروح .
- ولا يريد الرجل العالى الهمم القيد ، أما الكلب فهو كلب قانع بلقمة .
- فلا تثرثر كثيرًا وقدم العجز ، واترك إذن العظام للكلاب .
- فقد نلت أنت الرفعة بجوهرك ، فلماذا أنت مثل الكلب معدوم الهمة .

٩٠٠ - وكل من كان عالى الهمة ، صار العالمان نعمة له .

- وذلك الذى يكون ضعيف الهمة مثل الكلب ، يكون كالكلب فى كدح دائم من أجل القوت .
- فلو جعل لك الكشف قيدا فوق جسدك ، أجعل الكشف نعلاً وأضربه به فوق رأسه .
- وإذا كنت تريد الروح فكن عن الجسد فرداً ، و « لا » كالمشنقة فطف حولها دائماً .
- وكيف تجد من لاهوتك نصيباً ، وأنت لم تضع الناسوت بعد على المشنقة .

٩٠٥ - والعقل مظلم معك ومع وجودك ، وعين عقلك من هذه الدنيا فى حيرة .
- وذلك أن عيسى من أجلك سار نحو اللاهوت حينما كان فى طريق جمعة الصلب .
- فأجعل عدما كل ما كان طريقاً ورأيا ، حتى يكون القلب منك منزلاً لله .
- وما دمت موجوداً مع ذاتك ، فالكعبة مع طاعتك كأنها حانة .
- وإذا كنت بعيداً عن ذاتك ، فبيت أصنامك هو البيت المعمور .

٩١٠ - ويا من تبحث عن الحانات المليئة بالآفات ، أنت إبن حمار ووالد لحمير .
- ونفسك هى التى توجد الكفر والدين ، فلا جرم أنها أوجدت عينا ترى الألوان .
- فهى بدونك طيبة وهى بك مريضة ، فالق خارجا بالقط من ركنه أيها السيد .
- ففى القدم لم يكن هناك كفر أو إيمان ، وفى صفاء الصفة لم يكن هناك أمثال هذا .

فى سلوك طريق الآخرة

- كل علم الجسد هذا مختصر ، أما علم الذهاب إلى الله فهو علم آخر .

٩١٥ - والعلم هو ذلك الذى يكون أدق من النظر ، هو علم الذهاب فى طريق الحق .
- وذلك الشخص الذى يملك العقل والدين ، يملك خبزا وقولا أشبه بالقمح .
- فما هى علامة هذا الطريق (وما هو) دليله ؟ ، أسأل عن هذه العلامة من الكليم والخليل .
- وأذاسألتنى أيها الصديق أيضاً ، سأقول لك صريحاً وليس مبهماً .
- وما هو زاد هذا الطريق أيها الغافل ؟ ، (إنه) رؤية الحق والانقطاع عن الباطل .

٩٢٠ - وتوجه الوجه شطر العالم الحى ، ووضع عقبة الجاه تحت القدم .
- وتخليص القلب من الجاه والكبرياء ، وإنحناء الظهر فى خدمته .
- وتنقية النفوس من الشر ، وتقوية النفس بالعقل .
- والإنصراف عن محل الثرثارين ، والجلوس مع الصامتين .
- والانتقال من (التفكير) فى فعل الحق إلى (التفكير) فى صفته ثم (الإنتقال) من الصفة إلى معرفته .

٩٢٥ - وحينذاك يكون الوصول إلى عتبة الإكتفاء من المعرفة بعالم السر .
- ثم يأخذ الحق الإكتفاء (من العبد) ، وحين لا يبقى إكتفاؤه يبقى الحق .
- وحينما تذوب نفسك فى جسدك ، يأخذ القلب فى عمله بالتدريج .
- وحينما تتحول إلى صديق للإكتفاء ، يخرج القلب من النفس المظلمة ما فيها من دمار .
- ويلقى بعيدا بأهله وماله ، ثم يذوب فى طريق إمتحانه .

٩٣٠ - وتتحول النفس فى باطنك إلى قلب . ويعتريها الخجل من كل هذه الأفعال .
- ثم يتحدث اللسان بالسر المطلق ، وكأنه الحلاج الذى قال أنا الحق .
- وحينما ألقى بسره خلف ظهره ، إنقلب السر جلادا وقتله .

- وبدا نهار سره كأنه الليل ، وبدأ نطقه كأنه قول الله .
- وبدون إذن جعل سره فاشيا فجاءه وسط الرعاع .

٩٣٥ - صارت صورته (جسده) من نصيب المشنقة ، أما سيرته فأصبحت من نصيب الصديق .
- وبالرغم من أن بايزيد قال « سبحانى » ، فإنه لم يقلها من قبيل العبث والجهل .
- وحين صارت روح روحه فارغة من الصوت ، صار دم القلب مشعلاً للفتنة فى الباطن .
- وقد قال صدقا ذلك الشخص الذى قال من حاله ، دع نفسك أيها الابن وتعال .
- وليس هناك طريق طويل بينك وبين الرفيق ، الطريق هو ذاتك فضع رأسك تحت قدمك .

٩٤٠ - حتى ترى ببصر اللاهوت ، خط ذى الملك وخطة الملكوت .
- ومتى تكون ذواتنا منفصلة عنا ، لقد ذهبت « أنا » و « أنت » وبقى الله .
- ووصل القلب إلى حظيرة القدس ، وقالت الروح : أنا هنا فأقبل .
- وحينما انتقل القلب والروح من حظيرة التجريد إلى سماء التوحيد .
- تجعل الروح رفقتها مع الحور ، ويطيب القلب برؤية الحبيب.

٩٤٥ - ويا من أنت لم تر الوجود من ماء العنب ، حتام أنت ثمل من عشق العنب .
- فلم إذن تثرثر ثرثرة السكر كذبا ، حتى يقولون « لقد شرب الرجل الخثير » .
- ولا ترفع صوتك حين تشرب الخمر ، فالذى يشرب الخثير يحفظ سره .
- وأى بحث لك عنها كأنها روحك ، اعلم ما هى أولا ثم اشربها كإيمانك .
- فأنت لا تعرف الـ « ماست »[1] بالفارسية ، وما دمت لا تشربه لا تعرف طعمه .

٩٥٠ - وأنا اعلمك إنه إذا شربت فى دار الخراب كأس الشراب .
- لا تذهب خطوة عن مقام السكر ، وضع رأسك فى نفس المكان الذى شربت فيه الخمر .
- وما دمت لم تشربها فلا شىء حلال فعلت ، وحين تشربها اخف ذلك عن الآخرين[2] .
- وحين تشربها يستوى ألمان مع مائة ألم ، وأقول لك حينذاك : أحسنت هذه هى شجاعة الرجل .
- وهكذا حتى لا تعرف مكانك ، وحينما تقفز لا تجد لك قدما

٩٥٥ - ومعظم هذه الحمر التى لا لجام لها ، كلهم شاربو خمر ميتو القلوب .
- فإن عقولهم وأرواحهم لا تقبل الخمر ، ومع ذلك يحملهم العنب إلى هنا وهناك .
- وهم فى محفل الرجال الكرماء هذا ، من سوء قلوبهم كأنهم ليسوا برجال .
- وأنت إذا لم تقل هذا فأنت صادق ، وإذا بحت به منافق .
- وانهم معدومون أولئك الذى يقفون على الباب ولم يتمنطقوا بالحزام فى التو واللحظة .

٩٦٠ - إذ أنهم منذ الأزل قد ولدوا متمنطقين بالحزام كالنمل أمام العشق والهمة والقوة .
- فجاهد حتى إذا أسرع الموت إليك ، يجد رائحة روحك فى محلته .
- فذلك الذى لا مكان له محزون ، وذلك الذى لا قدم له عديم الحيلة .
- فاعبر هذه الدنيا المليئة بالأوباش إذا كنت فيها والافكن دائما على بابه .
- وقد اكتفى أولئك الأشخاص الذين هم عبيد له به إلها .

---

(١) ماست : معناها خثير .

(٢) حرفيًا : حك حجرا بشفتيك .

٩٦٥ – والذى له حزام العبودية دائما ، كأنه الغلام لسيد السموات السبع .

التمثيل للابن الغافل والأب العاقل

– قال الشيخ الجورجانى لولده : من أجل أن تقوم بأمورك خفية .
– ينبغى أن يكون لك منزل فى هذه المحلة ، ومن الخبر أن يكون قفله فى غير مكانه الطبيعى[1] .
– وتتزين فى طريق التجريد ، بقسم من الشرع وقسم من التوحيد .
– فادخل هذا المنزل ذى العناء والضرر كالمسافر واعبره سريعا .
٩٧٠ – تجرد على باب بستان « لا إله إلا الله » ولا تلبس القباء والقلنسوة .
– وصر عدما حتى تعطى صوابا إجابة سؤال « لمن الملك » ؟ .

حكايـــــة

– قال الشيخ الشبلى فى مناجاته : لأفصح إذن عن الحديث المختبئ .
– قال : ما دام قد أعطانى الإذن بالحديث بالرغم من أننى لم أكن بعيدا عنه .
– فانه يسأل : لمن الملك على وجه الصواب ، وأنا أعطيه الجواب بالصدق .
٩٧٥ – أقول : اليوم الملك له وهو الذى زينه منذ الأمس وأول الأمس .
– واليوم والغد ملكك يا من أنت مسيطر علينا ، وكلها هى ما كانت موجودة أمس وأول الأمس .
– وسيف قهرك يقطع رؤوس العظماء ثم يضع الأرواح فى الرؤوس .
– واعلم أنها عذبة من أجل السب والنفع ، أشعة الشمس الحادة بالنسبة للحرباء .
– لقد غضبت من كل شىء إلا الغضب لله ، ومن هنا فإنه لا يظهر أبدا أمام عينيك .
٩٨٠ – ذلك أن المسافة (فى كلمة الشهادة) من « لا » إلى « الله » لا يعلم أحد كم يكون طريقها .
– فما دمت مع نفسك فهو يمتد آلاف السنين ، تسيرها فى الليل والنهار ذات اليسار واليمين .
– وحينما تفتح عينيك أخيرا ، تطيل الأمر على نفسك .
– فما دمت تدور ترى الأصل والقياس من نفسك ، فأنت تدور حول نفسك كثور الطاحون .
– وإذا تدخلت « عدم الأنية » فى أمرك ، تجد نفسك فى لحظتين بهذا البلاط .
٩٨٥ – ويدا العقل فارغتان من هذه المسافة ، والله هو الذى يعلم مقدارها .
– ويا من أنت مثل الإسكندر فى هذا الطريق للآفات ، أنت مثل النبى الخضر فى الظلمات .
– أترك تحت قدميك جوهر منجمك ، حتى تحصل على ماء الحياة من أجلك .
– ما دمت مع قلبك وروحك وليس الله معك ، فلا شىء لك لا القلب ولا الروح .
– والسنون والشهور تطحن نفسك ، فعدها ميتة وأتركها فى مكانها .
٩٩٠ – وحين تكون فارغا من النفس اللئيمة ، فقد وصلت إلى الخلد والعز والنعيم .
– وأترك الخوف والرجاء فى مكانهما ، فلم تجادل ما لك ورضوان .
– فسواء المسجد والكنيسة بالنسبة للعدم ، وسواء الجنة والنار بالنسبة للظل .

---

(١) أى أن يكون المنزل غير مغلق وهذه هى صفة المنازل المجردة التى لا تحتوى على شىء .

- والكفر والدين حجاب على باب ذلك الشخص الذى يكون العشق رائدا له .
- ويكون وجوده الحبيب أمام عين الحبيب ، ويكون سترا يخفى حظيرة القدس .

فى التـــوكل

٩٩٥ -لا تضع قدمك بالانفاق على عتبته ، فرجال الطريق يسيرون متوكلين .
- وإذا كان توكلك دائما عليه ، فأنت نفسك تعلم أن الرزق منه .
- فالوِ العنان إذن إلى جادة التوكل ، وبعدها سيكون الحظ قابلا لك .
- واسمع كلمة واحدة فى التوكل ، حتى لا تبقى رهينة فى يد الشيطان .
- وتعلم شرط الطريق من امرأة ، إذ يصير ذليلا منها المتحدث دائما بالهذر .

فى توكل العجـوز

١٠٠٠ - حين عزم حاتم - وهو ذلك الذى يدعونه أيضا بالأصم - على زيارة الحرم .
- إذ كان قد عزم على زيارة الحجاز والبيت الحرام ، و (زيارة) قبر النبى عليه الصلاة والسلام .
- خلف ثلة من العيال وحدهم ، بلا قليل أو كثير وبلا أموال .
- وترك امرأته وحيدة فى منزلها ، ليست لديها أية نفقة وأخذ الطريق .
- وقد تركها وحيدة ممتحنة ، وكان يرى أن الوجود وعدمه عندها سيان .
١٠٠٥ - وأخذ من توكل امرأته مرشدا له ، إذ كان عالما برازقه .
- ذلك أن هناك خزينة وراء الستر ، لذلك الذى له سر مع الله .
- فتجمع الناس حول المرأة ، وذهبوا جميعا مهنئين إلى بابها .
- وسألوا عن أحوالها برمتها ، حينما رأوها وحيدة وممتحنة .
- وقالوا جميعا من أجل مشاركتها وعلى سبيل الموعظة والنصيحة .
١٠١٠ - حينما ذهب زوجك إلى عرفات ، ألم يترك لك أية نفقات ؟ .
- قالت : تركنى راضية من الله ، الذى يحفظ رزقى فى مكانه .
- قالوا : وكم يبلغ رزقك ؟ (إذ نراك) قانعة وراضية .
- قالت : على قدر ما بقى لى من عمر ، جعل رزقى كله فى يدى .
- قال أحدهم : إنك لا تعلمين ، أى علم لك بحياتك ؟
١٠١٥ - قالت : إنه يعلم كيف يعطينى الرزق ، ما دامت الروح موجودة فهو لا يقبض الرزق .
- فقالوا ثانية : أيعطى بلا سبب ؟ إن شجرة الصفصاف لم تثمر قط الرُطب !!
- إنه لا يرسل إلى دنياك بأى سبيل زنبيلا من السماء !!
- قالت : يا من قد صار رأيكم مظلما ، حتام تجدفون حائرين ؟!
- أية حاجة له إلى زنبيل ، أليست الأرض له قليلها أو كثيرها ؟
١٠٢٠ - والسماء والأرض بكليتهما له ، وكل ما يطلبه تحت حكمه .
- ويوصلهما كيفما يشاء ، يزيد أحيانا وينقص أحيانا .
- فحتام تتحدثون عن توكل النفس ، انكم رجال بالإسم ولكنكم أقل من امرأة .

- وما دام سيركم لا يشبه سير الرجال ، فاذهبوا وتعلموا طريقة السير من امرأة .
- فلقد احترفت الكسل يا (صاحب) الجسد الشبيه بالمرأة ، وويل للرجل الذى يكون أقل من امرأة .
١٠٢٥ - فاحفظ القلب واضبط النفس ، فهذه مثل البازى وذلك مثل البلطيق .
- حتى ذلك المكان الذى يعرفنا ويعرفك ، حينما يحترق الجميع ويبقى هو .
- وحينما لا يصل إليه العقل الذى فى الدنيا ، فإن ذلك (العقل) يصل إلى نفسه ولا يصل إليه .
- إن للرأس أذنين وللعشق أذن واحدة ، وجزء من تلك وجزء من هذه من أجل الشك .
- وإذا كان ما تسمعه أذنا الرأس لا حصر له ، فإن أذن الألم تسمع خبر الواحد .
١٠٣٠ - وهاتان الأذنان على جهتين كالممرين ، فماذا تفعل بالنسبة للصياح والضوضاء ؟
- فأنت طفل فاذهب واغمض عينيك عن الشيطان ، حتى لا يضعوا رأسك بين أذنين .

أيضـا فى التـــوكل

- الربع المسكون من ناحية المساحة ، أربعة وعشرون ألف فرسخ .
- ولو أنك واقف على الصرف والصروف ، بدله إذن بأربعة وعشرين حرفا .
- وحين تضم ساعات الليل إلى ساعات النهار ، تصير أربعة وعشرين (ساعة) حارقة للبشر .
١٠٣٥ - « والقاف » حين قولك الشهادتين ، هى بلا رياء ونفاق وغرض ومراء .
- تخرجك من كل عالمك ، وليس ذلك بوسيلة ما بل بالكاف والنون .
- فأكثر الكلام عنه من وراء العقل ، وكفاك وردا أن تقول « لا إله إلا الله » .
- وحينما تحصى كلمة الحق ، تجد أن عدد حروفها أربعة وعشرون .
- ونصفها من بحر الروح اثنا عشر درجا ، والنصف الآخر اثنا عشر برجا من فلك الدين .
١٠٤٠ - وكل الأدراج ممتلئة بدر الأمل ، والأبراج ممتلئة بالشمس والقمر .
- (وهذا الدر) ليس درا من بحر هذا العالم ، كما أن (هذه الشموس والأقمار) ليست شموس وأقمار السماء .
- فهو در بحر عالم الجبروت ، وهو قمر وشمس سماء السكوت .

التمثيل فى الرؤيا وتعبيرها وهى ثمانون رؤيا عجيبة

- ما دام الخلق فى عالم الأسباب ، كلهم فى سفينة وفى نوم .
- حتى ترى أرواحهم فى (عالم) النوم ، ما تتوقعه من ثواب أو عقاب .
١٠٤٥ - فالنار المستعرة هى حرارة الغضب ، وعين الماء تكون نورا للعين .
- ولعب النرد أو الشطرنج فى النوم ، سبب الحرب للغلبة والتعب .
- والماء فى النوم رزق حلال ، إذا كان طاهرا عذبا صافيا زلالا .
- وإذا كان كدرا فاعلم أنه عيش سيء ، فاعتبره نارا مع أنه (فى النوم) ماء .
- والتراب فى النوم مصدر رزق ، وهو للفلاح دليل على الرزق الحسن .
١٠٥٠ - والريح سواء حارة أو باردة ، تكون مصدرا للتعب والألم .
- أما إذا كانت معتدلة على البشر ، فهى غم للعدو وفرح للصديق .
- وإعطاء الميت شيئا فى النوم ، عدم للمال والأسباب .

- والبكاء فى النوم مصدر للفرح ، وهو تحرر للعبيد من المذلة .
- والضحك حزن وأهوال ، والصمت ارتباط القلب بالمال .
١٠٥٥ - والميل الزائد إلى الماء من الظمآن ، تفسيره العلم الذى لا شبع منه .
- وذلك الذى يكون عاريا فى النوم ، يصير إلى فضيحة وخراب كما يحدث للشمل .
- والطبل فى النوم افشاء للسر ، والبوق فى النوم مصدر للعراك .
- والقيود والأغلال توبة نصوح ، ورؤية الحدائق غذاء للروح .
- والفاكهة فى النوم رزق من الملك ، لكن (إذا كانت رؤيتها فى النوم) فى غير أوانها.
١٠٦٠ - فحين يقترب وقت نضجها ، تصل رائيها عطية من الملك .
- وحين يرى المرء يديه طويلتين ، يكون فردا فى الشهامة والسخاء .
- وإذا كانت يداه قصيرتين ، يكون حوله جيش من البخل .
- وتكون اليد أخا أو أختا ، اليسرى بنت واليمنى غلام .
- أما الأصابع فتكون كالأبناء ، أما الأسنان فهى نسب الأب والأم .
١٠٦٥ - والبنات والصدر ذو الأثداء دلالة على البنات ، فى حين أن البطن مال ونعمة خفية .
- ورؤية الكبد والقلب فى النوم كنز ، والساق والرقبة عناء وألم .
- والمخ مال مختبىء والكتف امرأة ، والجلد ستر مقام على الجسد .
- وعضو الذكورة دليل على الابن ، طيب أو شرير جميل أو قبيح شقى أو سعيد .
- وغسل اليد من الأمر (دلالة) على اليأس منه ، والرقص وقاحة وعجب .
١٠٧٠ - والمئزر والسطل وآلة الغسيل ، كلها دليل على الخدم .
- وذلك الذى يعزف على « العود » فى النوم ، مقبل على الزواج فاسرعى نحوه بلا تردد .
- والمصارعة مع شخص آخر ، (تعبيرها) الغلبة والإيذاء .
- وذلك الذى يشرب دواء فى النوم ، ينجو من الألم والتعب والعذاب .
- والطيب فى النوم على نوعين ، أحدهما راحة والآخر عذاب .
١٠٧٥ - فالراحة تتأتى من ذلك النوع الذى يدهن ، والمحنة تتأتى من النوع الآخر الذى يبذر .
- ومن الدخان يزداد العناء ، والراحة (من رؤيته) أقل من الضرر .
- والطيب والرداء الجديد للمريض ، شؤم شؤم فاستمع منى جيدا .
- والرقص فى سفينة أثناء النوم ، باعث للقبح (وتعبيره) الخوف من الغرق .
- والرقص (فى النوم) سعادة لذلك الذى يكون فى الحبس والقيد .
١٠٨٠ - والذى يرى أن دمه يسيل من بدنه ، تكون له نعمة خارجة عن الحصر .
- وهذا حين لا يرى جرحا (ظاهرا فى بدنه) ، أما إذا رأى (فتعبيره) شىء آخر .
- يجدهما شديدا فى أمر من الأمور ، ويكون هذا الأمر معقودا بيد سفاح .
- والمرأة التى يخرج الدم من فرجها ، تلد طفلا ميتا .
- والذى يرى انه يأكل اللحم فى النوم إذا كان مريضا ، اقطع الطمع (فى حياته) على وجه السرعة .
١٠٨٥ - والسكر والغياب عن النفس وشرب الشراب ، كلها شر للعربى فى النوم .
- واعلم أنها للفارسى رزق ، اعلم أنها رفعة ومواتاة من الأيام .

- واللبن فى النوم كنز ومال ورزق طيب وحلال .

فى رؤيا الأثواب والأوانى

- الرداء القديم تعب وألم ، والرداء الجديد زيادة فى الدولة .
- وأحسن الأثواب ما كان سميكا ، وهكذا قال لى الأستاذ .

١٠٩٠ - وللنساء الثياب الملونة ، أصل السرور والراحة والزينة .
- فالرداء الأحمر مصدر للسرور ، ويصير حظها منه حسنا للشهور والسنين .
- ولون رداء الهيبة أسود ، وإذا كان (الرداء) أصفر فهو الألم والمحنة والآه .
- والثياب الزرقاء هم ، ويكون التعب على القلب أثقل من الجبل .
- والطيلسان والرداء كمال ، والكيسة والصرة أصل المال .

١٠٩٥ - والسلم أصل السفر وباعثه ، لكن (من هذا السفر) يكون للمرء كل الخطر .
- والطاحونة رجل موثوق به ، وهو الذى يكون مختارا من المنزل .
- والشبكة فى النوم تعقيد للأمور ، والمرآة إمرأة فذمها .
- ومن القفل يأتيك انغلاق الأمور ، ما دام من المفتاح يأتيك فتوحها .

فى رؤيا المهنة

- الرجل الطباخ نعمة غامرة ، مثلما يكون القصاب فى فساد الأمور .

١١٠٠ - والرجل الطبيب تعب ومرض ، خاصة إذا كان قمينا غريبا .
- والخياط هو ذلك الشخص الذى تصير كل المتاعب والبلايا على يديه جميلة .
- والاسكاف والخفاف والخراز ، هم الذين يعرفون سر المواريث .
- والبزاز والصائغ والعطار ، طيب للأمور ونعمة جزيلة .
- والخمار والمطرب والقصاص ، (رؤياهم) باعثة على السرور والفرح .

١١٠٥ - والبيطار والمروض والكحال ، كلهم دليل على فساد الحال .
- ورؤيا الصياد فى النوم ، تكون سببا للمكر والحيلة بالمرصاد .
- والسياف دليل العناء ، ومثله القواس فهو قوس معد .
- والسقاء وصانع الفخار والحمال ، اعلم أن ثلاثتهم دليل عل يا لمال .

فى رؤيا الدواب

- الحمار خادم ولكنه كسول ، يكون فى تناوله للأمور جاهلا .

١١١٠ -والحصان امرأة يا من أنت فرد فى معرفتك ، فالحصان والمرأة كلاهما مناسب للرجل .
- والبغل حير يراه من امرأته حامل ، يكون (فالا) سيئا إذ لا تلد امرأته .
- وحين ترى الجمل فى النوم وأنت على سفر ، فان سفرك سيكون مهولا مليئا بالغم والشدة .
- والثور دليل على سنة خصبة ، يكثر فيها التوقح على الملك[1] .

---
(١) أى يكون الشعب مستريحا .

– والخراف تكون لك غنيمة ومال ، ومن ذلك تفيض خصوبة السنة .
١١١٥ – والماعز (دلالة) على شخص من جوهر سيء غضوب ويسرع إلى أمور الشر .

فى رؤيا الوحوش

– الأسد خصم مسلط ومغرور ، يكون فى أموره بعيدا عن المجاملة .
– والفيل ملك لكنه ذو هيبة ، وكل شخص يخاف من هذه الصولة .
– والقطا تكون فى كل أمر مفيدة ، وليس على قول الأستاذ مزيد .
– والغزال خاصة فى بيت النساء ، تعبيره انك تمتلك منهن الكثير يا من شبت فى العلم .
١١٢٠ –والنمر عدو سيىء الفعال ، إذ يكون فى معاملته ماكرا .
– والبر أيضا كأنه عدو ، وهكذا أوردوا فى باطن الكتاب .
– والدب خصم خائن ولص ، لا تجد من رؤياه بشرى أبدا .
– والقرد والضبع والذئب مع الثعلب ، كلهم أعداء قاصدون للسوء .
– ومهما كان الثعلب محتالا ، وتراه ميتا فهذا شر لك .
١١٢٥ –وحين ترى الحية فهى عدو حقود ، وإذا قصدتك لكان ذلك أكثر سوءا .
– والعقرب والعنكبوت والحشرات الأخرى ، كلها تكون من جملة الآفات .
– والكلب – فى النوم – عدو لدود ، هذا وإن كان فى اليقظة حارسا .

فى رؤيا النيرين والكواكب الخمسة السيارة

– رؤية الشمس فى النوم ، قيل أنها ملك من كل باب .
– والقمر يشبه الناصح ، وقال آخر : لا بل هو المرأة .
١١٣٠ – (والذى يرى) المريخ أو زحل فى النوم ، فهو صاحب محنة وألم وعذاب .
– (والذى يرى) عطارد يكون كاتبا ، (والذى يرى) المشترى يكون خازنا ووزيرا .
– والزهرة التى هى نفسها باعثة على الخوف ، مصدر للعيش والرغبة والراحة .
– واعلم أن الكواكب الأخرى إخوة ، وأحيانا يكون تعبيرها اتخاذ إخوه .
– وهكذا فعل يعقوب الذى وضع هذا الطريق ، وفتح سر هذا العلم على ولده .
١١٣٥ – كان القمر والشمس له والدا ووالدة ، وبقية الكواكب كأنها إخوته .
– وكفاك عن الفأل والزجر والتعبير ، وخل عنك هذا فهو من صنع التقرير .
– فهل رأى أحد أشخاصا مثلنا حيارى وحزانى ، فلنترك إذن نوم الذين يستيقظون .
– وإيقاظ النائم أمر سهل ، أما الغافل والميت فهما سواء .

فى تناقض الدارين

– علة النهار والليل الشمس والأرض ، وحينما تنتهى لا تلك تبقى ولا هذه .
١١٤٠ – ويا من على زعمك أن المراد والمريد اثنان ، اعلم أن الإثنينية من العقل لا من التوحيد .
– ولو أنك تستمع إلىّ ففى مثل هذه الحضرة ما دام الجميع قد صاروا واحدا فلا تبحث عن الثنوية .

- فعلى هذا الباب تكون قوة الذهب و إن كانت ممتلئة بالرنين مثل المرأة العجوز بلا قوة .
- واعلم أن المشقة والتمييز فى الثنوية ، أما فى الأحدية فسواء رستم والمخنث .
- وفى حرب الصفاء وساحة القلب ، يوجد على رأس النفس خوذة من الطين .

١١٤٥ - وما دمت لا تلقى بالسيف فإنك لا تنتصر ، وما دمت لا تضع الخوذة فإنك لا تصير رئيسا .
- وما دام قلبك عبدا للخوذة ، فان أفعالك فى الشهور والسنين تكون ذنوبا .
- وحين تصير خاليا من الخوذة والحزام ، فإنك تصير رئيسا على رؤساء الزمان .
- وترك التركيب هو جواد[1] التوفيق ، ونفى الترتيب هو محض التحقيق .
- وموت القلب يكون هلاكا للروح وموت الروح يكون أمانا للقلب .

١١٥٠ - وصدرة صدر ملك الكلام ، (تصنع) بدون الإبرة والظفر .
- ولا تقف فى هذا الطريق على أى وجه كان ، فإذا خطت العدم فإنك لن تحصل إلا على العدم .
- والمنبت ولو أنه وحيد فى المثل ، إلا أنه ليس فردا فهو عالم على قدم .
- وحينما تكون قد نهضت عن النفس والعقل ، اعلم أن دنياك هذه قد انتقلت إلى آخرتك .
- وكل رأس تنبت لك هذه اللحظة ، اقطعها كالمصباح والشمع والقلم .

١١٥٥ - ذلك إن كل رأس تكون مرئية جديرة بالقطع فى سبيل الطريقة .
- وفقدان الرأس أدب أمام الأبطال ، ذلك أن الرأس تطلب الخوذة دائما .
- وفقدان الرأس يأتى لك بالثمار ، والدرج الملئ بالدر من فقدان الرأس كالرمان .
- والخوذة تكون ملجأ لرأس الأصلع ، ومع هذه الرأس تكون الخوذة ذنبا .
- وقد أصابك الإعياء تحت الخوذة ، فلا جرم إنك لا تعبر جسر النار .

١١٦٠ - والجاه أفضل سجن للآدمى ، ويكون الأقرع فضوليا إذا وجد الخوذة .
- وقد صار جاه يوسف ظاهرا من الجب ، والنفس العالمة صارت ناطقة من العقل .
- ذلك أنه فى الحضرة الإلهية ، أقول لك لو أنك لا تعلم :
- ما أفضل أن تضع يدك على رأسك فى هذا المعراج فلا تجد تاجا .
- ذلك أن الرجل يسرع إلى الطريق من أجل الغيب ، أما الأقرع فهو يبحث عن الخوذة من أجل إخفاء العيب .

١١٦٥ - مثل سليمان الذى أعطى للطريق كماله ، ومثل يوسف الذى أعطى جماله للجب .
- وما لم يكن نقش صورتك جبا ، لا يكون نقش سرك الله .
- ولو كانت هناك خسارة مع خوذتك ، لكان القلب نفسه هلاكا للروح .
- فلا تملك فى الطريقة خوذة أو رأسا ، وإن ملكت فستكون كقلب الشمع مليئا بالنار ..
- فإذا أردت أن يكون يوسف وجاهه لك ، فأسرع نحو الحق مقلوباً كأنك الجب.

١١٧٠ - والرأس التى تكون أسيرة للخوذة ، مثل بيژن[2] رهينة السجن .
- وإذا لم يكن هناك بد من أن تكون لك خوذة ، فكن كالشمع واتخذ هذه الخوذة من النار .
- وذلك الذى يكون فى العشق شمع الطريق ، يكون كالشمع نارى الخوذة .

---

(١) فى النص رخش وهو جواد رستم .

(٢) بيژن : أحد أبطال القصص الفارسى يقرن دائماً محبوبته « منيژة » .

- ويا من أنت من الصورة كما تكون الروح من الجسم ، القلب من الوجود كما يكون الرجل من الإسم .
- والجهاد من الجسم ، والإنجذاب من الروح ، أما الذوق فيكون من ترك هذا وذاك .
١١٧٥ - والحديث طفل بالنسبة للقدم وهذا إلى الأبد ، وكل ما هو صاف خارج ذلك فهو ثفل .
- وما دامت الأرض مكانًا للآدمى ، فإن خيمة الزمان قائمة .
- فإعلم أن هذه الأرض دار ضيافة ، أما الآدمى فهو كالقائم عليها .

فى الإيثـــــار

- اترك كل ما تملك من أجل الحق ، فالا يثار أفضل لو جاءمن الشحاذين .
- وأبذل الروح والقلب فهما من الماء والطين ، وأعظم الجود هو جهد المقل .
١١٨٠ - وسيد آل العباء ورأسهم ، وجد التشريف من سورة « هل أتى » .
- فمن أقراص الشـــعير الثلاثة التى لا قيمة لها ، وجد أمام الحق مثل هذا الرواج .
- فانهض واترك الدنيا الدنية ، حتى تجد الإله الذى لا مثيل له .
- فالدرهم الصدقة من كف الفقير ، يكون مقدماً على الألف من الغنى .
- ذلك أن للفقير قلباً مجروحاً ، ومن القلب المجروح تكون الصدقة أكثر من قيمتها .
١١٨٥ - وانظر إلى الغنى تجد أن قلبه يكون مظلماً وكدراً كجسده .
- وجسد الدرويش هو صفوه الازل ، وقلبه هو كيمياء « لم يزل » .
- وإستمع إلى ما قاله فضل الإله ، ولمن أقول فليس هناك رفيق واحد .
- قال لملك وسيد « لولاك » : « لا تعد عنهم عيناك » .
- فخل عنك الجسد والروح والعقل والقلب ، وأحمل قلبك على يدك فى طريقه .
١١٩٠ - والصور والوصف والعين عند الوصف تلك هى الرحم وهذه المشيمة وذاك هو ألابن .
- وصورتك حجاب للصفات ، وصفتك سد لعين الذات .
- وكل ما فى ذلك النقش من علم ومعرفة ، أعلم أنه كفر بعالم الصفة .
- هذا مثل المصباح المنير فى الذات ، والإثنان الأخران كالمصباح والمشكاة .
- وما دمت لم تتحول عن هذا المعبر الضيق ، فأنت ذو روحين ولعبة ذات لون واحد .
١١٩٥ - وما دام نسل آدم موجودا ، فقد أعدت الداران من أجله .
- وما دام لا يرى الألم فى هذه الغبراء ، فإنه لا يصل فى الدار الأخرى إلى الكنز .
- فهذه الدنيا من أجل التعب والحاجة ، والدار الآخرى من أجل النعمة والسرور .
- وحين يسلم الإنسان رأسه للنوم ، فأن خيمته تصير منحلة الأوتاد .
- وأنا أسألك : ما دام العلم والحكمة والشروع (موجودة) ، فأنت وارثها كلها بأصلها وفروعها .
١٢٠٠ - يهرب الدين دائماً من الصورة ، حتى يجعل المرءعفيفا من السوء .
- فأعطنى جوابا واحداً على سبيل الصواب ، ما لم تكن ميتاً أو فى نوم (عميق) .
- حين وضعك عاشقاً نفسك ، فهو لا يستعيض عنك إلا بك .

قصة قيس به عاصم رضى الله عنه

– فى ذلك الزمان الذى أنزل فيه الله على الرسول الكريم سورة ﴿ من ذا الذى ﴾ [1] .

– أخذ كل شخص يأخذ إلى السيد بقدر ما يصل إلى يديه ولا يحول رأسه (عن هذه الآية) .

١٢٠٥ – (أعطوا ما يملكون) من الجواهر والذهب والدولاب والرقيق والمال ، وكل ما كان فى وسعهم آنذاك .

– وكان قيس بن عاصم رقيق الحال ، وذلك لأنه لم يجعل طلب الدنيا شغله .

– فذهب إلى منزله وقال لزوجته كل ما سمعه ولم يخف عنها شيئا .

– لقد نزلت هذه الآية اليوم ، فإنهضى ولا تحرقينا بالانتظار .

– أيتِ بكل ما هو حاضر فى المنزل ، حتى أوثر السيد به .

١٢١٠ – فقالت المرأة: لا يوجد شىء با لمنزل ، ولست عن هذه الدار بغريب .

– فقال لها : إبحثى أخيراً عن أى مقدار ، وما تجديه أحضريه لى على وجه السرعة .

– فذهبت وأطالت البحث فى الدار ، ربما يشغله أمر ما عنها .

– فوجدت فى المنزل صاعاً من التمر ، وقد جف وتيس حتى صار كالحنطة .

– فأحضرته المرأة إلى قيس فى الحال ، وقالت ، ليس لدينا أكثر من المال .

١٢١٥ – فوضع قيس التمر فى ردائه ، وأحضره فرحاً إلى الرسول .

– وحين دخل قيس المسجد جادا وليس على سبيل الهزل .

– قال له منافق سيىء الطوية ، ماذا أحضرت ؟ أخرجه سريعاً .

– هل هذا المتاع جوهر أم ذهب أم فضة ؟ وما الذى تسلمه إلى السيد ؟

– فصار قيس ذليلا وخجلا من هذا الكلام ، فانظر إذن ما الذى حصل عليه ؟

١٢٢٠ – ذهب وجلس فى ركن حزينا ، وقد وضع من الخجل يدا على يد .

– فأتى جبريل الأمين من السدرة ، وقال : يا سيد الزمان والأرض .

– لا تترك الرجل منتظرا ، ولا تقلل من قيمة ما أتى به .

– فصار للمصطفى علم بالحال ، وفهم فجأة « يلمزون المطوعين » .

– وحينما ترك الرجل الرجل منتظرا ، كان الملكوت ينظر إليه .

١٢٢٥ – ووقعت زلزلة فى الملكوت ، فهو ليس مجال القرار أو مكان السكوت .

– وهكذا قال الحق تعالى ، وأخذ يتلطف إلى قلبه .

– ان : أيها الرئيس ويا من اخترت رسولا ، اقبل من قيس هذا القدر بسرعة .

– ذلك أن هذا « الدقل » عندى فى العيان ، خير من ذهب الآخرين وجواهرهم .

– فقد قبلت منه هذا المتاع القليل ، وذلك لأنه لا يصل إلى يديه بخيل .

١٢٣٠ – وقد اختاره هو من بين كل الأشياء ، وصار قابلا جهد المقل .

– ولهذا السبب ارتفعت منزلة قيس ، من فعل المنافق السيىء الفعال .

– وصار المنافق مفضوحًا فى الحال ، وارتقى قيس من ذلك إلى الكمال .

– حتى تعلم أن كل ما حدث ، حدث بنفس الطريقة التى حدث بها .

– وذلك الذى يكون مع الله ذا قلبين ، يخجل من كل فعله .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له ﴾ البقرة ٢٤٥ .

١٢٣٥ – والاستقامة خير فى كل الأمور ، وهكذا قرأ عليك البارى هذا القدر .

فى الاتحـــاد

– ليس فى العالم خسارة مثل نفعك ، وليس هناك حيس الأبد مثل وجودك .
– « وظهر النور » يكون ذا المنن ، أما « بطل الزور » (فدلالة) على الروح والجسد .
– واحمل من الطريق نفسك التى تريد الغيب ، فأى فعل للعيب فى دار الغيب .
– والغيب هو الكبريت الأحمر لله ، وصفرة الوجه تكون من الكبرياء .
١٢٤٠ –فأنت ملىء بالعيب ولا تستطيع أن تقصد عالم الغيب خاصة مع الشك والريب .
– وأساس قيد نفسك لا ينهض على قدميه ، وهذا من تأثير قلة عقلك .
– وحينما صار وجودك حجابًا لك ، صار عقلك معك فى عتاب .
– وقال : اذهب وقل سلامًا على النفس ، وإلا فاجعل من عينيك نهرين .
– وتألم فى الليل والنهار من فراق العقل ، ولا تتشاجر مع عقلك بالسوء أكثر من ذلك .
١٢٤٥ –وحرر العقل ثانية من هذه العقيلة ، وبعد ذلك يسهل العيش لك .
– وفى ذلك الحين الذى تجد فيه قوتا من قلبك ، ترى الملك من كوة الملكوت .

فى الاتصــال بـه

– حتام تقول ما هو الاتصال به ، وما هو الاختيار فى طريق الدين ؟
– وما دمت مفترسًا فلست مختارًا ، وما دمت متوحشًا فلست واصلا .
– فضع القيد على النفس تكن مختارًا ، وضع القدم على الرأس تكن واصلاً .
١٢٥٠ –ومتى كان الإنسان مفترسًا مثلك ، ومتى كان الشيطان والوحش متوحشين مثلك ؟
– فأنت غافل ومغرور بالسنين والشهور ، وأنت شيطان ووحش وبعيد عن الآدمية .
– وأنت حاقد كالنمر طوال السنين والشهور ، وخلق العالم قد ضاق قلبهم من طبعك .
– وأنت لا شىء على رأس الطريق الرئيسى، ذلك أنك تصل فى نفسك ولا تصل إليه .
– جعل الكوفى آية من الصوفى ، وجعل العشق والرأى للقريش والكوفى .
١٢٥٥ –والصوفى والعشق مجرد حديث حتى الآن ، سلب وإيجاب ويجوز ولا يجوز .
– وقد مد الصوفية أيديهم وبدلوا « بلى » بـ« لا » .
– وهم تراب قد حجلة أنسة ، وهم جلوس فى حجرة قدسه .
– كلهم ممزقون لحجب الحسد ، وكلهم غرقى من الرأس حتى القدم فى الدمع .
– وكلكم إرتخصتم أنفسكم للحلم ، وأصبحتم كلكم سجنة للعلم .
١٢٦٠ – فطإطىء رأسك ولا تشمخ بأنفك ، حتى تصير مدللا فى كل طريق .
– ويظهر الدين حين تضع عنك الذنب، كما تبدو الرأس حين تخلع الخوذة .
– والبصيرة الطاهرة ترى طهر الدين ، وهكذا ترى البصيرة حين تكون طاهرة .
– إنهم محقرون أؤلئك المتكبرون أمامه ، ومن توجهم يملكون التاج .
– فاخلع عنك هذا الدلق ذا الألوان السبعة ، وألبس رداء ذا لون واحد كعيسى .

١٢٦٥ – حتى تصير مثل عيسى تجعل الماء طريقا ، وتجعل من الشمس والقمر رفيقين .
– وقلل من إهتمامك بنفسك ، وتحدث فى تلك اللحظة حديث البشر .
– وما دامت ذرة من النفس معك ، فإنك لا تصل بأية وسيلة إلى ذلك المكان .
– فهذا الهواء لا يتواءم أبدامن النفس ، فإنهض وإمش فى هذا الطريق بلا نفس .

من آمن بطاعته فقد خسر خسرانا مبينا

– قال ثعلب لثعلب آخر عجوز : يا من أنت قرين للرأى والعلم والمعرفة .
١٢٧٠ – أسرع وخذ مائتين من الدراهم ، وأوصل خطابنا إلى الكلاب .
– فقال : إن الأجر عظيم مدير للرأس ، ولكنه عمل ذو خطر .
– وما دامت روحى ستذهب من هذه الخسارة ، فأى نفع لدراهمك حينذاك .
– إن الأمن من قضائك يا الله ، هو عند العقل عين الذنب .
– وقد جعل من الطمأنينة إثنين سىء السمعة ، أولهما عزازيل والثانى بلعام .

من زهد فى الدنيا وجد ملكا لا يبلى [1]

١٢٧٥ – كان هناك فى البصرة شيخ زاهد ، لم يكن فى ذلك الزمان عابد مثله .
– قال : كل صباح انهض (من مكانى) حتى أهرب من هذه النفس المشؤومة .
– إذ تقول لى النفس أن هيا أيها الشيخ ، ودبر ما تأكل فى الصباح .
– فقل لى ثانية ماذا آكل ، فأقول لها : موتى ووفاتى .
– فتقول لى النفس حينذاك : ماذا ألبس ؟ فأقول لها : الكفن .
١٢٨٠ – بعد ذلك تسألنى وتتمنى أمانيا شديدة المحال .
– فتسأل: إلى أين ستذهب يا أعمى القلب ، أقول لها : صمتا إلى حافة القبر .
– وما دام النفَس على خلاف مع النفس ، أستطيع أن أنجو من خوف العسس .
– وما أسعد ذلك الشخص الذى يملك نفسا ذليلة ولا يجعلها تتقدمه .

فى صفة الزهد والزاهد

– هرب زاهد من بين القوم ، وذهب إلى قمة جبل وأقام صومعته .
١٢٨٥ – وذات يوم (مر عليه) عالم عاقل قادر .
– مر ورأى الزاهد ، (رأى) مثل ذلك الزاهد العالم .
– قال له : ويحك لماذا اتخذت مقاما ومسكنا ومكانا على هذا المرتفع .
– قال الزاهد : إن أهل الدنيا قد صاروا هالكين فى طلبها تماما .
– وأخذ بازى الدنيا يطير من مكان إلى مكان ، وأصبح صوته ملقيا فى كل ديار .
١٢٩٠ – وأخذ يتحدث بلسان فصيح ، وطفق يبحث عن صيده .

---

(١) « من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات : من زهد فى الدنيا علمه الله بلا معلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى » . الجامع الصغير : للبوطى ٢/ ١٥٤ .

- فهو فى كل زمان يقول لأهل الدنيا ، الازدواج بلوى والانفراد للمولى .
- فويل للذى لا يحذر منى ، ولا يرى أن الخطر « كامنٌ » فى طلبى .
- حتى يصير كما هو موجود فى قسطاط ، الطيور قليلة والصقور (عددها) فى إفراط .

فى حب الدنيا وصفة أهله

- هناك مدينة كبيرة فى حدود الروم ، والصقور كثيرة فى هذا الموطن .
١٢٩٥ - واسم تلك المدينة الشهيرة قسطاط ، وساحلها يصل إلى حدود دمياط .
- ولا ترى الطيور المنزلية فيها ، إذ أن البازى يتخطفها من الهواء .
- فلا يترك فى هذه المدينة طائرا ، إلا والتهمه فى التو واللحظة .
- لقد أصبح الزمان الآن مثل قسطاط ، والعلماء كالطيور أذلاء ضعفاء .
- وقد اتخذت من هذا العلو مكانا ، حتى أكون آمنا من شر الدنيا .
١٣٠٠ - قال العالم : فمن الذى يعيش معك هنا ، وكيف حالك ومآلك وأنت على رأس الجبل ؟
- قال الزاهد : إن نفسى معى ، هى فى الليل والنهار فى هذا المسكن .
- قال العالم : أنك إذن لم تصنع شيئا ، فلا تسر فى طريق الزهاد بلا جدوى .
- قال الزاهد : إنهم قد ألصقوا النفس بى وباعوها إلىّ ووضعوها فى يدى .
- ولا أستطيع منها فكاكا ، فلم أحاول إذن التخلص منها ؟
١٣٠٥ - فقال هذا الحكيم الممدوح للزاهد ، أن النفس تعلم الأفعال بالسيئة .
- فقال الزاهد : لقد تعودت عليها ، وذلك لأننى عرفت نفسى .
- إن النفس مريضة وأنا الطبيب ، وأنا أقوم لها بالترتيب ليل نهار .
- فأنا مشغول بمداواة النفس ، ذلك إنها تقول لى دائما : أنا معلولة .
- فأنا أقصد فصدها أحيانا ، وأفصد الشريان الأكحل من بصيرتها .
١٣١٠ - وحين تتصاعد تهمد ، ويصيبها الفصد بالسكون .
- وأحيانا آمر لها بمسهل ، لأصفى العلل من جسمها .
- فيخرج من الجسد حب الدنيا وغلها وغشها ، كما يخرج منها الحقد والبغض والحسد .
- وأنهاها أحيانا عن الشهوات ، فربما تعجز عن اللذات .
- فتستعيد من المأكول طبيعتها ، وتفتح على باب الشهوة .
١٣١٥ - فأعطيها حبتين من الباقلاء قوتا لها ، وأجعل عليها المنزل كأنه المقبرة .
- وحينما تروح النفس ساعة فى النوم ، أقوم فأصلى ركعتين على وجه السرعة .
- ذلك قبل أن تنهض من النوم ، وتتعلق بى كما يتعلق المريض .
- وحينما أقوم بركعة أو ركعتين دونها ، أصير بعد ذلك متيقظا لها .
- وحينما سمع العالم هذا الكلام ، مزق رداءه من على جسده وجدا .
١٣٢٠ - وقال : لله درك أيها الزاهد ، وبارك الله عمرك أيها العابد .
- فهذا الكلام ليس مسلما إلا لك ، وملكك لا يقل عن ملك جمشيد .
- فإذا كان سعيك اليوم نحو الزينة ، فاعلم أنه فى الغد سيكون دنسك .

– وليس ملوثا ذلك الذى يتخلص من الذنب ، وذلك الذى تتصاعد منه الآهات .

– والمرأة تنظف نفسها من أجل الزيارة ، فتزجج حاجبيها وتصفف شعرها .

١٣٢٥ – والقلب هنا غريب وجاهل ، ما دام (موجودا) فى قيد الأركان الأربعة .

– ويفرغ العقل هنا جعبته ، وذلك لأن التحرى (عن القبلة) سىء فى الكعبة .

– وأمام الكعبة لا يسمع أحد إلا متهوس كثيرا عن علم جهة القبلة .

– وكلما كان الرجل متحريا فى الكعبة ، يكون كمن يحمل الكمون الأخضر إلى كرمان .

– ويكون العقل مرتبطا بقيد الجسد ، حينما يكون فى السجون الثلاثة الغل والحقد والحسد .

١٣٣٠ – والحواس الخمسة التى هى من الأركان الأربعة ، هى الجواسيس الخمسة لهذه السجون الثلاثة .

– وقد صار القلب مسموحا له بخزانة السر ، فلماذا يقوم بعار التجسس والفتنة ؟!

– فالذين لا ألسنة لهم يتحدثون بلسانه ، والذين لا دليل لهم يبحثون عن الدليل منه .

– فاضرم النيران فى كل ما هو سوى الحبيب ، وحينذاك اطفئه بماء العشق .

– إذ ترى الصديق حيث لا أصدقاء هناك ، (تراه) حين ترى الأصدقاء جميعا مخوفين أذلاء .

١٣٣٥ – أما الذين يرون أنفسهم فقد صارت ورود حدائقهم مثل بثور المتشائمين .

– فليكن معلوما لك جيدا أنه فى المحشر ، لا يكون هناك أبدا خلق آخر .

– إنما يستدعى أمامه كل من يختاره ، وهو يرى (أمامه) نفس الشىء الذى يحمله من الدنيا .

قال النبى ﷺ : « فرغ الله تعالى عن الخلق والخلق والأجل والرزق »[1]
التمثيل فى نحن قسمنا

– إن كل ما يرسله هذا التاجر الكادح من السوق إلى منزله .

– هو كل ما يكون فى منزله ، وهو الذى يضيعونه أمامه ليلا .

١٣٤٠ –وكل ما تحمله من هنا يحتفظون به ، وهو الذى يأتون به أمامك يوم القيامة .

– وليس هناك قط تغيير أو تبديل ، لا يكون الخير شرا بأى سبيل .

– ولن يعطى هناك شيئا لأى إنسان ، لقد أعطى ما يعطى وكل ما سواه ريح .

– فإذا كنت لا تعلم فانهض واقرأ سره من الكلام الربانى .

– لن تجد لسنته تبديلا ، ولن تجد لملته تحويلا[2] .

١٣٤٥ – ليس هناك تبديل لحكمه القاطع ، وليس هناك تحويل لأمره الجامع .

– فانهض وابعد النجاسة عن طرف ردائك ، وإلا ما التمس لك العذر فى الآخرة .

– فلو أنك رميت النفس بسهم هنا ، لأضرمت النار فى الحزن والعذاب .

---

(١) لعله مساو لحديث : « جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » .. انظر : كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق لمحمد عبد الرؤوف المناوى بهامش الجامع الصغير قاهرة ١٣٢١ .

(٢) ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ فاطر ٤٣ .

فصل فى شرائط الصلوات الخمس
والمناجات والتضرع والخشوع والوقار والدعاء

قال الله تعالى : ﴿ الـذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصـلاة ﴾ . وقال النبى عليه السلام عند نـزعه : « وما ملكت أيمانكم » . وقال النبى ﷺ : « حبب إلى دنيـاكم ثلاث : الطيب والنساء وقـرة عينى فى الصلاة » . وقال عليه السـلام : « من ترك الصلاة عامدا فقد كفر وبين الإسـلام والكفر ترك الصـلاة » . وقال : « المصلى يناجى ربه » وقال عليه السلام : « لو علم المصلى مـن يناجى ما التفت » . وقال عليه السـلام : « كن فى صـلاتك خاشعـا » . وقال عليـه السلام : « الصـلاة نور المؤمن ، من أقـام الصلاة أعطى الجنـة بالصلاة » .

- ما لم يخرج العبد من الحدث ، فانه لا يكشف حجاب عن الصلاة .
- ولما كان مفتاح الصلاة هو طهارتك ، فاعلم أن قفلها هو عيوبك .
١٣٥٠ - ومتى تضع قدمك على سقف الفلك ، ومتى تشرب خمرك من كأس الملك ؟!
- وما دمت كالحمار فى هذه الدنيا الخربة ، فإن بطنك من عباد الخبز وظهرك إلى المـاء .
- وما دمت تحت (الطبـاع) الأربعة و (الحواس) الخمسة و (الجهـات) الستة ، فلن تـذوق الخمر إلا من دن الهوس .
- وما دام الحق يجذبك بلطفه ، فإنه يقبل صلاتك طوعا .
- فمتى يحقرك أمر الإله ، لتكن التكبيرات الأربعة على أركانك الثلاثة .
١٣٥٥ - ونساجو أردية عالم الأزل ، إنما يقرأون عليك النكتة والغزل .
- ومتى رأيت وجه سلطان الشرع ، وأنت أنف فى السماء وأُست فى المـاء .
- ويجب أن تكون اللقمة والخرقة كلتاهما طاهرتين ، وإلا صرت هالكا فى التراب .
- وحينما لا يكون طعامك أو كسوتك طاهرين ، سواء تكون صلاتك وقبضة التراب .
- فلا تدخل إلى الصلاة برعونة ، فاخجل وخف من الله .
١٣٦٠ - وكل من لم يكن بنفسه منصرفا إلى الله ، أعطاه الله فى صلاته ثقلا .
- والكلب يكنس مكانه بذيله ، وأنت لا تكنس بالآه مكان الصلاة .
- فطهر المكان والثوب والروح ، من أجل خدمة الخالق .
- وقبلة الروح هى حظيرة الصمد ، و « أحد » الصدر هو كعبة الأحد وحرمته .
- فقامر بروحك مثل حمزة فى أحد ، حتى تجد طعما للأذان .
١٣٦٥ - واحرق كل ما هو سوى الحق وأغر عليه ، وتطهر من كل ما هو سوى الدين .
- وعندما تكون محتاجا فإنه يرفعك بلطفه ، أما إذا كنت مستغنيا فإنه لا يقبل صلاتك .
- ولو أنك حملت هم الصلاة بلا ضراعة ، فكأنك تأكل قلية البصل من كبدك .
- ومن ثم فلو كان هناك ضراعة مع الصلاة ، فإن يد اللطف ترفع حجاب السر .
- وكل من يسرع إلى حظيرة اللطف ، أعطاه هو ما يعطى ووجد ما يبحث عنه .
١٣٧٠ - وإلا فإن إبليس فى داخل الصلاة ، ينصت حتى يخرجك (منها) ثانية .
- لقد خلقت (يا إبليس) لئيما والصلاة كريمة ، لقد خلقت حديثا والصلاة قديمة .

– وسبع عشرة ركعة من القلب والروح ، اعلم أنها (تساوى) ملك ثمانية عشر ألف عالم .
– وأنت تقول إذن أن هذا حساب غير دقيق ، ذلك أن السبعة عشرة قريبة من الثمانية عشرة .
– وكل من يقوم بسبع عشرة ركعة ، فإنه (يحوز) على ملك العوالم الثمانية عشرة .
١٣٧٥ – والحسد والغضب والبخل والشهوة والحرص ، تكون كلها على الله لو تركك فى الصلاة .
– وما دمت لا تخرج الحسد من قلبك ، فإنك لن تتحرر من أعماله القبيحة .
– وحينما لا ترى من الدين غنيمة لك ، لا تكون هناك قيمة من صلاتك .
– وحينما تلوى قيمتك عنانها ، فأنها و « الله » تلحق حتى بجبريل .
– وعلى طالب الصلاة بادئ ذى بدء أن يقوم بالاغتسال ، ذلك أن الحق لا يقبل الصلاة من جنب .
١٣٨٠ – وما دام الغل والغش موجودين فى باطنك ، فإن غسلك يكون مثل عدمه تماماً .
– وعدم الغسل من الصفات الذميمة ، إذ لا يقبل الصلاة رب العرش العظيم .
– فإذا كان كل ما يتعلق بك طاهرا ، فإن جنابتك كلها فى جنب الحق .
– وأصل الصلاة وفرعها الغسل والوضوء ، وصحة الداء العضال تكون من الدواء .
– وما دمت لا تكنس الطريق بمكنسة « لا » ، فإنك لا تصل إلى دار « إلا الله » .
١٣٨٥ – وحينما يثيرك الإله من أعماق القلب ، فإن الصلاة تنبع إذن من الحاجة .
– وحينما لا تقوم بالطهارة محتاجا ، فإن الصلاة لا تجوز نحو الحق .
– وطهارتك هى نحيبك والغيبة عن نفسك ، وقتل نفسك هو كفارتك .
– وحينما تقتل النفس فى الطريق ، فإن فضل الله يسفر سريعا عن وجهه .
– فكن محتاجا حتى تجد القول ، وإلا فسوف تجد سريعا الطلاق الثلاث .
١٣٩٠ – وتلك الصلاة التى تكون فى حضور « هوى النفس » ، تكون بعيدة عن نضارة ماء الوجه .
– وحين يذهب الجسد إلى التراب « وتذهب » الروح إلى الفلك ، انظر إلى روحك فى الصلاة كأنها الملك .

التمثيل فى الخشوع وحضور القلب فى الصلاة
قصة أمير المؤمنين علي عليه السلام

– فى موقعة أحد جرح الأمير حيدر الكرار جرحا شديدا .
– وبقيت رأس سهم فى قدمه ، واقتضى رأيه فى ذلك الزمان .
– أن يخرج هذا الرأس من قدمه ، فهكذا كان الدواء لها .
١٣٩٥ – وحينما رآها الطبيب قال سريعا : يجب أن تقطع بالسيف ثانية .
– وذلك لكى يظهر رأس السهم ، ينبغى إذن أن يفتح الجرح الملتئم .
– وبالرغم من أنه عض على نواجذه إلا أنه لم يجد طاقة الاحتمال ، فقال : دعها إلى وقت الصلاة .
– وحينما صار فى الصلاة ، قطع الحجام بدنه اللطيف .
– فأخرج من (الجرح) كل رؤوس السهام ، وذلك دون أن يحس بالألم ودون أن يصيح .
١٤٠٠ – وحينما خرج على . وهو ذلك الذى دعاه الله وليا – من الصلاة .
– قال : قل أن يوجد ألم مثل (الذى أحسن به) ، ولأى سبب أجد مكان الصلاة ممتلئا بالدم .
– فقال له جمال العصر الحسين ، ذلك الذى صار زينة لأولاد المصطفى .

- حينما رحت أنت فى الصلاة ، وانسدل عليك جناح الله .
- اخرج الحجام (من الجرح) رأس السهم ، ومع ذلك فلم تخرج مسلّما من الصلاة .
١٤٠٥ - قال حيدر : وحق الخالق الأكبر ، لم يكن لى أى علم بذلك الألم .
- فيا من صرت كثير الشهرة بالصلاة ، ووصفت بالعبادة على كل الأشخاص .
- هكذا قم بالصلاة وفصلها ، وإلا فانهض ولا تحرك ذقنك حائرا .
- وحينما تدخل إلى الصلاة صادقا ، فسوف تخرج منها وكل رغباتك محققة .
- وإذا قمت بمائة سلام دون صدق ، فأنت لست ضليعا فى الأمر بك ساذج .
١٤١٠ - فسلامك الواحد يساوى مائة سلام ، وسجدة الصدق تساوى مائة قيام .
- فتلك الصلاة التى تكون على سبيل العادة ، تكون ترابا (يذرى) حين تقوم الريح .
- والصلاة الروحانية فى هذا الطريق ، تظنها أنت تتأتى بثقل الحركة .
- وفى الصلاة لله تذوب الروح ، أما الذى يتحرك بتؤده فهو الشحاذ .
- وهكذا فإنه يبحث عن الصالح وغير الصالح ويتخذ طريق أبى جهل .
١٤١٥ - وإذا أردت أن تكون رجلا ، فأترك البر والق بنفسك فى البحر .
- وإذا لم تحصل من البحر عن الدر الخالص ، فإنك تعلم أنك لن تعجز فى الماء .
- ويا أيها القائد اضرب بقبضتك فى طريق الله ، وإذا لم تظفر بالمراد فإنك تتخلص من العار .
- والرجل الذى يجد من الماء والتراب عارا ، يكون كالنار يعلو على الهواء .
- ولا تضع خوذة السماء على رأسك ، حتى تجد التاج من جبريل .
١٤٢٠ - وتتحول قلنسوة الملك إلى تاج لك ، وتنقلب من أجلك خوذة الفلك .
- حتى تعرف الحق من الهوى والهوس ، و (تعرف) إن كل هذه الأشياء ليست شيئا بالنسبة لك .
- وعدمك كالوجود سواء بسواء ، وكل ما رغبته هو ذاك .

فى الصلاة والرغبة

- أعد للزاد عدته وعتاده من أجل حديقة عليين .
- وصاحب بالدعاء انابة الحق ، حتى تقبلك إجابة الحق .
١٤٢٥ - فإنك تدخل بين الحين والحين من أجل فريضة الصلاة ، وأنت منفصل عن الحقيقة قرين للمجاز .
- ثم تقوم بركعة أو ركعتين غافلا ، وبدون دعاء أو تضرع أو شكوى .
- وهكذا ظننت أن هذه صلاة لله ما داموا قد أجازوها لك .
- وهى بدونك ترفع إلى الطاهر ، ذلك أنها قد لوثت منك .
- والخطاب الذى يذهب من لسان الألم ، هو رسول يذهب من دنيا البشر .
١٤٣٠ - وحين يكون الرسول من لدن الاحتياج ، منك تكون « يا رب » ومنه تكون « لبيك » .
- ليس ذلك الجواب الملوث بالحرف ، بل ذلك الجواب الذى يريح الروح
- ولقد جعل فى طريق دعائنا مئات الألوف من الأعوان المتغنين بأصواتهم قائمين .
- فأى وجوب للبحث عن الطريق من هذا وذاك ، فإن ألمك هو دليل مقصدك .
- وهكذا تصير برعونتك عند الله ، جارا ثوب الكبرياء فى قدميك .

١٤٣٥ - وذلك مثل السيد الذى يتوكأ فى سيره على عبده أو غلامه .
- فهو يحمل دائمًا ثقل المنة ، (ويجعله) دائمًا قائلاً : أنا صديق العزيز العلى .
- وأنت تعتبر نفسك صديقًا لا عبدًا ، وهذه هى عادة الرجل العاقل .
- وخير لك يا بنى ألا تقدم مثل هذه الطاعة إليه فاذهب ولا تشك .
- والإنسان الذى لا هدى له أقل من الحيوان ، وكل من لا هدى له فهو هباء .
١٤٤٠ - فتب عن هذه الطاعة أيها الجاهل ، ولا تسم نفسك عبدًا ثانية .
- فلو صار لك من الزمان عون ، لما كنت أقل بالفعل من فرعون .
- ذلك أن (فرعون) من شدة اضطرابه ومن كمال غروره وجهله .
- رفع الحجاب عن وجه فعله ، حينما لم يملك سر العبودية والعجز .
- فقال : أنا ربكم الأعلى ، وأنا فى هذه الدنيا من ذوى الشأن الرفيع .
١٤٤٥ - وهذا الغرور والكبرياء موجود عند الجميع ، ولفظ فرعون على كل جبلة .
- ولكنه من الخوف لا يجرؤ على البوح بالسر ، فحفظ السر مخفيًا فى نفسه .

التمثيل فى تقصير الصلاة

- كان أبو شعيب الأبى إمامًا ، وكان ممدوحًا من كل إنسان .
- كان قائم الليل وصائم الدهر ، ووجد نصيبًا من الزهد فى زمانه .
- وقد انتقل من المدينة إلى صومعة على الجبل ، وفر خارجا من مشقة البشر .
١٤٥٠ - فرغبت فيه امرأة اتفاقا ، وقالت : أيها الشيخ إن الزواج مناسب لك .
- فلو أردت أن أكون حلالاً لك ، وأصير أهل بيتك على القناعة .
- أعيش قانعة وأرضى بالقليل ، ولا أتذكر النعمة الماضية .
- قال : مرحى مرحى هذا جائز وقد قبلت ، ولو تقنعين أكون أنا راضيًا .
- وبالعفاف والكفاف وخلق الحسان ، يكون هذا غاية الحسن وآية الإحسان .
١٤٥٥ - وصارت زوجة له هذه المرأة العفيفة المسماة بجوهرة ، وكان لها نصيب كبير من الحسن والجمال .
- فتركت المدينة وقصدت الصومعة ، وهى راضية بحكم الفلك الدوار .
- فرأت حصيرة ممزقة قد ألقيت (على الأرض) ، فطويت جوهرة الحصيرة مسرعة .
- فقال لها أبو شعيب الزاهد : يا من صرت لى زوجة عزيزة .
- من أجل ماذا رفعت الفراش ، فالتراب الأسود هو موطىء النعل .
١٤٦٠ - قالت طويته من أجل الصلاح ، إذ أننى سمعت هذا المعنى منك .
- أن أية طاعة تكون أكثر صلاحًا ، لو لم يحل حجاب بينها وبين الله فى وقتها .
- وجبهة العبد من عين التراب ، والحصير حينذاك يكون كالحجاب .
- وكان راتبه كل ليلة قرصان (من الشعير) وأحيانًا كانت تعاتبه وقت أخذها .
- فكان ذلك المتدين يقنع بقرصين من الشعير ساعة الإفطار دائمًا .
١٤٦٥ - وذات يوم مرض أبو شعيب من قيام الليل ، وكان فى ذلك معذورًا .
- وفى تلك الليلة قام ذلك الرجل العظيم بصلاة الفرض والسنة قاعدًا لذلك من التعب .

- فوضعت المرأة قرصًا واحدًا أمام الشيخ ، وأعطته قطرة خل ولم تزد .
- قال الشيخ : أيتها المرأة إن راتبى أكثر من ذلك فلماذا قللتيه ؟
- قال : ذلك لأن أجر صلاة القاعد هو النصف من أجل العابد .
١٤٧٠ - وما دمت قد أقمت الصلاة قاعدًا ، فلك أن تأكل نصف راتبك .
- فلا تطلب إذن أكثر من نصف الراتب ، وقد علمت بذلك أيها الشيخ .
- أن لصلاة القاعد نصف أجر صلاة الواقف .
- فما دمت تركت نصف العبادة ، فكيف تكون لك الجرأة على المطالبة بجملة الأجر .
- فقم بها كاملة واطلب أجر الكاملة ، وإلا فإن هذه الطاعة هى عين الذنب .
١٤٧٥ - فيا من أنت فى طريق الصدق أقل من امرأة ، إنك أقل منها بكثير من هذه النفس « التى بين جنبيك » .
- فلا يعود عليك إلا تعب روحك ، من هذه الصلاة تقوم بها من سطح قلبك.
- ولا يملك الإنسان الفتوح من الطاعة التى لا روح لها من القلب .
- فليس مناسبًا - فى الأصل - أن تضع على الطبق عظاماً بلا لحم .
- وإعلم أن كل صلاة يصيبها الخلل لا محل لها فى الحشر .
١٤٨٠ - ولب الصلاة يكون من خشوع القلب ، وإذا لم يكن خشوع فلا حاجة لها .
- وذلك الذى يبقى قيد الصوم والصلاة ، يكون قفل الاحتياج على باب روحه .
- ذلك أنه فى هذا العالم الملىء بالخداع والهوس ، وفى هذا القفص الذى (يبلغ عمره) مائة ألف عام .
- يكون قفازك خوذة جاه لك ، إذ أن رأسك أعلى من الخوذة .
- وكل من له فى الصلاة عدة حسنة ، يكون غار المغرب جديراً بسجدته .
١٤٨٥ - فإذهب وأقم الصلاة دون نفس الحرص ، فإن صلاتك قد بطلت من قطرة الحرص .
- ومن عار صلاتك وصيامك ، صار نعلك قفازا لك .
- ويجب على المرء أن يقيم الصلاة ، متعباً مع ألمه وإحتياجه .
- فإن الشيطان يسخر منه ، إن لم يكن هناك خشوع وتهجد .
- وحين تخرج إلى الجبل أصطحب صاحب صوت حسن ، فلماذا تأمر للجبل بصوت الحمار .
١٤٩٠ - لقد جعل فى طريق الدعاء مئات الألوف من الأعوان المتغنين بأصواتهم قائمين .
- فلا جرم أنه فى جبل المجاز يعود إليك صدى صوتك ثانية .

فى الحمد والثناء

- كل لسان يكون متحدثاً فى الأفواه ، يفوح (برائحة) المسك من ثنائك .
- والقلب والروح بقدر بعدك وقربك ، كلاهما تحت أمرك وبمشيئتك .
- والدولة السرمدية والنحس الردى ، والملك الذى لا نفاد له والعزة الأبدية .
١٤٩٥ - وعبيدك ساعون فى الليل والنهار ، وكلهم (من مشيئتك) باحثون عنك .
- ودولة الدارين وملكهما وعزهما ، أمام العاقل فى السر والعلن .
- فقد صار معلوما دون هوى وهوس ، إن كل هذه الأشياء هباء إذا كانت بدونك .
- وكل من كان ذا فصاحة مهما كان قادرا فى ثنائك فهو أكثر عجزا .

- فإن كنت تحس بغم البدن أطلب الدين ، ذلك أن مهر الدين هو طلاق الجسد .

١٥٠٠ - ومن يكون العقل هو الرسول المميز له ، يكون فساده جاها للصلاح .

- وليس للإنسان الجرأة أن يتساءل عن هذا وذاك ، ما دامت « كن فيكون » فى طوع أمرك .

- وليس هناك للعبد فى طريق المعاش والمعاد ناصر من الصلاح والفساد .

- وسوف تمل الخلق يوما آخر الأمر ، ولكنك حتى الآن بعيد ومتأخر .

- ومتى تكون خبيرا بالأمور التافهة[1] ، فانك لست مجازا إلى الطريق المستقيم .

١٥٠٥ - ورجل الإيمان دائما ما هو فى شغل ، ذلك إن الإيمان يأتى بك إلى صلاة الخوف .

- وما دمت لا تملك سر الالقاء برأسك ، فأى علم لك بماهية المقامرة بالروح .

- وحين تكون ملقيا برأسك تصير وصفا للجود ، وتصير ساجدا (حتى) على باب الروم .

- وقد صارت كعبة القلب منظورة من الحق ، أما همة الكلب فهى مقصورة على العظام .

- (والوقوف) أمام شرعه أفضل من البحث عن الشعر ، ومن الأفضل كسر بيت (الشعر) مثل الصنم .

١٥١٠ - والشرع شديد الغربة عن الأشعار ، بالرغم من أنه معه الآن فى منزل واحد .

- وكل ما هو مباح لنا محظور عن ذلك الشخص الذى هو بعيد عن هذا وذاك .

- وهو الذى يعلم الفرق بين الحظر والإباحة ، ذلك لأنه هو الذى يعلم راحة الجراحة .

- فلا تعط قلبك وهمتك إلى صحبة الخلق ، وأهرب من الخلق حتى لا يقطع منك الحلق .

- ومن العقل الخير مع عدوك ، فالعقل شرفك فى الخير والشر .

فى الافتقار والتحير فى صفاته

١٥١٥ - هو المستمع نغمة الاحتياج من القلب ، وهو المطلع على طلوع السر من القلب .

- وحينما يفتح القلب باب الاحتياج ، فإنه يجد أمامه كل ما يطلبه .

- و « يا رب » منه فى الطريق الرئيسى للاقبال ، تجعل الصديق يقول لبيك فى الاستقبال .

- فتلك النار التى كان لك منها ألوان ، متكئة على وجه المـاء كفرعون .

- فقم بنقل الروح مهما صار منه النقل ، لأنك تصل إلى الحق بالإيمان لا بالعقل .

١٥٢٠ - والعقل جاهل فى كنه وصفه ، والذوق فرح من طوق شوقه .

- والعقل والروح ملكا مملكته ، ومملكته ملائمة لألوهيته .

- « فيا رب » منك تقابلها مئتا « لبيك » ، وسلام واحد منك يقابله ألف (السلام عليك) .

- فالعقل حامل للمظلة على بابه ، والروح جندى من عسكره .

- ولا تنقطع رحمته ونعمته ، بالرغم من خير الخلق أو شرهم على الدوام .

١٥٢٥ - فالاحتياج زينة لحضرته ، فكن محتاجا فهذا هو النفع ورأس المـال .

- وهو الذى يقبل حزنك الطويل ، وهو المستغنى عن احتياجك .

- وكان بلال صديقا له فى بلاطه ، وإن كان جلده على جسده كأنه الضفائر السوداء للحبيب .

- وقد صار رداؤه الظاهر من أجل الدلال خالا مسكبا على وجه الحور .

- فهو مبدل الجلود فى الدارين من أجل تجديد الحبيب والعدو .

---

(١) حرفيًا : بسعر البصل .

١٥٣٠ – وليست هناك رأس قط رئيسة عليه من أجل الدين وتنمية الملك .
– ويا من قد صففت جمع الدراويش ، ويا من أنت الحافظ لمجروحى القلوب .
– أشف ذلك الذى صار مثل السفرجل[١] ، وقوم قامة ذلك الذى صار مثل القوس .
– ولقد وقفت عاجزا فى يد الاحتياج ، فهون على أمرى يا مهيئ أمور الخلق .
– فأنت المتفرد بخطة الملكوت وأنت المتوحد بعزة الجبروت .
١٥٣٥ – وليست هناك بداية لآية العلم ، كما أنه ليست هناك نهاية لغاية الشوق .
– وأنت لا تدرى شيئا عن حال عالم السر ، ولا تستطيع أن تعود من البلاء إلى العافية .
– ولست فى الحقيقة رجل هذا الطريق ، أنت طفل ضال ولست خبيرا بالطريق .
– أنت طفل فاذهب والعب فى التراب ، وطف حول الكبير والاستغناء .
– فما دام الكبير والاستغناء صديقين لك ، فأى شأن لك أيها الغلام مع الله .
١٥٤٠ –وماذا تصنع فى جنة النعيم والأبد ، فقد صنع العقبى ردا على الدنيا .
– وحينما دعاك إلى نفسه ، فإنه يعرف حسبتك خيرا منك .
– وقد عرض عليك الحور والقصور ، وأنت لا تزال فى الدنيا وزينتها .

فى تأديب صبيان المكتب وصفة الجنة والنار .

– لا يمكن أن تكون أقل من الطفل فى طريق الحق ، يا من أنت أقل من الواحد بواحد .
– فلو أن هذا الطفل قصر فى التعليم ، أقبل منه كل ما يطلبه على الفور .
١٥٤٥ –وتلطف معه ودلله ، ولا تتركه حائرا بالانتظار .
– وضع عنه اللوح فى ذلك الزمان ، حتى يصير راضيا ولا تقسُ عليه .
– وضعه فى صلاته ذلك الزمان ، حتى يصير وجهه أحمر كالوردة الحمراء .
– وإذا لم يقرأ (بعد ذلك) فأطلب سريعا الدرة ، وأمسك أذنيه واعركها بشدة .
– واظهر التهديد لمعلمه ، حتى يكون ذلك تمهيدا لعرك أذنيه .
١٥٥٠ –وقيده واحبسه فى حجرة الفئران ، حتى يضغط أمير الفئران على حلقه .
– ومن أجل الاستماع إلى طريق الآخرة ، لا يمكن أن تكون أقل من طفل .
– وقمطرك هو الخلد فهيا أسرع ، وبركعتين الحق بالجنة .
– وإلا فإن بيت الفئران يصير جهنما لك ، وفى طريقه تكون دار برزخك .
– واذهب إلى كتاب الأنبياء بعض الوقت ، ولا تقبل هذا الظلم والجهل على نفسك .
١٥٥٥ –واقرأ لوحا من شرح الأنبياء ، وإذا لم تكن تعرف فاذهب واقرأ .
– ربما صرت بذلك صديقا للأنبياء ، وربما تخلصت من هذه الجهالة .
– فلا تعتبر أن هناك ما هو أسوأ من الجهالة قط ، فى هذه الدنيا الخربة المليئة بالضرر .

يقول فى المناجاة

– يا من أنت نفس لكل الأقوياء ، ويا واهب العطايا لكل المحتاجين .

(١) أى أصفر اللون .

- لقد جعلت فعلى طيبا فى نفسى ، فأنت أكثر حنانا على من نفسى .

١٥٦٠ - ولينست هناك حدود لرحمتك ، وليس هناك وسط لنعمتك .

- فاعط العبد الدين من ضمن ما تعطيه إياه ، واجعله قرينا لرضائك .

- وجمل قلبى بذكر قدس الدين ، واضرم النار فى نسب ريحى وترابى .

- فالهيبة والعطاء يكونان منك ومنى يكون السقوط والتعثر .

- ولست أنا يقظا فخذ سكرى ، وأنا عاجز فخذ بيدى .

١٥٦٥ - وأنا أعلم يقينا أننى مستور منك ، وغطاء سترك جعلنى مغرورا .

- وأنا لا أعلم من هو المطرود فى سابق علمك ، ولا أدرى أيضا من هو المستدعى فى العاقبة .

- وأنا عاجز عن غضبك وعن رضاك ، وشكواى هى الأخرى لا تجدى نفعا .

- وقد أصبح القلب الضال باحثا عن الانابة ، وصار إنسان العين غاسلا للجنابة .

- فبين الطريق للقلب الضال ، وافتح بابا أمام إنسان العين .

١٥٧٠ - ذلك أنه لا يكرم من ملكوتك ، ذلك الذى يخاف من الاستغناء لديك .

- ويا أيها الراعى الرحيم هذا هو قطيعك ، وأى حديث هذا يا من الكل أنت .

- ويا أيها الواحد الخلق كلها (متوجهة) لحظيرتك ، والذئب ويوسف (سواء) لمنزل تصويرك .

- فتجاوز عن (سيئات) جسدى وقلبى ، فقد قل حزن القلب من أجسادنا .

- فأنت تكرمنى إذ يقسو على الآخرون ، وأنت قابلى إذ نبذنى الآخرون .

١٥٧٥ - وكيف أتهجد لمن هو سواك وهم موتى وحسبى أنت صديقا .

- ولماذا أتعب نفسى بالخطاب بأنت والثنوية ، وقد صار يقينا أن « أنا أنا » و « أنت أنت » .

- وماذا أصنع بوجودك ليكن الفناء للجميع ، فما دمت أنت لا كانوا جميعا .

- ورياح نعمائك هى وجود الدنيا ، يا من يكون الأذى منك خيرا من نفع الدنيا .

- وأنا لا أدرى أى شخص هذا الذى أصابته الحيرة منك كثيرا .

١٥٨٠ - ولا يكون الشخص حيا إلا بعنايتك ، ولا يستطيع أن يحيا دون رعايتك .

- ومتى يحترق ذلك الذى معك ، ومتى يجد الرزق من هو بدونك ؟

- فقد شربت ما أمرتنى بعدم شربه ، وقد فعلت ما نهيتنى عن فعله .

- ومعك أكون صحيحا (كالسنبلة) ذات ست حبات ، وبدونك أكون ضائعا (فى قبضة) الطحان .

- وأنا من حزن الموت فى عذاب ، فكن حبيبا لى حتى لا أموت .

١٥٨٥ - فأى حديث وسيف أرسلتهما إلى ، ومن أكون منك يا من أنت النجدة لى .

- وأى خير وشر يكونان فى قبضة التراب مع قبولك أنت يا منزها عن العلة .

- وتكفى قيمة التراب أن يكون له لسان من ثنائك .

- وعزك رفع ذل التراب ، ورفع رأس التراب حتى العرش .

- ولو لم تعط الأذن بالكلام ، فمن الذى يذكر اسمك مع كل بعده عنك ؟

١٥٩٠ - وإذا لم تكن للخلق جرأة قط ، لمدحوك دائما على المجاز .

- وأى شىء يفتح على عقلنا وسكرنا ، إذ أننا صغار ووجودنا صغير .

- فطهر أنفسنا من الشرور ، فأى شىء تكون قبضة التراب أمام الطاهر .

– وبالرغم من أننى صغير أمام حكمتك ، فمن أكون إلا طيب أو شرير .
– ويكون شرنا خيرا لو قبلته ، ويكون خيرنا شرا إذا لم ترفعه إليك .
١٥٩٥ – وخيرى وشرى كله أنت يا رب ، وإن كان لا يتأتى منك شر وهذا هو العجب .
– فالشرير هو ذلك الشخص الذى يفعل الشر دائما ، والخير دائما جدير بك .
– فأنت تريد الخير بالعبيد جميعا ، وليس لعبيدك عنك خبر .
– فأعذر جهلنا فى هذا الحجاب من الهوى والهوس وحسبك علمك .
– فإذا كنا قد قمنا بصفات الكلاب فى أعمالنا ، فذلك لأنك لم تضع « الأسدية » فينا فاصفح عنا .
١٦٠٠ – وعلى باب فضلك وحضرة جودك ، ومن أجل انجاز لطف موعودك .
– ما هو منسوب إليك فتوفير ، وما هو من فعلنا فتقصير .

فى كرمه وفضله

– أيها الإله القائم والقدوس ، ملكك لا هو مماس ولا هو محسوس .
– فنحن منك منتصرون ولسنا عليك بمنتصرين ، ومنك مكتفون ولسنا عنك بمكتفين .
– فإذا لم يكن كل شخص شيئا فى نظرنا ، فإن كرمك ليبشرنا حتى وإن لم يكن كثيرا .
١٦٠٥ – وقد أعطيتنا الدين فاعطنا اليقين ، ولو كان هذا موجودا فاعطنا ما هو أكثر منه .
– وأننا ظمآنون إلى وادى السموات ، حتى لو كنا أمواتا على نطع النفس .
– ولا يعرف الإنسان الخير من الشر ، فاعطه ما ترى إنه خير .
– ويا من أنت مراد الذين يصورون الأمل ، ويا من أنت أمل الآملين .
– ويا أيها العالم بالخفى الناظر إلى العلة ، إنك تبلغ أملنا إلى اليقين .
١٦١٠ – وكل آمالنا برحمتك ، وروحنا ورزقنا كلها من نعمتك .
– فهب أكبادنا الظمآنة إلى كوثر الدين شربة مليئة بنور اليقين .
– وليس لى سواك إليك من وكيل ، ليس (هذا الوكيل) من المعرفة أو من الفضل .
– وكل ما جاز على طيب ولا يكون أبدا قبيحا ذلك أن قضاءك هو الذى كتبه .
– وأنا وإن كنت مستغنيا عن كل الوجود ، إلا أنى لست بمستغن عنك فاقبلنى .
١٦١٥ – ولبلبل العشق مراح من البستان ، وهو دائم الترنم يا من أنت كل شىء .
– وقد أخذ بازى احتياجى يطير على رأس السدرة وهذا من حاجته .
– وكل من يسير نحوك تسيره الملائكة ، ويعجز ثانية كل من يبقى على هذا الباب .
– ومن الذى يبلغنى الكلام إلا أنت ، ومن الذى ينجينى من نفسى إلا أنت .
– وأنت لا تجازى بالرائحة أو باللون والفيهقة ، فخلصنى من كل هذا يا من أنت كل شىء .
١٦٢٠ – بل تجازى بالعجز والمسكنة والضعف ، ولا تشترى الحمارية والتردد والطراوة .
– والتعب على أعقابك راحة ، والصمت كله فصاحة .
– فاقتل الجميع مع أجل الجميع ، ثم اقبل دياتهم جميعا .
– وأى شىء تحويل عنان الأمل عنك إلا آية الزلل وعلامته .
– وإنما تنبت صورة القهر فى قلب كل من يبحث عما سوى حب حضرتك .

١٦٢٥ – وسيرتنا من صورة الأشرار ، فحررنا منها يا أيها المهيمن على الأسرار .

فى الإنابـة

– يا خالق العالم ويا مزين الروح ، ويا مبد الطريق للعقل بالصدق .
– وكل السذج (يحشرون) فى جنة الفلك ، أما كل الذين احتسوا جهنم ففى جنتك .
– وأى خير أو شر أفعله على بابك ، وما دمت موجودا فبماذا تفيدينى الجنة .
– ومن الذى يظهر غرض نكتة العليم والقدير من مرآة التزوير .
١٦٣٠ – وحين يملأ دم القلب الكبد بالثقوب ، فسواء جهنم وجمرة الطباخ .
– ذلك أن النار تصير جنة من خوفه ، والتراب دون قالب يصير كالحجر .
– ومنك (يوجد) العاشقون الضاحكون الباكون ، ومنك (يوجد) العارفون الباكون الضاحكون .
– فهيىء لنا الجنة فى جحيمك ، ذلك أنه بدونك يرضى العامة بالحور والعين .
– ولو أرسلتنى إلى جهنم من بابك ، اذهب (سائرا) على رأسى لا على قدمى .
١٦٣٥ – وذلك الذى يخالف أمرك يجعل على قلبه غلافا من غفلته .
– والزمن والفعل والقوت للجميع منك ، ويكون الصديق حية والحية صديقا منك .
– ولست (بلا تأمن) أكون ضائقا منك ، ولست بـ « لا تقنطوا » أكون جريئا .
– وإذا جعلت السم قرينا لروحى ، لا أجرأ على القول بأنه أكثر مرارة من السكر !
– والشخص الوضع الخسيس هو الذى يأمن مكرك .
١٦٤٠ – وكلاهما سواء أمنك ومكرمك ، ولكن العاقل هو الهلع من مكرك .
– ولا ينبغى أن يكون المرء آمنا من مكرك ، ذلك إن الطاعة والمعصية لا تجديانه نفعا .
– والآمن هو ذلك الشخص الذى لا يكون خبيرا بمكرك عند فعل الذنب .

فى الإخلاص والمخلصون على خطر عظيم

– ما دام الأمر من بلاطك ، فقل اسحق النوم تحت أقدام خيل الخيال .
– ويكون مثل الشمع ذلك الذى تبقى له « أنية » يضحك فى وجهك حينما تقطع رأسه .
١٦٤٥ – وماذا أصنع معك بالجاه والعقل والمال ، وكيف أحول إلى « ذاتك » الدين والدنيا .
– فاعطنى القلب ثم انظر إلى شجاعتى ، واستدعنى إليك وانظر إلى « أسديتى » .
– فلو أننى أملأ جعبتى من سهامك ، لحززت وسط جبل قاف .
– فأنت صديق لذلك الذى لا يكون بلا عقل ، وأنت حارس لذلك الذى لا يكون لنفسه .
– فافتح لى الباب إذا عجزت ، وما دمت قد ضللت الطريق فدلنى عليه .
١٦٥٠ – والذى يرى نفسه لا يرى الله أبدا ، والرجل الذى يرى نفسه لا يكون رجل دين .
– وإذا كنت رجل شريعة ودين ، فابتعد شطرا من الزمان عن رؤية نفسك .
– ويا أيها الإله الخالق الغفور ، لا تجعل العبد بعيدا عن بابك .
– وأنا متعلق بنفسى فأيقظنى ، واجعلنى ظمآنا إلى نفسى ولا تعطنى الماء .
– فأى بحث للقلب عن هذا وعن ذلك ، وأله هوالدليل إلى مقصدك .

١٦٥٥ – وها أنت تأخذ فى انفاق عمرك فى العمل ، مثل حمار بلا لجام أمام خضرة .
– وتطوف عابثا حول كل مدينة ، فاطلب الحمار من هذا الطريق إن كنت قد فقدته .
– وإذا كانوا قد سرقوا الحمار فى العراق ، فلماذا إذن رأوك فى يزد والرى !
– والجسور كثيرة حتى لا تعود كليلا ، وما دمت قد عدت كليلا فسواء البحر والجسر .
– فاجعل من علمه وعدله مؤونة فى هذا الطريق ، ولا تفكر أبدا فى الجسر .
١٦٦٠ – ولا تقصد السفينة فهى مليئة بالخطر ، ورجل السفينة لا علم له بالبحر .
– وفرخ البط يطلب قيادة السفينة وإن كان محدثا وضئيلا وهذا هو العجب .
– ذلك إن فرخ البط وان يكن ابن الأمس ، إلا أن ماء البحر يصل إلى صدره .
– فكن أنت كالبط والدنيا كالماء الجارى ، لتكون آمنا من قعر البحر الذى لا نهاية له .
– وفرخ البط يجعل الملاح يعود كالأبله فى وسط بحر عمان .
١٦٦٥ – فيا رب قلل من بلهاء هذا العالم ، وذلك من أجل عز الإنسان .
– ولو أنك تملك قدما فى طريق القدم ، فانك لا تترك بحر القلزم من يدك .
– والقَدم التى هى قرينة للقِدم ، هى جسر خارج سطح المحيط .

فى قضائه وقدره وأمره وصنعه

– لقد أعطاك من حكمك التمنى وأمر الدين وعقل الدنيا .
– وكل ما يولد من العالم فهو من الأمر ، وكل ما يقوله النبى فهو من الأمر .
١٦٧٠ – والكفر والدين والجميل والقبيح والقديم والجديد ، « يرجع الأمر كله إليه » .
– وكل من هم تحت أمر الجبار قائمون على وفق الأمر .
– كلهم مقهورون وقدرته قاهرة ، وصنعته على ظهورهم ظاهرة .
– كلهم موقوفون لقدرته وحلمه ، وكلهم محبوسون لسابق علمه .
– العامى ومن هو من العلماء ، والمحكوم ومن هو من الحاكمين .
١٦٧٥ – كلهم عائدون إلى حضرته ، وكل من له منة فالمنة له .
– وقد نقلت أسبابه العقل ، وقد قطعت أنسابه سبيل النفس .
– ومثل النفس بالنسبة لعالم الروح ، مثل الأعمى وجوهر عمان .

حكايـــــة

– أبدى شخص جوهرا لأعمى ، وكان هذا الشخص من الذين يجيدون السخرية .
– (وسأله) : ماذا تريد من هذا الخرز ؟ فرد : أصنع لى عقدا وسمكتين .
١٦٨٠ – ولا يدرى شخص لماذا تغضب ، أليس المرجان والجوهر كلها بجوهر العين ؟ .
– إذن فما دام الله لم يهبنى هذا الجوهر (العين) ، فاحمل هذه الجواهر من أمامى ولا تسخر .
– وإذا كنت تريد ألا يضحك الحمار عليك ، فاحمل الجوهر إلى الخبير بالجوهر .
– ويد الخبير بالجوهر تعلمه جيدا ، حتى حينما يسوق كف قدمه على الصدف .
– وأنت تعلم جيدا أن يد صنع الله عز وجل فى فضاء الأزل .

١٦٨٥ - لو كتبت حرفا من أبجديتها ، لا تستطيع أن تسحب رأسك منه .
- وقد جعل أمر الله فى كل فن ، القوة حبلى بالفعل .
- بحيث أنهم حينما يفتحون طريق المشيمة ، تلد الحامل من ذلك الطريق الذى فتحوه .
- وذلك الذى يخضع العدم لأمره ، متى يستطيع الوجود أن يعصاه ؟ .
- وقد جعل بأمر واحد الجملة أيقاظا ، وكلهم أتوا فى (دائرة) الفرجال .
١٦٩٠ - وكل ما يكتبه الأستاذ ويسوقه ، يستطيع الطفل أن يقرأه فى المكتب .
- وقد صار العقل قلما وصارت النفس دفترا ، والمادة قابلة للصورة والجسم للصور .
- وقال للعشق : لا تخف إلا منى ، وقال للعقل أعرف نفسك .
- والعقل دائما من رعية العشق ، وبذل الروح من حمية العشق .
- وقال للعشق كن ملكا ، وقال للطبع : كن قيما .
١٦٩٥ - ومن العناء الذى أطعمه للأركان ، احصل أنت إذن على ماء الحيوان .
- فما دام يخلق منه مادة لنطقك ، فإنما يقامر به فى طريق روح القدس .
- فيعود الروح القدس إلى النفس ، وتعود النفس موفقة كالعقل .
- وهكذا أسلوبه من بداية الأركان حتى نهاية الجان .
- وكلها نحوه عودة الدهور ، ومقروء فى الكتاب « إليه تصير الأمور »[1] .
١٧٠٠ - والمختار (موجود) تحت حجبه ، والمجبور مقيد بأغلاله .
- وكلاهما من أمره التحت والفوق ، والبشر غافلون عن الخير وعن الشر .
- كل ما كان وكل ما سيكون (منه) ، وإنما استطاعوا أن يفعلوا ما أمر به .
- ويعلم ذلك الشخص العالم بالدقائق ، إن كل ما صنع لك فيه الخير .
- واسم الحسن والقبيح منى ومنك ، وأمر الله دائما طيب فى الحقيقة .
١٧٠٥ - والله عز وجل عالم أى مقر لك وأى محل .
- ويعلم الله جيدا سر قلبك ، ذلك أنه هو الذى صور صورتك أول الأمر .
- فمتى يصير عقلك مدركا له ، وأى شىء يبديه (هذا العقل) لك إلا الشك فيه .
- كل ما يكون من عند الله فهو دائما طيب ، وكل ما هو منك فكله أخطاء .

فى الشـــــوق

- من كثرة ما فى هذا البراق من شوق ، يكون الشوق فى رقبته كأنه الطوق .
١٧١٠ -وما دام قد جعل الخليقة سجنا له ، فروحه دائما تطلب الخلاص .
- ويضرمون النار فيه من الداخل ، فيحرقون بها العقل والروح والجسد .
- وما دمت عاشقا لنفسك لا ترى إلا نفسك ، وتكون بوتقة التوبة من أجل هذا .
- وكل من كانت له محلة العشق جديدة ، يجد من توبته مفتاحا للبوابة .
- والشوق دون حبيب سرور فى حد ذاته ، وصاحب نفسه يكون بعيدا عن الله .
١٧١٥ -وهناك شوق يلقى بذوقك إلى الجحيم ، وهناك شوق يدللك وكأنه الحور .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ الشورى ٥٣ .

- وحينما تخرج الروح من البوابة ، يصير القلب القديم جديدا منها .
- فيحرر الصورة ثانية من قيد الطبع ، وبعيد القلب وديعة للروح .
- ومن سير الروح الذى لا نهاية له ، تحدث الجلبة من الأرض حتى العرش .
- ويسير من ريح الشوق ومن ألمه ، وإذا مر على امرأة يراها كالرجل .
١٧٢٠ -وكل ما يشعل نار الفتنة فى الطريق ، ينهض جميعه من أمام الطريق .
- فيشكو من أجل رباط ساق ، ويصير العهن الملون أمامه كالجبل .
- ومن أجل أن تصعد ناره إلى الملأ ، تزرى بالبحر .
- وحينما يثيرون (الشوق) منه ، تتساقط الشموس أمامه .
- وحينما ترى بصيرته نور الطريق ، فإنه يرى الشمس مظلمة إلى جانبه .
١٧٢٥ -وليس هناك فى تلك الدنيا خير أو شر ، وليس هناك تراب أو شمس أو نجوم .
- وكل من كان له العشق سكنا ، يكون بحثه وسعيه داخل قلبه .
- وتدور السماء حول من عداه ، وعلى الأرض يسكن كل من سواه .
- وفى كل من لحظاته ينقلب الكفر دينا ، وفى كل نفس تنقلب الأرض إلى سماء .
- ومن أجل جهاده وسعيه يغسل جبريل وجهه بماء الحيوان كل زمن .
١٧٣٠ - ويكون العقل مندهشا من صياح قلبه ، ويكون هزيم البرق شررا لسنابك جواده .
- ويصير إنسانا محترما من أجل الطريق ، و « مالك » ألمه متأوه من النار .
- فلا يدرك صبور سر آهاته قط ، ولا يفهم غيور خطواته قط .
- وحينما تنثر سنابك جواده التراب ، يصنع جبريل حنوط روحه .
- ويكون مسرعا نحو عالم العدم ، تصرخ فيه الريح قائلة : أن قف لحظة .
١٧٣٥ - ويكون المصطفى واقفا ببابه ، قائلا من قمة اللطف « يا رب سلم » .
- ويعلق من أجل الإشراف ، من باطنه ميزان الانصاف .
- ويزين الخليل منزله فى ضيافته ، وتقرع عصاه روح جبريل .
- ويوصل الجميع ثانية بنفسه ، فلا يكون لشخص قط وجود منه .
- كلهم موجودون وكلهم عنه بعداء ، ومقروء فى الكتاب « تصير الأمور » .
١٧٤٠ - ومنه الخير والشر قوة وحول ، وأمره يكون « ما يبدل القول » .
- ولا يكون لأمره تغير أبدا ، ولا يكون للخلق منه إلا الحيرة .
- ويكون الحقد والبغض عن صفاته بعيدين ، وإنما يكون له الغضب حين يكون مقدورا .
- ويكون قادرا على كل ما يرغبه ، وكا ما يريده يكون فى حكمه .

فى نفى الصفات المذمومة عن الله تعالى

- لا تجوز صفة الغضب فى حق الحق ، ذلك أن صاحب الغضب لا يكون إلها .
١٧٤٥ - والغضب والحقد كلاهما مجبور ، وكلتا الصفتين بعيدتان عن الله .
- فالغضب والحقد والحسد ، ليست من صفات الفرد الأحد .
- وكل الرحمة تكون من ثمار الخالق ، وهو الستار على عبيده .

– وهو الذى يعطيك النصيحة برحمته ، وهو الذى يجذبك إلى نفسه برسن اللطف .
– وإذا لم تأت يدعوك إلى نفسه ، ويقدم لك الجنة متلطفا .
١٧٥٠ – ذلك أن الوجود فى هذه الدنيا ألم ، وأنت من الجهل قد أخذت طريق الألم .
– وأنت كالصدف لدر التوحيد كما أنك الخلف لآدم الجديد .
– فإذا أضعت أنت در التوحيد ، لصرت فى الإفلاس بعد الغنى فريدا .
– ولو أنك حفظت هذا الدر ، فإنك سوف ترتفع برأسك عن (السموات) السبعة وعن (الجهات) الأربعة .
– وتصل بعد ذلك إلى سرور الأبد ، ولا يصيبك من الخلق أذى قط .
١٧٥٥ – وتصير مرفوع الرأس فى الزمان ، وتحلق فى فضاء الأزل كأنك البازى .
– وتصير أيدى الملوك لك منزلا ، وتخرج كلتا قدميك من قعر الطين .

التمثيل فى « هو الذى يطعمنى ويسقينى »

– حينما يعلمون البازى حرفة الصيد ، يقيدون رقبته ورجليه .
– ويغمضون عينيه تماما ، ثم يعلمونه الصيد .
– ثم تعود طبيعته عن الأغيار وعن العادة ، ويرفع العين عن الآخرين .
١٧٦٠ – فيصير راضيا بأقل طعام ، ولا يتذكر أبدا طعام الماضى .
– ثم يردونه إلى نفسه ويسيرونه ، ويفتحون بعد ذلك طرف عينيه .
– حتى يرى أن الجميع هو صاحبه ، ولا يختار واحدا من الخلق عليه .
– يأخذ منه كل الطعام والشراب ، ولا يذهب ساعة بدونه إلى النوم .
– ثم يفتح له بعد ذلك عينا واحدة ، فينظر إليه برضا لا بغضب .
١٧٦٥ – فيتخلص من الرسم ومن العادة ، ولا يختلط بشخص آخر بالطبع .
– ويلزم للهو الملوك وأيديهم ، ويتزين المصطاد به .
– وحينما لا يجد الرياضة يبقى وحشيا ، وكل من يراه يهرب من طريقه .
– وبدون الرياضة لا يجد أحد المقصود ، وما دمت لا تحترق فسواء لديك الصفصاف والعود .
– وما أسعد ذلك الذى يأخذ طعامه وشرابه من المسبب لا من الأسباب .
١٧٧٠ – فاذهب وزاول الرياضة إذا أردت أن تكون بازيا ، وإلا فتهيأ لطريق الجحيم .
– والآخرون غافلون فكن منتبها ، واقصر لسانك عن الكلام فى هذا الطريق .

التمثيل فى معنى « أولئك كالأنعام بل هم أضل »

– حين يبلغ المهر ثلاث سنوات تماما من عمره ، يضع مروضه اللجام فى فمه .
– ثم يأخذ فى تهذيبه ، ويرفع الجموح عن جسده .
– فيعود المهر على اللجام ، ويصير اسمه الجواد ذا اللجام الحسن .
١٧٧٥ – ويكون جديرا بأن يحمل الملوك ، فيزينونه بالذهب والزينة .
– وحينما لا يكون مناسبا للرياضة ، يكون هذا المهر أقل من الحمار .
– فيكون مصيره ثقل الرحى ، ودائما ما يكون من الأحمال فى عناء .

- ويجر أثقال اليهود حينا وأثقال النصارى حينا بعناء وألم وبلاء .
- والإنسان الذى لا يأخذ نفسه بالرياضة ، لا تكون له أية إفاضة أمام العالم .
١٧٨٠ - فيصير طعام جهنم وخائفا ، وفى الجحيم يكون مع الحجر سواء .
- ويكون له مقام الخوف والهلع ، وقد قرأ فى النص « وقود الناس » .
- فاجعل النفس قابلة للأمر ومرها ، وعرف العقل بالإيمان واعطه الإيمان .
- وصورة الشمس تنعكس من الماء على الجدار ، ويصير السقف مزينا من أشعتها .
- فعد الأولى من انعكاس الشمس ، وعد الثانية من انعكاس الماء على الحائط .
١٧٨٥ - ولا تكنس الروح تراب الحضرة إلا بإذن ، وذلك من خوف الهجران .
- وأولئك الذين هم فى الزمان والمكان ، من أمر « كن » حتى نهاية الروح .
- قد أمرهم من أجل خدمة الحضرة ، أيها العقلاء « أطيعوا الله » .
- والأنفس كلها من نباتية إلى ناطقة ، كأنها العبيد باحثة عنه .
- والكفر قبيح بالنسبة لها والدين طيب ، فهى من الدين ترى الصورة حتى فى جلد الحمار .
١٧٩٠ - فلو أنك بدونه فليس هناك قصد أو قوة ، وأمر الدين لا يكون بدونك أو بدونها .
- وليس أمر دينك بالأمر الهباء ، ولدين الحق يوجد سوق دائما .
- والدين الحق هو تاج المرء وخوذته ، فلم تكون لائقا بتاج من ليس برجل .
- فاحفظ الدين حتى تصل إلى الملك ، وإلا فاعلم أن من لا دين له لا أحد .
- فسر فى طريق الدين فإنك حينما تسير فى طريق الدين ، لن تكون كفرع شجرة يشكو من عرية (من الأوراق) .
١٧٩٥ - فما أحلى طريق الدين وأمر الله ، فاذهب عن الطين الكدر وأخرج منه قدميك .
- وفى طريق الجبر لله واختياره ، ليس أمر الله بك أو بدونك .
- فكلها من صنع الله ، والذى يعرف ذلك هو الشخص الحسن الحظ .
- فسر فى هذا الطريق وخذ دليلا من علمه وعدله ولا تفكر .

فى الرضاء والتسليم

- إن لوجود الحق صنعا لطيفا أثناء الحكم من أجل الروح .
١٨٠٠ - ويعلم ذلك الشخص العالم بالدقائق ، إن كل ما يفعله لك فيه الخير .
- وليس الخير من الميل كما أن الشر ليس من الأسباب ، والشر ليس من القصد ولكنه يجلبه .
- واسم الحسن والقبيح منى ومنك ، وأمر الله دائما ما هو طيب فى الحقيقة .
- ولو أن (الناس) جميعا فى ظاهرهم خيرون ، إلا أن الباطن دائما معيوب .
- ومتى تتواءم الرياح مع شراع زورقك بحكمك المطلق ؟
١٨٠٥ - وليس الخير والشر فى الدنيا خالصين ، وليس هناك شىء خاف عنه فى الأصل .
- فالموت ولو أنه إلى حد ما سىء فهو خير لك ، ومنه يكون لك المال والميراث .
- وكل ما هو فى الخلق احتراق أو مواءمة ، فإن لله فيها سرا .
- فما أكثر الأسود التى هى صيد لك ، وما أكثر المتألمين الذين هم دواؤك .

فى الحـذر عن القـدر

- من الذى يكون للعبيد حذر من القدر ، إنه ليس منهم بل هو أيضا من القدر .

١٨١٠ -وقد وضع قدره وتقديره كالقبضة ، ذلك أنه يعلم دائما الشرف والعار .

- فذلك الذى يرتاح إلى كل خيال كالبربط ، يتألم من عرك الاذن دائما .

- وأمام ديوان حكمه من الذى يستطيع أن يشكر ضربة الحق إلا الرجل .

- فطيور عجاج الحكم لا تعمل أسنانها كالسندان من أجل أرواحها .

- ومن الذى يتأوه من قضائه ، اللهم إلا سيء الأصل أو الضال .

١٨١٥ - فمع قضائه تكون آهاتك هباء ، وقلبك حزين دائماً مع قضائه .

- وحينما لا تكون راضيا عن القضاء ، فإنك لا تعرف الله بالله .

- ومن الذى يفعل فى هذا الطريق ما ينبغى فعله ؟ من الذى يستطيع أن يأكل قفاه ؟

- فيجب - يا عزازيل - أن تفعل ماينبغى فعله ، حتى ترد عنك يد لعنته .

- فالصفعة التى تصيبك من يد الحبيب . تكون (بالنسبة لك) كأنك تأكل الجوز دون قشرتيه .

١٨٢٠ - وأولئك الأبطال الطيبون مع الله ، يتحملون الحكم كالجمال ذات السنامين .

- فهم كالمصابيح وإن كانوا فى قيد ، إذ أنهم يضحكون وهم يجودون بالروح .

- وكل ما يبدى القلب من بلاء فمنه ، إن كان واحدا و إن كان ألفا فهو مقبول منه .

- وحكمه وتقديره لا يكونان بلاء ، وكل ما يأتى به فليس إلا عطاء .

فى الرضا والتسليم بحكمه وقضائه

- تكون طراوة الروح للأبلق الذى يتوجه شطر منزله (ناتجة) من سوطه .

١٨٢٥ - وكل من يشرف من سهمه ، يحوز على بصائر فى أثر الهدف .

- وأنت يا من وضعت على النار محصولك ، لقد أقمت على الريح سقف بستانك .

- فإذا مزق السيف جسدك فتأوه ، وإذا جرحك الحق فإستبشر .

- وكل ما فيه راحة لك بدون رضا الحق ، اعلم أنه ليس راحة بل جراحة .

- وما دام الحلو والمر كلاهما منه ، فليس أحدهما سيئاً فكلاهما خير .

١٨٣٠ - وتكون قلوبهم سعيدة طيبة بفراق المال والعيال ، وكأنما (تمر عليها) ريح الشمال .

- فمادامو موجودين فى هذا العالم الكئيب ، فإنما يتذوقون رفسات الإبل كأنها الكعك .

- وحينما يصيبون أنفسهم بالحماس أثر العشق ، فإنهم يلينون رقاب الأيام .

- وتكون العقبى مهيأة لهم ، وذلك من أجل أنهم يتقدمون برغبة من الدنيا .

- وحينما يملكون سر عشق تلك الدنيا ، يكونون مثل الشمع يملكون احتراق الروح ..

١٨٣٥ - يكون الزمان كالعبد أمامهم .. ويزداد الدهر من أنفاسهم .

- ويكون الزمان أقل عبيدهم ، ومن الآمال يكون القلب (خالياً) كالمقبرة .

- وما دام الضعف والأمل غير موجودين عند هؤلاء الأشخاص وأرواحهم تأكل الجسد كالشمع دائماً .

- واستحسن مره بقلبك كأنه الخمر ، واملأ القلب مثله بالماء والنار .

- وذلك الذى أودع الروح بعهده ووفائه ، هو حى فى كنفه و إن كان ميتاً فى كفنه .

١٨٤٠ – وقد نهض مثل القلم أمام أمره ، ربط روحه على وسطه كالحزام .
– ومن أجل وفاة بذرة النفاق ،فهو نادرا ما يحمل نقد خوارزم إلى العراق .
– ولا يستبدل الله بالكيسة . من أجل دانقين من الفضة المزيفة .
– وكذلك كان حظ المقيمين فى الجبال ، ونادراً ما يوثر المسحل فى شوارب الحرص .
– فجاهد فى رضا الله ولا تبعه بلا شىء كالعبيد .
١٨٤٥ – وكن كرة فى حكم صولجانه ، وقل « سمعنا » و « أطعنا »[1] .
– وحين يقول : أقم الصلاة فأقمها ، وحين يقول : لا تفعل : اذهب ولا تكابر .
– وحين يقول لك أنفق لا تدخر أبداً ، وحين يقول لك أمسك لا تعط .
– وليس هذا على سبيل المجاز بل على سبيل التحقيق ، وهكذا وضع على الجميع دون تصديق .
– وقد دخل أحدهم وقد التف بكليم ، واحتسى صفو الألم ومره .
١٨٥٠ – فصار جناح جبريل على موافقته ، وصارت مناقبه كالكليم موسى .
– فاعتبر رخصته هدية تمنح منه ، ولماذا ترد عليه إذن رخصته ؟
– فليست ذاتك (قائمة) بالعمل منك ، ومن أنت حتى (تساوى) بينك وبين الله .
– وحيثما كان ذكره من تكون أنت ؟ ، فسلم كل شىء إليه فأى شىء أنت ؟
– فلا تجادل معه كثيراً إذ أن الزمان له ، وإذا هربت منه فاهرب إليه .
١٨٥٥ – فأودع الروح والجسد للخالق ، حتى تجد المؤونة داخل القصر .
– وذلك الذى صار حارساً للمنزل والسر ، يبقى كالمزلاج وراء الباب .
– وقد أعطيت الروح والحاجات منه ، فلماذا إذن تبخل بها عليه ؟ .
– فقامر بالروح وما تملك فى طريقه ، ولا تبن المنزل على طريق السهل (ومجرى) النهر .
– واوقف الجسد والمال على الغيب ، حتى تصير مثل مفتاحه فى الجيب .
١٨٦٠ – فاقتلع جبر « ما رميت »[2] عن الصدر ، واعلم ثانية أن « ما رميت » هى سر القدر .

فى الكرامــة

– إن كل من لا لسان لهم يجدون اللسان ، حينما يشمون رائحة الروح من داخلهم .
– فيخطفون قلبه من إسار الملك ، ويظهرون له ملكوت دنياه .
– حتى يطير عقله فى أثر السر حول ميدان العشق .
– وحينما أخفى قلبه وروحه وصار باحثاً عن الحق ، صار لسانه حقيقه قائلاً : أنا الحق .
١٨٦٥ – وليس طريق الدين بالصنعة والعبارة ، وليس إلا خراب الباب والعمارة .
– وحينما تصير صامتاً فأنت من المناطقة ، وإذا تحدثت كنت على طريق البطارقة .
– ويجب أن يكون الرجل مثل الخليل ، حتى يكون له من الحق الظل الظليل .
– ويخشى الزمان هيبته ، ويلهث فى سبيل تعليمه .
– وكان مجد عونه لموسى الذى كان نائماً فى الكون هلاكاً لفرعون .

---

(١) ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ النور ٥١ .
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ الأنفال ١٧ .

١٨٧٠ – ويكون العرش كأنه الفرش تحت قدمه ، يكون كالبومة (حزناً) ولكنه يصيدطائر البُلح الميمون .
– والعبد الذى يصير مخلصاً لله ، يصير سيد هذه الدار وتلك الدار .
– ويسفر له العقل عن وجهه ، ويتزين جسده من نوره .
– ويبسط لطف الحق ظله على القلب ، ثم يقول « كيف مد الظل » .
– وحين تجد روحه اللمس من الظل ، تبدى له « جعلنا الشمس » وجهها .
١٨٧٥ –وهم يعطون كل من يتوب من هذا الشراب ، ويذرون رائحته ولونه مع الماء والريح .
– ثم يبدوا الفلك والطبع والألوان المتغيرة أمام حسه وهى صاغرة .
– والطريق الطويل من قلبك الغافل ، والكفر والدين من أجل تلونك .
– فعد لقب الألوان مجازا ، واحتس من بحر الاستغناء .
– حتى تسمع بأذن جديدة « وحده لا إله إلا هو » من بين تلك الصيحات .
١٨٨٠ –ولا تنضج فى نفسك شهوة الألوان أكثر من ذلك ، حتى ولو كان عيسى صباغك .
– وكل ما تريده من لون يكون لك ، وتضعه فى دن واحد ثم تخرجه .
– واستمع فى الحقيقة لا من الجهل ، فليست هذه النقطة جديرة بمن ليس لها بأهل .
– إن كل هذه الألوان المليئة بالسحر ، وان دن الوحدة يجعلها كلها ذات لون واحد .
– وحينما توحد اللون أضحى الكل واحدا ، ويرق الحبل عندما يصير خيطا واحدا .

فى العبـــــودية

١٨٨٥ –حتام تسأل ما هى العبودية ، وليست العبودية إلا التجرد .
– فاحمل قيده حتى تكون عبدا له ، وإلا فإن وجودك ضاحك منك .
– وأولئك الذين على بابه ولم يربطوا الحزام الآن عدم .
– ذلك أنهم من أم السنين والشهور ، قد ولدوا والحزام على وسطهم كالنمل .
– فاربط كل أعضائك بالقيد ، وأودع الأموال والأسباب كلها .
١٨٩٠ –وضع قيده على كل الأعضاء ، حتى لا تصير منفصلا عن حبل (الله) حائرا .
– وليست العبودية إلا عن طريق التسليم ، وإذا لم تكن تعلم فاقرأ « القلب السليم »[1] .
– فلا تفرط فيه من أجل الطبع ، فلم يعط أحد كل شىء فى مقابل لا شىء .
– وكل من لم تكن له عين العبرة عمياء ، لا يكون حتى مثل الطير والوحش والدواب .
– وعند من يكون حكيما فى طريقه من الرضا ، تصير حركة الأفلاك عقيمة (لديه) .
١٨٩٥ – والعبودية فى دار مبدع الكل ، هى العجز والضعف والهوان والذل .
– ويكون البعيد بعيدا فى معاناة البلاء ، ويكون المرء عبدا من نشأته فى العبودية .
– وحينما تكون حكمة القدم هى الساقى ، تقوم أنت بالاختيار فيما يتبقى .
– فهناك ألف درجة ودرجة فى الدين ، وأقلها ذلك الذى له طريق بدونك .
– وإذا كنت تريد جسدا كخلية النحل ، فالق المجن أمام سهام القضاء .
١٩٠٠ – وكل من أمرضه سهم القضاء ، لا تقبل جراحته الدواء .

(١) إشارة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ الشعراء ٨٨ ، ٨٩ .

- وضربة سهم القضاء كاسرة للمجن ، ولم ينج شخص من جراحها قط .
- وأنت لا تنجو من البحر أيها الفضولى الأهوج إلا بدون يد أو قدم .
- وكل من لهم قلوب عارفة ، فانهم يفصلون القلب عن الكيفية والسببية .
- ويكون أمام أذى سهم أحكامه ، باقيا كالصيد فى شباكه .

١٩٠٥ - فمن الذى كتب عليك النفع والمضر ، اقرأ إذن أمر « قل لن يصيبنا » .
- فمن أجل روحك كتب الأمر الربانى ليلا ما تقرأه أنت نهارا .
- وقد ضاق قلبك من أجل جيم الجهل والعقل السقيم كأنه دائرة حرف « الميم » .
- وظاهر الحكم مخبر عن باطنه ، وأول الحكم يدل على آخره .
- فالق بنفسك فى الماء فليس منا يكون علم السباحة فى البحر .

١٩١٠ - وحينما يتوجه إليك البلاء من أعلى اذهب وقل « الله » ولا تقل « آه » .
- وحينما ينظر ناحيتك حكم الحق ، احذر وسد سريعا طريق الآه .
- حتى لا تجعلك تلك الأهة شريرا ، وحول تلك الآه أيضا عن طريقها .
- ومتى كان حذرك نافعا للقضاء ، لا تجعل كبدك دماء عبثا .
- واليد والشفة تحت يد مبدع الكل ، هى صانعة أيكة السرو وبرعمة الورد .

١٩١٥ - فكن صفقة فى يد قيمه ، وكن عظاما لطائر مجده .
- ولا تقبل كل ما هو سوى الحق ، واصرف القلب عن الأغيار كلهم .
- واهنأ بوجهك أمامه كالشمع ، وتمنطق بالماء وضع تاجا من النار .
- فأنت مصباح أمام حب الملأ الأعلى ، فابذل الروح مثله واضحك بسعادة .
- وابذل الروح برغبتك فليست للروح قيمة فى تلك الدار من الانكار .

١٩٢٠ - فذلك الذى يتنفس برأس مقطوع ، إنما يحمل حكمه بنور بصيرته .
- فهو لا يلوى الرأس من حكم الله وأمره ، بل يجلس صامتا فى مكان واحد .
- ويسلم نفسه وأيته للنار ، فهى حرقة على النمرود وبستان على إبراهيم .
- وإذا لم تتحول أمام نفسك إلى شحاذ ، فإن الإله لا يكون بالنسبة لك إله .
- فاجعل الروح هدفا لسهم حكمه ، واجعل الإيمان صدفا لدر عشقه .

١٩٢٥ - فأنت تقول أن هناك مكانا لمقلوب الشرع (العرش) ، فأين إذن تبحث عن مقلوب العرش (الشرع) ؟ .
- فمن هذا يعلم الله رمز الكلام ، فابحث إذن عن إشارته فى الإشارات .

التمثيل فى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام

- هل سمعت ما قاله الخليل حين ألقى فى النار لجبريل فى السر ؟ .
- لقد أخرج الرأس من كوة الروح ، و (قال) أيها الأخ ابتعد أنت من بيننا .
- (هكذا) قال لجبريل فى السر « رب يسر »[1] فى الأمر العسر .

١٩٣٠ - فصار ناجيا من منجنيق الحكم ، حرا أثيريا كما يدور الهواء حول الحى .
- (فرد عليه) حسبى أنا دليلا لطريقك ، فأنا جبريل وأريد لك الخير .

(١) ﴿ وقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ طه ٢٦ .

- وفى مثل ذلك الحال قال الخليل بنواح ومن أجل اعتماده وحفظ الوكيل :
- مهما كانت قدمى أيها الموكل مقيدة على رقبتى الضعيفة .
- ابتعد قدرا من الزمان عن نفسى ، حتى أتنفس معه بدونك نفسا واحدا .

١٩٣٥ - فحسبى عصمته دليلا لى ، وحسبى علمه جبريلا لى .
- وكن حاضرا على عتبته بدون نفسك ، واغمض عينيك ثم انظر .
- والق بحظك من بينكما جانبا ، حتى تجد لذة الإيمان .
- وحينما ترتفع النار من « شجرة شنارك » بالعشق ، فإن النار تجد المدد من النار .
- وحينما ترك الخليل وقته ، رفعت النار يديها عن فعله .

١٩٤٠ - فإذا كان النمرود قد أشعل النار ، إلا أن ناره لم تحرق حينما لم تجد وقودها .
- وحينما وضع العنان فى يد الحكم ، ماتت نار (أشعلت) لمدة ثمانية وثلاثين يوما .
- وانبعث من داخل النار والدخان ، حينما سمع صوت نداء الحق .
- عبير العهد وسوسن التحقيق ، وسنبل السنة وورد التوفيق .
- أجل .. أجل ، فحينما كان صديقا له ، كانت نار النمرود بستانا .

فى الامتحـــان

١٩٤٥ - فى ذلك الزمان الذى يرفعون فيه الحجاب ، فإنهم يبدأون كل الأمور .
- ويكون خيرك وشرك بوتقة له ، حتى تعلم أأنت صديق أم عدو .
- وما دمت تصير فى هذه البوتقة ذهبا خالصا ، فإنك تكون حقيقة كالفضة الخالصة .
- ويحرق الطاهر خبث خبثك ، ويتجاوز تراب قدمك الأفلاك .
- وقد صار فلك المستقيم مكانا لك ، حينما صار إلهك دليلا لك .

١٩٥٠ - فليس هذا بفلك أو بأركان أربعة ، وإنما هو دار لتجربة الإله .
- والخير والشر كلاهما داخل الحجاب ، أما التجربة فهى ناسجة الحجاب وموضع الجلوة .
- وما هو خير من ذلك بالنسبة للعدو والصديق ، أن يكون هو البوتقة والكور والميزان .
- وتفصل التجربة القبل والبعد ، ويكون القليل والكثير منفصلين كالتبن والحب .
- وإذا كان هناك زيادة أو نقصان فى الخيال ، فالتجربة هى دليل الصدق .

١٩٥٥ - وللآدمى الذى هو على معبر سقر ، مكان اجتلاء الكفر والدين والخير والشر .
- وما دام باقيا فى بوتقة الهلاك ، فإنما يصير طاهرا مما لوث به .
- ويصير هالكا إذا لم يطهر قلبه ، وإذا كان طاهرا فأى خوف من رحلته هذه .
- فاذهب طاهرا من هذه الدار المليئة بالشر والفتنة ، وإلا صرت تحت أقدام الدواب .
- وذلك الذى ذهب طاهرا من هذا المنزل ، صار كل ما أراد زاد طريقه .

١٩٦٠ - وذلك الذى هو شرير وملوث ، صار هالكا فى متاعب الطريق .
- ولتجعلن القلب السليم انقاضا وتجاوز عن المتكلم وتحدث عن الكلام .

الباب الثانى
فى الكــــلام

ذكر كلام الملك العلام يسهل المرام

قال الله تعـالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القـرآن لا يأتون بمثله ولـو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ، وقال عـز من قائل : ﴿ ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطـب ولا يابـس إلا فى كتاب مبين ﴾ ، وقال النبى عليه السلام : « القرآن غنى لا فقـر بعده ولا غنى دونه » ، وقال عليه السلام : « القـرآن هو الـدواء من كل داء إلا الموت » ، وقال أيضـاً : « أهل القرآن هـم أهل الله وخـاصته » ، وقـال أيضا صلـوات الله وسلامه عليه : « أصـدق الحديث كتاب الله » ، وقال أحمد أبن حنبل : القـرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

ـ من كثرة ما فى كلامه من لطف وظرف ، ليس فيه ضجيج الصوت أو مشقة الحرف .
ـ فمتى يزن الحدوث صفته ؟ ومتى تستوعب الحروف كلامه ؟
ـ فالوهم حائر من شكل صوره ، والعقل واله من سر سوره .
١٩٦٥ ـ فحروفه وسوره عميقة ولطيفة ، وصورته جذابة ومقبولة .
ـ وقد أخذ المقيم القوة والقوت منه ، فهو وليد الملك وعطية الملكوت .
ـ وسره من أجل حل المشكلات ، روح للأرواح وراحة للقوب .
ـ والقرآن شفاء للقلب المجروح ، والقرآن دواء للقلب المليء بالألم .
ـ فإذا لم تأخذ كلام الله دون شك فيه ، فأنت ببغاء وحمار وبرذون .
١٩٧٠ ـ فأعلم أنه أصل الإيمان وركن التقوى ، واعلم أنه منجم الياقوت وكنز المعنى .
ـ فهو قانون حكمة الحكماء ، وهو معيار عادة العلماء .
ـ فمدحه نزهة للقلوب ، ومنظره سلوة للعقول .
ـ وآيته شفاء لروح التقى ، ورأيته ألم وهموم للشقى .
ـ والعقل والنفس حاجزان على أصله ، والفصحاء عن طريقه عاجزون .
١٩٧٥ ـ وقد ألقى بالعقل الكل فى شدة ، وأجلس النفس الكلية فى عدة .

ذكر جلال القرآن

ـ هو جليل مع حجاب الجلال ، وهو دليل بالرغم من نقاب الدلال .
ـ كلامه واضح ورائق ، وحجته لائحة ولا ثقة .
ـ وحروفه درج لدر الروح ، وهدايته برج لفلك الدين .
ـ وهو للعارفين روضة الأنس ، وهو الجنة العليا للنفوس .
١٩٨٠ ـ ويا أيها القارىء للقرآن غافلا وسائرا فى طريق العصيان ؛
ـ لا ذوق من الحروف على لسانك ، ولا شوق إلى الوقوف على الجنان لك .
ـ فمن كمال الجلالة والسلطان ، يكون القرآن بالحجة والبرهان .

- فالحروف على طرف لسانك ولا ذوق لك ، وأنت غافل عن معانيه من أجل أى شىء (نزلت) .
- فهو من الباطن شمع منهج الإسلام ، وهو من الظاهر حارس عقيدة العوام .
١٩٨٥ - فالعقلاء لهم حلاوة فى الروح ، والغافلون لهم التلاوة على اللسان .
- فعين الروح لبصيرة الروح وعين الجسم لحروف القرآن .
- وقد ذاقت عين الجسم الألم من الأذن ، وذاقت الروح نعمة القرآن من الفهم .
- وكل نقطة منه فى سماء التفضل والإحسان مثل جمة الحبيب .
- وقد إنفصل عن خالقه بلطف ، فهو عقد من الدر نظم فى أفواه الصدف .
١٩٩٠ - ومن أجل الذين لم يسمح لهم (بمعاينة) جماله ، عقدت عليه من المسك حجب الجلال .
- والحجاب والحجّاب من الملك ، ولا يكون القلب خبيرا بفعله .
- ويعلم الشخص الذى يملك البصر متى يستطيع أن يميز الحجاب من الملك .
- كما إنه لم يصر من بعد (نزوله) إلى الفلك الأزرق ، ضعيف العرق أو مهلهل الجدة .
١٩٩٥ - وأنت حتى الآن قد ذقت القشر الأول من الجوز وهذا ما سمح لك به الليل والنهار .
- وقد رأيت من القرآن نقابة ، ورأيت حروفه حجاباً له .
- وهو لا يسفر بوجهه أمام من ليسوا أهلاً له ، وإنما تكون صورته (واضحة) أمام الأستاذ .
- فلو أنه رآك أهلاً (لهذه الصورة) ، لمزق (من عليه) ذلك الحجاب الرقيق .
- وإنما يظهر وجهه لك ، ما دامت روحك قد إستراحت إليه .
٢٠٠٠ - فأول قشر منه كثيف ومر ، والثانى مثلما يكون القمر فى آخره .
- والثالث (يشبه) الحرير الأصفر الرقيق ، والرابع لب لا مع سلس .
- والمرحلة الخامسة هى منزلك ، وسنة الأنبياء هى عتبتك .
- وما دامت الروح تجد زينتها من (المنزل) الخامس ، فلماذا تنزل أذن إلى المنزل الأول ؟
- ومنه الشفاء للقلب المجروح ، ومنه الدواء للروح المحترقة .
٢٠٠٥ - فالجسد يذوق طعم الثفل من أجل أن يحيا ، وتعرف الروح ما هو طعم الخلاصة .
- وماذا يرى الحس إلا الصورة اللطيفة ، أما اللب فيعرف ما يكون لُبًا فيه .
- إنما تقرأ دائماً صورة سورته ، ولكنك لا تعلم صفة سيرته .
- فلا تعتبر قراءة القرآن أمام قارىء القرآن أقل من ضيافة عدن .
- وقد صنع الحرف من ذلك النقاب نفسه ، فلأنك غير مسموح لك (يوجد) فى حجاب .
٢٠١٠ - فأنت دقد رأيت سوره ، وما رآه أهل الصورة من صورة السلطان .
- ولا علم للصورة بعين الروح ، وأعلم أن الجسد شىء آخر .
- فلماذا تعد القرآن حروفاً ، ولماذا تفصل الحديث عن « الجدث » وأنت على المائدة .
- إذا لا يرى القائمون والنشالون ذاته مثلما يراها الأيقاظ .
- وحرفه وإن كان قرينا له ، إلا أنه بلا وعى مثلما تكونالصورة على الحمام .

فى سر القرآن

٢٠١٥ - يعرف القرآن سر القرآن جيداً ، فأسمع (سره) منه فهو يعلم كل شىء تماماً .
- وحتي حينما لا يكون خافيا عن المسموح لهم ، فكيف يستطيع اللسان أن يقول سر القرآن ؟
- فلا يعلم أحد مقياس الكلمات من قارىء القرآن إلا ببصيرة الروح .
- وحتى إذا كنت مثل « عثمان » فأنا لا أقول لك : أنك تعلم القرآن جيداً .
- وهذه الدنيا مثلها كالصيف ، والخلق فيها كأنهم سكارى .

٢٠٢٠ - وهم جميعاً (تائهون) فى صحراء الغفلة ، والموت كالراعى والناس كالقطيع .
- وفى بادية الهوى والهوان هذه ، الرمل حار كأنه الماء الجارى .
- والقرآن كالماء البارد الفرت ، وأنت كالعاصى الظامىء فى العرصات .
- فإعتبر الحروف والقرآن كالظروف والماء ، فإشرب الماء ولكن لا تنظر إلى الظرف .
- فالوقت صيف والشمس فى السرطان ، ومن أجل ذلك تبدو لك الأوطان العداوة .

٢٠٢٥ - ولأن الماء بارد والظرف فيروزى ، فإنما يبقى لك وجود بلا رزق .
- وسر القرآن الطاهر مع القلب الطاهر ، ذلك أنه يبوح بالألم بصوت ملء بالهم .
- ويعلم الذوق أصل سره جيداً ، فمتى يعلم العقل شرحه وبسطه ؟
- فإذا كانت صورة الحروف ليست من الحروف ، فإن رائحة يوسف داخل القميص .
- كان يوسف الجميل قد بقى فى مصر ، ووصلت الرائحة حتى كنعان إلى يعقوب .

٢٠٣٠ - فحروف القرآن من معانى القرآن ، مثلما تكون الروح من بدنك .
- فالحرف يمكن أن يساق على اللسان ، أما روح القرآن فيمكن قراءتها بالروح .
- فالحروف كالصدف والقرآن در ، ولا يميل إلى الصدف قلب الحر .
- وبالرغم من أن حرفه كان جميلاً ومنقوشاً ، إلا أن الجبل قد صار منه كالعهن المنقوش .
- وإستمع من الباطن كما فعل موسى ، ولا تسمع من الخارج (كما تستمع) إلى آلة الموسيقار .

٢٠٣٥ - وحينما تقرأ الروح تكون كأنها تضع الأدم على اللقمة ، وحينما يسمعه القلب فإنه يمزق الخرقة
- واللفظ والحرف والصوت فى الآيات ، مثل الياف من سيقان نبات .
- هذا وإن لم يكن الجلد حسنا أو رقيقاً ، فارفع الحجب عن جلدك تجد اللب .
- والحكمة تعنى عن خبثك ، وينزل الكتاب من أجل جهلك .
- وما دمت فى هذه التربة التى هى ترتيب ، وما دمت على هذا المركز الذى هو تركيب ؛

٢٠٤٠ - أنظر إلى الصفصاف بالعين وإلى طوبى بالقلب ، وأقرأ الحرف باللسان والمعنى بالقلب .
- ومن أجل حرمة القرآن ، أجعل العقل أمام نطقه قرباناً .
- فالعقل لا يكون دليلاً لأسراره ، ذلك أن العقل قد صار عاجزاً فى أمره .
- وما دمت فى هذا العالم مليئاً بالحيلة ، وما دمت على هذا المركب مليئا بالكيد .
- فأنت الآن غير محافظ (على الذمار) ومشعل للفتنة ،فمتى تكون جديراً بحجب السر .

٢٠٤٥ - فأنت لم تصبح على سره واقفا ، ولم تصل حتى الآن إلى الموقف (الذى يسمح لك فيه بهذا) .
- وما دمت ميالاً إلى الهوى وصاحب هوى ، فافعل أفعال الطفولة فلست رجل الأمر .
- وحينما إستولى العقل على دنيا الهوى ، أخذ الخير المحض مكان الشر .

- وهرب الشيطان إلى جهنم الحاجة ، ووجد سليمان خاتمه ثانية .
- وفى ذلك الزمان الذى ينبثق فيه صبح الدين ، يفزع ليل الوهم والخيال والحس .
٢٠٥٠ - وحينما يراك أولئك المحجبون فى عالم الغيب خالياً من العيوب .
- يأتون بك إلى دار الغيب ، ويرفعون الحجب من أمام وجهك .
- وحينما يظهرون سر القرآن لك ، يكشفون أمامك حجب الحروف .
- فالمخلوق من التراب يرى اجزاء التراب ، فينبغى طاهر حتى يرى الطاهر .
- وقد صار الشيطان مهزوماً من سره ، فأى عجب أن يهرب من القرآن .
٢٠٥٥ - ويهرب فهم القرآن من الرأس التى ينبثق فيها شيطان الكبرياء .
- فمن سماع القرآن تحم الأذن ، ومن أجل سرسوره يعمل الفهم .
- فلا يحمل فهمك إلى سر القرآن ، إلا قلبك وروحك فاصمت بلسانك .
- فلو يجد الفهم تحريك الحق ، يفهم سر القرآن من سوره .

فى إعجاز القرآن

- يا من حصلت من البحر على الزبد ، ويا من أصطفيت الصورة من الملك .
٢٠٦٠ - إنك لم تحصل على اللب والدر ، لأنك أخذت تحوم حول الصدف .
- فارفع يديك عن هذه الأصداف المظلمة ، وأحصل على الدر الصافى من قعر البحر .
- والجوهر الذى لا صدف فيه هو باطن القلب ، والصدف الذى لا جوهر فيه داخل الجسد .
- وليست قيمة الدر من الصدف ، وقيمة القوس تكون من الهدف .
- وذلك الذى يعلم يرى الحجر من قعر (البحر) ، كما أنه يستطيع أن يعلم البعر من در البحر .
٢٠٦٥ - وذلك الذى يقيم على شطر هذا البحر وشاطئه ، ليس جديراً باللؤلؤ النقى.
- وسطر القرآن مثل شطر الإيمان ، تكون منه راحة القلب و الروح .
- وصفة لطف القرآن وعزته ، هى بحر محيط بعالم الروح .
- وقعر (هذا البحر) ملىء بالدر والجوهر ، وساحله ملىء بالعود والعنبر .
- ومن أجل الباطن والظاهر ، يتشعب منه علم الأول والآخر .
٢٠٧٠ - فكن طاهراً حتى تخرج لك المعانى من نافذة الحروف .
- وما دام الإنسان لا يخرج من دائرة الحدث ، فمتى يخرج (له) القرآن من الحروف ؟
- وما دمت محجوباً عن نفسك ، فإن الخير والشر سواء أمام عقلك .
- فالماء لا يروى ظمآنا فى النوم ، سواء أجاء متأخراً أو جاء على عجل .
- ولا يطيب القلب من حروف القرآن ، كما أن الماعز لا تزداد سمنة من نداء الراعى عليها .
٢٠٧٥ -ويا من أنت فى قيد القلم والمداد ، كيف تميز أذن الوجه من النقاب ؟
- ولا يكون لون الكلام ورائحته مثل روح الكلام خاصة فى عالم الكلام .
- فإذا كنت تريد لقلبك ولروحك كنزاً دائماً ، فكن فى بحر « فسروا القرآن » .
- حتى تجد در الدين وجوهره ، حتى تجد فيه كيمياء الدين .

- وحينما تضع قدمك فى هذا الإقليم ، يعلمك حينذاك أبجدية الوفاء ..
٢٠٨٠ -واعتبر الشمس والثريا أباك وجدك ، حينما تقرأ أبجدية الدين .
- وهكذا تكون سيرة الصادقين ، وهذه هى أبجدية العاشقين .
- وحجاب وجه النهار مظلم ، ونظم هذه النكته دقيق جداً .
- حتى تجد درج الدر اليتيم ، وحتى تعرف الذهب النضار من الفضة .
- فما هو السر الربانى فى الدنيا ، وما هو الرمز الروحانى الموجود فيها ؟
٢٠٨٥ -وذلك حتى يبدى لك وجهه الجميل كالشمس والقمر من النقاب الأسود .
- كذلك كما تخرج العروس من النقاب الرقيق لطيفة الروح والقوام .

ذكر هداية القرآن

- هو دليل والعاشقون فى الطريق ، وهو أنشوطة والغافلون فى بئر .
- ولروحك موطن فى مقر البئر ، ونور القرآن متجه نحوك كلحبل (المتين) .
- فإنهض واقبض على الحبل لنفسك ، فربما تجد نجاة لجسدك .
٢٠٩٠ -وإلا فإنك ستهلك فى قاع البئر ، ويسلمك الماء والريح إلى النار والتراب .
- فأنت كيوسف فى بئر من الشيطان ، وعقلك هو البُشرى والحبل هو القرآن .
- فإذا كنت تريد أن يكون لك جاه يوسف ، فاستمسك (بالقرآن) وأخرج من البئر .
- (وتعتبر) نفسك كيوسف جديراً با لملوكية ، فى ذلك الوقت الذى تعلم فيه سره .
- واعلم أن الرجال العظماء يملكون الأنشوطة ، من أجل أن يحصلون به على ماء الروح .
٢٠٩٥ - أما أنت فقد عقدت الأنشوطة ،من أجل أن تحصل بها على الخبز .
- ولا يعرف أحد حرفين من القرآن ، ولكن عينيه تكونان على ما يحصله منه من فائدة مادية[1] .
- و يد عقلك كأنها الفلك الدوار ، وقيد قلبك الجسد والروح .
- و إذا كنت تريد التاج والعرش والبلاط ، فلماذا تقيم إذن فى قعر الجب ؟
- و يوسفك قد بقى عاجزاً فى قعر الجب ، وقد قرأ قلبك سورة السفه .
٢١٠٠ - فاصنع الحبل من الألم والدلو من الآه ، واخرج يوسف نفسك من قعر الجب .

فى عزة القرآن إنها ليست بالأعشار والأخماس

- من أجل حفنة من الأطفال (وبتأثير) من الوسواس ، وضعوا عليه أسماء (مثل) الأعشار والأخماس .
- ولقد نسخ هو حكم كل ناسخ له لم يكن راسخاً فى علومه .
- والمتشابه قد صار لك محكماً ، وقليل من عولوا على محكمه .
- وقد هيأوا من أجلك نور القرآن ، ومن أجل العامة هيأوا صورته .
٢١٠٥ - وأنت قد صنعت منه قفاز يد للخداع ، من أجل « من » من الشعير وقبضتين من النخالة .
- أحيانا تتغنى به وأحيانا تتخذ منه الأمثال ، وأحياناً تصنع منه سلاحاً للجدل .
- وأحياناً تجدف فيه بغير أدب ، وأحياناً تأخذ فى إحصائه متعجباً .

(١) حرفيا : عيناه على الألف قران .

- وأحياناً تحمله من نهاية إلى أوله خيالاً ، وأحياناً تستخرج من باطنه المحال .
- وأحياناً تؤوله على قياسك ، وأحياناً تصدر حكماً على تأويلك إياه .
٢١١٠ - وأحياناً تفسره على رأيك ، وأحياناً تقرر فيه (طبقا) لعلمك .
- ولا تطوف حول الصناديق الثلاثين[1] إلا بتبكيت شديد .
- وأحيانا تقول للرفيق الجاهل ، أو إلى ناسج أكفان كسول .
- إننى سأكتب لك (منه) تعويذة : تطهر أيها الشاب أولاً ولا تكن جنباً .
- ثم ينبغى أن تقدم الهدية وفى وقتها ، وينبغى أيضاً أن تحضر دم طائر أسود .
٢١١٥ - وكل هذه الحيلة من أجل درهم أو درهمين ، (وتسعى) من العشاء حتى الضحى من أجل بطنك .
- وقد أنفقت العمر أدراج الرياح حائراً ، وماذا أقول لك اذهب فلتصب بالعار .
- فأنت تقوم فى مسجد ما مهووساً ، وحلقك غاص بالصوت كالناى والجرس .
- ومن هذا الهوس ليكن الخجل لشرعك ودينك، وليكن العقل قريناً لك- فإن لم يكن- «فليحن» حينك .
- ومع مثل طبيعتك وفضلك وعلمك ، لتكن خجلاً فليس لك إلا العار .

ذكر حجة القرآن

٢١٢٠ - ابق حتى العرض على الخالق ، فالقرآن يشكو من روحك .
- يقول : هذا الماحل المصدق عنك ، ويضع كثيراً من الباطل على الحق (الذى تدعيه) .
- يقول : يا أيها الخالق : أنت تعلم العلن كما أنك تعلم ما يخفى .
- لقد كان يقرأ فى الليل والنهار بصوت مرتفع ، ولكنه لم يكن يعطى حرفاً واحداً من حروفى حقه .
- ولم أنل منه حق النحو والمعانى والإعراب بالصدق فى المحراب .
٢١٢٥ - وكانت حنجرته تحسن فى الغناء ، كما يحسن اللون الأزرق فى أردية الحزن .
- وليس لأذن قط نصيب من الزمزمة ، اللهم إلا لحديث الدمدمة .
- أحياناً قرأنى بطريقة المجاز ، وأطلق نهيقاً عالياً كالحمير .
- وقد ثرثر كثيراً فى دعواى ، ثم لم يدرك قدر المعانى (التى أحتويها) .
- وقد لوى عنان جواده عن الخاص فى ، ولم يعرف وجهنا من نقابنا .
٢١٣٠ - وعلى رأس محلتنا تصرف تجاه القبيح والجميل كالكلب ولم يفعل فعل البشر .
- ولم يضع عقله وروحه فى حكمى ، وحملنى على رأيه وهواه .
- فطعننى حينا بسيف الهوى ، وربطنى حينا فى شراك النفس .
- وساقنى حينا إلى طريق الشراب ، وقرأنى حينا من أجل أن يتغنى بى .
- وأحيانا كسر « بالسكون » كالاسفين ، رؤوس حروفى ووجوهها من دلاله وعجبه .
٢١٣٥ - وحين أخذ أحياناً ينغم القول ، تفرقت حروفى من الجراح .
- ويا أيها المدبر أريد الإنصاف منك يوم الدين من مدْبِر مثل هذا (الشخص) .
- وفى دار المجاز دلالاً ، حيناً فى السوق وحيناً فى الأذان .
- كان يتجلى من أجل الإعجاز ، حيناً بالحروف وحيناً بالصوت .

(١) يقصد بها أجزاء القرآن الثلاثين شبهها بالدر فى الصندوق .

ذكر تلاوة القرآن

– متى تذوق طعم القرآن ولذته ، لقد استخدمت اللسان ولم تستخدم الروح .

٢١٤٠ – فتعال من باب الجسد إلى شرفة الروح ، وأقبل لتتنزه فى حديقة القرآن .

– حتى يتجل لروحك ما كان وما هو موجود وما سيأتى .

– ورطب الحياة ويابسها وباطن الحياة وظاهرها وكل ما صار موجوداً بـ « كن فيكون » .

– وتصير لك الأحكام التى صارت منه محكومه كلها معلومة .

– فهو يسمعك صفات الله ، ويصير أمامك قاصاً بصدق .

٢١٤٥ – وحين يستمع المستمع إلى كلامه ، يوقف نطقه الشعر على الجسد .

– وحتى ترى ببصيرة الإخلاص ، حين تقرأ سورة الإخلاص .

– فصورته كأنها السرو المنسوب إلى « غاتقر » ، ونظمه كأنه البنفسج المنسوب إلى طبر .

– ونصبه ورفعه كالعرش والكرسى ، إذا سألت عن ذلك من مرشد العقل .

– وجره وجزمه عن طريق القدم ، هو اللوح المحفوظ وسيرسن القلم .

٢١٥٠ – وحروفه جناح الروح وحجاب النور ، ونقاطه هى الخال المسكر على وجوه الحور .

– هكذا فانظر إلى صورته ، حينها تدرك سر سورته .

– فحينها يتأتى بالألف فى باطن الرأى ، فإنه يضع الباء والتاء تحت الأقدام .

– ومن يبيع ما دام له الروح والعقل الصورة الحسنة بثمانية عشرة صورة سيئة .

– ذلك أن اللون لا يساوى قيمة أكثر من ذلك فى محلة عشق الوحدة والجلالة .

٢١٥٥ – وتقوم له بوتقة الشهوة بالامتحان ، وتجعله بعد ذلك كذهب المنجم .

– ثم يصنع بعد ذلك بوتقة ثانية ، يذيب فيها الغش والغضب ..

– وحينها يهذبه يبرده بعد ذلك ، حتى يزين من أجله التاج .

– وكل من يكون له ملك العقل والدين ، هكذا يكون تاجه وتكون خوذته .

– والكلام الذى صار ملوثاً مثله ، صار عبثا بالرغم من أصله الطيب .

٢١٦٠ – وإذا هبت الريح طيبة وجاذبة للقلب ، ثم مرت على « حدث » فإنها لا تعود طيبة .

ذكر سماع القرآن

– إذن فالقرآن محرم اللمس على الجنب وهذا بأمر الله .

– إذ يجلس على ركبتى الحيرة ، حينها يقرأ « لا يمسه » على دفتيه .

– فيأتى مقرىء فقير من أجل دانق ، ويطلق الصوت كالقمرى السمين .

– فاستمع إلى قول البارىء من البارىء ، وذلك أن الحجاب هو صنعة القارىء .

٢١٦٥ – ويستمع الرجل العارف إلى الكلام من الحق ، فلا جرم أنه قليل النعاس من الاشتياق .

– فهو يتحدث بالسر مع الخيال اللطيف ، أما التكسر والالتواء والرقة ففى الصوت .

– فضع الخال فى قلب النفس لا على الوجه ، حتى يبدو جمالك منه فى الحال .

– فالقوال غالباً ما يكون رقيقاً بطبعه ، وللعشق ينبع ما يطرب من الداخل .

– وكل ما هو صوت وقشر وموسيقى ، اعلم أنه من الأمور الخارجية .

٢١٧٠ – وما دمت لا تفهم المعنى فإن صوتك – بالنسبة لى – لا يساوى دانقين حتى ولو كنت بلبلاً .
– وفى سراى المجاز أعلم أن اللون عدة العين والصوت عدة الأذن .
– وأطلب المعنى من القلب ولا تبحث عن الحرف ، فإنك لا تجد من صورة النرجس رائحة .
– ومجلس الروح مكان من لا أذن له ، ذلك أن السماع هناك صمت .
– فمن شطر العشق يكون لك ما هو جدير بالرؤية ، وتكون لك تلك اللغة الجديرة بالذوق .
٢١٧٥ – ولا تجعل الطبع مسروراً بالغناء ، ذلك أن الغناء لا (يتداعى من ذكره) إلا الزنا .
– و الصديق الذى يأتى على رأس الجسر من أجل العون لا تحتفظ به بعيداً عن الماء .
– فإما أن تغرقه فى الماء حاقداً ، وإما أن تودعه التراب وتجلس هانئاً .
– ومهما كان فى العشق من طيب وقبيح ، فإن تحمل ثقل حكمه من العقل .
– وكل ما تعطيه الصوره ألقه فى الماء ، واستحسن نغمة النواح فى قلبك .
٢١٨٠ – وحينما يخرج النواح من القلب السعيد ، أمسك بقدميه وجره إلى جهنم .
– فأنت لا تعرف أيها النسناس ، الذى يملك الف قيد وحيلة وخداع ؛
– إن من هذا يولد فيك شيطان النفس ، حتى يهرب منك العقل والفهم .
– وليس طريق الدين صفة ولا عبارة ، وليس نحواً ولا صرفاً ولا إستعارة .
– فهذه الصفات بعيدة عن كلام الحق ، ومضمون القرآن كأنه الدر المنثور .
٢١٨٥ – وأنت فى هذه البادية المليئة بالظلم ، تقرأ الـ « مغز » « غمزاً » فلتخجل ![1] .
– ويكون هذا فجأة أيها المسلمون ، أن يأخذ القرآن طريقه إلى السماء .
– ذلك أنه ولو كان اسمه قد بقى لنا ، فإن شرائعه وأحكامه لم تبق .

فى الوجد والحـــال

– فى الطريق الذى شرطه التخلى عن الروح ، الصياح « وجداً » عبث البلهاء والحمقى .
– ذلك أن الرجل العالم يسمع بروحه ، ويودع حرفه وظرفه كليهما .
٢١٩٠ – وتأخذ الروح منه حظها ، ويمسك بالأمور جملة من أساسها .
– والغناء والشبق مع المريد الشاب ، اعلم أنهما مثلما يكون المرء عاشقاً ومصاباً بالسل .
– والحال الذى يكون (ناشئاً) من الشهوة والحيلة ، مثل فرعون وصياح الغرق .
– فلم يجد صياحه نفعاً حين الغرق ، ولم تعط نار سلامه دخاناً .
– فالأمان منك أيها المخنث الملعون ، يا من فرطت فى نفسك من أجل العليق .
٢١٩٥ – فكل من يعطى أصواتاً ثلاثة فى مجلسه – اعلم أنه يفعل ذلك من أجل التفكير فى درهمين .
– وإلا فإن الآه التى يطلقها المريد عاشق النفع ، تكون كحية نائمة على رأس كنز .
– والأفاعى التى تنهض من ركنها تثير النار فى كامن رغبته .
– وأية بلاهة فى السعال من الفقير ، وأى عتة فى النفخ فى المصباح .
– وحينما يختلط الماء والزيت معاً ، فإن النور يتعلق فى صفاء الزيت .

---

(١) استعمل سنائى صفة القلب بين كلمة مغزأى لب بالفارسية وغمز أى نميمة .

٢٢٠٠ - وحينما يطفو الزيت من الحرارة إلى أعلى ، تأخذ القطرة الغريبة فى الغليان .
- والآهة (المطلقة) برعونة هى طبيعتك ، أما طريق النظر فهو شريعتك .
- وطريقكم مرآة مضيئة ، وحجاب المرآة هو آهتك .

التمثيل فى خلقة آدم وعيسى بن مريم عليهما السلام

- إن ميلاد آدم فى هذا العالم ، كان من نفس ذلك النفس الذى منه ابن مريم .
- وحين صار الجسد جسداً كان من لون آدم ، وحينما صارت الروح روحاً كانت من رائحة ذلك النفَس .
٢٢٠٥ - وكل من كان له من ذلك النفس فهو آدمى ، وكل من لم يكن له منه فهو صورة فى هذا العالم .
- وآدم فى تلك اللحظة التى فهم فيها القدر ، أخبر القلب فأسرع نحو « الروح » .
- (قائلاً) : كيف تستطيع الأخبار عن هذه النفس ؟ ، فقال : أنا خال من الكأس والرداء .
- فملابسى وكأسى فارغة من هذه النفس ، ذلك أن الشىء الذى (يعتبره الناس) ثميناً رخيص جداً عندى .
- وإذا كنت تريد أن توجد فكن له ، ولا تكن شيئاً تجاه نفسك بالنسبة له .
٢٢١٠ - لذلك انفصل عن شبكة الناسوت ، وسقط فى شبكة اللاهوت .
- وقد رأى عيسى خطة الملكوت ببصيرة اللاهوت .
- وذلك الذى تعلق بقيد هذه الدنيا ، أحسن صنعا لو أنه هرب من عسكره .
- فهذه الدنيا هى باعثة الغم والألم ، وقد سماها العاقل دار الزوال .
- فليكن العقل دليلك لهذه الدنيا وليكن الإيمان دليلك للآخرة وهذا من أجل الجسد والروح .
٢٢١٥ - وما أسعد ذلك الشخص الذى يكون العقل مرشده ، فكلا العالمين يكونان غلامين له .
- وما أسعد ذلك الشخص الذى محا صورته ، لم يبحث عنه شخص ولم يبحث عن شخص .
- ويعتبر نفسه إسماً بلا مسمى صائراً إلى زوال ، لا يكون إلا واحد .. وواحد هباء .
- فلا تسم نفسك واحدا وخل هذا عنك ، فأنت واحد أما الواحد (الحقيقى) فلا شىء خير منه .
- أنت واحد ولكنك أيضاً داخل العدد ، لك إسم ولكنك زائد كالخيال .
٢٢٢٠ - وحينما تدخل فى حديث الوصال ، فإن حديث الدلالة لا يجدى لك .
- فبالرغم من أن الدلالة تأتى بالاخبار ، إلا أنها فى الخلوة تكون ثقيلة عليك .
- فمن ذلك تكون هزيمتان - من وجهتى العقل والنظر - فى وقتها ثلاثة انتصارات .
- فكفاك إذن أيها الفضولى المهذار ، فأنت فى هذا النهر على جسر وغار .

يقول فى الفترة والجهالة ويمدح الرسل عليهم السلام
ذكر الأنبياء خير فى حديث الجهلاء

- الأنبياء هم مصدقو الدين ، وهم الذين أظهروا طريق الصواب للخلق .
٢٢٢٥ - وحينما انحدروا إلى مغرب الفناء ، ظهر ثانية أولئك الذين يرغبون فى أنفسم .
- فعقدت الظلمة حجباً من ليل الشرك ، وأخذ الكفر يقبل شفاه الشرك .
- فامسك هذا بالصليب كأنه غصن الورد فى يده ، والآخر أصبح كعباد الشمس عابداً للشمس

- وجعل هذا الصنم معبوده للشهور والسنين ، وانفصل ذلك عن كل المقصود .
- وهذا عد من الجهل الذى لا برهان فيه ، الشر من الشيطان والخير من الله .

٢٢٣٠ - ناثرو التراب وشاربو النار ، الذين يدقون الماء والذين يكيلون الريح .
- هذا مثل الخمر محا العقل من المخ ، والآخر مثل النكباء يختطف العامة من على الرأس .
- هذا دعا الوثن الها له ، وذلك بعثر الدين كعابد الصنم .
- هذا له السحر وللآخر التنجيم ،وهذا فى رجاء والآخر فى خوف .
- كانوا كلهم سيىء السيرة ، وكانواكلهم عمى البصيرة .

٢٢٣٥ - وقنع العامة بسحر الدين ، وإنشغل الخاصة بمقعد الدين .
- وقد أخفى الدين وجهه الحقيقى ، وأظهر كل واحد دينه السىء للعيان .
- ونشرت البدعة والشرك اجنحتها ، وأخرجت الزندقة كلها رأسها .
- هذا متعلق بتلقين هازل ، وذاك راض بتخيل عابث
- وصارت آذان رؤوسهم تسمع الهوس من الخداع ، وأخذ هذيانهم يأخذ الهدى من الشيطان .

٢٢٤٠ - وقد صار السفه والغيبة والفضول نصائح أمام العامى والعالم .
- فالخاصة فى قيد اللذة والشهوات ، والعامة فى قيد الهزل والترهات .
- وأصبح علم دين الله مندرساً ، وصار الجميع هازلين مهذارين .
- وقد بحثوا عن عزهم فى حجج العلم ، أما العقل فكان متخفياً فى العلم .
- وأخفى الصادقون وجوههم من خوف القيد والطلسم كما يخفى حرف الألف فى كلمه (بسم) .

٢٢٤٥ - وحينما عاد الخاصة إلى ديارهم ، أصبح العامة أيضاً على رأس المجاز .
- فذهب ذاك فى طريق موسى ، وأصبح عيسى مقتدى للآخر .
- وظهر دين زردشت ، وأصبح حجاب الرحم ممزقاً .
- وأصبح ملك إيران وملك توران خرابا من جورهما كل على الآخر .
- وهجمت الحبشة على يثرب ، وهرب الفيل مع أبرهة خوف الطير .

٢٢٥٠ - وأصبحت دار الكعبة بيتاً لاصنام ، وإستولى عليها الغرباء غضباً .
- وكان هناك عتبة وشيبة واللعين أبو جهل ، وإمتلأت الدنيا بالأخساء والأنذال .
- وامتلأ العالم بالوحوش والشياطين والدواب ، كانت هناك ألوف الطرق والجميع عميان .
- والغيلان على اليمين واليسار والتساح فى الأمام ، أصبح الدليل أعمى والرفيق أعرج .
- وقد جعل المستنيم للجهل عقرب الحمق ذباباً من شدة النوم .

٢٢٥٥ - وإمتلأت الدنيا بالضلالة والشعوذة ، وأصبح طريق الدين ضيقاً على العاقل.
- ورفعت الكلاب نباحها والحمير نهيقها وقت السحر فى دنيا الضالين .
- فيا سنائى : إنك حين أمسكت بالقلم ، نظمت در المعنى فى عقد ؛
- وما دامت قد أثنيت أولا على الحق ، فقل إذن نعت أحمد المرسل ،
- وما دام قد قيل طرف عن التوحيد ، سأتحدث إذن عن شرف الأنبياء .

٢٢٦٠ - وسيلى ذلك خاصة نعت الرسول ، ذلك الذى هو خير الأنبياء ومختارهم .

الباب الثالث
فى نعت رسولنا محمد المصطفى عليه السلام
وتفضيله على جميع الرسل

خير الكلام بعد كلام الملك العلام فضيلة محمد النبى المختار عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ وإنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وقال النبى عليه السلام : « أنا خاتم الأنبياء ولا نبى بعدى » ، وقال عليه السلام : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » ، وقال عز وجل خطابا له : « لولاك لما خلقت الأفلاك » ، وقال عليه السلام : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وآدم ومن دُونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر » .

- أحمد المرسل هو مصباح الدنيا ، وهو رحمة عالم السر والعلن .
- وقد (خلقت) روح فى هذه الدنيا لكل شخص ، وروح الأرواح هو محمد فحسب .
- وما دامت شمس السعادة الأزلية تضحك على الفلك الجلى .
- لم تأت قدم إنسان مثله على الميثاق فى كل الآفاق .

٢٢٦٥ - وما هو فلكه ؟ حظيرة الأزل ، وما هى شمس (هذا الفلك) ؟ أحمد المرسل .
- الناس كلهم أحياء من روحه ، وقد صار كل الأنبياء ضيوفا عليه .
- وسلم الفلك الشرع له ، وجعل منزله على سقف العرش الأعظم .
- فدخل فى حظيرة الله ، وهو يجر ذيل الرئاسة فى قدميه .
- وسجد أمامه عالم الدون ، فأحياه (الرسول) كمسجد ذى النون .

٢٢٧٠ - ومنه زبدة الأرواح الطاهرة للبشر ، ومنه المعنى البكر للفظ المحكم .
- رأت الروح العاقلة الدنيا به ، وذلك أنها قد اختارته على نفسها .
- والأنبياء كلهم بقايا من ذهبه ، وكان كل مالهم من نقد فوق رأسه .
- وما دام ليل العدم يلد صبح الوجود ، فإن الشمس لا تذكر أنها (أطلت) على مثله .
- كلهم تلاميذ وهو مدرسهم ، وكلهم أجراء وهو مهندسهم .

٢٢٧٥ - كان رأسا والعقل هو رقبته (التى تحمل الرأس) ، كان قلبا والأنبياء جسده .
- والقلب يجعل الجسد سيدا على الروح الحيوانية بسهولة .
- ومقامه فى ولاية التقديس ، وفناؤه سقف منزل إدريس .
- صارت عتبة بابه فى روضة الأنس بستانا لروح الروح القدس .
- وتجلى فى البستان القدوسى مع أكبر جناح طاووسى .

٢٢٨٠ - قرأت روحه أبجدية (لم يزل) من لوحه الحق وهذا من قبل أن يخلق الرق .
- وقرأ سوه سورة الوفاء ، وساق قلبه مركب الصفاء .
- واختطفت يد مناقبه كرة (السبق) ، ووضعت مرتبته القدم على الرأس .

- (وتحقق) النظام به للعالم الجزئى ، وتم للنفس الكلية غرضها به .
- وقاس قدمه الأزل ، وما وجد فى كل الكون وما لم يوجد .
٢٢٨٥ - أعطاه خالق اللوح والقلم والاشراف على كل العالم .
- فلم تبلَ قدمه أبدا فى الأزل ، ولم يسترح اثر قدمه فى الأبد .
- وقد أعطاه علمه رئاسة العلم ، وشرعه هو الشرطة فى مدينة الله .
- وجاء من الرب إلى أرض العرب ، وعين الحياة (نابعة) من شفتيه .
- فسخر له كل العرب والعجم ، وبابه (مفتوح) أمام آكلى نعمة الرحمة .
٢٢٩٠ - وكان إلى جواره قابل كالعتيق ، وكان على بابه « مقاتل »[1] كحيدر .
- وحاضنته هو فيض فضل الإله ، وظله من عظمة جناح البُلّح الميمون .
- والفلك المليء بالأعين مثل النرجس الندى ، والعقل المليء بالآذان مثل البردى .
- وقد رأت روحه من سماء القدم ، ميلاد العقل والانسان والعالم .
- بل أن قلبه كان قبل العقل ، ورأى صنع الله فى طينته .
٢٢٩٥ - وقال له جبريل الأمين فى وقت الوحى والوجل أن « لا تعجل » .
- كانت حوادث الغيب أمامه ، كأنها صورة نفسه .
- وقد صنع فى باطن قلبه شرق الأزل وغربه من لطف جسده ونوره .

فى بداية كمال النبـوة

- حمل آدم ـ ذلك الذى ملك أصل الروح ـ ذيل جلبابه على جيبه .
- وقد ولد آدم من أم العدم ، وارسل إليه هو بمثابة المصباح .
٢٣٠٠ - ووضع الإله الغيب فى قلبه ، كما (وضع) ينبوع ماء الحيوان فى جسده .
- وترفع بصيرته ـ حين نزل النوم ـ النقاب عن ناحية العرش .
- وفى طريق الحق كانت روحه هى جوهر حضرة حقيقة الحق .
- فرأى من عين القلب بنور الأحد ، سراى الأبد من كوة الأزل .
- وقد حفظ سورة سيرة الشهامة فى مكتب الرجولية .
٢٣٠٥ - ولست أقول أن معرفة الغيب لديه ، وان كانت تخفى (فقط) عن عينيه .
- وعالم الغيب فى رحم « كن فكان » ليس الا خالق الأرض والزمان .
- وليس لسانه فى وقت نشر الحكم ، هو الذى قال : لو تعلمون ما أعلم .
- ذلك أن الحق أظهر لروحه وقلبه ، رموز حقيقة الأزل .
- وقد ذهب القبيح والمليح ، واللاحق والمسبوق من الاقتداء به حتى العيوق .
٢٣١٠ - وهو الملك على دنيا البشر ، وهو الدليل على الملك الأعظم .
- وقد خلقت طينته زينة للدنيا ، وبعثت ساحته راحة للنفس .
- وحينما سير لسانه بالخطابات ، هلعت نفس كسرى منه .
- وحينما حرر الرشد من الغى ، بقى البغى منفصلا عن السعادة .

---

(١) فى الأصل « قاتل » وليس هنا مجال لاستعمالها .

– وحينما وقعت عينا أنوشيروان على العنوان ، صارت سما روح انوشيروان الخالدة .
٢٣١٥ – وحينما جلس شرعه على العيوق ، صار مقطوعا عنان عز يعقوق .
ومن خوفه صارت علامة كسرى ـ التى هى الطاق ـ مهدمة .
– وأخذت ترقص عروس عشق الازل ، وانقلبت ساقطة اللات و هبل
– وقد اعطى عدله لكل الخلائق ، العز للمعشوق والذل للعاشق .
– ومن هجومه (أصاب) ملك الجسد الخراب ، ومن دينه عمر ملك الروح .
– وقد جعل ياقوته ومرجانه ـ من أجل العز والشرف ـ الآذان مثل آذان الصدف .
٢٣٢٠ – وما دام النهار مضيئا والليل مظلما ، فإن وجهه وجمته شفيعان من كل ذنب[1] .
– ومن أجل تناول الطعام من بين شفتيه ، ومن أجل المولودين من مركبه .
– ومن أجل صورته وقلبه وروحه ، أمام حكم الخطاب وأمره .
– (من أجل كل هذا) صار العقل الكلى فى مدرسته ، واصبح محركا لمهد النفس الكلية .
– وعرضه جوهر لهذه الدنيا ، لكن كان الغرض هو عرض الجنة .
٢٣٢٥ – وكانت صورته يوم بدر وحنين كأنها المعوذتان من أجل الشيطان .

فى كرامة النبــوة

– اذا كان الملك قد صار شيطانا فى وقت آدم ، فإن الشيطان فى عهده قد صار مَلَكا .
– ولم ير سائل بعينيه (كلمة) « لا » على حاجبيه ، سواء سأل برضاء أو سأل يغضب .
– وهو نور الناظر ودر القائل ، ولم يبحث باحث عما سوى هذا الدر .
– وقد اشهد الكفر على شعره ، وجعل العقل متسولا فى حيه .
٢٣٣٠ – والزينة منه لنا ثرى التراب على الفلك ، وللذين أتموا نصف العمل تمام العمل منه .
– وكانت شفته وأسنانه سواء فى المنع أو فى العطاء (أسنانا) لقفل السخاء .
– وفى مسالك الريب جعلت شفته أوجه القلوب ناحية كسوة الغيب .
– وهو الذى هدى الخلق إلى طريق الصواب ، وهو الذى جعل الظل مادة للشمس .
– وشرفه من أجل (ألا يحدث) قيل أو قال ، جعل جبريل « دحية الكلبى » .
٢٣٣٥ – ومن كرامته صار جبريل فى الطريق ملكا على كل الملائكة .
– وأضيئت عين آدم منه وسعدت روحه من ابن مثله .
– هو المتميز بخطة الملكوت ، وهو المتوحدَ بعزة الجبَروت .
– وطيب ذكره غذاء لروح الملك ، وطول عمره مدار لدور الفلك .
– وقدره سقف السماء العليا ، وخلقه هو نفس جبرئيل الأمين .
٢٣٤٠ – كان تحفة من الزمان الرفيع ، وهو زبدة العالم الأعلى ومولوده .
– وهو واهب العالم لوالد الملك ، وهو الابن الطيب الحظ لآدم .
– وصار آدم أبا من ابن مثله ، ومن نجابته تحول إلى ابن له .
– وطارت روحه من الماء والطين ، فرأت الحبيب من قوة القلب .

(١) أو : وما دام وجهه مضيئا كالنهار وطرته مظلمة كالليل فإنهما شفيعان من كل ذنب .

٢٣٤٥ – وزاد دوران الزمانين عن جسده ، ولكن باطن قلبه هو شرق الأزل وغربه .
– وقد أخذ الخلق منه العز والشرف ، وهو مثل الدر والأنبياء كالصدف .

فى ذكر أن رسولنا رحمة للعالمين

– لقد سماه فضل القدم رحمة لمشقة الماء والطين فى هذا العالم .
– فمن جسده قدر ليالى القدر ، ونور يوم القيامة من قلبه .
– وهو حلقة الحلقات من تحلق جمته ، وصفحة الوجه هى شرطة الشرع .
٢٣٥٠ – وحجاب محارمه هو سر الحق ، والنفس الكلية هى صورة مكارمه .
– وعرش عشقه على سماء الجلال ، وأصله وفرعه مليئان بفنون الكمال .
– وهو غرض « كن » من الحكم فى الأزل ، وهو « أول الفكر » و « آخر العمل » .
– كان موجودا بادىءذى بدء بالخلقة والصورة ، وقد جاء أخيرا من أجل الدعوة .
– كان فى روضة حظيرة الانس ، أمه الأمر وحاضنته الروح القدس .
٢٣٥٥ – ومن عظمة قده وبهائه ، يسخر من قد السروالأثيل .
– ولونه يجعل القمر كالطين بجواره ، ورائحته تجعل المسك فى خجل .
– وحلوق الخلق من أجل أطواق مجده ، وخلق الخلق نسيم تراب بابه .
– وقد صار فرعه مليئا بالثمار الناضجة ، وصار العرش المقلوب شرعه .
– وهو فارع القد كالسرو الحر ، وهو شمس عقل أولاد آدم .
٢٣٦٠ – ولم ير الصبح الصادق فى الطريق شمسا مثله تحت قبة القمر .
– والشرع والدين حقلا طباعه الأربعة وجهاته الست ، والعقل والروح جوهرا ذؤابتيه .
– وكان بعض شعره كالنجوم فى الحديقة ، أما الشعرات الأخرى فكانت سوداء فى لون الغراب .
– ومن تلك الجمة التى اختلط سوادها ببياضها ، خاط العقل كيسات الأمل .
– صار نسبه توأما للأزل ، وصار أدبه موطنا لسر الأبد .

فى صفة معراجه

٢٣٦٥ – من أجل تاج القِدم وضع القدم على مفرق العالم والإنسان .
– والعالمان أمام همته كحبتى شعير ، استمع إلى سر « ما زاغ » و « ما طغى »[1] .
– وقد صار قدمه تاجا على مفرق آدم ، وصارت يده ركنا على العالم .
– والمعراج مركبه نحو الأبد ، والمنهاج هو سلمه إلى الأزل .
– قال « سبحان الذى أسرى »[2] ، وصار من هناك إلى المقصد الاقصى .
٢٣٧٠ – وذهب من المسجد الحرام ليلا برغبته ورأى وأتى إلى المقام .
– وأظهر له المولى بالعيان ، الآية الصغرى والآية الكبرى .
– ووجد سيد العقبى مكانا هو قيمة القرب ليلة القربى .

(١) اشارة إلى الآية الكريمة « ما زاغ البصر وما طغى » « النجم ١٧ » .
(٢) اشارة إلى الآية الكريمة « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الإسراء .

– وقد صار من الصخرة إلى الحفيف ، وجعل اللطف « قاب قوسين »[1] فى كفه .

– وقال وسمع أيضا ثم عاد إلى مكان صلاته فى نفس الليلة .

٢٣٧٥ – وقامة العرش بكل ما لها من شرف ، ذرة أمام ذروة شرفه .

– وقد وضع الله تاجا على رأس ذاته من « لعمرك »[2] ليلة المعراج .

– ومن الذى حاق به السوء مع « فترضى »[3] ، ومن الذى صار له مع « لعمرك » هم الذنب ؟ .

– ومن مجده بالفضل والنظر ، صار تراب آدم من شمسه ذهبا .

– وقد ولد كل من الآخر بالعلم والنفس ، آدم من أحمد وأحمد من آدم .

٢٣٨٠ – وآدم هو غرض العالم من البداية ، والغرض من آدم أحمد المرسل .

– والزمان متصل من أجله ، وقد أقسم الاله برأسه .

– وكان بابه مكان روح القدس ، وكانت قدمه مكان سجدة الروح القدس .

– ولو لم يكن ذلك من أجل عزه ، لما أظهر قلب التراب هذا الكمال .

– وخلقه مادة للارواح الحية ، وخلقه حاضنة للنفس الانسانية .

٢٣٨٥ – وقد وبخ كوكب الزهرة من همته ، وقرأ المريخ تاريخ هيبته .

– وصار المشترى كاتبا له ، حينما اطلق القوس سهمه له .

– واحتارت عين الشمس فى حاجبه ، وخرزة جمته قرص الشمس .

– ولون فمه وجنتا زحل ، وصورة جبهته اسمها القمر .

– وشرق مركبه أهل الحشر ، وملك أدراكه اللوح المحفوظ .

٢٣٩٠ – وقد كان فى مكتب الحكيم العليم ، واللوح المحفوظ دائما إلى جواره .

– وقام الجسم والروح فى خزانة السر ، بالصلاة أمام محراب حاجبين .

– وأتى نعت وجهه من « والضحى » ، ووردت صفة طرته فى « اذا سجى »[4] .

– وقد كان المقصود من الخليقة ، ورؤيته دليل على وجود الأنبياء .

– وقد وجد أسد السماء وثور الأرض الزينة من قدم سيد الدين .

٢٣٩٥ – وقبل الإسلام وفى بدايته ، قتل الشيطان فى ولايته .

– وقد جعل القلب والروح فى منطقة العشق ادراج الرياح وسعد بحب أيمنه .

– وحينما جاوزت دولته دولته العلياء ، صار مرشدا لبحيرا .

– وكانت أيمنة غافلة عن مثل هذا الدر ، ولم ير الدهر مثله حرا .

– وقد فطم على يد حليمة ، ذلك الذى أوجد فى الممالك النظام .

٢٤٠٠ – فلم يكن ليترك البحث عن الدين والروح الامين فى بردة أيمنة .

– وقد صار بحر عمان[5] عدوا له فى الطريق ، ولم يصر عارفا بعظمته .

---

(١) اشارة إلى الآية الكريمة « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » ٨ النجم .

(٢) اشارة إلى الآية الكريمة « لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون » الحجر ٧٢ .

(٣) اشارة إلى الآية الكريمة « ولسوف يعطيك ربك فترضى » الضحى ٥ .

(٤) والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » الضحى ١ ، ٢ .

(٥) لا توجد كلمة بحر فى النص وقد ترجمتها ببحر عمان استنادا إلى البيت الذى يليه . ولم أترجمها بالأعمام لأن أعمام الرسول ـ فيما عدا أبى لهب ـ لم يعادوه

- ولم يصَر لقلزم الدين بجزره ومده ، دولة إلا بدولة أحمد .
- وحين سافر إلى ذلك المكان أحضر ترابه معه .
- وأكله با لماء وجلس طاهرا ، ومثل جسد السماء أصبح آمنا من تغير الجو .
٢٤٠٥ - وقد كان ترابه ماء تجريده ، وكان سفر القلب مقام توحيده .
- ولم تقصد الريح السيئة أبدا روحه ، ولم يصبه ماء الغربة بالسوء قط .
- وخاتم الشرع هو خاتمك على الفم ، وقد كتب « صدق الله » على هذا الخاتم .

ذكر تفضيل رسولنا عليه السلام على سائر الأنبياء

- هو من كل الانبياء كأنه هدية الاله ، كان جسدا واحدا وهو كلهم وهذا هو العجب .
- وخلقه من أنفس موكب ، وعرقه فى أشرف منصب .
٢٤١٠ - ومن أجل صورة قلبه وروحه ، وأمام حكم خطابه وأمره .
- نفسه مليئة بالأعين كالنرجس الندى ، وعقله كله آذان كأنه البردى .
- وليس هناك سيل قاطع للجذور أقوى منه ، وليس هناك طائر كاسر للقفص خيرا منه .
- وهمته باحثة عن « الرفيق الأعلى » ، وعزته قائلة « لا نبى بعدى » .
- وقد أعطى الشيخ العدة والعتاد كالشاب ، وأعطى التراب الشرف كا لماء .
٢٤١٥ - ومن جده ، جعل نفسه عبدا ، بالرغم من أن كل العالم مسجد من قدمه .
- فاذهب حتى طرف أبد الخير ، فلا يرى أحد بعينيه مثله .
- وقد ألقى فى الدنيا بالصيت ، وأحضر معه سنة جديدة .
- وقد صارت أديان الخلق سيرته ، وليس هناك إدراك فوق بصيرته .
- و « رشد قومى » من أجل الباحثين عن الحق ، و « اهد قومى » من طبيعة أصحاب الحديث الحلو .

فى اتباعه صلوات الله عليه

٢٤٢٠ - إن عقله وروحه فى الدارين ، واسطة بين الخلق والله .
- وقد صار السيف والقرآن معجزتين له ، ولا يصير شرعه خلقا أبدا .
- وهو مثل موسى وكان على له كهارون ، وكلاهما لون واحد من الظاهر والباطن .
- وكل من جاوز الباب ودخل عليه ، وضع على رأسه تاج الميلاد .
- ومن أجل الجود لا من أجل السجود ، سلب من الكعبة بهاءها .
٢٤٢٥ - هو مدينة العلوم وعلى بابها ، هو نبى الله وعلى الولى .
- والحرف هو الذى يسود الورق دائما ، ومتى يجعل قلب الظلماء كالقمر ؟
- ومتى تنفست تلك البنان التى كان يبديها كالقمر من القلم الأسود ؟
- وقد شق القمر من منتصفه تماما ، فمتى تحدث عن القلم الأسود ؟!
- وذلك البنان الذى جعل القمر نصفين ، متى سحب من القلم حلقة الميم ؟
٢٤٣٠ - وهو الذى جعل قلبه ظرفا لكل حرف ، فمتى كان صوت فى زمانه مرتبطا بالحرف ؟
- وهو الذى أصاب الليل بالشيب ، فمتى جعل الكلام أسود الوجه .

– ومن الذى يستطيع أن يرى نور النبى من عنبية العين ؟
– ومن الذى صار ادراكه من علو النور ، بعيدا عن الطبقة الزجاجية والجليدية (فى العين) ؟
– هو كل شىء وقد صادقنا من جلاله ، وهو مثل الروح من الجسد يعدان واحدا .
٢٤٣٥ – وحينما هاجم سماءَ القِدم ، جذب الفلك المستقيم تحت القَدَم .
– هربت نار كسرى من حرارته ، واراق روحه تحت أقدام جو اده .
– وضحت نار زرشت بروحها أمام الفرع الذى يثمر النور .
– وقد صار سيد السدرة عبدا يستدعى من الحديقة العليا بالجرس من أجل خدمته .
– هذا وإن كان موسى قد ذهب تجاه النيل ، فإن النيل صار (له) مثل جناح جبريل .
٢٤٤٠ – وقد غمره طين النيل با لماء حتى رأسه ، ومن أجل علامة الطين عليه صار عبدا له .
– ومن أجل العالم أعطى المصلحة ، وكل من يستولى على سمعه يعطيه لسانه .
– ومنذ أن انفصل الفلك عن جوهره ، صار منذ ذلك الحين باحثا عن هذا الجوهر .
– ومن أثر جماله الصاعد من الأرض ، صارت السماء تنخل التراب وتجمع الجوهر .
– وكل من وضع نطقه فى العقول ، وضع الروح على بصيرة القبول .
٢٤٤٥ – فكلمة واحدة منه (تساوى) عالما من المعنى ، ونظرة واحدة منه (تساوى) دنيا من التقوى .
– واسمه توأم مع التقدير ، ورغبته قرينة للتيسير .
– ويبعث وصفه الروح فى الألسنه ، ويملأ ذكره الأفواه بالفصاحة .
– وقد إنمحى المجوسى من هدايته ، وصار الجبرب من سعيه قدريا .
– وقد خلق من طيب العهد ، فهو روح عيسى وقالب المهدى .
٢٤٥٠ – وقد وجد دين الحق التعظيم به ، وأخبر الله عن خلقه بأنها عظيمة[1] .
– وأصبح الصدف المفتوح للأزل كالدر ، كما أصبحت أفواه العلم والعمل مليئة بالدر .
– وقد وجد الدين منه الزينة والرونق ، ذلك أن الخلق وجدوا منه طريق الحق .
– (وقد تحول) السائرون فى طريق أحمد المختار ، فذلك الذى كان بالأمس نارا صار دينا .
– وكانت جماعة بالأمس كالدينار ، جاءته اليوم وكلها تحمل الدين .
٢٤٥٥ – وما دام منجمه لم يفتح عن مرجانه[2] ، لم تصر الأسماع شمعدان الروح .
– وحين صار نرجسه نديا من الماء ، أصبحت الزهرة نائحة فى الحال .
– وحين أخفى وجهه عن الجهال ، جعل المنزل على نفسه كالبستان .
– وحين صار مجازا ضيق الصدر ، صار متنزها فى حديقة الصلاة .
– ذلك أنه حينما كان يعجز عن اشغال الحق ، كان ينادى بلالا بـ « أرحنا » .
٢٤٦٠ – يا بلال أسرج حصان دولتى ، وأحث التراب فى وجه هذا وذاك .
– فقد صرت ملولا من البشر والعالم ، هيا – يا أسود – فالصبح يتنفس .
– وفى حجب السر ، الأدهم للركوب والأشهب للسباق .
– وقد جعلت تربته تربة العرب مسكا ، بدون حار أو بارد ولا رطب أو يابس .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ أنك لعلى خلق عظيم ﴾ سورة القلم آية ٤ .
(٢) أى ما دام فمه لم يفتح بالكلام.

- أحيانا كان يقول : « الدنيا لى تبع » ، وأحيانا قال « حينا أجوع وحينا أشبع » .

٢٤٦٥ - ولم يأكل خبز الشعير حتى الشبع مرة واحدة ، ولم يضرب بالسيف إلا من أجل الدين .

- وقد وهب حبه الرجاء لإدريس ، كما أن لطفه لم يؤيس إبليس .

- وهو للذين تربوا فى ظل حجب الغيب ، تحت تأثير الشك والحسد والشبهة والريب .

- ذهبوا جميعا بالعطاء حتى الفلك الأزرق ، وغمرهم نوره حتى رقابهم .

- وذوقه وشوقه مقصوران عن الخير والشر ، وعين جسمه عالمة بروح الروح .

٢٤٧٠ - فالخلق والوفاء والبسط والفرح شرطها كلها « ألم نشرح »[1] .

فى فتح قلبه

- لقد فتح الروح صدره أولا ، وغسل كل ما رآه غير طاهر .

- ورفع الخيط عنه فى الحال ، وهكذا حرره من كل قيد .

- وأية قله تصيب الصدر الذى يحكمه الحق من رفع الخيط .

- وذلك من أجل أن يتذكر الرفاء حين يرى الرفو فى هذا البناء .

٢٤٧٥ - وبأمر الله صحت هذه الجراحة من جناح جبريل .

- وكان قلبه بريئا من الخيانة ، مثل لوح التراب من أشكال هند .

- وكان دوره قسمة للروح ، على لوح التراب بأمر الله .

- وبالرغم من أن الأنبياء جميعا محتشمون ، إلا أنهم جميعا صفر وهو الرقم .

- وقد تقدموه ليس من أجل أنه دونهم ، كانوا كثيرين من أجل أن يزيدوه .

٢٤٨٠ - ولو كانوا أكثر من ذلك فأى ضير ، فإن فى زيادة الأصفار كثرة الرقم .

- وحكمه سائر مثل الحكمة ، وعمره شاب مثل الحظ .

- وقد صار دينه رفيعا فى الدنيا ، وصار هو شفيعها من أجل الأمم .

- وحظه فدية للعجوز والشاب ، وعقله كيمياء الدارين .

- وقد كان طاهر الباطن والظاهر ، وصار تراب العالم منه طاهرا .

٢٤٨٥ - وشرعه فى البصيرة والإحسان ، أعلى من القياس والاستحسان .

- وملة ألم الأصفياء من جسده ، ومعنى نور الأنبياء من قلبه .

- فالروح واحدة وتتفرع إلى سبعة ندماء ، وهو واحد وشرعه بالأقاليم السبعة .

- وقد أشعل خوفه ثورة ظاهرة ومعلومة فى سقف (كلب الروم) وأرضه .

- فهو كالرسل تجاه كل الطيبين ، وبالرغم من أن سهامه لا رؤوس لها إلا أنها فعلت فعلها .

٢٤٩٠ - ومن أجل أن سنان سهمه من التعليم ، هكذا لقبه بالحق الكتاب الكريم .

- ومن طبعه العاطر جاءت نسخة علم الغيب عاطرة فى الخاطر .

- قال : لقد رأيت جنة المأوى والسدرة والعرش ولوح طوبى .

- وقد رأيت من القلب ببصيرة اللاهوت ، صوامع الملكوت (داخل) الجوامع .

- وتلقيت لطف الفردوس ، ورأيت أيضا قهر « سجين » العدل .

---

(١) « ألم نشرح لك صدرك » الشرح ١ .

٢٤٩٥ – وقد أظهرت لى الحضرة فى أقل من ساعة كل ما كان مكنونا فى الغيب .
– ويعلم ذلك الذى يملك قلبا فارغا من الريب ، أن كل هذا الغيب هو العالم العلوى .
– وأمام حجب الدار من يكون الواسطة بين الخلق والله إلا أياه ؟
– ويكون كرمه شفيعا للناس جميعا من شريف ووضيع .

فى ذكر تفضيله

– صار النور الذى صار مؤثرا فى خلقه عينا للشمس والكوثر .
٢٥٠٠ – وقد صار « العقل » على عظمته تلميذا مبتدئا أمام ذلك المقتدى الالهى .
– وقد وجد النقل قدم الصدق منه ، وتخلص العقل من عقيلته منه .
– وحينما نزل إلى المركز السفلى ، قال للدين ، أنت حتى الآن طفل .
– وقام بالحضانة لدين الله ، حتى ربى نور الايمان .
– وقد صار عقل الجميع أذنا أمامه ، وصار كل النقل أمامه فاشيا .
٢٥٠٥ – ويعلم العقل أن كل المصالح التى أمر بها المصطفى ينبغى أن تكون مسموعه .
– والعقل أمامه كأنه سالك ، ذلك أن العقل وجد منه يوم الزينة .
– فالعقل فى مكتب هدايته ، وذكاء العقل من بدايته .
– ومن خوف الضلال استضاف العقل الكل بأمر الله .
– ومثل داود فى المحراب ، خر العقل راكعا أمامه وأناب .
٢٥١٠ – وسار العقل أمامه محنى القد ، وأنت تسير بالقدم وهو يسير بالبصر .
– ودليلك هو طريق الأمان ، والعقل حائر فى أموره .
– وفى مراتب القلب والجسد عقلك معط للحياة ومحطم السجن .
– ومبدى الطريق لك هو الله ، الذى يقبل عقل الرجال .
– والعقل والأمر شيئان جديران بالجذب ، والعشق والإيمان جديران بالذوق .
٢٥١٥ – وينهض كلاهما من خارج العقل والروح ، لا يختلط هذا بذاك أو بذاك أو ذاك بهذا .
– وشرعه روح العقل الروحانى ورأيك صديق للشيطان النفسانى .
– وكالرؤساء دفعا لأذى العين إطعن عين العقل أمام شرعه .
– وحين يبدى الشرع وجهه ، يهلك الرأى بغبار نعله .
– والعقل نفسه لا يتمم الأمر جميعه ، ولكنه لا يكون مساويا أبدا للدين .
٢٥٢٠ – وأمر الرأى والقياس تجاه الشرع كأنهما وسواسان أمام الحق .
– ورأى الشرع هو الذى يحرق النفس ، ورأى العقل هو ذاك الذى يوقد الشعلة .

فى تفسير « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

– حينما تكون تكون مريضا من الهوى والهوس ، فكفاك طبيبا من هو « رحمة للعالمين » .
– وكل من له نصيب من الجلال ، يكون عقل المصطفى حاضنا له .
– فقد أغلق الحائط أمام المنة ، وجعل من سيرته دار للسنة .

٢٥٢٥ - وإن كنتم لا تعلمون أيها المسرعون نحو الهوى ، اسمعوا هذا الكلام من الصامتين .
- حتى يقولوا على لسان العقل ، كل من أعطى قلبه فقد اشترى دينه .
- ففى هذه المنطقة المليئه بالعميان ، وفى هذا المصنع الملىء بالأجراء .
- أدبه أفضل من خصالكم ، وعقله أفضل من كمالكم .
- وكفاك هو دليلا فلا تبحث عن الطريق ، وكفاك هو لسانا فلا تثرثر .
٢٥٣٠ - فالوهم والحس والخيال أدلاء لك ، ومن هنا فمقامك دائما على الباب .
- فكن رجل همةَ لا رجل شهوة ، وما دمت لست بالرسول فكن من الأمة .
- فكلامه يحملك إلى الجنة ،وأدبه ينجيك من الكنيسة .
- فتبع خطوه حتى تصير رئيسا ، وأنت خرزة لتتحول سريعا إلى جوهر .
- وأبذل الروح فى متابعته ، ما دمت لا تملك معاتبته .
٢٥٣٥ - فقدمك لا تتحرك فى طريق الحق بدون الركاب المصطفوى مهما تسرع (فى الحركة) .
- وما دمت لا تضع قدمك على رأس الفلك ، فانك لن تكون صديقا له[(١)] .
- فأعتبر كل ما قال هو السر المطلق ، وأعتبر كل ما صنع صنع الحق .
- واعتبر قوله ختما كأنه القرآن ، واعتبر لفظه جزمًا كأنه الفرقان .
- وليس هناك من يعنى مثله بالقلب الممتلىء بالألم الذى لا حولَ له ولا قوة .
٢٥٤٠ - فالشرع والدين ساقيا شرابه ، وهو شمس فى بصيرة الخفاش .
- وهو رحيم عليك أكثر من نفسك ، وهو فى الشفاعة أكرم من ذلك .
- وهذا من الكرم ليس من الهوى أو الهوس ، أنه أحن عليك أكثر منك .
- وتسرع النجاسة نحو الروح ، ولكنه طاهر ويبحث عن الطاهر .
- فكن طاهرا تنجو تماما من النار ، فهو الذى ينجيك من هذا البرزخ .
٢٥٤٥ -وذلك الذى يملك الحرام ويأكله ، تكون النار أولى به من الشرع .
- و إذا أردت أن تكون صديقا له ، فأرفع اليد عن الحرام والسفاح .
- ويا أيها الباحث عن السلامة فى حرمه ، اخجل من الحرام ، وأغسل يديك منه .
- أليس سيد العالم هو الذى قال لأهل النفس : أنا مولى المؤمنين فحسب[(٢)] .
- ويا من لست إلا فى هم زجاجة الخمر ، دعك من الكبرياء ما دام صدرك ليس طاهرا .
٢٥٥٠ - ويجدر القلب الذى يحتوى على الشرع بالصدر الذى تزينه السنة .
- والصدر والقلب اللذان هما مكان للغى ، يكونان منزلين للشيطان والصنج والخمر .
- ويا من سقطت فى الشكوى والألم والخجل فى جحيم الجسد وجهنم القلب .
- أحيانا يسكن غضبك بالجحيم ، وأحيانا يعطى شهوتك شراب الحميم .
- أحيانا يقتلك أسدُ الكبر وخنزيرُ الحاجة ، أحيانا تلدغك حية الحقد وعقرب الحرص .
٢٥٥٥ -وقد أوسع باب جهنم من أجلك فحسب ، فأنت تطبخ فى الجنة قدر الهوس .
- فأحيانا يصير شرار الغضب إلى الأثير ، وأحيانا يجرانك الغل والغش إلى السعير .

---

(١) حرفيا : فلن تضع أصبعك معه فى الملح .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا » محمد ١١ .

- فجسدك فى الظاهر من الغفلة فى فرح ، أما فى الباطن فعقلك وروحك فى صراخ .
- وقد علق لك المصطفى على جانب البرزخ الرداء على جهنم .
- فلو أنك تملك البصيرة والبصر ، لماذا لا تخرج سريعا من جهنم .

٢٥٦٠ - فحين ينجيك من جهنم القبيحة ، يوصلك بعد ذلك إلى بستان الجنة .
- فسنته هى الرداء استيقظ ، وتعلق بالرداء المحمدى .
- فأحمد المرسل هو مثل السماء ، أوله آخر وآخره أول .
- وكلهم خرجوا من هذا الحجاب ، وأخذوا يشاهدونه سواء العاقل والمجنون .
- واسمه كقطرات المطر ، فأولها وآخرها مثل وسطها .

٢٥٦٥ - فاعتبره حاضنة الروح العاقلة ، واعلم أنه دفتر السر الإلهى .
- ففى مصنع الكون والفساد هذا ، مئونته اثنتان : الفقر والجهاد .
- وما دمت لست رجلا لفرشه وإيوانه ، فأنا غلام غلام بابه .
- وفى رأيي أنه من الخير أن يكون « فذلكم » هو ، وأنا غلام سقر لو أن « ما لكم » هو .
- وهو مالك الدين والملك والعدل ، وقد أعطى هو كل ما يجب أن يعطى .

٢٥٧٠ - وما دمت أملك المعرفة والدين ، فلن أترك طرف ردائه من يدى .
- فلأقتفِ خطواته لأصير رئيسا ، واضع من شرعه على الرأس تاجا .

فى السلام عليه وعلى آله صلى الله عليه وسلم

- أيها القلب ، إذا رددت الثناء حتى الحشر ، فقد قلت كل شيء حين نطقت (باسم المصطفى) .
- وما دمت قد ذكرت أسمه لاتفكر فى الدنيا ، وإلا أتت إليك الملائكة تطلب القصاص(١) .
- وهكذا فإن جهنم تخاف من أسمه ، كما يهلع شيطان الروح من « لاحول » .

٢٥٧٥ - واعلم أن كل ما تريد فى درايته ، وأعلم أن كل ما تجد من عنايته .
- والعقل مشهور من ذلك العظيم ، بأنه فى هذه الدنيا مأجور .
- والروح فى وسط العز والبقاء ، ذلك لأنها على أمل لقاء هذا الوجه .
- والروح التى لن ترى هذا الوجه ، ليست روحا بل بالوعة نجسة .
- فكن ترابه وزوال الملوكية ، وكن « له » وأفعل ما تشاء .

٢٥٨٠ - وكل من ليس ترابا على بابه ، ليكن التراب على رأسه حتى ولو كانَ مَلكا .
- وحين حمل العقل الشرف لشخصه ، سحبت النفس الكلية اللسان من فيها .
- ولم يصر العقل الكل بدون بهائه شيئا ، ولم يصر عزيزا ما لم يصر غلاما له .
- وإذا هرب عقل من هذا الباب ، فإن الفلك يعلق عليه حجابا .
- وقد جعلت دولة أحمد للعقل والروح من البقاء حصن الأبد .

٢٥٨٥ - وحين انفصل جوهره عن « كن فكان » ، ضرب اليد فى منطقة السماء .
- ولو لم يكن هو أكثر قيمة من السماء ، لما عاد إليها إلا وقد جعلها أرضا .
- ومن الذى دخل من العالم الخالى إلى العالم الممتلىء إلا محمد الحر ؟
- فقل من سواه شفيعا من الرسل ، على رأس جسر النار وعلى رأس الصراط .
- لقد قال حاجب الحضرة فى أذن روحه ، أيها الملك أخرج الرأس من الكليم .

(١) حرفيا : خالعة أسنانك .

٢٥٩٠ – ويا من أفعالك وأقوالك كالياقوت ، ويا من صرت بطلا وواسطة الروح للأبطال .
– وقد ضربوا خمس مرات على عرشك[١] ، وصنعوا من دنيا الروح فرشك .
– فأبسط الفرش فى عالم الروح ، وايت بالعرش كأنه الفرش تحت قدميك .

فى ترجيحه على الرسل عليه وعليهم السلام

– جاء الأنبياء من السماء سائرين ، وصاروا من الوسادة فى الطريق الذى لا لون له .
– وعلى بابك أخذ آدم يقرأ بقلبه وروحه « ربنا ظلمنا »[٢] خجلا منك .
٢٥٩٥ – وسعى نوح فى حصن عصمتك ، وعقد الحزام على الروح غلامية لك .
– ووضع ميكائيل التاج على رأسك ، ووضع الخليل الغاشية على كتفه .
– واحترق موسى على نارك ، وصار قائلا « أرنى »[٣] على بابك .
– وقد عقد عقده على ثنائك ، عيسى بن مريم فى بيت العزوبية .
– وانتظرا بالطبق على اليسار واليمين ، الروح القدس والروح الأمين .
٢٦٠٠ – ارتفعت حجب النور عن العرش ، وبقى ناى سيد الصور[٤] على فيه .
– وقد وجد أدريس الرفعة من ثنائك ، ووجد جبريل السدرة من أجلك[٥] .
– وأودع الخضر النار رياح الصدر ، ووجد ماء الحيوان من موطىء قدمك .
– وقد كان نقاب الفقر مغلقا ، حينما فتحت أنت القفل أمامه .
– وأزداد شرف « قاب » من ذلك النقاب ، وأختطفت زينتك رفعة العرش .
٢٦٠٥ – ورأت أرواح أهل الروح قلبك ، فوضعوا بصائرهم على الرؤوس وقدموها إليك .
– وبقى أهل السموات السبع مختبئين ، وقد وضعوا أطراف أصابعهم فى افواههم .
– وقد فتحت للطباع الأربعة أبواب الجنة الثمانية أمام صهيب وبلال دون مشقة .
– وأغلقت همتك الأبواب لسبعة أمام قلوب العصاة من أمتك .
– ووجوه الروحانيين متوهجة شطر بابك ، فالليلة « آثين » عرض عسكرك .
٢٦١٠ – ومن خبب براقك صار ذو النون خارجا من بطن الحوت والبحر .
– وكان كل شىء من مقصد وصالك ، وكان كل شىء من مشهد جمالك .
– وصالح ولوط وهود منتظرون ، سائلين عن الحال من يوشع والخضر .
– وداود هو مقرىء محفلك ، وجملة أصحاب الكهف هم ضيوفك .
– ولقمان واقف على قدمه على بلاطك ، كما أن سليمان هو وكيل سرايك .
٢٦١٥ – وابن آزر باسط الفرش ، وابن مريم ضارب المقرعة .
– والملائكة واقفون على اليمين واليسار ، بأطباق النور من أجل النثار .
– وقد أضيئت عين أسحق بوجهك ، حينما اشتهر إسماعيل فى الآفاق (منك) .

(١) أى إشارة إلى أوقات الصلاة الخمسة . أو الدقات الخمسة من أجل العظماء .
(٢) « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » الأعراف ٢٣ .
(٣) « قال ربى أرنى أنظر إليك » الأعراف ١٤٣ .
(٤) المقصود به « إسرافيل » .
(٥) « وأذكر فى الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » (٥٧ و ٥٨ مريم) .

– وقد صار يعقوب الأعشى الضرير ، من قدومك حاد البصر بصيرا .
– ووقف يوسف فى طريقك ، وأرسل بنيامين إلى الطريق .
٢٦٢٠ – وقد كان الشيخ شعيب فى أنتظارك ، حين ذهب فى باطن حجب الغيب .
– وقد أعطوا الأفلاك لقب الأرض ، وأعطوا للنجوم النور من أجل الدين .
– وجاءوا من الزمان من أجل الثناء عليك ، الجمعة والأيام البيض والقدْر والعيد (وليلة) البراءة .
– وجاءوا من المكان محنيي الظهور ، مكة ويثرب وحراء والحرم .
– وبقيا منتظرين فى سراى القرار ، طبق السماء ويد النثار .
٢٦٢٥ – وقد صار نقل الأرواح نقلا منك ، وأخذ العقل من الرأس مستقرا منك .
– ولكنه جعل الصيام لأمتك من أجل اليقين ، وذلك من أجل سنة الدين .
– ورأى المرء الناظر إلى الدين صورتك ، فحمل الفهم واليقين الهوس من رأسه .
– وأجرت النفس الكلية الماء فى جدولك ، وصار العقلُ الكل ترابا فى محلتك .
– وقدم الفلك من أجل ضيافتك ، بالثور والجدى قربانا .
٢٦٣٠ – وتدخلت يد السماء فى الأمر ، فأصبحت قاطعة للأنجم من أجل النثار .
– ومن أطباق السموات نثر العرش الدر تحت قدمك من أطباق الجوهر .
– وضربت الشمس قبة على مفرقك ، ورش جبريل الطريق با لماء .
– وقد جعل زحل والمشترى وثالثهما المريخ التاريخ من تراب بابك .
– والشمس والزهرة اللتان تزيدان فى الزينة ، صارا مزينين لبلاطك .
٢٦٣٥ – وقد صار عطارد الدقيق الفهم البعيد الفكر مع القمر درويشين على بابك .
– وصار الخمسة السيارة والأبراج الاثنا عشر لا سمك خزانة ودرجا .
– « ولم تعبد » قلنسوة الكون والفساد ، « وليس يغنى » قباء عيد المعاد[١] .
– و « رب هب لى » بناء ملك الأبد ، ونقد « لا ينبغى » النظر إلى الطُرُق[٢] .
– وجعل من ياسين عاقبه الحاصل ، أمر « قل لن يصيبنا » على القلب[٣] .
٢٦٤٠ – « إتق الله » نقاب وجه العمل ، « لا تخافوا » خطاب يد الأمل[٤] .
– « أنظروا » كيف مسرف الأنذار ، و « أذكروا » إذ معرف الأسرار[٥] .
– جاء أمر « اهبطوا » من القرآن ، فأقرأ جوابه « ربنا ظلمنا »[٦] .
– « إن شر الدواب » محتقرون ، « أهل حسن المآب » معتبرون[٧] .

---

(١) « إذا قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئا » مريم ٤٢ .
(٢) « قال رب أغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » سورة ص آية ٣٥ .
(٣) « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » سبق ذكرها .
(٤) الشطرة الأولى : « يا أيها النبى أتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين الأحزاب / ٣٣ .
والثانية : « تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » فصلت ٣٠ .
(٥) الشطرة الأولى : « قل سيروا فى الأرض ثم أنظروا كيف كانت عاقبة المكذبين « الأنعام / ٦ »
والثانية : « خذو ما أتيناكم بقوة وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون « الأعراف / ١٧١ .
(٦) « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو » البقرة ٣٦ .
(٧) الشطرة الأولى : ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .
والثانية : « فغفرنا له وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » ص ٢٥ .

- « يوم نطوى السماء » بريد الوفاء ، يوم « لا تملك » ابتداء الشقاء[1] .

٢٦٤٥ - « وأعبدوا ربكم » دليل إليه ، « وأفعلوا الخير » طريق الظفر[2] .

- « وجزاهم » قباء جمع البقاء ، « وسقاهم » شفاء أهل الشقاء[3] .

- « استعينوا » ملجأ الجان ، « لا تميلوا » هو طريق الجنان[4] .

- « تخرج الحى » راية القدرة ، « تولج الليل » راية الفطرة[5] .

- وقافية « قل هو » قوة الروح ، ومرهم العقل ميم « ما تركوا »[6] .

٢٦٥٠ - وفى هذه القاف لا قيل ولا قال ، وفى هذه الميم لا ميل ولا مال

- و « أذكرونى » قوام الذات والعقل ، و « اعبدونى » مقام العطاء والأخذ[7] .

- ونصب صدره من « يحبهم » خيمة ، على حجاب « يحبونه »[8] .

- ولام « لا تقنطوا » لواء الفرج ، والف « أحسنوا » جزاء الحرج[9] .

- وقد رأيت قائد هذا العالم ، جوهر منجم لفيض آدم .

٢٦٥٥ - وقد حمل الخضر وموسى أمامه لوح التعليم على أكتافهم .

- وحملت الزهرة دولته خوفا ، وأخذ الدهر كالخرزة فى كفه .

- وأسرج التقدير حصان قدره ، والغاشية على كتف الروح الأمين .

- وصدره صدر ملك الاستغناء ، وكان قلبه قاب قوسين أو أدنى .

- ومن « لعمرك » . قلنسوة تشريفه ، و « قم فانذر » اذن تكليفه[10] .

٢٦٦٠ - و « الصابرين » على يمين إيمانه ، و« الصادقين » على زينة جيبه[11] .

- « القانتين » على نثار إيثاره ، و « المنفقين » على طراز عمامته[12] .

- ونقد « المستغفرين » كثير عنده ، فى أساس جيبه وطرف ردائه[13] .

- وقد أسرج مركب الاقتدار ، على باب الدين من أجل يوم الدين .

- وعلقت الروح من سرجه ، وولد العقل والروح على رأس ترابه .

٢٦٦٥ - ويعلم العقل ماذا تقول الروح ، ويقرأ العقل كل ما تقوله الروح .

- قلت يا من نقش خاتمك كأنه الصورة ، ويا واسطة عقد فلك الدولة .

- مر لنا بنكتة مختصرة ، ووضح منهج الطريق القويم .

---

(١) « يوم نطوى السماء » سبق ذكرها والشطرة الثانية « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » الانفطار ١٩ .

(٢) « يا أيها اللذين آمنوا أركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون » الحج ٧٧ .

(٣) « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » الانسان ١٢ ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا » الإنسان ٢١ .

(٤) « أستعينوا بالصبر والصلاة » البقرة ٤٥ ، « فلا تميلو أكل الميل فتذروها كالمعلقة » النمل ٣٩ .

(٥) تخرج الحى من الميت » الروم ١٩ ، « تولج الليل فى النهار » الروم ٢٠ .

(٦) « قل هو الله أحد » الإخلاص ١ ، أما « ما تركوا « فلم ترد والواردة » كم تركوا من جنات وعيون » الدخان ٢٥ .

(٧) « فاذكرونى أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون » البقرة ١٥٢ ـ « أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى » يس ٦١ .

(٨) « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين » ٥٤ المائدة .

(٩) « لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا « الزمر ٥٣ ، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » البقرة ١٩٥ .

(١٠) « يا أيها المدثر قم فأنذر » المدثر ١ .

(١١) « الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالاسحار » ـ آل عمران ١٧ .

(١٢) ، (١٣) أنظر للهامش السابق رقم (١١) .

- قالت اقرأ من الكتاب « آمن الرسول » وذلك من أجل قوت الروح وقوتها[1] .
- « لن تنالوا » من أجل نظام الأنام ، « لا تعولوا » من أجل الحلال والحرام[2] .

٢٦٧٠ - ومن أجل أى شىءكل هذه الضجة ؟ ، أنها خارجة عن خيالنا وخاطرنا .
- وظاهرها ذلك الذى يبدو من باب القلب ، فهذا الورد للقلب ينبثق من الطين .
- قال فى أذنه أختيار الأزل ، بدون رطب العلم وشوك العمل .
- فيا أيها الملك من دار المجاز هذه ، ليكن مجد الحرص عليك زائدا فأرفع الرأس .
- أنت باب لقصر العالم وسقف له ، وأنت رأس لبذرة آدم ونسله .

٢٦٧٥ - وحتى يضحك صبح الايمان من سماء اليقين ناحية مشرق الدين .
- أصدق القول أيها الفلك الملىءبالحركة ، ويا أيتها الدنيا الصامته الثرثارة .
- فمن الذى استطاع أن يضرب من أجل المشقة والخوف مثل هذه النوبة من تحت الكليم ؟ .
- حتى قال له لسان الزمان ، أنه من أجلك الخفى والعيان .
- فماذا تصنع بنقاب الدنيا الخسيسة ، وحسبك من نور جبينك نقابا لك .

٢٦٨٠ - وقد صار الكفر دينا من قدومك ، وسقط الكفر جميعه من الأرض .
- وجمنك الدين والكفر كموسى وقارون ، فالدين ظاهر والكفر قد ساخ فى باطن (الأرض) .
- وجمتك تجعل الذهن مليئا بالروح ، ويجعل وجهك الحى مليئا بالورود .
- فمنك ومن أجلك تكون « إذن » البشر ، فأى عجب أن تكون الأذن من الرأس ؟ .
- والمنزل ذو الخمسة أبواب الذى تملكه الروح ، من أجل أن يتخذ ضيفا مثلك .

٢٦٨٥ - وبأمرك أتفق الامراء الأربعة ، المركز والأخضر والهواء والأثير .
- فضع يا ملك العالم والإنسان ، الوسم على فخذ الأشهب والأدهم .
- فالأدهم والأشهب من أجلك أنت ، وتلك الدار ، وهذه الدار دارك أنت .
- وأربط الحزام من أجل « اقتلوا المشركين » ، فقد طال الأمد على « لكم دينكم ولى دين »[3] .
- وحطم رقاب المشركين وظهورهم ، واقتلع جذور الكفر من قعر الدنيا .

٢٦٩٠ - واجعل السيف أحمر بدم العدو ، ذلك أنك حينما تسود يصير العدو مسكينا .
- وأين يستقبلك الله أذن ، وحتام يظل الدهر فى أنتظارك ؟ .
- فالدين فى قحط فأكشف النقاب ، وهيىءلضيافته بفتح الباب.
- وانزل من الجسر وتمشّ فى الصحراء ، وأجعل المياه خمرا و الحسك وردا .
- فاثقب الجبل من سِنانك الذى شق (قاف) ، وخط الفلك من سنان الرمح المشرع .

٢٦٩٥ - وقد صار الشرك راسخا فأهلكه ، وأصبحت الكعبة بيتا للأصنام فطهرها .
- وإلا فمر على بهذا العمل ، حتى يضع قدمه على كتفك العزيز .

---

(١) « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » البقرة ٢٨٥ .

(٢) الشطرة الأولى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » آل عمران ٩٢ .
والثانية : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا النساء ٣ .

(٣) الشطرة الأولى : « فإذا أنسلخ الأشهر الحرم فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » التوبة .
الثانية : من سورة الكافرين آية ٦ .

- ويطهر الكعبة من كل الأصنام ، ويهلك المشركين أجمعين .
- وجمل الدارين من أجل السرور مثل آذان الحور وجيدها .
- فأنك عندما تحدثت ملياباالأمر ، يقبل ميت الجهل الروح (ثانية) .
٢٧٠٠ - ذلك أنه من أجل خدمة آدم ، تسير الروح والأمر معا .
- وكل عروس ولدتها أم الأمر كن ، تعطى كل همتها لزينتها .
- وتجد بعد ذلك روحها ألف نوع من الفتوح دون مشقة سفارة الروح .
- وكل من قال « أحسنت » ثناء له ، قال صدقا له أن : لله أنت !! .
- وكلهم وجدوا منه القوة والزينة ، العقل والروح والقوة والمادة .

فى صفات الرسول عليه السلام

٢٧٠٥ - لقد حمل حاجياته إلى رأس السماء ، ظل حظه وقاعدة عرشه .
- وقد جعلته الصورة التى يكون لها أهل القبول مشغولا عن طلب الصورة .
- وكانت له النسبة من عقل تلك الدنيا ، فأمتلك المعانى والمعالى معا .
- وهو الذى أتى بالدنيا فى القديم ، وكان هو الغرض من حكمة القدم .
- كان كعبة لبادية العدم ، وكان علما لعالم العلم .
٢٧١٠ - وكانت الجلالة موجودة فى جبلته ، ومع الرسالة كانت له البسالة .
- كان فى الرسالة كاملا تماما ، وكان فى الكرامة إماما عظيما .
- وهو روضة لكمال الإيمان ، وهو شجرة مليئة بأوراق الاستغناء .
- فوجهه جميل ورأيه ثاقب ، وسماه من الأزل الحاشر والعاقب .
- والشرع صحنه والعقل صحوه ، وسماه محييه الأعظم « ماحى » (الشرك) .
٢٧١٥ - وذهب صيت صوته فى العالم ، لم يكن هناك خبب فى سيره ولا بطء .
- والمصطفى يملك وصف الحال ، (ويعرف) من الذى يملك جناحا وقوادم طيبة .
- وقد أعطت الصاد والدال الماء للصادق ، وأعطت العين والشين الدلال للعاشق .
- واستخلص الخلاصة من الرطب واليابس ، وأبرز هذه البيضاء سوداء الوجه (أى الحروف) .
- كان العقل والده والروح أمه ، وقد غرسا أركانه وولداها .
٢٧٢٠ - وكانت المادة والظل أرضا له ، وكان هو الجوهر الذى يضىء بليل للدين .
- وكان هو فخر جملة الأنبياء ، وكان هو حمى الامير المرتضى .
- ولم يعلم صراحة عن سيره الباطنى ، حاجب قصر حجب السر .
- وحينما خرج المصطفى من الطريق الرئيسى للعدم طلب هدية من آدم .
- وحين قدم له آدم الهدية منحه روحا كروح الأصفياء .
٢٧٢٥ - وكان له منهج الصدق فى حاجبيه ، وكان له مدرج العشق فى ذؤابتيه .
- ورأى آدم أنه صاحب مادة القدم ، فأخذ الناس يلهثون من عشقه .
- وقد أخذ العقل الكلى منه الحكمة والرأى ، مثلما وجد الظل أساسا من الشمس .
- وكان هاشا مغضيا أمام كل من كان سيىء الجبلة .

- ومتى يوزن الشرع بيد العقل ، ومتى يستوعب وعاء الحرف العشق .

٢٧٣٠ - وذلك الذى يستطيع أن يجعل الليل نهارا ، يستطيع أن يحطم العقل تحطيما .

- فأى شىء سوى شرعه بمنزل السر ، نقوش « طراز » على قباء البقاء .

- وكان وجهه مضيافا صادقا ، وكانت ذؤابته تعطى للمنافق ما يستحق .

- كان أفضل من جملة العالم ، وكان آدم موجودا من أجله وراضيا عنه .

- وكان وجهه وذؤابتاه صلاحا للعالم ، وكان خلقه وخلقه وجودا لآدم .

٢٧٣٥ - كان هو الغرض من دوران العالم ، أما سميه وطفيليه فهو آدم .

- وقد وجد تشريف سجدة الملكوت ، وأيضا التشريف بأن يرزق قوتًا بقوت .

- ومن هذا القلب الحى واللسان الفصيح ، كان قلب أصحابه كوثاق المسيح .

- وقد ملأ جملة أصحابه من المعرفة والعلم أكياسهم من الحكمة والحلم .

- وبدون أن يرى من السائلين إشارة ، قال لهم جميعا خذوا أكثر من حاجتكم .

٢٧٤٠ - وزاد من تلك الشجرة التى جذورها التبجيل ، فرع التنزيل وثمرة التأويل .

- ومولده موئل لدعاء المظلومين ، ومورده ملاذ لنداء المعصومين .

- وزاد من قدر عليهم رزقهم القناعة به ، وقوت الأمم شفاعته .

- وصيدك من فضله اللا متناهى ، وهو الملك على كل الأنبياء .

- وألم الأنبياء مضمر من جسده ، ونور الأولياء مقتبس من قلبه .

٢٧٤٥ - وهو الملك فى أول يوم الدين ، وهو المرغوب فى آخر يوم للروح .

- وحلقته على الصلاح بخل ونثار ، فهى تغفر للخلق الوخز وتهبهم العسل .

- والمسجد والمؤمن منه كالفلك ، والمعبد والكنيسة آمنان منه .

- وكل سادات الدين منه مرحومون ، وكل من لم يسمح لهم محرومون منه .

- وهو مرشد الطبع إلى التمييز بين العقل والخمر ، وهو داعى العقل إلى الرشد من الغى .

٢٧٥٠ - وحينما قلت « محمد » أيها الدرويش ، أقترب من العقل وفكر كثيرا

فما دام العقل معك على وجه الصواب فإنه لا يتخلى عنك حتى فى النوم .

- يقول لك معنى « محمد » بصدق ، هو محو ومد وكلاهما بر وعطاء .

- فهو « محو » للكفر من قصر الدين ، وهو « مد » لطناب الشرع حتى الأنجم .

- وهو الآخذ ممن ؟! من الأحمق ، وهو أيضا العاطى لمن ؟ لصاحب الحق .

٢٧٥٥ - وذلك الذى يكون له النور من غذائه ، يكون مستغنيا عن غذاء الزمان .

- وصورة اسمه من موئل العلم والرأى ، هو فاتح قفل باب الغيب والريب .

- والخلق عبيد لله وخدم له ، وقبلتهم هو وتقبيل بابه .

- وكل من لم يكن لحظة واحدة على مائدته ، بكى عقله دمًا على روحه .

- وليست هناك طينة أكثر نضجا منه ، وليس هناك سالك أكثر تشمرا منه .

٢٧٦٠ - وحين سارع بالهجوم على الكفر ، نوره مذيب للغلالة التوزية كضوء القمر[1] .

- وهو المعين والناصر لعلم الدين ، وهو العناصر لعرش الأشراف .

(١) التوزى : نوع من الثياب كان يصنع فى توز .

– وهو المكرم فى طريق المصلحة ، وهو المعظم فى طريق الله.
– ولم يكن مقيد القدم فى الهوى قط كالأخساء من أجل الملك والملك نجس .
– وقد أغمض عينيه عن كل الخلق وكل الأغيار كأنه بازى الصيد .
٢٧٦٥ – ومن أجل الشرع فى دنيا الله، فإن روحه الصامتة هى لسان الله.
– ليس اللسان الذى يكون من اللحم ، ولكن اللسان الذى يكون « أذن التين » .
– والمنطق يكون عارية فى الأذن ، وماذا يكون قلب التين ، إنه النية .
– وحينما تنهض النية الطاهرة من القلب ، تمحو نقطة الشرك .
– وحين يكون معنى الطين حاصلا من « التين » ، فإن باطنه يكون كله قلبا كالروح .
٢٧٧٠ – وحينما استمسك الجميع بالقلب وشفوا ، أصبحت آذانهم مليئة باللبن الصاف .
– وحينما يكون وجهه فى قلب و « التين » يصبح رأيه متينا فى العمل .
– والروح الحيوانية تصير من القعود عجوزا ، وتصير دماء القلب لبنا بالصعود .
– وقد عدت إلى نعت سيد « قاب » ، ورفعت النقاب عن وجه « دعد » .
– وأنت فيه كأنك أسد فى غابة ، وأنا منه كأننى قلب فى فكر .
١٧٧٥ – والقلب من الفكر مضىء وعال ، وغابة الدين خالية من أسد الشر .
– والتفكر فى الصنائع الصمدية ، هو ودائع الأحدية فى النبوة .
– وإذا كان فى الخلق على شكل العجل ، إلا أنه أفضل من تكرار وذكر مائة عام .
– وكوكبه حارس لطريق الملائكة ، وعصمته حارسه لملك الفلك .
– وقد أحاط العالم بيديه ، فأهدر كل ما هو غير الحق .
٢٧٨٠ – وفهمه فى البصيرة والامكان ، أعلى من القياس ومن الاستحسان .
– وقد ملك منبع الرعب فى ساعديه ، وملك منهج الصدق فى حاجبيه .
– وكل من أمسك بقدم أهل البصر ، لا يصير رئيسا أبدا من ذله .
– وحينما يسرع إلى طريق التجرد من النفس ، يغسل نقش النفس بماء وجهه .
– وقد ذهب سرا إلى جوار سيد العالم ورأى وعاد وقال .
٢٧٨٥ – لا على هذه الطريقة التى يقوم بها الأسد فى الغابة ، بل بهذه الطريقة التى يعملها القلب فى الفكر .

وصفة بعثه وارساله عليه السلام

– لقد جاء من الاله إلى روحك برسالة إلى مدينتك الخربه .
– والتجرد عن النفس عرشه ، وخلع الخوذة تاجه والرعب عسكره ومركبه المعراج .
– وسيرته وخلقه مؤكدان للحلم ، وعقله وروحه مؤيدان للعلم .
– وحينما اقتدى ساكن المحراب بأحمد ، صار مقدما ذلك الأعرابى .
٢٧٩٠ – وقد صار جبريل من من موافقته ، بدوى الصورة فى مرافقته .
– ورفع جبريل من أجل الدعاء أصبعه واحنى رقبته ورأسه .
– ومن الذى اظهر الشرقى من الغربى ، ورأيه وجه دحية الكلبى .
– وقد رفع الرأس من جيب البعث ، وجعل ذيل رداء الشرع ممتلئا بالجوهر .

– وقد جعل إمامه نثارا فى المحشر، الثمانية الحاملة للعرش والأفلاك السبعة.

صفة الأفلاك السبعة

٢٧٩٥ – جعل زحل تحت قدمه نثارا، الهمة والذهن والحفظ والفكر والوقار.
– وأودع المشترى روحه عطاء الصدق والعدل وصلاح الدين والوفاء.
– وأعطاه المريخ من أجل الخطر المجد والأقدام والعزم والقوة والظفر.
– وسحبت الشمس أمامه من أجل الجمال العصمة والرفعة والبهاء والجلال.
– ونثرت الزهرة عليه من أجل النور، الزينة والخلق والظرف والذوق والسرور.
٢٨٠٠ – وحمل عطارد أمامه كما هو معلوم، الفطنة والحلم والرأى والنطق والعلوم.
– ونثر عليه جرم القمر، السرعة والنشوء واللطف والزينة والمجد.
– وقد جاء مع آلاف من العز والمراد على رأس مفترق طرق الكون والفساد.
– وفى دنيا الله رأى من استرق أنظر إليه جلال الدين فى وجهه.
– فلا جرم أن سكنه فى عالم « كن فيكون » أصبح طيبا من جماله.
٢٨٠٥ – وبفضل التفرد عن الصحاب، حمل الخوذة من مفرق اصحاب الوفاء.
– وقد طلبهم جميعا بالطرب، ثم أدبهم بـ « ما زاغ ».
– وكان أصحابه من الروم والحبش، وكان عيشه هنيئا مع صهيب وبلال.
– وكان أهل الصفة أصدقاؤه، مثل السحاب الذى مطره العفو.
– وقد بذل الروح من أجل الخالق، وقال من أجل الجاهل « اهد قومى ».
٢٨١٠ – وصار فى الفناء راعيا للقطيع، وتحول إلى الجميع حتى صار الجميع له.
– وتلك الأربعة التى كانت أمام مائدته، اللب والقلب والبصيرة والروح.
– وكل واحدة من هذه الأربعة كالرجال، فى هذه الساحة وهذا الميدان.
– وقد أعطى الصدق للب والعدل للقلب والحياء للبصيرة والبذل للروح.
– وقلبه وعينه من أجل طريق النقاط الدقيقة، وخلقته وخلقه من أجل العز والشرف.
٢٨١٥ – ولم يرد طيبا عن نفسه قط، ولم يتأت للسيىء سوء منه قط.
– وأغلق نفس الشرك أمام الأصدقاء، وكسر قفص روح الأعداء.
– وحينما اختلطت هذه النفس بالصفاء، صار هذا القفص حطب جهنم.
– والسموات فى حبه اللا متناهى، صاحبة الأطواق فى ملكه.
– وذوو أطواقه من الأنبياء والأولياء متمسكون بالعروة الوثقى.
٢٨٢٠ – وقد بذل أصحابه جميعا الروح، وتغذوا على ألفاظه بالليل والنهار.
– وجاهه هو ركاب عليين، ودينه هو عنان يوم الدين.
– وقد صار فى أحد واحد مع الأحد، حين كان فى قله من أصحابه.
– وقد وجد الجوهر من ضربات حجر سوء الأيام عزاء من مواساة روحه.
– وقد صارت شفته وأسنانه ممتلئة بالدم، وصار دمع عينه مثل موج جيحون.
٢٨٢٥ – فقال « اهد قومى » أثناء ذلك، وفى جواره العقيق الذى لم يثقب.

- وصاح إبليس على رأس الجبل ، هذا هو الفتح العظيم والأمر العجب .
- وقتلت نقطة الرجاء والأمل ، وتحولت وجوه الأصدقاء إلى ظهور .
- ووضعت « هند » الهودج على رأس الجبل ، وكان الكفار أمامها جماعة جماعة .
- وكانت تصيح : ليس هذا من الغدر ، ولكن هذا الأمر هو ثأر بدر .
٢٨٣٠ - ومن أجل أن تقطع يد أحمد أساس الشك أقتلعت رأس حربته روح أُبى .
- وحين صارت روحه ممتلئة بالنار ، صاحت روح جبريل من قلب فرح .
- ذلك أن ما رآه هو نصرة من الحضرة ، وهو جيش من أجل فتح ذلك الفلك .
- وارتفعت صيحات الكافرين إلى الأوج ، وصار نحر كل منهم كالبحر والموج .
- (قائلين) : لقد أقتلعنا السرو من جذوره ، وسقط سرو البستان ومزين الشرع .
٢٨٣٥ - وسقط حمزة ممثلا به فى الميدان مثل سبعين من هؤلاء الرجال العظماء .
- ومجده سماء روح الملك ، وشرفه حارس سقف الفلك .
- كان قمرا ذلك الامام الدانى من السماء ، وهو إمام تنقب بالجلال .
- فقد رأوه فى السر والعلن ، بصيرة سعد وصدر سلمان .
- وكان صخر وأبو جهل وشيبة وعتبه عيبةً للعيب .
٢٨٤٠ - بقى كل هؤلاء عميا عن كل هذا وبلا بصر ، ذلك أنهم بقوا فى هذا الطريق المختصر .
- وقد جعل الخالق باب القيامة مفتوحا فى أوجه الشهداء .
- وأغلقت على الشيطان كوة الروح من الباطن والظاهر باللفظ والبيان .
- كان فى العبودية والخاطر والرأى سروا حرا على حدود الله .
- فنورت عين الدين من بقائه ، وكان نور الشمس من لقائه .
٢٨٤٥ - ولقد ساق الدين دم القلب من أجل سر اليقين فى يكاد ويبين[1] .
- كان قمرا هذا الفلك السعيد ، تطلق الشمس ضحكاتها فى وجهه .
- وضحكة القمر تكون من قرص الشمس ، والقمر رداء مختصر للشمس .
- ومن أجل الطفل العاصى ، جعل ثدى أم الطبع أسود .
- ومن العقل جعل الموت صديقا حميما كالعمر لروح الذكى والغمر .
٢٨٥٠ - مثل شجرة ربيع لطف القدم ، جعل ماءها وطراوتها معا .
- كان شمعا ذلك العظيم[2] السعيد ، محترقا من الباطن ضاحكا من الظاهر .

ذكر خلقه ومرتبته وحسن خلقه صلوات الله عليه وسلم

- تقول بلابل بستان هذا الطيب الرائحة مترنمة تبارك الله .
- وقد حكم على الزمان كأنه الملوك ، وأكل على الأرض كأنه من العبيد .
- وأكل خبز الشعير كالفقراء ، وتحمل بالحلم الاحمال الثقال .
٢٨٥٥ - وخلقه مبشر للخلق ، ونور القمر من جمال جرم الشمس .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » . الزخرف ٥٢ .
(٢) فى النص « الهما » وهو طائر أسطورى قبل أن من أظله ظله صار ملكا . ويترجم إلى العربية « البُلَح » .

- وكان قلبه الطاهر كنزا للجار ، ولم يكن هناك تعب للظل على ترابه .
- وسمع منه حراء مائة ألف آه ، ليس فى وسطها ألف أو هاء .
- وقد جاء جبريل من السدرة إليه ، وكان اليمين الأكبر للحق برأسه .
- ولم يكن هناك أحد غيره وفى البشر ، يضحك حين يطلب البكاء ويبكى للضحك .
٢٨٦٠ - وخلقه تحت هذه الحجب قد جاء بالرحمة للمجروحين .
- ولسنين طويلة كان الفلك نادما حزينا يأكل فى روحه .
- فكان له العزاء من قلبه ، ولم يكن له حزن منه قط .
- والإنسان الذى يملك مثل ذلك اللسان ، يعتبر عدم الإحساس بالسعادة خسارة .
- وحين ربط لسانه عن أذى الخلق ، وذهب وجلس فوق العرش .
٢٨٦٥ - وحينما انحنت قامته من أجل الركوع ، خشع العرش أمامه .
- وحينما كان يجلس لحظة للتشهد ، كان يكسر حزام جبل قاف .
- وقد أعطى الوجود من تلك الشفتين وهذه البصائر نصيبا بالتمام من مجرد « سين » السلام .
- وكان محرابه دائما بحرا ، ونار العشق الخالد ماء هذا البحر .
- وفى هذا البحر الذى لا ساحل له ، مئات الألوف من التماسيح آكلة البشر .
٢٨٧٠ - وحينما سجد لحظة فى الحضرة ، أضرم النار فى جميع الوجود .
- والدنيا برمتها كانت طفيلية عليه ، وكان الإنس والجن أقل خيله .
- وقمر طريقه لا يقبل الخسوف ، ولا تقبل شمس شرعه الكسوف .
- وكان قدره أعلى من العرش والفرش ، وكانت قمة العرش تحت صدره .
- وليس فى طريق المصطفى حزن ، كما أنه ليس فوق قدره قمة .
٢٨٧٥ - وكل شىء صعود فى طريقه ، وعتبته هى طبيعة العود .
- والحور والنور فى « مهده » إلى الأبد ، بقيت مقيدة القدم فى عهده .
- فلو إنهم يشدون قوس الأفلاك ، لا يتأتى لشرعه من هذا الخوف .
- وقد عجزت خيل الفلك عن الحرب ، لكلا يثار التراب على مفرش شرعه .
- والنفس الذى ينهض من هدى عشقه ، من ذا الذى يكون له من الخلق طاقة على تحمله ؟ .
٢٨٨٠ - ومن حرارة هذا النفس حينما يبدو يصير موج البحر كنار النمرود .
- كان هناك طريق ظاهر ملىء بالحزن والأسى ، ولا يمكن السير فى هذا طريقه الا خفية .
- وقد منح سيد السادات من أجل الروح جمّله المحمل بالاثقال زكاة .
- فوا أسفاه أن فى دنيا الكلام يختبىء الظفر فى الأصبع .

فى فضيلته عليه السلام على جبريل وسائر الأنبياء

- حين ذهب ليلة المعراج إلى الحضرة ، ذهب مع آلاف من الجلال والعزة .
٢٨٨٥ - وحين وصل الروح الأمين إلى الحفيف ، نودى أن إختر الفراق عن المصطفى .
- وعاد جبريل من مقامه المعلوم وصار محروما منه .
- وقال : أيها الملك سر وحدك ، فلم يعد لى مقام أكثر من ذلك .

- فلو أسير أصبعا واحدا أكثر من هذا ، أو حتى أو لية ظهرى لا وجهى ؟
- أصير محترقا كالفحم ظهرا ووجها ، (ويحترق) قدمى وأصابعى وقبضتى .

٢٨٩٠ - وقد روى جبريل هذا الكلام ، وقص بنفسه هذه الحكاية على الملائكة .
- قال : أنا لم أعد من العجز ، ولم أطف حول الضراعة .
- ولكن للمصطفى الصفاء وقرب الكرام ، على باب ذى الجلال والإكرام .
- وحينما وضع قدمه خارج الكونين ، عجز الحدثان وأبقى القدم .
- والسفر مسموح لنا فيما هو حادث فحسب ، ومن الممكن أن يسبب عبثنا مشاكل له .

٢٨٩٥ - كان هو السائل وكنت المسئول ، (والسائل والمسئول) كلاهما للآخر حامل ومحمول .
- كان يسألنى دائما عن الأحوال وكنت أشرح له ما وضح لى .
- وحينما خرج بقدمه عن الكونين ، جعلنى مغمض العينين .
- قلت : إذا سألنى أكثر من ذلك ، فكل ما يقوله يصيبنى بالزوال .
- وللحدثان يكون الجواب سهلا ، لكن الروح فى خوف من القدم .

٢٩٠٠ - ولم يكن لى علم بحديث القدم ، فقد حولنا إلى ضعيفى الاجنحة والقوادم .
- ولم تبق لى أكثر من ذلك قوة على الجواب ، وقد صار منى حالى وأمرى من عجب .
- وذهب هو ورأى ما رأى ، وتحدث مع الحق وسمع الجواب
- وقد عجزت أنا عما لا يُرى ولا يُعلم فصرت معقود اللسان .
- ولم يعد لى مجال أكثر من ذلك ، ولم يعد هناك لسان يتحدث عن الحدثان .

٢٩٠٥ - صرت لهذا السبب قاصرا عن ذلك الطريق ، إذ إننى لم أكن عالما بمجال الطريق .
- فقد أبدى لى الطريق حتى الخلق ، وحين عبرت الخلق لم يكن طريق .
- وذلك المقام الذى بقيت مردودا عنه ، لم يصل قط إلى وهم إنسان وخاطره .
- وحينما أقترب أوان رحيله ، جاءت الحاجة إلى ناحية حضرته .
- وحينما كسر ببغاء روحه القفص ذهب وجلس على مفرق جبريل .

٢٩١٠ - إن الطريق الخفى كان أمامه ، ومن ذلك كان يقول دائما . الرفيق الأعلى .
- كان مشتاقا لحضرة الخلوة ، وقد مل هذه الدار المليئة بالآفات .
- وطارت روح الدين وبقى الجسم ، وذهب معنى الشرع وبقى الإسم .
- وحينما اكتمل كائنا نورانيا ، صار جسمه ثانية إلى ما هو جسمانى .
- ويكافح الجسم فى الطريق الملىء بالخلل ، أما الأسم فيكافح فى القسم الخالد .

٢٩١٥ - وحيثا صفى هو شراب الدين ، كان إبن أبى قحافة قحفه .
- فروحه مع قلبه فى عليين ، وجسد ، مع جسد الرفيق والقرين .
- وفى الليل والنهار والشهور والسنين وفى كل الأمر ، ثانى إثنين إذ هما فى الغار .
- كانت هو نفسه مع الرسول متقدما عن الحارس ، فالسلام عليك يا صدق الصديق .

مدح أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ذكر أبى بكر الصديق الأطهر الشيخ الأكبر الوزير الأنور الضجيع الأقمر العتيق الأزهر الصاحب فى

الغار المؤتمن فى الشدائد والأسرار المنفق لرسول الله أربعين ألف دينار ، حبيب حبيب الملك الجبار الذى أنزل الله تعالى فى شأنه ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ ، وقال النبى ﷺ: هذا سيد كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، وقال عليه السلام : أنت عتيق الله من النار فسمى عتيقا . وسئل الجنيد عن قول النبى ﷺ لأبى بكر : أنت عتيق الله من النار لم سمى عتيقا ، قال : لأنه عتيق عن مشاهدة الكونين لا يشاهد مع الله غير الله. وقال عليه السلام : لو وزن أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح ، وقال عليه السلام : لا تبك يا أبا بكر إن من آمن الناس على ماله وعلى صحبته أبا بكر . وقال ﷺ : لو كنت متخذا من أمتى خليلا لأتخذت أبا بكر خليلا ولكن مودة الإسلام وأخوته ولا يبقى فى المسجد باب إلا سُد إلا باب أبى بكر وقال حسان بن ثابت فى النبى وأبى بكر وعمر عليه السلام ورضى الله عنهم :

ثلاثة برزوا بفضلهم ، نصرهم ربهم إذا نشروا
فليس من مؤمن له بصر ، ينكر تفضيلهم إذا ذكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم ، وأجتمعوا فى الممات فاقبروا (؟)

وقال ﷺ : أنا مدينة الصدق وأبو بكر بابها . وقال : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين .

- حينما تعلقت شمس الكرم بالباب ، تمنطق قمر النواب بالحزام .
٢٩٢٠ - وحينما خبأ الغرب شمس الدين ، ثم الظهور لبدر الخلافة .
- وهو السيد ذو الخلاص والإخلاص ، وقد حررت روحه المجلس الخاص .
- وهو المؤنس والصديق فى دار السرور ، وهو « ثانى إذ هما فى الغار » .
- كان صادقا بلسانه صديقا بروحه ، كان مشفقا كالنبى عتيقا كالكعبة .
- وقد صار نعلاه مهترئين فى الطريق ، وهو ساحر الحية أمام الرسول .
٢٩٢٥ - وقد بذل كل نفسه فى عمله ، وصار بأجمعه من أجل رؤيته .
- كانت تربيته مع ذات العشق ، وهو الرفيق والمؤنس ومزاجهما واحد .
- وقد ترك كلامه الحروف كالقلب ، فألقى عنه جلده كالحية .
- وكل ما قرأه الحق على قلب محمد ، حمله وغرسه فى بستان روحه .
- وحينما انبثقت فروع أصله ، تفتحت أكمامها وأنعقدت ثمارها .
٢٩٣٠ - وكل غصن مثمر للمجد ، وأسم ثمرتها « وصدق به » .
- وقد نزل جبريل على السيد ، وجاء بالرسالة من الحق للعبادة .
- فيا محمد من أجل النهوض والعقود ، فإن ألم الأسنان أفضل أيها السيد (؟)
- وقد قال له سيده حين هرب من نفسه ، أن ما صبه الوحى فى كأس روحى
- قد صببته فى صدره وحين فعلت ذلك لم يكن من أجل عهده القديم .
٢٩٣٥ - ولكن صببته بأمر الحق على استحقاق ليس من أجل الرياء والنفاق .
- وكان قابلا للدين من قبل الإسلام ومن قبل هذه الرموز كان هذا هو الكلام .
- وكان صدقه من أجل سلامة الطريق عالما بالسحر مقللا للكهانة .
- وكان على الطريق الرئيسى للأمانة والحذق ، له قدم الصدق على مقعد الصدق .
- وقد بعثر بالعشق العقل الجزئى فى قدوم الركاب المصطفوى .

٢٩٤٠ - وكان هو الآخذ من النبوة بروحه ، كان هو القابل وهو الموصل .
- ومن أجل المشورة وزير الرسول وكان يوم الخلوة مشير الرسول .
- وقد ائتنست به روح الرسول لأنه كان فارغا عن طريق الفضول .
- وكان قد بذل الروح فى طريق الدين ، ذلك أنه كان فى البداية عارفا بالدين .
- وكان قد انتظر سيد الشرع ، فانبعث نور الشرع سريعا فى قلبه .
٢٩٤٥ - وقد فتح له الصدق الأبواب شطر قلب المصطفى الحر .
- وقد أغلقت كل الأبواب نحو ميدان سر رسوله إلا بابه .
- ولم يكن حاصله إلا العطية ، فما دام كان يملك قلبا قائلا « يارب » فهو قلبه .
- كان الدين شمعا والمصطفى روحه ، وروح أبى بكر كانت فراشته .
- وذلك أن الأمة لم تر الهها ، ولم يكن فيها روح تقبل الإيمان مثل روحه .
٢٩٥٠ - وكان عبدا لفهمه أمام الدين ، وكانت أذنه تابعة مطيعة .
- ولو لم يعط قلبه جيشانا من الوفاء ، لما كان أحد للسان الدين آذانا .
- هو قابل الصدق وقائل الإيمان وهو عامل العلم وحامل القرآن .
- وكان بصدره دواء لألم القلب ، وعلى مائدة الدين كان أول ضيف .
- وقد صدق كل ما سمعه منه سريعا ، وكانت أعضاؤه السبعة مناسبة للشرع .
٢٩٥٥ - وجد صدقه فى أذن البشر والدواب ، جعل صوت الغول فى القبور .
- وهو السيد الوقور الرزين ، وقد رأبت الصدع يد صدقه .

فى تخصيص أبى بكر على كافة الناس

- كان قلب أحمد من الكون نقطة الدائرة ، وآدم وجملة الأنبياء على الخط .
- كان الأنبياء خط الدائرة ، وكلهم أظهروا الجهال على الخط .
- وهؤلاء الصحابة الذين كانوا مثل الأنجم ، كانوا هم الدائرة التى يخطها الفرجال .
٢٩٦٠ - وهذا تفسير ما قاله الرسول المختار ، هذا « أول الخلق وآخر البعث » .
- ذلك أن النقطة كانت أولا وبعدها الخط ، والخط خلق بعد النقطة .
- كانت روح أبى بكر الخط الأوسط ، لم يكن العتيق خارج الخط بل كان فيه .
- وقد أظهر هادى الطريق الطريق له ، ولم يكن هو فى جمع قط .
- بالرغم من أن أصحاب الكهف صاروا جميعا عارفين بهذا الخلل من أجل الطريق .
٢٩٦٥ - فقد صار معلوما لأيهم أن حيلة دقيانوس ومكره مجرد أسطورة .
- فذلك الذى يهلع من القط ، كيف يصير سيدا لكل العالم ؟
- اما ثلاثة واما خمسة واما سبعة كانوا ، فقد صاروا جماعة حين اجتمعوا[1] .
- ثم تبعهم الكلب بعد ذلك . حتى صار له النفع من أول قدم .
- ومقام أبى بكر قائم بنفسه إذ لم يكن جمعا ، وقد وجد هو من الهداية الشمع .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ الكهف ٢٢ .

٢٩٧٠ - وحينما سمع لفظ السيد فى الحال ، وجد الطريق القويم فى الليل الداجى .
- وأعطاه الإقرار بلفظ واحد ، وصار ضائقا من الاصنام والأوثان .
- فلا جرم أنه كان وسط الدائرة ، وأتاه النفع بلا أذى .
- كان الأنبياء خطا والرسول نقطة ، وكانت روح أبى بكر وسط الخط .
- فأوصل مئات الألوف من الترحم والرضوان من سنائى على روحه .

فى قربته وحق صحبته من الرسول

٢٩٧٥ - حينما دق الروح الأمين طبول الشرع ، وضع الدين عينيه على أذنه .
- وكان جديرا من الروح بالكتاب ، فكان فى أعماق فمه كالفستق .
- وقد بحث قده فى رضا الله عن رداء الإسلام .
- كانت كرامته وفضله كثيرين ، لدرجة أن سماه أبو الفضل ذا الفضل .
- وقد أعطى القرض من أساس القلب والدين « ومن ذا الذى » شاهدة على ذلك .

٢٩٨٠ - وقد سمع حكم « من ذا الذى » بأذنه ، فأصبح أمام الحكم بائع منزله .
- وفى دفعة واحدة أعطى مقام إيثاره أربعين ألف دينار .
- ووهب الأسباب والملك السهل السليم ، واختار من أجل نفسه الكليم .
- ومن كوة شرفة الإيمان ، (كان) فى مشاهدة جنة الرضوان .
- كان صدقه رسم جماله ومجده ، وكان ألمه مرهم قلبه وكبده .

٢٩٨٥ - وصار لابس صوف الروح الأمين ، ومن أجل ألمه فى حلقة الدين .
- وقد غسل اللوح من أصل شرع الرسول ، من أبجدية الفضول .
- وكان صدر الصديق قفصا ، (يسكنه) عندليب بإسم العتيق .
- وحينما ارتبط قلبه بالشرع كسر ذلك القفص من أول لحظة .
- وصار حاصلا على ما هو مسئول عنه ووضع الرسول على قلبه اسم الكل .

٢٩٩٠ - وحينما ارتفع عندليب قلبه ، طلب طول باب الشرع وعرضه .
- وعلى صدره عرش الشرع المحمدى ، وهو أيضا فى صدر النور ذاك .
- وطوله وعرضه معلوم كالشرع ، فإن مقلوب « موم » هى « موم » أيضا[1] .
- وحينما عرف جماله وكماله ، قامر بكل شىء فى طريقه .
- ولم تكن حاضنة الدين بـ « يجوز » أو « لا يجوز » قد غذته بلبنها حتى ذلك الوقت .

٢٩٩٥ - فكان يفعل كل ما يفعل عن ثقة ، وكانت روحه مع صفائه فى وفاق .
- والدين كأنه الشمع والمصطفى روحه ، وكانت روح أبى بكر فراشته .
- وقد حمل فى دين الحق الخير منه ، ووجد يوم الظفر مجده منه .
- وقد وقع بخط بديع على منشور حق « يستخلفهم » .
- وحينما أخرج يده للخلافة ، جعل وديان أهل الردة دما .

٣٠٠٠ - وجعل عقله بسبب الضراعة قبلة للسر ومكانا للصلاة .

(١) « موم » معناها شمعة بالفارسية .

- وهو كجوهر النقل واحد وفى نفس الوقت ككل ، وهو سيد وعبد كسَّر العقل .
- كان طوال السنين والشهور فى مرافقته ، وقد ضحى بالروح فى موافقته .
- كان جد أبى بكر جاها للدين ، وقد وجد الدين من أبى بكر التاج والخوذة .
- وكان صدقه حارسا للإيمان ، وكل ما أراده المصطفى كان (متمثلا) فيه .

٣٠٠٥ - وقد أحرق فرع إعادة العادة ، وأقتلع جذور إرادة الردة .
- وقد أقام الملك المتداعى ، وأعاد الملة الذاهبة إلى مكانها .
- وحينما أرادوا أن يلغوا الصلاة والزكاة ، أعادهما مرة ثانية إلى مكانهما .
- فتجددت منه فروض الصلاة والزكاة ، وصار ركن الإسلام مصونا من الآفات .
- وقد رفع الشرك والشك بقوة الايمان عن كسوة الايمان .

٣٠١٠ - كان العالم قد اتجه نحو الكفر ، فقام هو بالنبوة فى نوبته .
- وكانت صورته وسيرته كلها روحا ، ومن هنا ظل مخفيا عن عين العوام .
- وقد صار القلب عاقلا بالشرف لا بالقوت ، وتكون عين العامى فى الجسد لا فى الروح .
- وعين العاقل ترى ما داخل الروح ، وجوهر الياقوت تراه عين المنجم .
- فلا تصل يد كل نذل إليه ، ولا تصل قدم كل سافل إليه .

٣٠١٥ - فعين الإيمان ترى جمالة ، ومتى يرى الأعمى الوجه الجميل ؟
- ويا من لم تعلم حذق أبى بكر ، ما الذى تعلمه عن صدق أبى بكر ؟
- فروحك المليئة بالكبر وعقلك الملىء بالمكر ، متى يظهران لك جمالَ أبى بكر ؟
- وكيف تستطيع أن ترى دينه ذاك بهذه العين القصيرة النظر ؟
- فالعين التى ترى أبا بكر تنبع من الدين ، ولا تنبع عن المكر والهوى والحقد .

٣٠٢٠ - وقد نادى الحور بصدر قيامه ، فمن أين للرافضى أن يعرف قيمته ؟
- وقد قام أبو بكر بالعمل الجدير به ، ولست رَجلا لكى تقيم أبا بكر .
- وهو يأتى لعدوه بالأجل ساعيا ، أما صاحب الهوى فهو مصاب بالهوان .
- وما دامت ياء الهوى وهاؤه فى ناظريك فإن الحية والفأر كلاهما على أمل صيدك .
- وحينما يرى مقطوع الرأس أنه ضاق من نفسه ، يقول : أنا خير بالرغم مما به من ألف شر .

٣٠٢٥ - وليس ذاك بمحل الرافضى ، وذلك الذى ظنه لم يكن كذلك .
- ولست أنت رجل على أو العباس ، كما أنك لا تعرف المصلحة من الجهل .
- فذلك الذى يشبه إبليس يرى الجسد ويرى الجميع مثلما يرى نفسه .
- فكيف له أن يعلم ما هى حرارة الروح ، وكيف يعلم ما هو ألم الإيمان ؟! .
- وذلك الذى يريد (أن يبذل) روحه من أجل الآل ، كيف يرغب اذن فى إيذاء على ؟ .

٣٠٣٠ - ويطلب فضولا وجهلا ، أن (يكب) فى النار من يغض مثل على ؟ .
- وذلك الذى لا يأخذ الفلك حلال من الحق ، كيف يعطى نفسه « فدك » حراما ؟ .
- وإذا لم تكن روحه إضافة وإن لم يكن صدقه خلافة
- فمتى أودعه المصطفى الملك إذن ؟ وكيف أخذ الملك إذن من حيدر ؟
- وذلك الذى سلب الروح من صخر ، كيف يفر عاجزا من خوف العدو ؟

٣٠٣٥ – وعلى الذى سلخ جلد العدو ، لا يكون مع مثل هذا العدو صديقا .

– وأنت تجعل عليا معزولا بهذه الترهات والهزل والفضول .

– فلو كان مداهنا فهذا لا يليق ، ولا يجدر وجوده إذن بالخلافة .

– وإن كان عاجزا وخبيرا ، فهو منافق وليس أميرا .

– وذلك الذى فعله على من المصلحة ، فلماذا تقضى السنين والشهور فى جدل ؟ .

٣٠٤٠ – فالق بالمكر والكبر والهوى بعيدا ، حتى تعطيك روحه صوتها .

– وحين صار أسد الله كاتبا للحرز ، إنطلق إبليس مغادرا المكان .

– فأى شىء تفعله باتخاذ مثلك لعلى وليا ، وماذا يصنع على فى الهوى والهوس ؟ .

– واختيار الأفضل بين الخير والشر يكون قبيحا الحديث عن الدين فيه .

– وقد عبر هو عن مبتدأ القدم ، ووصل هو إلى منتهى الهمم .

٣٤٥٠ – وحتى الحظيرة كنس الحور والغلمان والطريق أمامه بالجدائل والجمة.

– وبقى للرافضى معلقا فى عنقه والصراخ والتعب والموت والكدح .

– وأى علم للرافضى بأن يقوم بترويض البراق الذى رباه الرسول ؟ .

– كان أبو بكر وعلى رفيقين ، فأقصر أنت لسان الفضول .

– ولتكن رحمة الله الذى لا شريك له على أبى بكر وأسد الله .

٣٠٥٠ – وقد رأت صورة صدقه من كوة الفضل الفاروق بالعلم والعدل .

– وكلاهما كان قيما من أجل الدين وكانا جديرين فى السيادة والدين .

مدح أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه

ذكر أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب المذكور بأفضل الخطاب الحاوى للثواب الماضى للعقاب الذى فرق بين الحق والباطل والقتيل والقاتل الذى أنزل الله تعالى فى شأنه ، يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يعنى عمر رضى الله عنه ، وقال النبى ﷺ ، عمر سراج أهل الجنة ولو كان بعدى نبيا لكان عمر . وقال عليه السلام : إن الشيطان يفر من ظل عمر ، من أحب عمر أمن من الخطر من أحب عمر فقد أوضح الطريق وقال : أنا مدينة العدل وعمر بابها .

– كان عدل عمر من عدم مكره ، كما كان وجه أبى بكر مرآة الصدق .

– كان منجم الإسلام وزين الإيمان وكان صدقه منجما للعدل والعقل .

– كان الدين فى زمن العتيق هلالا ، ثم وجد بالفاروق العز والكمال .

٣٠٥٥ – فقد مدت من ذلك القدم على العيوق ، جماعة الإسلام بعقدة الفاروق .

– وقد طلب « طه » عمر ووجده ، واجتباه من بين القوم العظام .

– وحينما أصبح قلبه محققا من الحق ، صار صدفا لدر رؤية الحق .

– ذلك الذى صار الأمر تاما فى وقته ، وأكمل الفرجال الدائرة .

– ومن أجل مثله ملكا وضع الدين شبكة من الطاء والهاء فى الطريق .

٣٠٦٠ – ذلك الذى طهره طه ، وذلك الذى أعطاه طاسين الإمارة .

– وقد أعطت يده الطلب لصدق الطاء وقيدت قدمه الهاربة بعشق الهاء .

- وعلى فلك الحق بنور اليقين ، جعل الهاء والطاء بدر التمام فى الدين .
- وقد أتى شوقه به إلى سيده ، وهو يقول أمامه (افسحوا الطريق .. افسحوا الطريق) .
- وقد رأى من (طا) كل الطهارات ، وجعل من (ها) كل الامارات .

٣٠٦٥ - وقد بذل عمر عمره ، وعمر أن ذهب فمجد الله باق .
- وروحه شاهدة للحق فى النوم ولسانه فى الكلام نائب الحق .
- وقد جعل فى العز وفى الدولة السرمدية عمرا بديلا عمن عمر الأبد .
- كان الأمير عمر ملك ملوك الدين وبذل الروح والمال فى سبيل الدين .
- ومن أجل الشيطان فى زمانه كان ظله وسلاح منزله .

٣٠٧٠ - وقد جعل عقله للشهوة جواز السير فى الأرض فى دار المجاز هذه .
- وقد جعل وصلة خرقته من الاستغناء ومن هذا المدد رأى شيطان حرصه ميتا .
- فإذا قال فلسانه عاهد الحق وإذا نام فروحه مشاهدة للحق .
- ومن أجل الرسول : جعل الهه « حسبك الله » رديف إيمانه .
- والفراغ منه لطريق الدين والقلب ، والمصباح منه لحديقة الفردوس .

٣٠٧٥ - ومن أجل الدين أباحث درتة الدماء من أجل الصلاح .
- ومن أجل حكمة النافذ ، قرأ الماء خطابه بسرعة الماء الجارى .
- وقد عجبن دم القلب بنفس الوفاء ، وكتب للنيل خطابا على الفخار .
- وما ان قرأ النيل خطاب عمر ، حتى ساق الماء ملونا من عينيه .
- سوقا ليس فيه وقوف ، وقراءة ليس فيها حروف .

٣٠٨٠ - وقد أضرم عدله فى دار المجاز هذه النار فى دار حجب السر .
- ويئس التلبيس من حضرته ، وهاجر إبليس من محلته .
- ومن جار عليهم الفلك لهم الطيبة منه ، وذوو العمر الطاهر فى قوة منه .
- وقد جعل ظل نور خرقته ذى السبع عشرة رقعة ، الشمس منفصلة عن مدارها .
- وعلى صدر فهمه جأر النجم بالشكوى ، وأمام سهمه صار الشرير ملاكا[1] .

٣٠٨٥ - وصار قيصر منقلبا من العرش الرفيع ، والدرة فى يده وهو فى البقيع .
- ومن أجل الضرورة لقن سورة السنة لأهل الصورة .
- ومن أجل المؤمنين اقتلع بالسيف والقوس شوك الشبهة من طريق الإيمان .
- وقد جعل الروح سكرى من الراح ، وكانت الدرة فى يده تعطى أمر الحق .
- ومن احتسابه فى إعتدال الربيع ، بقيت الوررود برية والخمور فى كرمها .

٣٠٩٠ - وقد كانت سيوف ملوك الفرس المليئة بالخطر أقل من درة عمر .
- وصار منزل يزدجرد منه خرابا ، وقد حطم هو كل هذه الأسباب .
- وهو الذى اقتلع أصل الضلالة وفرعها ، وقيد يدى الكفر وقدميه .
- وحينما يمم وجهه شطر الاحتساب ، بقيت الخمر برية مثل الورد .
- وتخلصت النفس الحسية من قيودها السبعة ، وتحررت النفس الناطقة من الأوتاد الأربعة .

(١) فى النص « جعل سريش سروش » وهما مصطلحان للشيطان والملاك فى الديانة الزردشتية .

٣٠٩٥ – وإذا أردت أن تعجب من كرامته ، فاقرأ قصة سارية والجبل .
– وقد أقام الحد على ولده من أجل الدين ، فصعدت نفس الابن إلى عليين .
– قال : إن هذا الصدع فى دينى ، حتى ولو كان من إبنى المدلل .
– وقد نور العالم من عمر ، وأمتلأت الآفاق با لمنابر .
– وقد زين وجهه مسند العتيق ، وشذب رأيه سرو حديقة الدين .
٣١٠٠ – ومن أجل تصحيحه ظهرت المصابيح المتلألئة فى تراويحه .
– ومن غيرته صارت جرأة الزهرة ناسجة الحرير مبعثرة الجسد .
– وكان كالدرة فى إقامة الحد ، فى طريق أحمد من أجل الأحد .
– ولم يضرب مثقال ذرة بالدرة إلا بأمر ، وكان هذا من أجل الستر .
– وقد صارت بيوت الخمر خرابا منه ، وتحولت جرأة الزهرة إلى ماء منه .
٣١٠٥ – وهو ناصر الله فى ولاية الحق ، وقد حكم بالحق فى ولاية الحق .

فى عدله رضى الله عنه

– كان عدله عديلا للقضاء ، وكان حكمه نافذا كالقدر .
– جعل الغابة على الوحش كالحرم ، وجعل الشراك على الطائر كإرم .
– وقد جعل أمره بإذن الله بعيدا عن كل ما لا يقبل .
– ومن عدله الرحيم جعل الذئب حلو الفم على الغنم .
٣١١٠ – وحينما ساق حكم الدين على العظماء أثنى الفلك على حكمته .
– وتكون جرأته يوم البعث ، باعثة على السعادة كالزهرة .
– وقد كان عدله تحت النور من قبل الحشر قابلا لميزان الحشر .
– وقد جعل نقصانا زيادة الشمس والقمر ، فتساوتا فى خلافة عمر .
– ومن بأسه ومن عدله فتحت بلاد الشام والعجم نفسها (كما يفتح القلب واليد) .
٣١١٥ – كانت روحه معانى الأنصاف ولم تكن مادته وقدرته جزافا .
– حبذا عدلته وشوكته ، وما أسعد أيام دولته .
– وقد فتح بلاد الشام والعجم بصلابته ، وأخذ من الروم أحمال الذهب والدراهم .
– وقد أرسل سعد بن أبى وقاص وعمرو بن معدى كرب هذين الحرين وهذين الهاديين .
– أرسلهما إلى بلاد العجم ، فنشر فيها العدل بدلا من الظلم .
٣١٢٠ – وحين قويت الحرب فى نهاوند ، تداخل الكفر والإسلام فى الضرب .
– (والكفر) من فرط فكر الناتج عن الألم ، أحدث مثل تلك الخدعة .
– فرأى هو حيلة الكافرين على البعد ، فراسة بذلك القلب الملىء بالنور .
– فقال يوم الجمعة وهو على المنبر ، يا سارية حذار من الخصم .
– الجبل الجبل فعسكر الكفر ، قد إحتال والحيلة على باب الكفر .
٣١٢٥ – وسمع سعد بن أبى وقاص لفظه وظهرت كمائن الكفر جملة .
– وإنشق الجبل وسمع سعد وعمرو الصوت وصار فاشيا ذلك السر .

- فصاروا على علم بالكامنين لهم ونجا الجيش من تلك الورطة .
- وهزم الكافرين لذلك السبب ، وتفرقوا بددا[1] وأسروا جميعا .
- وقد اختصرت هذه المناقب فى شأن صاحب الوجه والرأى الثاقبين ذاك .

٣١٣٠ - وبحرفين من أجل إيجاز واحد أقول كلمات ثلاث على لسان الحاجة .
- لقد صار عمر الملك طويلا لعمر ، وصار باب الشريعة مفتوحا بعمر .
- ووجد الدين البهاء والشرف من عمر ، وقد صار لهذا الدين الخلف المختار .
- كان الدين فى إزدياد حين انتهى عمر ، وكان عمر مرشدا فى الشرع .
- وعيناه مضيئتان فى يوم الحشر ، بالله والرسل والعدل والسنين .

٣١٣٥ - ولتصل مائة ترحم منا فى هذه الساعة إلى روحه المليئة بالطاقة .
- وكان باب الأمان للملك وباب الإيمان ، وكان عثمان ابنا لعدله .
- كان الدين سعيدا ذا مكنة منه ، ومن وفاقه إزداد رونق الدنيا .
- وكان ما هو موجود من لفظ أبى عمر وفضله ، هو السنة المحضة ومنه الأمر .

مدح أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه

ذكر الشهيد القتيل المظلوم أبى عمر عثمان بن عفان ذى النورين المكرم فى المنزلين ختن رسول الله ﷺ بإثنتين أم كلثوم ورقية المباركتين الكريمتين جامع القرآن والشاهد يوم التقى الجمعان الذى أنزل الله تعالى فى شأنه أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وقال النبى ﷺ فى حقه : عين الإيمان عثمان بن عفان مجهز جيش العسرة وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه حكاية عن الله تعالى: استحييت من عثمان بن عفان ، وقال : الحياء من الإيمان وعثمان عين الحياء وقال عليه السلام أنا مدينة الحياء وعثمان بابها .

- أحيانا يكون النقص من العمر ، وحين وصل (دور) لحيدر لم يكن عمره مناسبا .

٣١٤٠ - هو الذى جلس فى مكان المصطفى ، رد الحياء طريق الخطبة على شفتيه .
- لم يكن ذلك من العى بل كان من الحياء ، ذلك أنه كان يعلم أن (فى ذلك) ألما لروحه .
- فلم تعجب إذا ألقى حياء عثمان المجن من هيبة الرسول ؟
- ذلك لأنه كان فى مكان أحمد المرسل ، من أجل الوعظ عن طريق المثل .
- ولو يصل العقل إلى ذلك المكان لألقى برأسه ، ولو تصل الروح إليه تقامرت بمادتها .

٣١٤٥ - فقد صار نطق عظماء العالم قبله وكأنه القطن فى أفواههم .
- قال عثمان حينما سد طريقه ، إن الآه قد إنطلقت من بين روحه .
- هل أكون (أنا) فى مقام الرسول ؟ إن الموت أفضل من العيش بدونه .
- لقد صارت طرق الممالك آمنه منه ، وأخفت الملائكة رؤوسها بين أجنحتها (حياءً) منه .
- فشمائله الحياء والحلم والسخاء ، وقد ظهرت هذه الشمائل الثلاثة على مخايله .

٣١٥٠ - وهذه الخصال الثلاثة هى أساس الأصول ، وقد كان صهرا للرسول فى ابنتين .
- وقد صار الأقارب مدللين فى بلاطه ، وصار أولئك الأقارب عقارب فى طريقه .

---

(١) حرفيا : وتفرقوا كالبذور .

- وحينما ذاقت روحه شربة الغم ، فإنما تحمل هذه الآلام من بنى أمية .
- ولو لم يتعهد هو بذر السدرة ، لأرتعد جبريل حياء .
- وحينما حولوا الأمر من سيرة العدل إلى ديدن الوحوش ، فعلوا السوء مع مثل هذا الرجل العظيم .
٣١٥٥ - واختطفوا الاستقامة من مقامها ، وزادوا فى الاعوجاج بلا نهاية .
- ومتى كان الشوام الذين يسرعون خلف الشؤم أهل خوف وحياء .
- وظهرت الفتنة فى أنحاء العالم ، ولم يكن لأقفالهم المغلقة مفتاح .
- ومهما كان العقل صاحب قوة ، فقد قال يارب أية فتنة لا أساس لها .
- وقد طأطأ العقل الذى وصل هناك رأسه ، وألقت الروح التى وصلت إلى هناك بجناحيها .
٣١٦٠ - هكذا يكمن العقل الذى يصل إلى هناك ، فمن هوعثمان ؟ إنه صاحب اللسان .
- ومن كان عين الإيمان إلا عثمان ، والحجة على ذلك : الحياء من الإيمان .
- وقد كحلته يد الماشطة المدربة بالحياء فى عينيه .
- وقد صار الندى والنرجس رفيقين له دائما ملازمين لوجهه .
- وتقبل الله حياءه ، وضى عنه الله ورسوله .
٣١٦٥ - ولعيد العشرة المدد من خلقه ، لجيش العسرة العدة من ماله .
- ومن أجل المواءمة مع المصطفى فى الليل والنهار كان منفق الكف محرق المنافق .
- وهو سروه الحر بالقلب والعدل ، وهو صهره فى كريمتيه .
- وقد جعل فى أمر الملك والأمة والملك فى القرآن مسلوكا فى عقده .
- وقد صنعت عقيدة عثمان للقلب والروح درع مصحف القرآن .
٣١٧٠ - وسيرته وخلقه مؤكدان للحلم ، وعقله وروحه مؤيدان للعلم .
- وهو الحاصل على علم التنزيل ، كما أن قلبه حامل لسر الوحى .
- صورته جميلة ونيته كاملة ، وهو قابل الصدق والعالم العامل .
- واللئيم والظريف عاشقان لذكره ، وجوده نكتة للوضيع والشريف .
- وقد ولد من أسلاف عظام وتربى فى جوار الشرف .
٣١٧٥ - وقلبه وعيناه من الشوق فى المحراب ، عين للشمس وعين للماء .
- وله فى القراءة كل الثناء والثبات ، ومع القرابة كل الحياء والحياة .
- وبذله ظهير الملة النبوية ، وحياؤه سبب الدولة الأموية .
- وكان قلبه موافقا مع النبى ، وكان نور روحه كالصبح الصادق .
- وكان حياؤه يذلل الصعاب للأقرباء مهما كان الرحم يسىء إليه دائما .
٣١٨٠ - فالوقاحة هى أذى الإيمان ، والعين الحيية هى لسان الإيمان .
- والعقل دائما ما هو فى إعوجاج من الإثنينية ، أما عين الإيمان فلا ترى الإثنين أبدا .
- وقد كان قابلا كمرآة الإيمان ، وأمامه كان الخير هو الخير والشر هو الشر .
- والعقل هو الذى يميز بين الخير والشر ، وإلا فالتوحيد لا يجعل من الشرير أكثر طيبة .
- وحينما يستنبط الخير والشر من الباطن ، يتقبل الشيطان كما يتقبل الملَك .
٣١٨٥ - فليس من التوحيد أن يكون لديك الكفر والدين سواء بل من الشرك والشك .

- وحين تصيب العلة عين الأفعى بالعمى ، فسواء أمام عينها البلور والزمرد .
- فاعرف طعم الذل واعرف أيضا طعم العز ، فلم يجعل (الله) باطلا قط حقا .
- ووجه المرآه الذى لا يرين عليه الصدأ لا يقبل الصدأ ولا يستوعب اللون .
- ولا يقبل مستقيم قط أى اعوجاج فا لمستقيم يتقبل الاعوجاج (وهو يظنه استقامة) .
٣١٩٠ - وكانت الفتنة التى قامت فى منطقته ، من ذوى رحماه ومن عصبته .
- لم تكن منه الفتنة ولم يكن منه الحقد ، فالزنجى قبيح وليست المرآة (قبيحة) .
- وعلى الخلق أن كانوا شرفاء أو اخساء ، أن يقبلوا حياءه وإيمانه عذرا .
- ومهما كان خلق العالم طيبين أو أشرار فإنما يبحثون دائما عن هوى أنفسهم .
- وقد كان خيرا دائما ووجد الخير وأسرع إلى جوار أصدقائه .
٣١٩٥ - واختار الآخرة على الدنيا ، لأنه كان طيبا ورأى الخير .
- فويلاه لذلك الشخص الذى سعى فى دمه ، وهكذا أراد رأيه الملعون .
- فمن مثل ذلك الدم الذى سفكه الخصم ، جعله على « فسيكفيكهم » عطرًا .
- وقد أحسن هو إلى ذوى الأرحام ، وطلب الحب وحسن السيرة .
٣٢٠٠ - وكان ينظر إليهم من أعماق قلبه فأستند على أصلهم وهو من الماء والطين .
- ويكون القلب الصادق على نسق المرآة ، الأسرار الكامنة فيه واضحة أمامه .
- وحينما ظن أن الأعداء مثله فكر فى المحن دون غل وغش .
- وكان هو مع محمد بن أبى بكر مثل أبى بكر بلا سوء أو مكر .
- كان عزيزا عليه كابنه ، جعله عائلته ومن اللاحقين به .
٣٢٠٥ - ذلك الذى كان لأبى بكر مثل الروح ، كيف إذن يؤذى ولده ؟
- وقد صنع الأعداء الغوائل ، حتى يضعوا الحوائل فى الطريق .
- وكل من هو شرير سيء الفعل ، مهما كان حيا إلا أنه أقل (قيمة) من الجثة .
- وليس فعل السوء عمل عاقل قط ، وليس القلب البلىء بالغائلة قلبا .
- وخالقنا الذى هو فرد وقهار ، غاضب على الحسود والحقود .
٣٢١٠ - وليكن ثناء الإله عز وجل عليه أولا وأخيرا .
- وقد صار حيدر الكرار بعد أبى عمر قيما على شرع المصطفى .
- فيا سنائى بقوة الإيمان امدح حيدر بعد عثمان .
- ومع مديحه المدائح المطلقة ، زهق الباطل وجاء الحق .

مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

ذكر زوج البتول وابن عم الرسول أبى الحسن والحسين المبارز الكرار غير الفرار غالب الجيش العرموم الجرار سيد المهاجرين والأنصار ، قال النبى : من أحب عليا فقد أستمسك بالعروة الوثقى الذى أنزل الله تعالى فى شأنه : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ وقال عليه السلام: يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبى بعدى . وقال ﷺ : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

وأنصر من نصره وأخذل من خذله ، وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه . وقال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما ودخلت عائشة رضى الله عنهما وعن أبيها على النبى ﷺ فقال : يا عائشة ما تقولين فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه فأطرقت مليا ثم رفعت رأسها وقالت بيتين :

إذا ما التبر حك على المحك   تبين غشه من غير شك

وفينا الغش والذهب المصفى   علىّ بيننا شبه المحك

وقال النبى عليه السلام « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

– ذلك الذى من فضله (تكون) الآفة لدار الفضول ، وهو صاحب علم الرسول وعلمه .

٣٢١٥ – هو كإسرافيل رافع الرأس من العلم ومن حلمه الموت لشيطان الحرص .

– هو الذى بذل عن طريق التسليم ، الأب والابن مثل إبراهيم .

– وهو الذى كان فى الشرع تاجا للدين ، وهو الذى كان تدميرا للحقد والكفر .

– وهو خليل لحكم التسليم كما ينعى ، وهو وكيل لعتبة الشرع كما ينبغى .

– لم يسمع التأويل من المصطفى ، وإنما صار التنزيل مكشوفا على قلبه .

٣٢٢٠ – وقد أنيرت عين المصطفى من وجهه ، وفرحت الزهراء حينما صار زوجا لها .

– وغبار مواقفه شرف للفلك ، وكان هو الرجل فى الحديث والحديد .

– وقد جدد حديقة السنة بأمره ، وهذب ما كان قد نبت (فيها) وحده .

– ولم يقطع رأسا من الغضب قط ، ولم يمتشق الحسام إلا بالأمر .

– وقد خربت خيبر من سيفه ، وصار أساس مائها كله سرابا .

٣٢٢٥ – ومن أجل البدرة والرقيق لم يجعل الخلق قط خصوما له .

– وكان « مالك » يحمل كل عدو يجندله من مكانه .

– وكل من كان يضربه زين الدين هذا ، الإسم يده والضارب الله .

– وإسمه مشتق من اسم الصديق ، وأينما ذهب كان الحق رفيقه .

– وقد إختطف الفخر من آل صخر ، وأظهر القيامة نقدا حاضرا .

٣٢٣٠ – أمات مرة وعنتر وأراحهما ، وجعل عالى العقل فى المخ سافله .

– وهو مقتلع باب الكفر من أساسه ، وهو الحافظ لباب الدين .

– وهو القائل حينما لا يكون ناطق ، وهو القاتل لكل من لم يكن قابلا .

– ومن أعداء الدين جعل مادة الرمل مشبعة بالدم كالسحاب (المشبع بالمطر) .

– وقوته مقتلعة باب قلعة اليهود ، وباب العلم والعمل مأخوذ منه .

٣٢٣٥ – ولما كان حسه عظيما وكبيرا ، صار سحاب الأثير مغلوبا له .

– وقد جعل أسد الدين الذى لا بخل عنده بسيفيه الإسلام سيفا واحدا .

– وبسيفه ذى الفقار وبلسانه ، جعل الدنيا سيفا واحد كعطارد .

– كان لسانه سيفا ناثرا للجوهر ، جعل به علم العالم منتشرا .

– وكان السيف الآخر ذا الفقار القاطع ، الذى كان آفة على أرواح الأبطال .

٣٢٤٠ – وقد جعل الشرع كالسهم والعَلَم من هذين السيفين المسلولين فى العالم .

– فنور علمه ذائق الكوثر ، ونار سيفه قاتلة الكافر .

- وقدمه راسخة فى صف الحرب ، ومسموح لروحه بها وراء الرمز .
- وقوته كاسرة الأصنام فى يوم الأزل ، ويده ضاربة السيف حتى أوج زحل .
- وهو مبرز فى علم الخوف والرجاء ، وهو مبارز كالأسد والشمس .

٣٢٤٥ -ومن طبول (حربه) صارت أذن الفتنة صماء ، وقبل الفتح والظفر الأرض بين يديه .
- ولم ير قلبه وساعداه بأعينهم أنه مد يده على رجل بغضب .
- وحينما قيدت يداه وسيفه قدم الكفر ، كسرت هيبته رقبة العدو .
- وحينما كان يدخل بقدميه فى المعركة ، فتلك هى دولته التى أعلت يديه .
- وكان السـراج منه لليلة الظلماء ، وكان الهياج منه فى يوم الهيجـاء

٣٢٥٠ - وقد جـاء جبريل من السدرة ، ولقنه بـ (لا فتى) .
- وقد أرسل ذو الفقار من جنة الله ماحقا للشرك .
- وحينما أحضروه إلى الرسول ، قال : هذا هو الجدير بحيدر .
- حتى يعلن به دينك ، ويجعل عسكر الكفر هباء .
- فأعطاه المصطفى للمرتضى قائلا ، أجعل الدين بهذا ظاهرا من الخفاء .

٣٢٥٥ - وليست الشجاعة هى التى أدت إلى رجولته ، وليس النصر هو الباعث على شهامته .
- لقد سل الحقد من الباغى ، إذ م تأخذه فى الحق لومته لائم .
- ذلك أن شجاعته لم تكن من الغضب بل من الإيمان ، فإن قته للحرص والكافر سواء .
- ويومه كاسر الصنم من يوم الأزل ، ويده شاهرة السيف على أوج زحل .
- وكان للنبى الوصى والصهر ، وروح الرسول من جماله فى سرور .

٣٢٦٠ -فيا أيها الخوارج لو أن فى باطن قلوبكم شكا ، فإن الكفر والدين لديكم سواء وهذا من الجهل .
- وقد رأى آل ياسين الشرف به ، وأختاره الله بالعلم .
- وهو نائب المصطفى فى يوم الغدير ، وقد جعله أميرا على الشرع .
- وقد قرأ سر القرآن بقلبه ، فصار له علم الدارين حاصلا .
- وحينما كان يتحدث بفصاحة ، فقد كان المستمع يثقب الدر من هذا الحديث .

٣٢٦٥ - كان لطفه هو لطف الرسول ، وعنفه كان عنف الأسد الهائج .
- وكل من رأى حسامه مسلولا ، صار طريق الحلول عنه منفيا .
- ففكر فى الإنسحاب من الكفر ، فالسيف مشرع أمام حيدر الكرار .
- وفى العقل والدين جعل السماحة متداخلة مع الشجاعة بالسيف والقلم .
- وقد سماه المختار فى الدين والملك ، باب علمه وصاحب علمه .

٣٢٧٠ - وهو روح الشهامة وجسد الدين ، وهو سيد السنة وبطل الدين .
- هو شرف الشرع وقاضى الدين ، وهو صدف در آل ياسين .
- فرزانته قابلة لسر الحق ، وأمانته مهبط وحى الحق .
- ونفى نفسه جاذبة للتنزيل ، وروح روحه ذائقة للتأويل .
- وقد عرضت أيام الأسبوع السبعة على ذلك الجمال والطبع الجنان الثمانية .

٣٢٧٥ -وللعيون قوة البصر من رؤيته ، وللأسماع الشموع من حديثه .

- وسيفه بنيان لقوس الفلك ، وكان القوس فى منزل الوبال .
- وحيثما كان ذلك القلب واللسان ، فإن فطنة عطارد تكون محنية كالقوس .
- وقد ضرب رأس البدعة بسيف اللسان ، وغسل وجه السنة بماء السنان .
- ومن مرجان الكرامة ودرها ، جعل ثوب القيامة ممتلئا بالجوهر .
٣٢٨٠ - وفى حكمة واحدة أدرج من أجل أرواح أهل الفضل درجين من الجوهر .
- كان محرما فى كعبة الروح ، كما كان مسموحا له بسر الله .
- وكان بناؤه مختلطا مع السماء على بساط الأرض كالبحر المحيط .
- وبراعته فى ديار العرب ، وشجاعته فى ديار العجم .
- وقد شطر الشمس والقمر شطرين ، ونور ذلك الإقليم بأقلامه .
٣٢٨٥ - فقلبه صدف لمائه ألف بحر ، وجسده شرف لمائه ألف عرش .
- وتجرد هذا من مشقة الظرف ، وخرج ذلك من حجاب الحرف .
- وكان مكرما إلى ذلك الحد ، الذى صارت فيه « لو كشف » مسلمة له .
- كان للمصطفى مطيعا مأمورا ، واستمع منه إلى رمز الدين بأجمعه .
- ومن أجله قال المصطفى للإله ، « اللهم وال من والاه » .
٣٢٩٠ -وفضل الحق هو إمام سيرته ، وخلقته هى عشرة عشيرته .
- وقد جعل كل من قام مخالفا للدين مدفونا تحت التراب .
- فالشيطان باك فى مناورته ، والعقل ضاحك فى متابعته .
- وقيم الزمان غلام له ، وسيد الأيام « قنبره » .
- وكل من (جعل) الجسد عدوا وإلهه صديقا ، يعلم أن آية (الراسخون فى العلم) تقصده .
٣٢٩٥ - كانت حرمة الدين عنده كغلاف روحه ، ولم يترك أمامه مشقة الحرف .
- وهو كاتب نقش خطاب التنزيل ، وهو خازن كنز منزل التأويل .
- كان مسموحا له بالعلم الذى يجعل الصخر شَمعا والعرب محرومون منه .
- كان عالم العلم وبحر الفضل ، كان عين الرسول ومصباحه .
- وقد جاش بحر العلم فى داخله ، ورأى أن البئر أفضل من المستمع .
٣٣٠٠ - ومالك سر اللههو الرسول ، ومالك سر الرسول هو حيدر .
- ومتى رفع حيدر الذى سماه الله أسدا السيف على معاوية ؟
- والأسد لا يقوم بإيذاء الثعلب ، ولكنه لا يترك مائة ضبع أحياء .
- وصار العقل معجونا بماء وجهه ، وإنحمق السهو فى تراب دينه .
- ومن رموزه المثيرة للعقل ، جعل الطبع والخاطر والذهن والجهال فى تجلٍ أمامه .
٣٣٠٥ -وحينما رآه لفظ القرآن فقيرا ، جلى نفسه أمامه .
- كان بحرا للعشق ومنجما للقلب ،وكان بصرا للشرع وروحا للدين .
- فالمصطفى من أجل روحه وجسده وليس من أجل خوذته وردائه .
- جعل سمته فى ولاية العلم ، فعلى من العلم وأبو تراب من الحلم .
- وقد رأى أنه من الظلم لذات البارى أنه لم يرها لم يعبدها .

٣٣١٠ - ثم علم فى عالم القرآن ، أن نفرق بين نقش النفس فى القلب وبين القرآن .
- كانت روح وجوده فرش التوحيد ، وكان سيفه ويده سد الإسلام .
- وذلك الذى يكون بدر الدين معه ، تصير الثريا تابعًا له .
- وليس ذلك فى العقد الذى كان قبل الآن ، ولكنه يكون قرينا من الأزل إلى الأبد .
- وقد صار الثرى مساويا للثريا ، حينما تآخى النبى مع على .
٣٣١٥ - ونبغى أن يكون للرجل عقل مدبر للرأى ، أما السمين الذى يعتمد على الفأل فهو إمرأة .
- والمرتضى هو الذى جعله ربه ، رفيقا بالروح لروح المصطفى .
- وعند الرحيل كان الوجود أمام قوى الإيمان هذا بمثابة جيفة الدبر .
- (كلاهما أى النبى وعلى) قبلة واحدة وعقلهما إثنان ، كلاهما روح واحدة فى جسدين .
- كان كلاهما درا خرج من صدف واحد ، كان كلاهما زينة للشرف .
٣٣٢٠ - هما سياران مثل النجم والفلك ، وهما أخوان مثل موسى وهارون .
- ومن أجل إنه (أعطى) سائلا رغيفا أو رغيفين ، نزلت آية « هل أتى » تشريفا له .
- ومنجمه هو الدر المنظوم للملك ، وروحه اللوح المحفوظ للمصطفى .
- وهو ظل غلمانه على سبيل الحلم ، وهو قدوة عشاقه من العلم .
- وكان سر التوحيد فى هذه الروضة واضحا أمام روحه العزيزة .
٣٣٢٥ -وهو ريح باحثة عن العدل مثل الربيع وهو حاكم شديد الحنان لين الجانب .
- وفى سبيل خدمة رسول الله ، فى هذه الدنيا المبدية للشياطين .
- لم يقل لأحد علم الدين إستخفافا ، ذلك إن القلب ضيق والعلم واسع .
- ولم يقل للسائلين فى السر والعلن ، سر الشرع إلا فى حدود .
- وقد إقتلع زوج البتول باب خيبر ، فأودعه الرسول باب الدين .
٣٣٣٠ - وحينما إستطاع أن أن يردم بئر الكفر إستطاع أيضا أن يحمى حوض الدين .
- ومنعت قوة حسرته من فوت الصلاة الفلك عن الدوران .
- حتى أجلس سيد الفلك بطل الدين على سرجه .
- وفى قلب على من كل ناحية بقى العرش كنصف (دانق) أو أقل[1] .
- وزمزم اللطف مداد قلمه ، وكعبة أهل الفضل خطابه .
٣٣٣٥ - وحينما صار قلمه صديقا ليده وجد سمط اللؤلؤ نقطة الإتصال .
- فكل غين ومائة ألف من الغرر ، وكل دال ومائة ألف من الدرر .
- ذلك أن عينه خبيرة بالغيب ، وداله رفيقه لألم دينه .
- فتذكر نبذة من خطاب واحد ، فمتى يكون ساذجا مثل ذلك القلم .
- فتلك الكلمات التى أرسلها فى الضيافة والضيف إلى سهل بن حنيف .
٣٣٤٠ -وكل لفظ قد أداه ، صنعه طرف إصبع المصطفى .
- ذلك إنه حين طفولته ، حمله والده إلى صاحب خبره .
- فوضع السيد إصبعه فى فمه ، ووضع قطره من الماء على لسانه .

(١) حرفيا : « تسوى » وهو جزء من أربع وعشرين من الدانق .

- لقد قبل طرف إصبعه ، ثم وضعه فى فم حيدر .
- وطرف إصبعه من مقر ظفره ، أعطاه الرجولة والفصاحة والحفظ .
٣٣٤٥ - صار طرف إصبع المصطفى حاضنته من أجل نفعه ورأسماله .
- فلا جرم إنه من هذا الغذاء وهذا الأصبع ، ربى الدين وقتل الكفرة .
- فطرف الإصبع شاق للقمر ، ونطق حيدر كأنه جبل قاف .
- والشرع المضيء مثل الشمس ، ثابت ومتين ومكين .
- قال له رسوله الجبار : يا إلهى إحفظه من الأشرار .
٣٣٥٠ - ومن أجل سيرته سمى المصطفى نطق الشرع من بصيرته .
- ومن أجل فتوى واحدة قال عن علمه إنه يساوى ما فى بيت المال من ذهب وفضة .
- وحينما رأى جماعتين من هذه ومن تلك ، صار حيرانا من ذى القلب ومن تلك الروح .
- غرى غيرى أيتها الرعناء ، فلست الجديرة بنا المناسبة لنا .
- فلا أنظر إلى ناحية ديباجك ، ولا أصير أيضا فى جوالك .
٣٣٥٥ -ولم تكن همته شح الوجود ، ولم يكن علمه إلا السجود والجود .
- كان حلمه دليلا للفلك ، وكان علمه سيدا للدهر .
- وبالحلم عقد الأمر يوم الجمل ، فعفا عن عدو الخلاف والجدل .
- وأنهى الرأى الرزين الأمر مع خصمه يوم صفين .
- وقد جاوز تاج حلمه النجوم ، ووضع عرش علمه على باب الدين .
٣٣٦٠ - وما لم يفتح علم حيدر الباب ، لا تعطى سنة محمد أكلها .
- وفى دار الفناء وأرض الدين ، كان حيدر ملكا على كوثر الدين .
- وقد أحنى عوده فى القيام والقعود ، وجعل جودة فى الركوع والسجود .
- وقد جاء بالخاتم وهو على باب الضراعة ، فأخذ الملك مع التكريم عوضا هناك .
- وكانت النفس منه كبثر الشيطان ، وكان الفلك بالنسبة له الأنشوطة الإلهية .
٣٣٦٥ - وكان سيف فقهه المنير مضيئا ، وكان بحر حلمه غديرا للغدير .
- وحينما كشر للأعداء عن أسنانه ضاقت الدنيا على العدو كالأفواه .
- وإستطاع أن يقهر الخصم ، لكن خصمه كان يشكو إليه .
- ولم يجعل الغضب صديقا لرأيه ، ولم يقم بأى أمر قط إلا بإذن .
- ولو ضربت رأس منه فى لحظة ، فإن أول هذه الرأس يقطع آخرها .
٣٣٧٠ -ولو إنه كان قد تهور مثل المحاربين ، لجعل الروم كشعور الزنج .
- ولأخذ قلب المريخ فى الإهتزاز خوفا كروح اليتيم .
- ولتحير زحل فى محله ، ولأخذت عين الزهرة تنظر إلى القمر .
- وقد أصبح ظهر عطارد كالقوس ووجهه أصفر تعجبا من طعن سهمه .
- كان حيدر نائبا للخالق ، كان حيدر صباحا لذى الفقار .
٣٣٧٥ - فحبه وكرهه دليلا المنبر والدار ، وحلمه وغضبه قسيما الجنة والنار .
- وقد سلب ماء وجهه رواء الملك ، واسكنت ريح عزمه حرارة الفلك .

- وحينما أطار سهامه جعل جانب الجبل مفتوحا كالجيب .
- وحينما فتح أسد الله قبضته ، أصبح وجه الفلك كظهر النمر .
- وحينما رأى صخر طعان السيف من يده ، هربت الروح منه لساعتها .
٣٣٨٠ - ورأى ذو الخمار من خوف سيفه على روحه نقابها .
- وفى عار الحرب وشرفها كان يبدو المرء أمامه كأنه كاليبروج[١] .
- فى هذا العالم وفى ذاك العالم ، هو صاحب أمر العلم وصاحب العلم .
- وحينما رأت بصائر الخلق وجه على ، تحول المسك ثانية إلى دم خجلا .
- وكلاهما قصرهما وأحتقرهما ، من الخارج اليد ومن الداخل كل ماله قيمة .
٣٣٨٥ -كان قانعا بالقليل من القوت ، وكان الخوف حائلا دون الحرص والجهد .
- ولم يكن ذلك الأسد الذى يصنعه لون الخلوق فى هذا الصندوق القديم .
- فالفلك عجوز وهو تراب لممره ، والعقل عجوز عاشق لنظره .
- كان من أجل الكمال بلا قيد ، وكان قانعا من أجل الجمال .
- وقد قرأ على عجوز السوء الأمارة ، إيمان الطلاق الثلاثة والتكبيرات الأربعة .
٣٣٩٠ - ويتعجب الطفل من الأصفر والأحمر ، أما الرجل فلا تخدعه الحمراء والصفراء .
- ولم تتعلق روح حيدر بالحرص ، ويهرب الأسد دائما من النار .
- والحكم والعز جديران بعلى ، والضيق يكون للأسد من جبن القلب .
- كان عالما خصبا مثل نوح ، وكان عالما متسعا مثل الروح .
- وحينما جعل الرأى برهانا على على ما فى قلبه ، جعل الشرع الميدان ضيقا على الفلك .
٣٣٩٥ - كان دائما مرتبطا بالعقيلة وما قيل ، حتى أين ؟ حتى تعب عين عقيل .
- كان قلبه عالم المعانى ، وكان لفظه ماء الحياة .
- وكان عقده على البتول فى السلوى ، تحت ظل طوبى .
- وقد ضاقت به الدنيا الدنسة ، ذلك لأن الدنيا كانت ضيقة وكان الرجل عظيما .

وصف حرب الجمل

- حينما هرب معاوية فى موقعة الجمل ، سفك دماء كثيرة دون وجه حق .
٣٤٠٠ -وكانت الهزيمة بجوار بغداد (؟) وقد صار شقيا من فعله القبيح .
- أما سر الأحرار حيدر الكرار ، رأس المهاجرين والأنصار .
- فإنه حين هزم معاوية فى الحرب ، وضع يده على جيش معاوية .
- فعقر جمل تلك التى خرجت عليه ، وجعل مؤونة معاوية فيئا .
- وسقط هودج المرأة على التراب الأغبر ، ولم ترفع نقاب وجهها خجلا .
٣٤٠٥ - وقالت : لقد أسأت فأعطنى الأمان ، وأعطنى المهلة الآن .
- وحينما رأوها تراجعوا مسرعين ، ولم يخوضوا فى جسدها وفى دمها .
- ونادى حيدر أخاها سريعا ، وأظهر له جمله الأحوال .

---

(١) نبات شديد التخدير ويقال أنه يشبه الآدمى ويسمى أيضا يبروج الصفر .

- فذهب إليه محمد بن أبى بكر ، ذلك الصادق الخالى من كل مكر .
- وسل السيف لكى يضربها ، فقال له حيدر : لا تفعل ما لم يفعله أحد .
٣٤١٠ - فأعف عنها حتى تعود إلى منزلها ، ولا تقوم بعد ذلك بأفعال سيئة .
- فأخذها محمد إلى الطريق ، وعرف كل العسكر بالأمر .
- وأرسلها سريعا إلى مكة ، وحط من قدر نفسه تواضعا .
- فذهبت إلى مكة بالآف من الخجل والندم وهى قرينة للحمى والألم .
- وفى النهاية صارت شهيدة على يد ذلك الباغى إذ قتلها ذلك الطاغية .
٣٤١٥ - فلا تسمى رجلا ذلك الذى تصرف بالسوء تجاه زوج المصطفى .
- وحين فرغ ذلك الرجل الشرير من الحرب ، قصد القضاء على الأمير حيدر .
- واحتال لكى يورده موارد الهلاك ، فلا تعتبر رجلا مثل هذا الشخص .
- وابن هند وإن كان قد أصابه بالسوء فأعلم إنه قد فعل هذا السوء بنفسه جملة .
- فأى ضرر للشمس من السحاب ؟ ومتى صار المجوسى قرينا للمسلم .

وصف حرب صفين ومقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه

٣٤٢٠ -حينما استؤنفت الحرب يوم صفين ، وحمى وطيس المعركة (وصارت) يدا بيد .
- تقدم عمار بن ياسر مسرعا ، وقال : سوف أضحى بنفسى .
- هيا أحضروا عدة الحرب والقتال ، وإذا قتلت فأعتبرونى حيا .
- وحينما أبذل الروح فى سبيل الدين ، ربما لا أبقى يوم الحشر ذليلا .
- وكان عمره قد جاوز المائة بخمس سنين ، ومع ذلك فقد أمتشق الحسام سريعا وبمشقة .
٣٤٢٥ - وعقد عصابة على عينيه ، وإمتطى جَوَاده بمشقة شديدة .
- ودخل إلى المعركة قائلا نبه : أنا شيخ الدين وشيخ العرب .
- وجال وكبر فرماه أحد السفلة بسهم .
- فسقط فى الحال عن صهوة جواده وأسلم الروح فى التو واللحظة بتعب وألم .
- وحينما رأوه على هذا الحال ، سرعان ما إرتفع الصياح عن الجميع .
٣٤٣٠ - (قائلين) إننا سمعنا رسول الله ﷺ : أنه قال لزوج البتول هذا الكلام .
- أن عمار صاحب جلالة وأعلم أن قاتله ملعون .
- وقد قتل الآن فماذا نفعل ؟ إلا أن نمزق قلوبنا قطعا من الألم والغم .
- فألقوا كلهم السيوف والتروس ، وألقوا بالخوذ والمغافر من على رؤوسهم .
- وحينما سمع عمرو بن العاص هذا الحديث لم ير حيلة قط إلا بالمكر .
٣٤٣٥ -قال : إن كل ما ظننتموه خطأ ، فمن أجل أى شيء حديثكم هذا ؟
- ذلك الذى أتى بشيخ فى المائة من عمره إلى الحرب ، لاشك إنه هو الذى يعتبر قاتله .
- إذن فعلى هو قاتل عمار ، وليس هناك مجال للوم وللقيل والقال .
- فرضى الجميع واستمعوا ، ورأو رونق أمورهم فى ذلك .
- وذلك الذى يكون ماكرا على هذا النمط ، من الخطأ أن يسمى رجلا .

٣٤٤٠ - ولا يختلط على بمثل هذا الشخص ، وهذا جائز له إذا كان العقل يتعفف عنه .
- كان خصمه سحابا وهو شمس ، وأى مقام للسحاب فوق الشمس ؟
- كان من الخصوم كالشرف من العار ، وكان من الرجال كالمرجان من الحجر .
- ومن أجل ذلك كان خصمه أقل منه ، فحيدر كان إماما للعقل .
- وحينما يكون للرجل قدر كبير من (ضوء) الشمس يكون الظل أمامه ملازما له .
٣٤٤٥ - وهو الأمير الذى إختاره الضياء دائما ، ومن ذلك كان الظل يسرع أمامه دائما .
- ذلك الذى كانت مائدته حاملة بالقوت ، وهو الذى كان أيضا دعاء رسول الله .
- كان كالشمس وخصمه كالسحاب ، ويقصر السيف عن التأثير فى السحاب .
- ولم يلق بالدرع أمام الخصوم ، وإنما عقد أمر الحلم بضعة من الوقت .
- وقد أمهل الخصم عدة أيام ، فلا جرم أن وضع الخصم الشراك تحت قدمه .

قصة قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

٣٤٥٠ -ابن ملجم هذا الكلب سىء الدين ، ذلك الجدير باللعنة والسب .
- عشق ذلك المشئوم إمرأة ، ذلك المنقلب أكثر من راهب الروم .
- وهو رجل مفلس وحين صار عاشقا ، صار الكفر هو العقبة فى الطريق .
- وكانت المرأة من آل أبى سفيان ، منعمة وغنية وجميلة وشابة .
- وقد علم معاوية بالأمر كله ، ففسد الأمر فى ذهنه تماما .
٣٤٥٥ - قال (له) : بصير أمرك إلى الكمال ، ومثل هذه المرأة تكون حلالا لك .
- فلو إنك ذا قلب كالأسد فى أمورك ، فإن مهر الحرة هو دم على .
- ولو أنك أرحت قلبى من هذا الأمر ، سيزداد مقدارك عندى .
- وتكون المرأة لك بكل زينة وجمال ، ولا يصيبك أحد بسوء .
- وبعد ذلك أعطيك الخيول والمطايا ، وتعيش إلى جوارى (آمنا) فى يسر .
٣٤٦٠ - وقد صب الرجل المدبر المحن فى العالم من أجل إمرأة .
- وهكذا فقد إختار مخطئا قتل مثل على بسبب جهلة وادباره .
- فذهب إلى الكوفة وراء هذا الأمر ، ذلك الغبار الذى بلا مقدار .
- وقد قيل كل هذا التدبير لعلى ، ولم يخفوا شيئا من مثل هذه الفتنة .
- إن الرجل قاتلك فاقتله ، فأجابهم على بذكاء :
٣٤٦٥ - ويحكم لم يسع أحد فى قتل قاتله فاذهبوا وفكروا .
- وأخذ الرجل يتحين الفرصة للعمل ، وأصر على فعله القبيح .
- وذهب ليلة الجمعة جادا إلى المسجد ذلك الذى بلا حفاظ .
- وحينما داهمه النوم ذهب الأمير حيدر وقت السحر من أجل الصلاة .
- فرأى الرجل نائما وقال : أيها الرجل لقد أسفر الصبح فتنح عن هذا الطريق تنح .
٣٤٧٠ - وحينما استيقظ السافل من نومه ، جلس مترصدا من أجل العمل .
- وحينما انشغل الأمير بالصلاة ذلك الرفيع زوج البتول .

- ذهب وطعنه فى الظهر ، وقتل الرجل بهذه الطعنة الشديدة .
- فاجتمع الناس من كل صوب ، ومزقوا الحجاب عن فعل الرجل الشرّير .
- وقبضوا عليه فى الحال ، وأخذ الأمير الجريح يسأله :

٣٤٧ - فمن الذى أمرك بهذا الفعل ، فأقر الرجل على لفظه :
- لقد أمرنى معاوية بهذا ، وقمت به وسبق السيف العذل[١] .
- وحينذاك أسلم الروح فى الحال ، ومن أجل ذلك أصيبت أسرته بالزوال .
- ومثلوا بالقاتل بعد ذلك ، فذهبت روحه لتوها إلى جهنم .
- والذى أمر بذلك عاش مسرورا ، فأى حكم هذا يا رب وأى أمر ؟ .

فى مذمة أعدائه وحساده

٣٤٨ - كان خصمه خالنا ذات وقت ، لكنه خال من جملة الخيرات .
- لم يكن خالا مسكيا على وجه الشمس ، كان خالا على العين لكن أبيض .
- وذلك الذى يكون رجل دهاء وحيلة ، ليس بخال أو عم بل هو إبليس .
- وذلك الذى تدعوه الآن معاوية ، اعلم أن زاويته فى الهاوية .
- وقد تعفف أسد الحق عن هذه الدنيا ، أما الكلب فهو الذى لا يفر من الفطير .

٣٤٨ - كان يريد قلق الروح وحرارة الصدر ، ويريد يومه بدرا والليلة قدر .
- وذلك الذى ليس إلا أبله أو منافق ، لا حياء لديه من المخلوق ولا خوف من الخالق .
- وقد جعل خصومه من عبيد وأحرار ، يملأون المطبخ هنا وجهنم هناك .
- لقد كان يقسم تحت هذا الفلك الأزرق ويستطيع أن يملأ الأكياس بالأطباق .
- وأى خطر لهم آل أبى سفيان حتى يرد اسمهم على اللسان ؟ .

٣٤٩ - وآل مروان وآل السفلة زياد ، الذين لم يذهبوا إلا فى طريق العناد .
- ومتى كان المخنث صديقا لعلى ؟ ومتى كان الزبير بن العوام ضريبا له ؟ .
- كانوا كلهم فى طريق الدين « زيادا واحدا » وكانوا طغاة مثل قوم عاد .
- وهم بمغانيهم بعيدون بعيدون فى الأصل والطبيعة عن رياض الجنة .
- ودين الباغى بين الخوف والرجاء ، الرجاء فى اللقمة والخوف على القفا .

٣٤٩ - وكل من يخرج على علي قيل حينما يأتى يوم الحشر .
- كل من كان خارجيا ملعونا ، فالواجب أن تسفك دمه .
- وأنت تقول أن الحزم والحلم والوقار كلها كانت من خصال معاوية .
- فاذهب فليس البغى من الحلم ، وليس من الحكمة إيذاء على .
- ومتى يكون حكيما ذلك الشخص الذى يجلس فى الدكان يتشمم أخبار الخلق[٢] .

٣٥٠ - ويجعل صدره ثرثرة وكبرياء كأنه قلعة آلموت .
- ومن أجل رطلين من زيت الثور ، معدته كالرحى وحلقه كالميزاب .

---

(١) حرفيًا : وقد قمت بالأمر ولا نفع (فيما تقولون) .

(٢) حرفيًا : الذى يكون فى الدكان وأنفه ذو ست جهات .

– وكيف يصير إماما فى رأى العاقل ذلك الذى يخرج على المرتضى ؟ .
– وحين ذهاب المصطفى عن الدنيا ، حين أخذ طريق منزل العقبى .
– قال له جملة الصحاب وضجوا صائحين : ماذا تركت ؟ .
٣٥٠٥ – قال : تركت (فيكم) كتاب الله ، وحافظوا على عترتى بالطيبات .
– ثم (على) الصحاب الذين هم نوابى ، وكلهم مثل نور بصيرتى .
– وكيف يعلم قدر إدريس ذلك الذى يبحث عن الحيلة والعذر من إبليس ؟ .
– لم يكن على قليل الحيلة مع الأخساء ، وإنما كان كما يكون الأسد مع البقرة .
– وقد ترك سورة الملك التى لا روح فيها من أجل رجل عابد للصور .
٣٥١٠ – وأخذ ملك المعنى وجد فى السير وقد قرأ آية عزل نفسه .
– وكل من كان قلبه خاليا من محبته ، ليس قلبا وإنما هو احتيال وشعوذة .
– وقد نجا قلب ذلك الذى ارتبط به من جلادى يوم الحشر .
– فلا بصير غافلا عن بنى هاشم وعن « يد الله فوق أيديهم » .
– وقد أعطى الحق هذه الدنيا جميعها لأسد الله ، ولكنه لم يعط فطامه إلا لفاطمة .
٣٥١٥ – وقد ابتعد عن هذين المجوسيين الشريرين وضاق من هذين النوعين من النار[1] .
– ولم يكن الغرض داعية رجولته ، وليس العوض هو باعث شهامته .
– فتجنب كل من ليس طيبا مع على ، ومهما يكن فقل له اذهب فلست لى بصديق .
– وكل من هو مع على فاعلم إنه الدين ، وإن لم يكن فاعلم إنه مثل صورة الماء العكر .
– ومن أجل هذه الدنيا أعطى خالنا السم لنور عينى الزهراء .
٣٥٢٠ – وكل من له خال على هذا النسق أى أمر له إذن مع على ؟ .
– وإذ لم يكن بد من أن يكون لك خال ، فاعتبر ابن أبى بكر خالك .
– كانت عائشة أفضل لديه من أخت ، ومن الأفضل أن يكون أخوها خالنا .
– وحفصة وزينب وزينب الثانية التى كان والدها خزيمة .
– ثم كانت ميمونة وريحانة التى صارت مزينة فى الدارين .
٣٥٢٥ – وحينما وقع على ابنة أبى سفيان صارت الأسرة منها خرابا .
– كل هؤلاء كن أزواجا للمصطفى وكلهن أمهات لنا .
– وكان لكل واحدة منهن أخوة ، كانوا كالروح للمصطفى .
– فلأى سبب صار ابن أبى سفيان الذى هو الأذى لخالنا مخصوصا بخالنا .
– ويا سنائى لا تطل فى القول ، فالاختصار خير من أن (تسوق) القصة السيئة .
٣٥٣٠ – فليس هنا مجال التطويل فى الكلام ، فاعمد إلى الاختصار فى هذا الكلام .
– وتجاوز عن الكلام الذى لا فائدة منه ، حتى تصير مستريحا فى السنين والشهور .
– يا سنائى قل حلو الكلام فى ثناء الأمير الحسين المختار .
– هو قرة العين مختار المصطفى ، ملك الإسلام والشرع وسيد الدين .

---

(١) الذهب والفضة المقصود : يا حمراء ويا صفراء غرى غيرى .

فى مدح الإمام الحسن والإمام الحسين رضى الله عنهما

فى فضيلة الأميرين العادلين والسبطين قرتى العينين سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، قال النبى ﷺ : أولادنا أكبادنا فإن عاشوا حزنونا وإن ماتوا قتلونا ، وقال أيضاً ﷺ : نعم الراكب ونعم الجمل وأبوهما خير منهما رضى الله عنهما وعن والديهما .

فى فضيلة أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه

ذكر الحسن يذهب الحزن

– هو أبو على الذى تأتى من طرته رائحة على فى مشام الولى .

٣٥٣٥ – كان قرة عين المصطفى ، وكان سيد القوم الأصفياء .

– وكان كذلك كالدر من الصدف كما كان للأنبياء نعم الخلف .

– وكان الكبد والروح لعلى والزهراء ، وكان للحبيب والمولى بصرا وقلبا .

– كان كالربيع على الوضيع والشريف (كان) منصفا حسن الوجه طاهرا ولطيفا .

– فالفلك رداؤه وكوكب الزهرة طيلسانه ، والقمر عرشه المهيأ والنجم تاجه .

٣٥٤٠ – وهو المؤيد فى السيادة والشرف ، وهو فى الرسالة الرسول والسيد .

– ونسبة فى السيادة من السلطان وحسبه فى السعادة من الخالق .

– وهو مثل على فى النيابة النبوية ، لاكوثر للداعى وعدو للدعى .

– وقلبه حاك لخطاب الحبيب ، وأى شىء للحبيب خير من خطاب الحبيب .

– ومنهج الصدق فى دلائله ، والسيادة حية فى مخايله .

٣٥٤٥ – كان مثل جده على خلق عظيم ، كان طاهرا شريفا نفيس العرق كريما .

– كان فلذة من قلب الزهراء وجدته هى خديجة الكبرى .

– وقد أهلكه قهر العدو ، وآلمه فقد الترياق .

– ولا تتأتى الطهارة من قوم بلا خشية ، ولا يأتى العود من دخان خشب الأراك.

– وقد بدأ القمر فى عينيه هلالا ، وبدا السم فى فمه زلالا .

٣٥٥٠ – ومن أجل ذلك كان احتساء السم ، ومن أجل ذلك كم تحمل قهر الأعداء .

– وقد قفزت روحه عن طريق الحلق ، وحررته من دناءة الخلق .

– وحين يصير الحق خافيا يوم الباطل ، لا تعتبر لأهل الحق شيئا خيرا من القبر .

– وحين يمد أساس الباطل يديه ، يسرع قلب العالم إلى الموت .

– وحينما تجعل الدنيا المخنث أميرا ، يصير وجه البطل المتضرج بالحمرة كالخشب الأصفر .

٣٥٥٥ –فإذا كان هذا السوء قد حل به ، فإن الإقبال كان ظهيرا له .

– وبالرغم من كل هذا الإعوجاج (الذى صادفه) كان مثل شمس الدهر مضيئا للمدينة كل يوم .

– وهو بهى الطلعة عظيم النسب ، وهو بالعلم والورع مصباح العرب .

– وقد طلب الشرف ملجأ وجاها من منصبه الكريم مثلما فصل العقل ذلك .

– وكان خاطره فى الشرع كالبحر ، كان راسخ الأصل شامخ الفرع .

٣٥٦٠ – ومسنده ومرقده أعلى من الأفلاك ، وشربه ومنهله من العالم الطاهر .

- وكان مشرب عرقه ومنهل كبده من حوض جده وأبيه .
- وقد بقى العمران من سخاء كفه ، وبقيت أسرة النبوة من شرفه .

سبب قتل أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه

- جعل الخصوم عليه الدنيا الواسعة ، ضيقة مثلما تكون النظرة إليها بصدق .
- وقصد العدو روحه بلا سبب ، وقد علم هو ومن ذلك أعطاه الأمان .

٣٥٦٥ - ثم نهض مرة أخرى قاصدا إياه ، وقد أراد أن يقتله بغير ذنب .
- وقوى العزم فى المرة الثالثة ، وسقاه السم مثل المرة الأولى .
- وتم الأمر وأعطته السم تلك النجسة ، فلتكن الدنيا طاهرة من أمثال تلك المرأة .
- وكان يلقى مائة وسبعين مرة وأكثر ، قطع الكبد من تلك الشفة التى تشبه السكر .
- وفى ذلك أسلم الروح فى الغم والحسرة ، فلتكن اللعنة على روح خصمه .

٣٥٧٠ - وقال له الممدوح الأمير الحسين ، الذى هو للإشراف زينة وزين .
- هيا قل من الذى سقاك السم ، قال :لا تكون الفتنة طيبة من الحسن .
- فجدى هو المصطفى إمام الزمان ، وأبى هو المرتضى إمام العالم .
- وجدتى خديجة زينة الزمان ، وأمى فاطمة مصباح الجنان .
- وكانوا جميعا أبرياء طاهرى الخاطر والقلب واللب من الخيانة والفتنة .

٣٥٧٥ - وأنا أيضا من بطنهم وصلبهم وإن كان خاطرى مضطربا من الغم .
- فلا أنم إذن ولا أكون نماما ، والله نفسه يعلم البداية والنهاية .
- فهو العالم الباطن والظاهر كما أنه قادر فى الأول وفى الآخر .
- فهو الذى أمر وهو الذى أعطى الرضا وهو الذى يجزى فى يوم الجزاء .
- فالله البارئ يوم القيامة ، يعطينى ثمرتى بجوار الجنة .

٣٥٨٠ - فلا أذهب إلى الجنة إلا فى ذلك الوقت الذى يضع يدى فى يد قاصدى السوء .
- فمن أى شىء أقول بالرمز وصف الحال ، فليس فى هذا الشرح مجال لقول .
- أما أنا فأقول ما أفكر فيه حقا ، وقد صار أمامى كل ما هو يقين .
- فجعدة بنت الأشعث تلك المرأة الشريرة هى التى أعطته كأس السم بفن .
- ومن ذا الذى أرسلها ؟ هيا قل ، فالمرأة - على الأرض - كالقدر على حافة الجدول .

٣٥٨٥ - ومن الذى وجد تلك الفرصة ، فلتحل اللعنة به إلى الأبد .
- هو الذى قبلت منه الدرهم المسموم ، والذهب والجوهر إذ ليس هنا مكان الوقوف .
- وجواهر هند والعقد اللؤلؤى الذى صار ميراثا عن هند .
- (قال لها) أعطيك هذا العقد الثمين ، أهبه لك وأرسله إليك .
- و إذا أتممت هذا الأمر لعرفت بحسن الذكر .

٣٥٩٠ - وأزوجك لابنى وتكونين لى ابنة وروحا وجسدا .
- حتى فعلت ذلك الذى كان ، لكنها لم تستفد من هذا الفعل السىء .
- فلم يعطها أى شىء مما وعد ولكنه وضعها فى أفواه جهنم .

- وحينما قال الأب للابن أن جعدة يجب أن تكون زوجتك فهى مشيرتك .
- قال : إن تلك المرأة التى لم تحافظ على روح الحسن عشرة مرات .
٣٥٩٥ - وأسلمت رأسها بالباطل أدراج الرياح ، ولم تتذكر الله والرسول .
- قل لى إذن كيف أسلمها قلبى ، وكيف أرضى بالزواج منها .
- فما دامت معوجة السير مع شخص مثله ، فكيف تتأتى منها الاستقامة معى ؟ .
- وقد جعلت الروح عبثا فى كل الأمر ، فبقيت حتى الأبد فى نار جهنم .
- وذهبت وحملت معها سوء الأحدوثة ، فأى شىء أسوأ فى الدنيا من حب النفس .
٣٦٠٠ - ولتكن مائة ألف ثناء من ذات الله على الحسن حتى يوم الجزاء .
- فإنك لا تسمع خبره الملىء بالألم إلا من أخيه .

فى مناقب أمير المؤمنين الحسين بن على رضى الله عنهما

ذكر الحسين يضىء العينين ، سلالة الأنبياء وولد الاصفياء والأولياء والاصفياء وشهيد كربلاء قرة عين المصطفى بضعة المرتضى وكبد فاطمة الزهراء رضى الله عنه وعن والديه ، قال الله سبحانه وتعالى عز من قائل فى محكم كتابه : ﴿ أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والأخرة وأعد لهم عَذابا مهينا وأولئك هم الخاسرون ﴾ ، وقال النبى عليه السلام تركت كتاب الله وعترتى فاخبر ان وعد الله حق .

- ابن المرتضى الأمير الحسين ، الذى ليس له مثيل فى الكونين .
- ومنبت العز نباهة شرفة ، وحشمة الدين نزاهة قلبه .
- ومشرب الدين أصالة نسبه ، ومنصب الدين نزاهة أدبه .
٣٦٠٥ - وأصله فى أرض عليين ، وفرعه فى سماء اليقين .
- أصله وفرعه الوفاء والعطاء ، وعفوه وغضبه السكون والرضاء .
- وخُلقُه مثل خلق ابيه طاهر ، وخلقته مثل خلقة الرسول .
- كانت الدينا أمام عينيه ، وكانت العقبى وجيهة عند عقله .
- وهمته وراء قمة العرش ، وقد بسط اسمه فى كل الأرض .
٣٦١٠ - والمصطفى هو الذى حمله على كتفه ، والمرتضى هو الذى رباه فى أحضانه .
- وقد وجدت الزهراء الأنس على وجهه ، فدعت لروحه الشهور والسنين .
- وكل بصيرة تستطيع أن تميزه وشجرة كل شخص من سيرته .
- هو نقى الأصل ونقى الفرع ، وهو ذكى البذرة وبهى الزرع .
- وهو نبوى الجوهر من بحر الجلال ، وقد وجد الجمال من كمال الصدق .
٣٦١٥ - وهو يشبه تماما أحمد المختار عند النظر إلى رأسه ووجهه وصدره .
- كان درا من بحر المصطفى وكان صدف (هذا الدر) ظهر المرتضى .
- ومن أجل الاختصاص كان أصله روح النبى وصلب الوصى .
- وهو من حيدر كالخاتم من جمشيد ، وهو من أحمد كالنور من الشمس .
- ففى صوان الهدى صيانته ، وألم الدين ديانته .
٣٦٢٠ - فالعقل فى قيد عهده وميثاقه ، وكان جبريل محرك مهده .

- كان سرو نهر الهدى ، كان سروا ذا تاج وحرير ورداء .
- ﴿ أصلها ثابت ﴾ إشارة الحق ، قالها المطلق من أجل هذا السرو .
- هو مثال النبى وعالم الزين ، وارث المصطفى الأمير الحسين .
- ومثل المصطفى جعل بالأصل والكرم الشرف والخلق والعرق معا .
٣٦٢٥ - وعشقه أول بلا آخر ، وسره باطن بلا ظاهر .
- ووقت تأثيره (ناصعٌ) مثل التباشير ومنه عصارة طوبى للكبد المحموم .
- وقد منع أهل البغى والضلال الماء الزلال من كبده الحار .
- والغضب لا ينتظر ممن هو فى أصله من فلذة كبد المصطفى وعينيه .
- وقد صار العقل شريفا بشرفه ، وصارت كفه ظلا من الشمس .
٣٦٣٠ - ومبعث أصله وفرعه القلب والروح ، ومنبت بذره وفروعه الايمان .
- هو غصن من جذور البستان المصطفوى ، وهو در من الدرج الصندوق النبوى .
- وفى هذا البستان السرو كثير وان فقدت الحشائش ، (كان) كالحصير ليس فيه رائحة رياء .
- كان مثل كوكب المريخ لجيش العسرة ، وكان مثل الزهرة لعيد العشرة .
- لتكن الرحمة على اصدقائه ، ولتنزل اللعنة على أعدائه .

صفة قتل الحسين بن على رضى الله عنه باشارة يزيد عليه اللعنة

٣٦٣٥ - قصد الأعداء روحه ، حتى يوردوا جسده موارد الدمار .
- وقد أبدى عمرو بن العاص رأيه من الفساد ، وضرب ظالما الشرع على قدميه .
- فأخذ البيعة ليزيد الدنس ، حتى يدمر أسرة « المصطفى » تاما .
- وتخلى عن الحياء والشرف جملة ، فدس عليه جمعا من الأعداء .
- حتى يسحبونه من المدينة إلى المنهل بالخطابات والحيل .
٣٦٤٠ - وحينما جعل من كربلاء منزلا ومقاما ، هاجمه آل زياد فجأة .
- فسدوا عليه طريق ماء الفرات ، وأمرضوا قلبه من ذلك العناء والغم .
- وأحاط عمرو بن العاص ، ويزيد السيء الطالع بالماء .
- وكذلك شمر وعبد الله بن زياد اللعين ، لتكن روحاهما قرينة باللعنة .
- قلدا السيوف التى لا شرف فيها ، لم يكن لديهم خوف من الله أو خجل من الناس .
٣٦٤٥ - ففصلوا رأسه عن جسده بالسيف ، ورأوا النفع فى هذا الفعل .
- فمزق جسده من سيف الخصم ، وصار آل مروان ينظرون إليه .
- وكان يزيد الدنس فى دمشق منتظرا وصول رأسه .
- فوضعها أمامه وأظهر السرور ، واتكأ على الدنيا والأمانى .
- وأملى بيتا من إنشاده ، وبحث عن الحقد القديم وأنهاه .
٣٦٥٠ - وضربت يده المشئومة بالقضيب فى أسنانه وشفته ، وشفتاه مبتسمتان من السرور .
- حقد الخزرج وحديث الأسل ، وتلك مكافأة الشر ونتيجة العمل .
- أخذ بثأر آبائه من الحسين ، وكان طالبا لدماء بدر وحنين .

– وشهر بانو وزينب باكيتان ، وقد بقيتا من فعل الانذال فى حيرة .
– وهن كاشفات الرؤوس على الجمال والحادى أمامهم شاك القلب من الألم .
٣٦٥٥ – وعلى الاصغر واقف على قدمه ، يظهر الرضا لكلاب الظلم أولاء .
– وعمرو بن العاص ، ويزيد وابن زياد ، مثل قوم هود وصالح وعاد .
– أصر أولئك الكلاب على الجفاء ، وساروا فى طريق الانكار من الحقد .
– وفى طريق الظلم لم يتذكروا ابدا المصطفى والمرتضى .
– والقوا بالمجاملة تماما ، وقبحوا طريق المعاملة .
٣٦٦٠ – وذلك الذى اختار أبا الحكم على أحمد قد جعل من جهنم معادا له .
– وقد سدوا طريق الشرف والحياء ، ونقضوا عهد الشرع وميثاقه .

فى وصف كربلاء ونسيم المشهد الأعظم

– حبذا كربلاء وتعظيمها ، أنها تأتى للخلق بالنسيم من الجنة .
– وذلك الجسد المقطوع الرأس فى الطين والتراب وأولئك الأعزاء المقطوعى القلب بالسيوف .
– وهذا الجسد الذى تمرغ فى التراب ، وما أكثر السوء الذى حاق بالجسد الذى بلا رأس .
٣٦٦٥ – والمختار على كل العالم مقتول ، وقد غمر جسده الطين والدم .
– وأولئك الظلمة سيئو الفعال ، وقد أصروا على ظلم أنفسهم .
– فقضوا على حرمة الدين وأسرة الرسول ، وكان ذلك فى الجهل والفضول .
– والسيوف الحمراء كالمرجان من دم الحسين ، فكيف يكون من الدنيا أكثر من ذلك شين .
– وقد وضع سىء الفعال التاج على رأسه ، والمنشار أفضل له من ذلك التاج .
٣٦٧٠ – وطعنات السيف والحراب والسهام ، والرأس على الحراب مكان السنان .
– أسلم آل ياسين جميعهم الروح ، عجزة اذلاء وبلا أهل وظمأى .
– وقد وضع آل زياد وشمر اللعين ، بداية هذا الفساد فى الدين .
– ومزق المصطفى رداءه باجمعه ، وأمطر على الدم من مآقيه .
– وصكت فاطمة وجهها وامطرت الدم من المآقى بلا حدود .
٣٦٧٥ – وجعل الحسن الصدر أزرق من الجراح ، وساقت زينب نهرين من المآقى .
– وصارت شهربانو عجوزا حزينة ، وامتلأت وجنتا على الأصغر بالغضون .
– وصار عالم ملىء بالقسوة شجاعا ، وصار الثعلب الميت كأسود الغاب .
– وكان الكفرة مجروحين من طعن ذى الفقار فى أو ل المعارك .
– كان للجميع من على ألف جرح على القلب ، فصاروا جميعا قرناء الطاغية الباغى .
٣٦٨٠ – فطلبوا ثأرهم ثانية من الحسين ، وصاروا قانعين بهذه الشماتة وهذا الشين .
– وأعلم أن كل من يذكر هؤلاء الكلاب بالسوء ملكٌ ذلك العالم .

التمثل فى الاشتياق إلى المشهد الأعظم

المرأة الصالحة خير من ألف رجل سوء

- كان فى مدينة الكوفة أمرأة عجوز ، كبيرة السن ضعيفة وممتحنة .
- كانت من نسل المصطفى وعلى ، وبقيت ممتحنة بدون حبيب أو ولى .
- وكانت تربى بضعة أطفال ايتام ، صاروا قانعين من كربلاء بالنسيم .

٣٦٨٥ - وكان العجوز تخرج بالأطفال إلى الطريق كل يوم وقت الصباح .
- وتذهب من وسط المدينة إلى خارجها ، ومآقيها من ظلم الظلمة ممتلئة بالدم .
- فتقف على طريق كربلاء وترتشف الرياح من ألم قلبها .
- وكانت تقول : شموا أيها الأطفال وتنشقوا هذه الريح الطيبة .
- وخذوا نصيبكم من نسيم المشهد قبل أن يسرى فى المدينة .

٣٦٩٠ - فإنه يصير ملوثا من كل أنف ، حينما يتجول فى أنحاء المدينة .
- فخذوا حقكم جميعا من هذه الرياح ، ولا تتركوها إلى عديمى الأصل والخصوم .
- وأنا غلام تلك المرأة التى هى خير من ألف رجل ، إنها تعبر يوم القيامة قائلة افسحوا الطريق .
- كانت تعرف قدر الأمير الحسين ، ولم تكن لتخاف من الخصوم .

صفة الأعداء والباغين لعنهم الله

- حينما ينفض المرء يده من الصيت (قل له) أفعل ما تشاء أى فاصنع ما شئت .

٣٦٩٥ - وكل من يرضى بالفعل السىء ، تستوى لديه الجنة والنار .
- ويضحك العاقل من ذلك الشخص الذى يرضى بالنار لنفسه .
- يبيع الدين بالدنيا ظالما ، لا يفعل الخير ويجاهد فى السوء .
- ويرضى ظالما بدم الحسين ، الذى يزيد وقعه عن الثقلين .
- ومتى كان ذلك الذى فى هذا الحال الخبيث ابن خال للمؤمنين .

٣٧٠٠ - أنا ضائق من ابن الخال هذا ، وقلبى صائق أيضا من أبيه .
- وأذن فأنت تقول أن يزيد اميرى ، وأن عمرو بن العاص الدنس شيخى .
- فذلك الذى يكون يزيد أميرا له ، أو عمرو بن العاص شيخا له .
- مستحق للعذاب واللعنة ، سىء الطريق سىء الفعال سىء الدين .
- ولتكن لعنة العادل على ذلك الشخص الذى يذكره بالخير .

٣٧٠٥ - فلست أنا بالصديق لشمر ويزيد ، وأنا بعيد العهد عن هذا القبيل .
- وكل من يكون راضيا بفعل السوء ، تصير اللعنة طوقا فى رقبته .
- ومن سنائى مئات الألوف من الثناء دين دائم لروح الأمير الحسين .

مدح الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه

ذكر الإمامين الهاديين أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ومحمد بن أدريس الشافعى رحمة الله عليهما .
فى مناقب الإمام الأعظم الزاهد مفتاح الشريعة كنوز الذريعة نظام الدين قوام الإسلام أبى حنيفة النعمان

بن ثابت الكوفى رحمة الله عليه . ذكر النعمان صون عن الحرمان ، قال الشافعى رضى الله عنه : الفقهاء كلهم عيال على ابن حنيفة رحمه الله .

- حين مضى الدين بهؤلاء العظماء ، صار الخلق حائرين فى الدين .
- فصالحهم الرأى النعمانى مع الإسلام ثانية .
- وهو شمس فلك الشهرة بدر الدين أبو حنيفة الكوفى .

٣٧١٠ -ومن أجل صلاح الدنيا وضع للجميع لب السنة فى الروح .
- وكان تحت القبة الزرقاء حجة الصدق فى محجة الحق .
- فقلبه ذكى مثل رأس العاقل ، وجسده يقظ مثل قلب القضاء .
- كان كرسى الدين فى الطريق الأوحد ، وكان اللوح المحفوظ لشرع أحمد .
- كان إمام ائمة الدين ، وكان علمه وسخاؤه نظاما .

٣٧١٥ -وقد جعل التوفيق ملكا له ، وجعل ملك الملوك من رعية عقله .
- وقد صار الملوك تحت رايته ، ومن أجل فطنته وهدايته .
- وقد أبدت بصيرته بدون واسطة العقل والنقل وجه السنة من كوة النقل .
- كان النعمان حجة أصل الإيمان وفرعه وكان نعمة مائدة الشرع .
- كان كاسم أبيه ثابتا فى الأصول وعمل مثل النبى وأبدى الطريق .

٣٧٢٠ - كانت أيامه مستغرقة فى العلم ، فاستراح الجميع من جدال الفرق .
- وصلابته شرطة طريق الدين ، ومثوبته روح عشق النبى .
- هو سماء الرأى ونجم المشترى فى الرؤية ، وهو متقى الخلق ومنتجب الفعل .
- وقد جعل فرع الهدى واصله (ثابتين) كاسم أبيه فى الطريق الرئيسى لفتح والظفر .
- كان يدعو فى الليل والنهار للأفلاك ، ومن قلبه كانت الشمس منيرة وطاهرة .

٣٧٢٥ -كان ريحا فى طريق سىء الفعال ، ويده موطن حيلة ضيقى القلوب .
- ويقول القلب عن طريق الدعاء متضرعا كأم الشهداء .
- لتكن روح أبى حنيفة مسرورة منا حتى يوم الجزاء .
- حين دخل فى حديقة دين النبى ، أضاء مصباح دين النبى .
- وسهل طريق الدين على الخلائق ، وجعل الجميع سواء فى الأصول .

٣٧٣٠ - وكان كل انسان قد أخذ طريقا خاصا به ، أخذ هذا طريق الدين وذاك أخذ طريق المذهب .
- فقبض على التلون من الفلك ، وابعد الفرقة والتلون[1] عن الدنيا .
- وقد جعل علمه الجميع لونا واحدا ، وأصبح التلبيس والاحتيال والشعوذة هباء .
- وكان تاجا على مفرق كل خطيب ، وكان عرشا يهرع إليه كل أديب .
- ومن ذلك لرى العنان نحو السماء ، حتى يتألق على العالم مثل الشمس .

٣٧٣٥ - ولم يسل الحسام من الغضب ، ولم يلق بالمجن أمام أى خصم .
- وكانت النبوة قابلة لحماسته ، واللوح المحفوظ هو شرعه وسنته .
- كان مفتاحا لخزانة الجود ، وكان مصباحا لسماء الوجود .

---

(١) حرفيا : النمرية ويقصد بها التلون مثل جلد النمر .

- وقد جعلت صورته الشيطان ملائكى الوجه ، وجعلت سيرته لب النافجة حلوة (الرائحة) .
- كان طيلسان الأمة فى الطريقة ، وكان سراج الأمة فى الشريعة .
٣٧٤٠ - ومن سرعة النوال رفع كرمه وجوده من الدنيا رسم السؤال .
- فأقدامكم فى طريق أبى حنيفة الكوفى كأنها خرقة الصوفى .
- ومن أجل الكمال وكسب اليسار ، أيديكم مثل قباء يوم الربيع .
- وكان أساس الدنيا فى وقت الصبح مفتوحا فى يده كاليد والقلب .
- وعاد صدقه فى الفضاء القدوسى كالجناح الطاووسى .
٣٧٤٥ - وقد بقى الخلق قبله حائرين عن طريق الصواب كأنهم الكرة فى المضراب .
- أمسكوا كلهم نفوسهم فى قبضتهم وكانوا كلهم فى حرب مع السنة والدين .
- فأعطى هو للدولة والدين القلب والروح ، وبالفضل والعلم واليقين .
- وحينما لا يصير الكبر والحرص من أملك ، ليكن علمك عظيما وكذلك عملك .
- ونقش المعنى فى الصدر من خطه ، و النهار يكون مختفيا فى ليلة القدر .
٣٧٥٠ - وخطه أمير للعالم كالربيع ، وعقله كالبرعم عجوز وشاب .
- فنفس الرسول سعيدة من علمه ، فهو الذى حفظ الأصول للأمة .
- فعلى روحه منا التحية والسلام ، واحشرنى معه (يارب) فى دار السلام .
- وحتى القيامة كل إمام سيقول (قال) عيال عليه .

مدح الإمام الشافعى رضى الله عنه

ذكر الإمام العالم العارف جمال الدين كمال الإسلام مفتى الشرق والغرب سيد العلماء والفقهاء مفتاح الشريعة سراج السنة كنوز الأحاديث أبى عبد الله محمد بن أدريس الشافعى رحمة الله عليه .

- حينما خفت مصباح دين النبى ، أظهر القمر المطلبى وجهه .
٣٧٥٥ - ومن بعد بدر الدين وليس متأخرا ، بأية سرعة أسفرت شمس الزمان عن وجهها .
- فلو أنك فى طلب البصيرة اذهب وابحث عن طريق الشريعة من الإمام المطلبى .
- وأصله فى القواعد والبنيان ، فرع نسل معد بن عدنان .
- فنسبه متصل بالرسول ، وأدبه منقطع عن الفضول .
- وقد جعل صدر السنة محمد بن ادريس دروس الدين من أجل التقديس .
٣٧٦٠ - ووقف نفسه على باب الدين ، من أجل طلاب نور اليقين .
- ولم يصنع شيئا من عقله لنفسه ، بل ضحى بنفسه فى طريق الدين .
- وقد قال المصطفى وسمع هو بالروح ، ومن ذاك أبدى البرهان بشرعه .
- وما دام قد قرأ حديث رسول الله ، فلم يبق له اعتماد على نفسه .
- ذلك الذى لم تجد بمثله صنائع الدهر ، وقد قهر خصوم الدي الحق .
٣٧٦٥ - كان فى طريق الدين إماما بحق ، والإمامة تجدر به على الاطلاق .
- فهمته تعلو الدين وتجاوز العرش ، وفطنته تثير الجدل وتقوم بالعمل .
- وقد تتلمذ على حديث النبى ، والغاشية على الكتف من قبل الوصى .

– والراكبون على بابه خيلهم الأثير ، ورفقاء نفسه عبير النفس .
– ويجتذب جوده الخلق مثل الكعبة ، وخلقه مثل الربيع ضاحك الوجه .
٣٧٧٠ – فما دام الشرع هو قيم هذا المنزل ، فللعقول أردية الغلمان .
– والنفس الأمارة فى التراجع عن خَلقه وخُلقه ، والدين فى السمو إلى حلمه وعلمه .
– والدين مرفه بقبوله الحسن ، وقد وصلت آثاره كل العالم .
– والعطية من الحق حجة على السعد ، والجود من السحاب والضجيج للرعد .
– وقد صارت سنة محمد منتشرة منه ، بالرغم من أن الأوباش قد انفضوا عنه .
٣٧٧٥ – وقد شرح كل حديث قاله المصطفى ولم يخف علمه .
– وقد صار قلبه خزانة الأسرار ، وصار الملائكة ناظرين لدرسه .
– وكان عالما وكل العالم محكوما أحيانا فى التدريس وأحيانا فى شرع العلوم .
– وخطوه ورغبته كمطايا الصيد ، وتألقه ونوره كأيام الربيع .
– فظاهره الطاهر مدبر للبر ، وخاطره العاطر مفسر للسر .
٣٧٨٠ – هو واعظ العقل وحافظ التنزيل ، وهو مُحرم العشق ومُحرم التأويل .
– وهو سكينة الحلم لخيل طالوت ، وهو سفينة العلم لأمة نوح
– وكانت صورته عين العلم والمعرفة ، ذلك أنه كان طاهر الأصل .
– فلا شك أن الأسرة التى تكون من قريش لابد أنها على رأس الجيش .
– ومن أجل الشرع والشعار كانت يده قصيرة كأنها القميص الداخلى للربيع .
٣٧٨٥ – فكلامه بكر وألفاظه عذراء ، ومذهبه مستقيم وطاهر .
– وقد وجد حلة الصفاء والصفات ، ويده وقلمه ثابتان بأمر الشرع .
– وهو مؤمن الظن من غرور الفلك ، وهو آمن الجسد من مرور الزمان .
– وبالرغم من أننى سيء السيرة إلا إننى أقول الحق ، لقد كان السخاء والمروءة من فعاله .
– وقد وجد الدين منه الزينة والرونق ، واتفقت الفرق فى متابعته .
٣٧٩٠ – وصار عبد ا له كُلّ من الوضيع والشريف ، والعالم والعارف والوجيه والضعيف .
– وما دام علم الدين قد أودعه القضاء ، فقد اختطف الفناء الجهل من الإسلام .
– وقد هزمت الزندقة من علمه ، وعاد طالب العلم بالغنيمة .

فى مناقبهما رحمة الله عليهما

– كانا رفيقين فى طريق الدين ، وكان كلاهما للآخر شريب اليقين .
– فذاك وضع مرقده على الفرقد ، ووجد هذا من الإسناد مسنده .
٣٧٩٥ – وذاك أخذ بالحجة رأس ماله ، وعقد هذا الزينة من السنة .
– وهو المبتدى لبصيرة الروح ، وهو المقتدى للعقل والإيمان .
– أحدهما امام طريق الصواب ، والآخر هو المقتدى بوقت الجواب .
– أحدهما جمال المحفل وزينته ، ووجد الآخر لنفسه من العلم محلا .
– أحدهما شمس زائدة النور ، والآخر دليل دين الله .

٣٨٠٠ – أحدهما شمس المحفل والصدر ، والآخر بدر الليل فى ليلة القدر .
– فذاك من الأسرار قاتل الأشرار ، وهذا من الأخبار قابلٌ للإخبار .
– بنى ذاك منزل الدين من الأجر والحجر ، وزينه هذا بنقش اليقين .
– هذا قريشى الأصل وذاك كوفى ، وهذا بمهمته فقيه وذاك صوفى .
– ذاك إمام ومدرس وزاهد ، والآخر متدين وعابد .
٣٨٠٥ – والبدعة من قهر سيف ذاك هاربة ، والصفوة من كأس لطف هذا طربة .
– كان كلاهما وارثا للرسول ، وكان علمهما عند الله مقبولا .
– وكلاهما صنع فى سراى ملة الحق يقظة العلم وغلة الحق .
– كلاهما كان قويا من الاجتهاد ، وهما سماء النجم النبوى .
– هزم ذاك الرجل بقهره ، وربى هذا الطفل على لطفه .
٣٨١٠ –وذاك بالحجة مصباح دين الرسول ، وهذا بنسبه جمال آل البتول .
– صار ذاك حاكما لحكم الشرع ، وصار هذا عالما للعلم المحض .
– وكان الكوفى كافيا فى طريق الدين ، وكان الشافعى شافيا لألم الجهل .
– فنسبته بصيرة للروح ، وسنته للعقل والإيمان .
– وأعطى لطفه الماء لجذر الدين ، وجعل قهره قصر الكفر خربا .
٣٨١٥ – ويا أيها (الساقط) فى خلاف الاثنين ، أى سعى لك فى التفتيش عن خير هذين الشخصين وشرهما ؟
– ويا من بدلت الدين بالحقد كيف تعلم اذن حديث السلوى ؟
– كلاهما خير فلا تقم أنت بالسوء ، ليس فى الدين ثنوية فلا تكن ثنويا .
– وكلاهما فى طريق الدين دليل وشاهد ، وكلاهما على فلك الشرع زهرة وقمر .
– كلاهما فى طريق الدين كالشمس والمصباح ، وكلاهما فى وادى الدين روضة وبستان .
٣٨٢٠ – وقد أضاء قمر جاء أبى حنيفة ، فوجدت فاكهة الشرع لون السنة .
– وحينما طلعت زهرة الشافعى ، تبعها العقل من قلبه .
– وهذان العظيمان كلاهما واحد بالذوق والمزاج ، والاعوجاج – أيها السيد – مع الهوى واللجاج .
– ومن الذى رأى اذن أصم تميز الكلام ؟ ومن الذى سمع عن عين أحول صحيحة الرؤية .
– وهما معا كمثال القلب والروح ، ومن الذى استعاض بالقلب عن الروح أو بالروح عن القلب ؟
٣٨٢٥ – كان قلب كل منهما حاذقا فى الشرع ، وكان الشرع لكل منهما صبحا صادقا .
– فذاك بقلبه سيف المحجة الوسطى ، وهذا مصباح الحجة الوثقى .
– وقد أعطى مسلك هذا القوت للروح ، (وأعطى) مذهبه ثبات الإيمان .
– فحجته واضحة ووائقة ، ونكته لائحة ولائقة.
– فأى علم لك بما كان عليه ابو حنيفة ، وأى علم لك بما سمعه الشافعى ؟
٣٨٣٠ – فكلاهما خير بدون حكمك ، ذلك لانك سيء وكلب خصومة .
– فكاشف شبهتك هو القرآن ، وموضح حجتك هو الفرقان .
– ومن تكون أنت بالنسبة لهما ؟ وماذا تعرف على بابهما ؟
– فقلل فى هذا الحديث من أجل الله ، كن صامتا لحظة ولا تجدف .

- فذلك أنك قد صرت مشغولا بالهذيان أمامنا ولو أنك فى مقام فضل الفضول .
٣٨٣٥ - فإذا كان الشخص مجسدا سيء المطلب ، فأى ذنب للشافعى فى هذا ؟
- وإذا تقبل حمارية الاعتزال ، فإنه لا يساوى لدى أبى حنيفة حبة شعير .

فى مذمة أهل التعصب ونصيحة الفريقين وفقهما الله تعالى

- لا تضرب كالمجنون - باطن قدم الهباء فى الدنيا من العلم أو من الظن .
- ولا تضح من أجل قبول العامة ، ولا تلعب بالخرز حائرا مثل المغفل .
- ولا ترق ماء الشرع من أجل حفنة من الحمر ، ولا تشتر ثورا دون أن تعد له التبن وبذور القطن .
٣٨٤٠ - ولا تقتلع جزور الشرع من أجل الفرع ، ولا تقطع الطريق على الناس من أجل الجاه .
- وأخرج كلب الحقد من تحت ابطيك ، ولا تقم الصلاة والكلب تحت الابط .
- وقد انحنت قامتك من سوء طويتك ، فلماذا تكون قامتك واحدة وأنت اثنان .
- لقد جعلت من قامتك المستقيمة إثنين ، فلم تكون قامتك واحدة ؟
- ذلك لأنك لا تجدر بنقدهم ، فاذهب وأضرب خيمتك بجوار الدراويش .
٣٨٤٥ -وحينما يكون الشحاذ الذى لا قوة له مع السلاطين ، ينبغى عليه أن يقلل من مطاولتهم .
- فحتام تعلق الحيرة بالجهل ، وحتام تختلط بلون الأدبار ؟
- وقد خرج عمرك من محلة العقل ، وهذا من التفكير فى كيفية هذا وما هية ذاك .
« وكيف » و « ماذا ! » هما آلتا عداوتك ، وهما حجر على زجاج من شقوتك .
- فيجب أن يقال الكلام فى محلة العقل ، وينبغى أن يثقب در المعنى بالعقل .
٣٨٥٠ -وشياطين الناس بعيدون عن نصيحتى والحمار لا يرى الملاك وهو معذور فى ذلك .
- وقد رفعت يديك على الضيف متسائلا لماذا يرفع هو يده عليك ؟
- وقد هيأ الحسد والحقد آلتى الحرب ، وقد أمسكك شيطان حقدك بين مخالبه .
- وإذا أردت أن تصل إلى الله فبدين الله ، وليس بهذه الطبيعة السيئة والشهوة والهوى .
- فمتى يجلى عز الله قدس اللاهوت على قلب اللاهى ؟
٣٨٥٥ -وهى بعيدة بعيدة الساهى من الشاهى (الملوكية) . بقدر بعد السر الإلـهى عن اللاهى .
- فأنت تعرف الهوى والهوس والجدل ، وأنت قد عملت من أجل العامة .
- فلا يظهر منك للشافعى أو ابى حنيفة إلا الهوى والهوس والحقد .
- فلو بدا أبو حنيفة شيطانا لك ، فلم يكن فى طريق الدين إلا ملاكا .
- ولو كان الشافعى عليك أبا لهب ، فهو عندى لأمين الحق النسب .
٣٨٦٠ -فكلاهما حق والباطل منى ومنك ، والباطل من خبث قلبى وقلبك .
- وإلا فإنهما فى بستان الدين بنور اليقين ، سنبل السنة وسوسن الدين .
- وقد قلت هذا على سبيل النصيحة ، لقد جئت ونصحت وذهبت .
- ولوأنك نصحتى من سوء الأيام ، يكون هذا من قبيل تعليم الطب لعيسى .
- وتقبل صورة العاقل النصيحة ، أما الجاهل فيلبس رداء الجهل .
٣٨٦٥ -ونار طبيعتك مثل تراب الطاحونة ، وماء وجهك منها كريح الأثير .

- ولو أنك لست بسىء فلا تحقد على ، وإذا كنت هكذا فلا تفعل هذا فى الدين .
- فلا تفرط فى القلب والدين بالشهوة والحقد من أجل صوت العامة .
- فلا يبارى أحد من أجل العامة ، ولا يجعل حمار العامة كفرس السباق .
- ولقد قلت نصيحة فى أمر الدين ، فلو كنت طيبا أو شريرا فأنا بعيد عن هذا .

٣٨٧٠ -ويا من جعلت الهوى تحت احمالك ، أية أعمال لك بمثل هذه الخزعبلات ؟
- ولا تقل للعظماء ما يصلح قوله للكلاب والذئاب .
- وقد أظهرت لك طريق النجاة فإذا كنت لا تريده فأنت عالم بالترهات .
- وإذا لم تقرأ نصيحة الدين ، فأنت مغرور ترى نفسك تستحق الفضيحة .
- وإذا لم تكن قابلا للنصيحة منى ، فأنت مع شيطانك فى قصف ولهو .

٣٨٧٥ -وإذا لم تكن لك عينان مبصرتان ، فليست غرامة ذلك تقع على أهل الدنيا .
- وقد وضعها كلها من الماء هذه الدنيا التى عمرها يومان طرية ندية مثل أمعاء ممتلئة بالريح .
- لقد قالها هوسا ولا معنى هناك ، وكأنها الجرس صوت ولا دعوى .
- وكل من كانت له عين العقل عمياء ، فهو ليس بآدمى بل من الدواب .
- فيجب أن يرى الرجل عيبَ نفسه ، ولا يجلس على طريق الزور والغيبة .

٣٨٨٠ -وإذا كنت تعرف عيبك دائمًا ، فلست من العامة وإنما أنت ملك الدنيا .
- فارفع يديك عن مثل هذه الترهات ، فأعمل واترك الكلام .
- ولو أنك عليم بأصلك ، فيجب أن تتألم فالألم دليلك .
- وإذا كنت مهتما بالدين فاطلب الدين ، فهذا هو مفتاح باب قلبك .
- وكل من كان ألم القلب رسولا له ، فجبريل هو القائل له : مرحبا بك .

٣٨٨٥ -وذلك الذى يقطب وجهه فى مواجهة الضيف ، من الانحطاط بحيث يعد القوت كالروح .
- وأنا ناصحك فاسمع إلى قولى جيدا ، وإلا فقلل الكلام وأذهب إلى جهنم .
- أنا عبد ولا بد للعبد من أئمة ، ولا استمع إلى قول من ساذج السذج .
- وقدماه ملتفتان خجلا من الإلـه حين اصفق طربا .
- فإذا كنت قد بلغت الكبر فى حياتى ، فتجاوز عن سيئات شبابى .

٣٨٩٠ -فأنا مشهور ما دامت رسالة ، وأنا سيد ما دمت غلام الغلام .
- فإذا لم يكن أبو حنيفة مقبولا لديك ، فأحرق نفسك كأنك العود .
- وإذا كان الشافعى أبا لهب بالنسبة لك ، فهو بالنسبة لى أمين حق الطلب .
- وكلاهما سيدان وامامان على ، وعلى روحيهما من التحية والسلام .
- ذاك با لمعنى أمام القرآن ، وهذا للدعوى دليل وبرهان .

٣٨٩٥ -ذاك يفعله محيط خضم ، وهذا بقوله حيدر كرار .
- هذا با لمعنى على مثال البحر المحيط ، وذاك بالفتوى من العلم السهل .
- ذاك على مثال النجمة السيارة ، وهذا مثل المشترى متألق بنفسه .
- وقد وجد الشرع من هذا الرونق والزينة ، ووجدت الزندقه الأذى من ذاك .
- وكان ذاك كالأركان للشرع ، وهذا جسد للإسلام وروح .

٣٩٠٠ -كان الاجتهاد صحيحا لكليهما ، وصل هذا اليه فى النهاية وذاك فى البداية .
- وقد فرحت منها روح الرسول ، وأثر سعيها فى الشرع .
- ووجد الدين الرونق من سعيها ، وكانا لدى العاقل إمامين بحق .
- فلتكن روحى فداء لكليهما ، وليكن قولهما غذاء للروح .
-وليكن الإلـه راضيا عنهما ، فقد وجد الكثير من الخلق النفع منهما .
٣٩٠٥ -وما دامت الإبل ليست مشتتة ، فأنها لا تسرع نحو السبُل والآبار .
- وما لم يعد أمر السفيه فاسدا ، فإنه لا يمزق رداء الفقيه .
- وأنت يا من لا تستطيع أن تحل مسألة واحدة ، لماذا تجادل أذن الخبير بالكلام .
- وحين يصير النساج فارسا ، فإنه يصير جريحا فى أقل من ساعة .
-وحينما يقصد الجاهل العالم ، فإنه يمزق نفسه شر ممزق .
٣٩١٠ -وكل من بقى متأخرا عن الدليل ، ظل بال حيلة وكأنه فى بئر بعيد الغور .
- ولا شك أن هذا الشخص سىء الفعل ، وهو خليق بقعر جهنم .
- فيارب خذ بيد الخلق ، وهب العبد النهار من ظلمة الليل .
- وأنا أقول الخير من كمال اليقين فى حق جملة ائمة الدين .
- وأن كنت بحس البصر ترانى نحيلا جافًا ، فأننى من ثناء الجمع ذو لسان ندى .
٣٩١٥ -وإذا عادانى كل الخلق ، فإنما يظنون أن الصداقة بضاعة غير مزجاة.
- وقد أعطيتهم جميعا جواب السؤال من النقد الخليفى فى الحال .
- فلو أن لى عمر سام ونوح ، ولو أن بقائى كالنفس والروح .
- فإن بنائى يكون كالشمع المشتعل من بناء ثنائهم .
- وإذا كانت فى حالة الجمع أو فى حالة التفرقة ، مهما أكون فأنا منهم .
٣٩٢٠ -وما دامت شهرتى من أسهم ، فأنا السيد حين أكون غلاما لهم .
- وما دامت فى المنزل فلماذا ابحث عن الطريق ، ولست جنبا فلماذا أغتسل ؟
- وأنت قد صرت نجسا وأنا فى الحمام ، وهو سمكة تتقلب فى مقلاتى .

فصل فى الزهد والحكمة والموعظة والنصيحة

- ان عزمك (ينبع) من حضرة النبى وعلى ، فأى شىء إذن نومك فى لحاف الخلاف ؟
- فالفرش ومهاد النوم من أجل الأطفال أما للرجل فله ذوا الفقار المصقول ؟
٣٩٢٥ -ولم يحن الوقت بعد ليخجل جهلك من امهال الحبيب فى معاقبتك .
- فاقتلع حب ملك الدنيا وملكها ، وخذ زاد الطريق من جلال الحق .
- وأعلم أن زاد الطريق هو التجريد ، ذلك أن التجريد هو قرين التوحيد .
- فمتى تصل إلى التوحيد كالمريد ، وأنت لم تخط خطوة واحدة فى طريق التجريد .
- فأذهب وتبرأ من الخليقة ، حتى ترى عروس رؤيته .
٣٩٣٠ -وكيف تعلم ما هى عروس رؤيته ، وما هو سر الصانع فى الخليقة ؟
- فاشعل النار مثل العاشق ، وأحرق المنزل وأخرج الدخان (منه) .

- حتى يكون للفلك الأزرق النفع من دخانك ، وحتى يصبح ذو الوجه الاصفر ذلق اللسان فى التو واللحظة .
- وكبر اربع تكبيرات كخير الناس ، علام ؟ على الطباع الأربعة والحواس الخمسة .
وأضرب فرع أنياب المحال ، واقتلع جذور بيت أصنام الخيال .
٣٩٣٥ -وأكنس بلا « الكانسة للوجود » فى طريق الحق كلَّ ما هو سوى وجود الله .
- وفى الدنيا التى يكون الطبع فيها عاملا ، يكثر قولك للشيطان : لا حول .
- وحينما لا يخاف الشيطان من « لا حولك » لا تكون الشكوى مسموعة عند الله .
- فاهزم شيطان الدين من الاعتماد على القول بصفعة من لا حول .
- ويخاف شيطان الدين منك ذاك الحين الذى لا ينبعث من فيك نتن المعصية .
٣٩٤٠ -ولكن وجودك فى كل الأمور ، نتن وغير طاهر كالجثة .
- وهناك أناس تحت هذ الأفلاك ، افواهم مليئة بالسم ومنازلهم بالترياق .
- حينما تكون الأرض مليئة با لمعاصى يصيرون إلىْ الأفلاك ، وحين تكون الدنيا بلا طعم فهم الملح .
- هؤلاء هم الداعون إلى الله وهم غير أولئك الذين يدعون إلى الجاه .
- ليسوا ملحا ولكنهم أرض بور ، هم جميعا بلا ثمر ولا خشية .
٣٩٤٥ -وكلهم من ماء هذه الدنيا التى عمرها يومان ، كلهم واهون لينون كمعى ممتلىء بالريح .
- وكلهم كنطق الأصم لا معنى لهم ، وكلهم مثل صوت الناى مليئون بالإدعاء .
- وهم تجاه الروح كوخز النحل ، وتجاه القلب مثل عطسة النمل .
- وهم كلهم يسارعون مشيا بأيديهم وأقدامهم ، لأنهم يدقون رأس العقل وصدره .
- يخرجون ألف صوت من أجل رغيف ، حتى يحصلواعلى شروى نقير .

فى الرائحة الكريهة على غيبة الأخ المسلم

٣٩٥٠ -قال ذات يوم شيخ لمريده ، لا تجعل من الغيبة وجهك كالقار .
- فياليت المعصية تفوح بالنتن ، حتى تصير يوما للمغتاب كالقيد .
- ولم يجلس عاقل إلى غيبة قط ، ولم يفض شخص مبجل ختم الغيبة .
- وإذا جلس فمن الرائحة الكريهة ، يصير نتنا بين العاقل والسفيه .
- فإنه من الخجل اغتيابا لأحد ، لم يكن ليتنفس نفسا واحدا أمام الخلق .
٣٩٥٥ -فالغيبة مثل أكل لحم الأخ[1] ، ولا يأكل الرجل الوجيه لحم أخيه .
- فليس إلا الأبله أو الضرير أو السفيه الذى يبدى الشره للحم أخيه .
- فيا أيها الأخ احذر الغيبة ، أجعل قوتك من اليقين لا من الريب .
- فلا يأكل لحم أخيه عند الحديث ، الا آكل الجثة كالضبع .
- قال : كفاك وأدخل فى العمل سريعا ، وكالهازل لا تتغن يالنهرل .
٣٩٦٠ -فلا تلق با لمجن من (لا تأمنوا) ولا تكسر القفص من (لا تقنطوا) .
-وادخل مثل الرجال فى الحركة والسعى ، واغسل لوح الكلام بماء الوجه .

(١) أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه . الحجرات / ١٢ .

- وألق بعلم عسكر الجفاء ، وأكسر القلم الذى يصور الجسد .
- فلا يجعل الصبُر نفسك غير طاهرة ، فماؤه نار وريحه تراب .
- فأبيض دفتر الجاه وأسوده ، تجعل العين بيضاء وتسود الأوراق .

٣٩٦٥ -فاغلق باب الحديث الذى لا نفع فيه ، وكن راضيا بقضاء الله .
- فحينما لا تتحدث تصير أبيض الكتاب ، وتنجو من الألم وتصير فى رغبة نفسك .
- وإذا أكثرت الحديث تظل متألما ، فاستمع إلى هذه النصيحة ولا تكل الريح عيثا .
- فالأسد غليظ الرقبة لأنه لم يترك الرسالة للدب .
- وأنت مسافر فكن فى طريق النجاة وابتعد عن ذاتك وكن ربانيا .

٣٩٧٠ -فلم تصير مثل الدواب والشياطين والوحوش راسخا فى دار التسول هذه .
- فليس فيها من معنى العدة والعتاد ، كلها هباء ونتن كالبصل .
- وإذا لم تكن فلكا فأى ارتفاع لك ، وأى تجمع حول كتل هذا التراب .
- وإذا كنت عالما فإنك لا ترى فى الهوس نفعا ، وان عشت بالهوى تموت سريعا .
- فأعمل واترك الكلام ، فهذا الطريق يكتسب بالعمل .

٣٩٧٥ -وقلل الحديث قائلا : سأفعل ، قل : فعلت ولا تقل سأفعل .

التمثيل فى المجاهدة

- ذات يوم قال مريد لشيخه : ما هو التدبير فى هذا الطريق ؟
- وليس أمر هذا الطريق على المعاملة ، وليس فى طريق الجهد مجادلة .
- فلابد من التوفيق فى الطريق ، ولم يصل أحد بالجهد إلى الله .
- قال الشيخ : أن شرط المجاهدة القيام بالشرع .

٣٩٨٠ -والقيام بكل أنواع العبودية ، وإفناء القدم فى طريق الشرع .
- وقد صار يقينا لى أن عدم الشهامة فى طريقه سوء انوثة وليست سوء رجوله .
- فأذهب وقم بما هو عليك ، واترك كلام الجهلاء .
- وزاول العبودية قدر جهدك ، فأذهب فى الطريق ولا تكثر من الكلام .
- فعليك الجهد وعلى الله التوفيق ، ذلك أن التوفيق هو رفيق الجهد .

فى الاجتهاد وطلب التقوى

٣٩٨٥ -عبد الله بن رواحة صحابى الرسول ، ذلك الذى كان القبول له من الرسول .
- كان الرفيق المختار وفى كل الأمور كان مختارا من محمد المختار .
- كانت له على السيد حقوق الصحبة ، ولم يترك خدمته لحظة .
- وفى ذلك الزمان الذى أتى فيه جبريل الأمين بآية على الرسول المختار .
- أن أمتك جميعها لا محالة ولابد وأن تمر على جهنم .

٣٩٩٠ -والطيب والشرير واردون على النار ، سواء الجالس بقلب مريض أو بقلب سليم .
- حينما سمع عبدالله هذا الحديث ، قال واغوثاه ، يا معين العاجزين .

- وذهب إلى منزله ولم يخرج ، وأخذ يبكى بدل الماء دمًا .
- فقالت له امرأته : انهض وأذهب فاحصد البذور التى غرستها .
- فمن العيب أن يجلس الرجل فى المنزل ينبغى للرجل أن يعمل ويكد .
٣٩٩٥ -فقال الرجل : حينها سمعت ذلك ، قطعت الطمع من نفسى .
- فيجب على أن أجتهد وهذا لابد منه ، حتى أضع (بينى وبين جهنم) حاجزا كأحد .
- وذلك لأنى ضعيف البنية ، والعذاب مؤلم والنار مهيبة .
- ربما أجد وسيلة من الشرع ، حتى لا أذوب فى النار كالنحاس .
- ثم نزلت آية أخرى ووجد الفرج ، (ثم ننج) كل من يجد حيلة .
٤٠٠٠ - فالنجاة للذين اتقوا فاعلم انهم أحياء وان كانوا من الأموات .
- قال : ولو أنى من عدم التقوى ذو حمل ثقيل ، فربما أخذ سبيل التقوى فى يدى .
- أسير فى طريق التقوى اذن ولا أفكر ، ذلك أننى قبل الأصدقاء بمنزل .
- فمن لا تقوى له فى طريق الدين ، ليس آدميا بل شيطان لعين .

التمثل فى التقوى ، سؤال موسى عليه السلام من الله عز وجل قال : أى شىء خلقته أفضل من كل الأشياء ؟

- قال موسى لك فى مناجاته : أيها الخالق وأيها المولى .
٤٠٠٥ - أى شىء أحسن الخلق فى الكون من كل ما خلقت من كل لون ؟
- قال : ليس هناك أفضل فى العالم من التقوى وهذا من كل الخلق يا موسى .
- ويقينا أن التقوى هى سر كل طاعة ، والمتقى هو ملك جنة المأوى .

الجهل داء بلا دواء والحمق حفرة بلا عمق

- الدعاة الذين هم أبناء زماننا ، غالبا ما هم فى هوى أنفسهم .
- ويرون من غرورهم أنهم أعلى من الدنيا ، وهو من سوئهم اقطع للحلق من الأجل .
٤٠١٠ -وكلهم كأنهم من الكتاب فهرسه ، لا يرسلونك إلا إلى أنفسهم .
- ووجوههم مثل البصل حمراء وجميلة ، وحين تدقق النظر تجدها كلها قشرا .
- يبدون من ملابسهم التى هى طية فوق طية وكأنهم البصل ، ولكنهم كالثوم منتون سيئو الرائحة .
- ويجعلون بطونهم دائما ملأى بالنار من أيتام الديار وأراملها .
- وما داموا قد قووا اللسان فى الجدل ، فقد جعلوا العقل عاشقا للغواية .
٤٠١٥ -وأصحاب الرقاب (الغليظة) كاليقطين هؤلاء بلا جناح أو ريش مثل اليقطين ينبتون سريعا ويزولون سريعا .
- وكلهم أدنياء العلو كأنهم النقطة (من الكلمة) وكلهم ضيقو الميدان كأول الطريق .
- صاروا مهرة لكن فى اللدغ ، وهم يستحقون الضرب بالسياط والجلد .
- وأفهامهم فى الدنيا التى لا صريخ فيها ، مثقوبة كأذن المولد وبه صمم .
- ومن أجل الجاه والمال والمدد ، جعلوا الرأس من الشر والقلب من الذل والجسد من الحسد .

٤٠٢٠ - ومن أجل كسب الصدرة والصرة ، قائلون لأبى مرة (صدق الله) .
- وقد صار الضحاك من أفعالهم شاكرا ، وجلس أمام هاروت على التراب .
- وقد ارتدوا عما يشترطه الشرع ، وصاروا متعطشين لدماء بعضهم .
- وقد قصدوا دماء سذج انقلب ، مثل هؤلاء الأنذال الماكرين .
- وجعلوا من الشرع والصدق شبكتين ، من أجل صيد العامى والساذج .
٤٠٢٥ - كلهم قد رأوا فى السوء بهاء وكلهم رأوا من الريح سمنة .
- وبالرغم من أنهم مع بعضهم كالصحاب ، إلا أنهم سفهاء كالزئبق .
- وكلهم مثل الزئبق على كف المفلوج ، من أجل مال الخلق والحرص على الفروج .
- فهم كسالى على الكرم ميالون للذهب ، وجهلهم حاجز أمام علمهم .
- وأية ثرثرة يهذون بها أمام رجال الدين ، أن العيال ايتام والنساء أرامل .
٤٠٣٠ - ولما كانوا حريصين حسودين وذوى وجهين فإنهم يسرعون فى المنفعة إلى بعضهم .
- وكل من يعطى رأيا من ذات نفسه على سبيل الفضول ، فإن شرع الإله يغسل يديه منه .
- كلهم فى سبيل المال والجاه راحون غادون ، وكلهم باعة يوسف عميان .
- كلهم بلا لب أعداء للعنبر ، كلهم مرضى عيابون على الفضلاء .
- كلهم قبحاء أعداء للمرآة ، وكلهم خفافيش عين النور .

التمثيل فى أصحاب الغفلة والجهال

٤٠٣٥ - وجد زنجى مرآة فى الطريق ونظر فيها إلى وجهه .
- فرأى أنفا أفطس وشفتين قبيحتين ، وعينا من النار ووجها من فحم النبات .
- ولما لم تخف المرآه عيبه ، ألقى بها على الأرض حينذاك وقال :
- لابد إنه كان لهذه القبيحة صاحب ، وقد رماها من أجل قبحها .
- ولو أنها كانت مثلى خارقة الجمال ، فمتى كانت ذليلة هكذا فى الطريق ؟
٤٠٤٠ - فانفرادها من طبيعتها القبيحة ، وذلها من وجهها الأسود .
- وهكذا يكون الجاهل تجاه العالم ، (يقول له) هذا أنت يا أرعن ، هذا أنت يا أعمى !! .
- وحينها لا يكون للعاقل هنا قوت ، فالموت خير له فلا تكن حزينا من أجل هؤلاء الناس .

التمثيل فى نظر السوء وأحوال الدنيا

- مثلك كمثل رجل فى سفينة ، ومن (هذه السفينة) لك الفعل القبيح فى السنين والشهور .
- وذلك الذى يكون فى السفينة والبحر ، نظره معوج كالأعمى .
٤٠٤٥ - وكذلك يأتيه الظن من حيرته ، أنه ساكن وسائر على الساحل .
- ولا يرى أنه آخذ فى الذهاب ، والساحل مستريح من الفتنة .
- والرجل الذى يعبد الدنيا على هذا النسق ، مثل الطفل ضعيف وجاهل .
- وأنت بالحديث مغرور فى الليل والنهار ، لكن لم يصر شىء معلوما لك حتى الأن .
- فلا تستمع كثيرا إلى حديث الخير والشر ، ولكن ضع ما سمعته فى حيز العمل .

٤٠٥٠ – ويا من لم تر من ابهاظ معدتك بالطعام حمار عيسى فى النوم مختلفا عن حمارك .
– وعز العلم هو كبرياؤك ووجودك ، والكبر والعُجب هما غضبك ورضاك .

فى مذمة العلماء

– إذا كنت عالما ولم تعمل (بما عملت) فاعلم إنك حمار ، تحمل اثقال الجواهر وتأكل القش .
– وإذا كان هذا العالم سيء المزاج ظالما فهو كالبغل ، والحمار – أيها السيد – أفضل من مثل هذا العالم .
– وأنت تملك العلم فأين مضاء الأمور ؟ وأنت تملك الخنجر فأين اختراق الصفوف ؟
٤٠٥٥ – ولن تجد رائحة من تلك المحلة ما دمت تقول هذا مذهب فلان وذاك مذهب فلان .
– وأنت قد سقت الثرثرة من البطر ، أن فلانا ملحد وفلانا كافر .
– فأنظر أيها السيد إلى ما فى جيبك ، حتى يظل ايمانك باقيا .
– وفكر فى همك ولا تفكر فى الآخرين ، وضع أفعالك أمام نفسك .
– فلماذا يجب أن تتحمل كل هذه المظالم ما دمت متيقنا أن الموت لازم ؟

مدح العالم العامل وطلب العلم

٤٠٦٠ – يكون العلم مع العمل نافعا ، أما العلم بلا عمل فيكون قيدا على القدم .
– فأنت تملك العلم ولكن للنفع والربا ، وأنت مشغول لكن بالفساد والزنا .
– وعلم المخلص يكون داخل الروح ، أما علم ذى الوجهين فيكون على اللسان .
– وإذا كنت صاحب قلم فأجعل القول قرينا للقدم (أى للسعى) وإلا تكون (نون) ولست (بالقلم) .
– وجدة العلم تكون من الاستقامة ، مثلما يكون مجد القمر من الشمس .
٤٠٦٥ – فالقمر بلا شمس يكون مظلما وأن كانت المسافة بينهما قريبة .
– وكل من كانت ناره مائية النقش ، فاعلم أن عمله واضح (ومفهوم) .
– ذلك أن إقبال العامة يكون مطلبه ، فقيمته بقدر همته .
– ولا تنس الحق بالدولة المقبلة ، ذلك أنها رهينة فى يد القصار .
– ولا يتحدث العلم معك أبدًا ، ذلك إنك حينا رجل وحينا امرأة .
٤٠٧٠ – وقد أراق الحق ماء أيامك ، وجعل الخلق رداء الحيلة خلقا .
– وبخلك وجودك من أجل أناس محلتك ، فهما فى الليل والنهار يطلبان الصديق ويبحثان عن العدو .
– وذلك الذى يكون قلبه روحا للرجل الحزين ، لا تعب عليه قائلا إنه بلا دين .
– وليس ذلك إلا بقولك وأنت باب العالم ومن الذى رأى الشمس والخفاش معا ؟
٤٠٧٥ – فلا تضرب على رأسى فأنا راسخ على قدمى ، وذلك أننى عالم وهكذا موضعى .
– وإذا كنت قد جلست فلا تشعر بالزهو ، فمن الأوفق أن تكون الفتنة قاعدة .
– وحيثما لايكون هناك حظ وشباب ، لا تتشاجر مع (من يملكهما) فلن تنتصر .
– ومتى كان لك صبح قبل الشمس ، مهما كنت فيه متعجلا ومسرعا .
– ولماذا يكون مقطب الوجه على الكرسى ، ما دمت لا تسأله عن أية مشكلة .
٤٠٨٠ – وليس كل من له كرسى يخرج له من يسأله عن مشكلات .

- والكلام الذى لا نفع فيه من الإفراط ، وليس كل من له دن سقراط .
- وفصل ربك خير من منةٍ مخنث ، ونفس عيسى خير لك من الكحل العزيزى.
- وحينما تملك سقفا واحدا تكون لك أذن (سامعة) ، وحينما تملك منزلين فأنت تسمع الضوضاء .
- فأنت لا تصبر على وجود منزل واحد لك ، وقد تحول المنزل من وجودك إلى خراب .

٤٠٨٥ - فلو أن خصمك يخطىء التدبير ، فإن أيامك تعطيك التوفير .
- وقاف جبل وثقيل جدا ، وكل من كان احمق فهو كذلك .
- والكبرياء الأجوف على قلوب الخلق ، لا يكون أبدًا أخف من جبل قاف .
- فلا تعتبر خصمك مثل الحبيب ، ولا تتخذ من الرجل المصروع طبيبا .
- وأعلم أن المشكلة التى يجيب عليها أبله مجن يعطيه الريح من الماء .

٤٠٩٠ - ولا يتحمل أبدا مجن الماء رمى الأقواس بأى تدبير .
- ومتى أخذ حكيم ماهر دواء الصرع من مجنون ؟
- ولا يخاف العاقل أبدا من عين السوء مالم يكن فى الطريق المعوج.
- وأى انتظار للخضر من الغول ، فكل ما هو (خضر) فيه يكون من الباطن .
- وإذا لم يكن لك حائل فى الطريق ، فأخط وقلل من الكلام .

٤٠٩٥ - فعلى اللوح (المحفوظ) المادة والمدة (الهيولى والزمان) ، والباء والتاء العقل والروح والألف الوحدة[1].
- وحتى نزل العقل عن طريق الأمر فهو فوق والنفس والنفر فوق الإنسان .
- وقد وجد العالم المظلم النور من نزوله ، وصار مضيئا كطلعة الحور .
- ولقد قيل نعت الرسول وفضله ، فاثقب اذن در العقل الفعال .

---

(١) الباء والتاء إشارة إلى كلمة (بُت : صنم) .

الباب الرابع
فى صفة العقل وأحواله وأفعاله وغاية عنايته وسبب وجوده

ذكر العقل اوجب لأن نتائجه أعجب ، من لا عقل له لا دين له ، قال النبى ﷺ ، أول ما خلق الله تعالى العقل .

فى مدح العقل والعاقل والمعقول

- كل من هم تحت الفلك من طيبين وأشرار حاصدون نتاج العقل .

٤١٠٠ - وحينما وصل من حظيرة الأزل ، صح به أمر العلم والعمل .

- ومفتاح الأمور أيضا فى يده ، وطريق الأمر معقود فى وجوده .

- وهو أصل الخير وظل الشر ، وهو سبب ما كان وما يكون وما هو موجود .

- وفى الحروف التى هى حجب النقل ، آخر الشرع أول العقل .

- ومن أجل صلاح الدولة والدين ، عين العقل الأول الناظرة إلى الآخر .

٤١٠٥ - فالعقل يريك جملة الأشياء ، ما مضى وما هو موجود وما يأتى .

- وليس لكلام العقل صوت أو حرف ، ذلك أن الظلمة لا تتأتى من العظمة .

- وحيثما ظهر نطق العقل ، فإن الحروف والأصوات تغيب فى العدم .

- والعقل هو الجوهر وهو المنجم وهو أيضًا الرسول وهو الحارس .

- ولم ير احد أفضل منه عالما يكتم علمه ، وليس هناك صامت قط أفصح منه .

٤١١٠ - وهو عاطى الروح والقوت للجسم ، وهو واهب العلم والمعونة للنفس .

- ولست أتحدث إليك بالحكمة عن طريق الخرافة والأسطورة .

- وما لعقلك من شرق ومغرب ، لا فوق ولا تحت ولا يمين أو يسار .

- فالأزل هو شرق شمس العقل أما مغربها فهو الله عز وجل .

- ويدرك عميق النظر هذا المعنى : أن العقل ليس مثل الجهل على الباب .

٤١١٥ - فهو فى منزل الخداع والهوس هذا ، من أجل كسر القيد والقفص .

- والعقل فى منزل الأزل من أول الأمر ، وآخره أول مثل الأزل .

- وعلى هذا النسق جاء ظهيرًا للدين ، فكذلك كان وهكذا جاء .

- ذلك أنه فى هذه الحظيرة للغم والحزن ، من أجل سرور بنى آدم .

- فهو علة للفهم والتصور والذكاء ، وهو ستر للعارى الذى لا ظهير له .

٤١٢٠ - ومن أجل حظ الدارين ، أحيانا يخفى الغيب وأحيانا يبديه .

- وقد صاروا بلا غيب ولا ريب ولا شك العقل والمعقول والعاقل معا .

- وكفاك العقل دليلا فى طريق الحق ، وكفاك العقل خليلا فى كل حل .

- فاستمسك بالعقل حتى تنجو ، والا صرت تائها فى كل طريق .

- فهو يقبل (أفعل) ولا (تفعل) من الأمر ، ثم يقول بعدها للروح أفعلى هذا ولا تفعلى ذاك .

٤١٢٥ - ومن قدره دعا حكماء العرب ذاته (المدبر الأقرب) .

- وسموه العقل الفعال ، وجعلوا الحواس الخمسة خدما له .

- وسماه على الحس والطباع أميرًا ، وصارت النفس الكلية له كالوزير .
- وفيضه غاسل نقوش الجافى ، وفعله باحث عن النفوس الصافية .
- وفيضه فى صفاء سكينة الروح ، وفضله فى وفاء سفينة نوح .
٤١٣٠ - ومن أجل المصلحة لا من أجل الهوس ، يكون ميله غالبا إلى شخصين :
- أما لتأييد حاكم عادل ، أو لتوحيد عالم عامل .
- وهو وأن كان جوهرا وكان هذي الشخصان عرضا لكنهم يتابعونه لغرض .
- فرعايته كثيرة على المجرد ، وعنايته لا حد لها على الخليقة .
- ذلك أنه بدونه لا يوجد هذان : الملك والدين حيثما لا يكون ذا لا يوجد هذان .
٤١٣٥ - وهو يأنس دائما إلى الزهاد ، ذلك لأن الزهاد أفضل من العباد .
- فيجب أن يكون هناك جوهر كالعقل فحسب ، قليل هم من يتحدثون من أجل النفس .
- وهو وارث رسم الشرع والدين وهو هكذا من الأزل إلى الأبد .
- وفى هذ الدار الخلقة لا تعتبر شيئا باعثا للغم للأذكياء أكثر من الكلام .
- فلو كان للعقل قرار تجاهك ، فلا تترك الروح التى تزيد الحكمة .
٤١٤٠ - إذ يحررك العقل من الجهالة ، ويوصلك العقل إلى الحقيقة .
- فيكفيك العقل معينا ، وكفى به لك خفيرا .
- والعقل هو الذى يعطى النفس الرسالة ، (قائلا) يا من لك من التحية والسلام .
- وذلك الذى يشم عن طريق العقل ، تنبت دائما كل النكات من حديثه .
- فدائما ما يكون العاقل قويا ، أما الجاهل فذليل ومغتم .
٤١٤٥ - ويكون قلب الجاهل ممتلئا بالطمع ، فاقطع الطمع عن مال الخلق جميعا .
- وضع حرص نفسك تحت قدميك ، وابحث عن العقل وأترك الجهل .
- والحرص كالأفاعى آكلة البشر ، وما لم تملكه فهو يأكل نفسه .
- وأعلم أن الحرص كالخنزير والدب ، وأترك الحرص ولا تخف من بشر .
- وصدرك دائم فى هذا الهوس ، وهو كالسراب والوهم هائم فيه .

فى ان العقل سلطان الخلق وحجة الحق

٤١٥٠ - العقل سلطان قادر طيب النية ، ومن أجل ذلك يسمونه ظل الخالق .
- ويكون الظل عالما بالذات ، ومتى ينفصل الظل عن الذات .
- ومتى يكون الظل إلا كالعبد ، ومتى يكون للظل اختيار ؟
- فللعقل الكل لوحة تحت الجسد ، وحيثما كان أمر فهو المبلغ للأمر .
- ومادام العقل أمام حديث الأمر ، فكلامه قرين للقرآن .
٤١٥٥ - وكل ما ليس من حظيرة الأمر ، يكون ألما لك وليس دواء .
- والعقل أعلى من الوهم والحس والقياس والعارف بالانجم يكون أعلى من الفلك .
- وهو فى المصالح مدبر للروح ، وهو كاتب الله فى الممالك .
- فميز أذن بين العقل والعقيلة ، إذ لا يكون الورم مثل السمنة .

- فالعقل الكل ينجيك سريعا ، من الارتباط بالشيطان والنار والدخان .
٤١٦٠ - إنه رحمة الله فى أصل العالم ، وهو حجة الحق فى موطن الإنسان .
- والعقل فى دار حجاب (كن) من أجل قبول (أفعل) ولا تفعل .
- كان مقبلا ثم صار مدبرا ثانية ، ثم وجد الإقبال من أجل السر .
- ولقد صار للجميع قابلا لنور الأمر ، وهو جدير بنفسه لا بالكلمة .
- وكل من كان مخالفا له تعب من نفسه ، وكل من كان متابعا له نجا من السوء .
٤١٦٥ - فتدبر مع العقل مثل المشترى ولا تأخذ الدين من أجل الغلبة كالغمر .
- فالنفس النباتية فى رعايته ، والنفس الناطقة فى هدايته .
- وهو من الجود كاشف الغمة ، وحضرته نهاية للهمة .
- ويعلم العقل أسماء كل شىء ، ويميز بين الطيب والخبيث .
- والعقل هو قيم جسد البشر ، والعقل هو العالم بكل حال .
٤١٧٠ - فالطاهر والنجس على مائدة واحدة ، فيكيف يمكن التمييز بينهما إلا بالعقل .
- وكل من هو عارف بالعقل ، يكون بريئا من كل العيوب .
- وقد وجد العاقل عن طريق الفوز والفلاح عين الصلاح فى دار الفساد .
- وكلام العاقل عن طريق القياس هو در الدين وذهنه ماس .
- وتكون روح الرجل الفاضل حتى فى الصحراء لوحا للسر الربانى .
٤١٧٥ - والفضل من الرجل كالروح من الجسد ، ومن لا فضل له ميت الروح حى الجسد .
- وإنما يتذوق الصبور شربة العقل ، ولما كان الحمار بلا عقل فقد حمل الاثقال .
- وحينما حفظ العقل أبجدية الحق . رفع ثوب الباطل عن رأسه .
- وكل من كان مع عقله غير أهل ، فحلمه زور وعلمه جهل .
- وكل من سقط فى قيد القيل والقال ، فقد سقط عقله فى العقائل .
٤١٨٠ - وليس الرجل الذى بلا عقل إلاخيال ، ولا تخلو الصفصافة التى لاثمر فيها من الشيطان .
- والعقل لب والكواكب ثُفْل ، والعقل شيخ والناس أطفال .
- ومن أجل الكلام جاءت حاضنة العقل للمجتهد فى مهد الظن .
- فالعقل قادرا أيضًا ومقدور ، والعقل آمر أيضا ومأمور .
- وهو أعلى من الصورة والمكان والمحل ، هو مدخل بوابة دنيا الأزل .
٤١٨٥ - والعقل ملك والآخرون حشم ، ذلك لأنهم أقل فى المرتبة من العقل .
- وكل تشريف العقل من الله ، وإلا لكان مسكينا وضالا .
- وأعلم أن العقل الكل مثل السقف والحواس هى درجات السلم إلى السقف .
- والعقل لوح والنفس هى التى تظهر النقش فيه ، والنقش أمر والنقاش الله .
- وقد أعطى الخالق هذا العز للعقل ، وإلا فمتى كان رأى هذا الشرف قط .
٤١٩٠ - والعقل ضرير فى محلة العشق ، والعقلانية عمل ابى على بن سينا .
- وبالنسبة لك أما أن يكون العقل سلامًا أو حربا ، ولو كان العقل حربا عليك ، فهذا جرح لك .
- والعقل الذى يكون دليلا للحيلة لا يكون عقلا وإنما هو عقيلة .

– وقد جعل العقل منيرًا للحواس من أجل الصلاح للعدو .
– فلا تنظر إلى هذا النور لأنه من الغرور ، وقد قتل المصباح الفراشة من النور .
٤١٩٥ – وكل من خالط العقل بالسوء ، فلا شك أن العقل ثار عليه وشنقه .
– فَما ابداه لك العقل فهو الطريق فخذه ، وإذا ضاع منك (الرخ) و (الحصان) فخذ الشاه[١] .
– وكل من هو غريب فهو ليس بعارف ، وكل من ليس له عقل فهو مجنون .
– وينبغى أن يكون المريد المحتاج للشيخ أخرس حتى يصير عقله فصيحا فى الكلام .
– وحينما يصير المريد فصيحا ، يبقى الشيطان المَريد ميتا على الباب .
٤٢٠٠ – وكل من صار فى العقل مثل سلمان ، أعلم أن شيطان قلبه صار مسلما .
– فلا شك إنه حينما وجد من العقل الكمال ، قطع ثلاث صحارى فى ثلاثمائة سنة .
– وكل من له وجه سلمان ورأيه ، فآخر منزل له هو الإسلام .
– وليس من العقل فى دار الغرور ، الوجد والهيام من دم ابنة الكرم .
– وليس من العقل فى خيال السوى ، الخمر والشطرنج والنرد والناى .
٤٢٠٥ – وقد جاء العقل من أجل الأمن والأمر ، ولم يأت من أجل الخمر والزمر والقمار .
– والعقل آمر للملوكية ، وليس للاهى والملاهى .
– وهو زاجر الزمر والناهى عن الخمر ، وهو ذلك الذى استمع إليه أولو الأمر .
– وهؤلاء السلاطين الذين لا يسيرون فى طريق الدين ، ليسوا بسلاطين بل هم شياطين .
– والعقل الذى من أجل المال والجاه والضياع ، أعلم إنه ليس بعطار بل بائع للزائف .
٤٢١٠ – ولا يكون العقل نشالا أو محتالا ، ولا يكون ذا وجهين حقودا .
– ويشعر العقل بالعار من الأشعار الفاضحة ، وأى عمل للعقل مع الكذب والهزل .
– ولا يجور العقل على قلب قط ، ولا يقصد المدح أو الذم طمعا .
– وليس العقل إلا سيدا محققا ، ليس العقل صوفيا متفيهقا .
– ليس لذلك الذى هو مريق للوجه مرتزق وليس لذلك الذى هو فج ومحتال .
٤٢١٥ – ليس لذلك الذى من أجل مجمع العوام ، لعب بالنار فى حرارة تموز[٢] .
– ولا لذلك الذى تجرد عن ملابسه فى برودة ديماه من أجل الحاجة[٣] .
– ولا لذلك الذى هو داهية ومشعوذ ، ولا لذلك الذى هو نمام ومحتال .
– ولا لذلك الذى يجعل من الحجارة زجاجا ، ولا لذلك الذى يلعب بالخرز شعوذة .
– وذلك الذى يضع قدمه على رأسه كالقوس الاف المرات على الأرض .
٤٢٢٠ – وهناك كثيرون على هذا النسق ، فى الدنيا لا يمكن حصرهم وعدهم .
– وكل هؤلاء ذوو عقول فارغة ، من أجل الجاه والمال وسوء المقصد .
– وكل هؤلاء يعطون ترابا يبدو كالذهب وكلهم عطارو الشكل يبيعون المغشوش .
– وقد سرق كل دهاء غير مقبول إحساس المرء بالعقل .

---

(١) المقصود هنا هذه المصطلحات فى لعبة الشطرنج .
(٢) حرفيا : القى بحرارة تموز فى السجن وربما يقصد به المشعوذ اللاعب بالنار فى الصيف .
(٣) حرفيا : رفع القيد عن برودة ديماه وربما يقصد به المشعوذ يتجرد من ملابسه فى الشتاء .

– وكل من هو طيب يكون فى يد شرير فليس ذلك إلا لأنه فاقد العقل .
٤٢٢٥ – وليس للعقل أمر إلا الصلاح ولكن لا تستعمل العقل فى صلاح الأبله .
– ولا يقوم العقل نفسه بالأمور السيئة ، ولا يفعل كل ما ليس مقبولا له .
– والعقل فى يد قطيع يتبع نفسه فى الرأى كأنه مصباح فى مكان الطهارة .
– وقد كان العقل أصل المعرفة والمكافأة ، وسمعته السيئة من شرذمة من اللصوص .
– ولا يرضى العقل بالكذب على الإطلاق ، وليس العقل وكيلا للقاضى قط .
٤٢٣٠ – وليس العقل إلا صادق وقوى ، وليس محتالا أو سفاحا .
– ولا يفكر خطأ قط ، ولا يفكر فى البلاء بى وبك .
– وليس العقل قرينا للزور والبهتان ، وليس حجابا لستر فلان أو غيره .
– وحينما وضع القدم فى منطقة (قيل) جعل عطاء حيدر جديرة بعقل عقيل .
– وجاء به ألم الأيتام وهم الأطفال طمعا إلى بيت المال .
٤٢٣٥ – وحينما طلب من على دواءه ، أعطاه حديدا مذابا على كتفيه .
– وحينما لم تكن لحجته قوة عند المقال ، ألم يتضرع عقل « عقيل » بحرقة ؟.
– حتى تعلم صدقا وليس من الظاهر أن القلب يرى الوجه من خلف العين .
– ذلك إنه فى منزل رسم الأرواح ، من أجل الحواس الخمسة والأركان الأربعة .
– يجعل العقل يتنحى عن هذه الأمور ، ومتى يقصد العقل وضع الشباك والحَب .
٤٢٤٠ – فيكون كالدودة يتلوى على نفسه ، ذلك أنهم أسارى جهلهم .
– وبالرغم أنه من الاحتيال والخداع والتليس ، ومن أجل سرور قلب إبليس .
– يجعلون البنفسج ينمو من تربتك ، أصحاب الوجوه الكالحة الضالون .
– ومن هم أكثرهم حكمة منهم فى أموره ، وهو فى الباطن عقرب وأن كان يتظاهر بأنه صديق .
– إنهم يبطئون فى السخاء ويسرعون فى الجفاء ، مثلما يتداعى اسمه « بهمن » إذا ذكرت « بهمان » .
٤٢٤٥ – ومادام لك عقل يتدبر العواقب فماذا يفعل ، وماذا تفعل بنفسك غير ذلك .
– أن العقل يبدى الجمال حينما يكون مرفها مستريحا .
– ولا يبدى لك من نفسه علامة ، مادمت تجعل له المكان سجنا .
– فإن العقل لايبدى لك وجهه ، وإن لم يبد وجهه للخير والنفع .
– هذه ليست عقول الرجال والنساء التى من هذا القبيل ، هذا ليس العقل الذى كان الشيطان يسترق به السمع .
٤٢٥٠ – بل ذهن المحتال والكاهن والساحر ، ورأى اللص والمشعوذ والشاعر .
– وكل هذه الفطنة والدهاء والحيل ، هى من عطاء عطارد وزحل .
– هو ظاهر فى حد ذاته فما بالك بالمكر ، فما الذى تعطيه حيل الهندى وعمل النشال ؟ .
– عطاء عطارد وهبة المشترى ، تقتلك فى ركن وكأنها سهم (منطلق) من قوس .
– والشيطان من هذا العقل صار ذا فتنة وشر ، حتى صار أعمى بسوط اللعنة .
٤٢٥٥ – فدعك من (هذا) العقل ومن الخداع والتلبيس ، فمن هذا تحول (عزازيل) إلى إبليس .
– وذلك العقل الذى يكون دليلا إلى الشر ، إلعنه فهو عقلٌ لا عقل له .

- فقد ميز العقل صفة البخل من الجود ، وعرف العقل رائحة الصفصاف من رائحة العود .
- فخل عنك كياسة الأوباش وابحث عن عقل الدين وكن تابعا له .
- فعقل الدين بالنسبة لك رفيق طيب ، وأن وجدته فليس هذا بالأمر الهين .
٤٢٦٠ - ويجعلك عقل الدين كعطارد ، وينصبك أميرا على الخلق .
- ولا يعطى عقل الدين إلا الهدى ، ولا يتركك الا حينها يحملك إلى الحق .
- فالنفس بلا عقل حمقاء ، ونوح بلا روح بحار .
- وقد وصل عقل الرجال إلى باب الحق ، وصار حرا من قيد الخير والشر .
- وعند العاقل يكون كل من هو فى قيد الخير والشر كالشياطين والوحوش .
٤٢٦٥ - فمن ذلك لا يكون للعاقلين نصيب ولو قليل ، من أى شىء ؟ من الأمراء السبعة والأفلاك التسعة .
- فما دام قد رأى كل الخير فهو لا يفعل الشر ، ذلك إنه لا يجعل الشرير ولى العقل .
- فمن هو ولى الفلك والدهر ؟ إنه العقل ، ومن هو عالم الشرع والعدل ؟ إنه العقل .
- وليس هناك فى مقام الراحة والتعب على رأس الكنز أفضل من الحية المؤذية .
وليس هناك حاضنة تحت هذا الفلك القديم لأى شخص مثل عقل الطبع[1] .
٤٢٧٠ - وعقلك فى الليل والنهار كالطوافين (الذى يطوفون) دائما فى طريق الصرافين .
- فيتخبط ثم يأخذ فى القول ، إن فُلاَنًا لا يحسن غسل مؤخرته .
- فلان هذا طيب وفلان ذاك شرير ، هذه الأرض ملحة وتلك قابلة للزراعة .
- ورد هذا شوك وماء هذا كدر وقلب هذا نائم وعقل ذاك ثمل .
- هذا عيسى والآخر دجال هذا خضر والآخر غول .
٤٢٧٥ - هذا طويل وذاك الآخر قصير وقد احمر هذا بينما هذا اسود ذاك او أبيض .
- فكل هذا عبث فاتركه ولا تلقب ملك الروح (جنديا)[2] .
- فأنت لا تعرف طريق الذكاء ، وأنت تفترض أن العقل كاذب .
- فأرفع الحجب عن وجه العقل فلم تضرب بيديك حائرا على كنانتك .
- وما دمت لست برجل يوم الحرب ، فابق سيارا بالليل ولا تهزل حائرا .
٤٢٨٠ - وليس للرجل دواء من الألم أفضل من العقل ، إذ يجده متأخرا ويشتريه سريعا .
- وصفه العاقلين فى هذا البستان الجديد ، هى أن يجعلوا القديم جديدا أمام المصباح .
- فمن أول الخليقة حتى آخر العمر ، كان فى أمر العقل (سواء) الجاهل والغمر .
- فيجب أن يجعل الكأس مثل كيسة العقل مليئة بالعدل وهذا من أجل كسب المعاد .
- والعقل ترجمان على باب الغيب وسلطان الجسد الروح وسلطان الروح العقل .
٤٢٨٥ - وكل من يسوق العقل من أجل الهوى يفقد آماله إلى الأبد[3] .
- وبالرغم من أن الهوى مسلط على من لا عقل له فإن كل كلب أسد على باب منزله .
- والفضل والأدب شر على من لا عقل له مثلما يكون الهلاك للنمل من أجنحته .

---

(١) حرفيا : ما در زاد أن المولود معه وهو عقل الطبع .
(٢) المقصود به الجندى فى لعبة الشطرنج .
(٣) حرفيا : يصير سائرا بين حمارين .

- وحينما يقترب أجل الحية يجاز لها رأس الطريق .
- وفى وقت السؤال والجواب يثيب الله كل إنسان بقدر عقله .
٤٢٩٠ - فإنك تملك الويل فى أعماق روحك لو أنك استعملت العقل فى الباطل .
- وإن كنت لا تصدقنى فاقرأ من القرآن (ويل للمرسلات) .
- وقد جعلك العقل جميل الوجه ، وقد صار مسخا من كسر مِسحة العقل .
- وحينما تجد العقل فأكرمه واجعل له مكانا فى قلبك .

فى شرف النفس والعقل

- أعلم أن والد هذا العالم اللطيف ووالدته ، هما العقل الشريف والنفس الناطقة .
٤٢٩٥ - فلا تكن تاركا لهذين الزوجين الشريفين ولا تكن عاقا لهذين الأصلين .
- فكن عبدا لهما دائما ، ولا تفرط فى درهما المنثور .
- فلو أن هذي الجوهرين قد عبدا بعد الأمر فهما جديران بذلك .
- وقد جعل الحكماء العقل والنفس الأبوين غير المضرين .
- فهما واهبا مادة الفلك والأركان ، وهما باعثا عالم الروح .
٤٣٠٠ - وسبب جسدك هذان الجسمانيان ، وهذان الروحانيان هما علة روحك .
- وقد أودعك هذان الإثنان من الشهوة فوق التراب ، ورفعك هذان الاثنان من قدرك فوق التراب .
- فقم بحق هذين الشريفين ، ولا تفرط أيضا فى حق هذين الإثنين .
- ففى طريق الكعبة ولدت الناقة التى وهبها لك العادل ، وهذا من العدل .
- ويحمل منك العقل الثنوية دائما ، مثلما تسحب الشمس الماء من الهواء .
٤٣٠٥ - فالعقل هو مشاطة لروحك ، والعقل مصباح لايمانك .
- والعقل صندوق الحق فى هذه الدنيا ، مختوم الرأس وقائم بذاته .
- والعقل من مصنع (كن فيكون) من أجل جلوة القرار والسكون .
- وحينما ساق الحديث معه فى الأزل بقى حتى الأبد مثل دودة القز .
- وحينما بحثت عن الطريق إلى سوق الدين ، فإنك تنجو إذا بحثت عن موضع الملامة .
٤٣١٠ - فابتعد عن الالتواء ولا تكن معوجا ، وما لم تكن عودا فلا تكن صنوبرا .
- فاعوجاج النفس ممتلىء بالضلال ، وسلامة العقل ناظرة للعاقبة .
- وينجيك العقل من السوء ، ويخلصك العقل من نارك .
- فالجهل كفر والعقل دين ، وذاك يبحث عن العيب وهذا يتحدث إلى الغيب .
- ويسحب الهوى ذاك إلى سجين ويحمل العقل هذا إلى عليين .
٤٣١٥ - فلا تنظر إلى ما يأمرك به السوء ، بل النظر إلى ما يأمرك به العقل .
- فإذا غضب عليك العاقل بحق ، كان هذا خيرا من أن يهتم الجاهل بك [1].
- فلتكن كن أمورك مع العقلاء ، ولتبتعد عن صحبة الجهلاء .

(١) حرفيا :خير من أن يركز عليك الجاهل عينيه .

حكاية فى عطاء العاقل وأخذه

- أعطى معن درهما لأحدب فى لحظة ، ثم عاد ثانية فساوم فى درهم .
- وقال : إننى لا اعتبر هذه الصفة سيئة ، الجود بالمال والبخل بالعقل .

٤٣٢٠ - فأنا أعطى المال من أجل الكرم ، ولكنى لا أعطى العقل أحدا بعدم رجولية .
- فاعط ما تشاء من أجل السخاء ، ولكن ساوم فى المعاملة .
- ولا تكن ضعيفا فى الأخذ والعطاء ، فالميت أفضل من الحى المغبون .
- فإنك تكون رجلا فى وقت البيع والشراء ، ولا تسقط من الثريا إلى الثرى .
- وأعلم أن العقل هو قصر اليد واللسان ، وأعلم أن الهوى هو رأس مال الأبله .

٤٣٢٥ - ويا من أنت قد جعلك العقل مرفوع الرأس ثم قلب الحرص رأسك .
- بصير الرجل بطلا بالعقل ، ويضيق الميدان على صولاته وجولاته .
- وحيثما توجهت أيها العاقل نزلت أهلا فليس بقلبك سوء .
- وكل من لا يسىء تدبير الرأى ، لا يعطى أو يأخذ بلا عقل .
- ولا يكون للأحمق نفع من نفسه ، فوجوده نار ونفعه دخان .

٤٣٣٠ - فتأتى منه الحيرة بالظلمة ، مثلما يأتى الإغماء للعين بالغشيان .
- ولحاكم العقل فى هذا البناء ، الامور محكمة والقلوب مسرورة .
- ذلك إنه من مكتب علوم الازل من أجل سَوْق رسوم العمل .
- تكون نتفه فى سماء النقل ، وتكون نكتة فى مكتبة العقل .
- فكن سيدا من العقل مثلما يصير الحجر الأبيض مرجانا من أكناف الشمس .

٤٣٣٥ - فهو من أجل البناء الخالد دفتر النقش وقلم الأمر .

يقول فى النفس الكلية وارتباطها بالعقل والمعرفة

- هى فى عبارة الكتاب المسطور والرق المنشور والبيت المعمور .
- وهى فى ظل ملجأ العقل ، هى بمثابة الحاجب فى بلاط العقل .
- وهى قيمة النبى المرسل ، هى العقل الثانى والنفس الأولى .
- ومن أجل الاستفادة والتحقيق ، العقل الكلى كالمصطفى وهى كالصديق .

٤٣٤٠ - وهى دائما قابلة من الجوهر ، وهى مقتبسة آثارها من نور العقل .
- هى معطية وهى آخذة ، هى قابلة وهى أيضا موصلة .
- وهى منبسطة بين الصورة والعقل ، وقد صارت من هذه الناحية لسانا ومن تلك (الناحية) أذنا .
- وحينما يتخذ الرجل من العقل ملجأ ، ويجعل شكل (السها) وجرمها كالقمر .
- ويطوف فترة حول العقل يصبح أبًا حتى ولو كان ابنا .

٤٣٤٥ - يصير ملكا من مادة العقل ، ويصير شمسا فى ظل العقل .
- وحينما ينقص النقل فى جوهره ، يسمو ويصبح فردًا بالعقل .
- وحينما صارت من فيض العقل مسلطة على نفسها ، تجد خلعة الشوق من الله .
- وحينما يتعلق الشوق بأصلها تلقى بالعقل الكلى عن الطريق .

– وكان العقل أميرا عليها حتى ذلك الوقت ، فيصبح العقل قابلا للأمر منها آنذاك .

٤٣٥٠ – وحين تصير مالكة على أصلها ، تستمع إلى (ارجعى إلى ربك)[1].

يقول فى الروح الحيوانية

– وحين يسرع السالكون بعد ذلك ، يجدون علم الحق فى حديثهما .

– ذلك إنه مع علم صورتها وصفتها ، تكون فكرتها أكثر من معرفتها .

– وإذا لم يكن الربيع من عدلها ، فمتى كان يجلب الورد وماء الورد .

– والعقل مثل الربيع الذى يبحث عن القلب ، فماء معرفته (موجود) فى جدوله .

٤٣٥٥ – ويثير رقص الشاب السرور ، أما الصبح الأول فيكون كاذبا .

– ويكون ليل الشاب نديا ، فأما الشيخ فحين يأتى الصبح يكون متطيرا .

– فهى فى الرباط الربانى على رأس شارع الإسلام .

– والسرو الممشوق من أجل السرور ، وليس للسوء طريقٌ إلى الوجه البهى .

فى كمال العقل

– الطباع الأربعة مريدة وهو الشيخ والحواس العشرة جيش وهو أمير .

٤٣٦٠ – واذهب واغسل لون الظن من لوحة الحرص بماء الذل والاحتياج .

– ذلك إنه فى سواد ظل الشرع ، النكات الفرعية من أجل أصل الدين .

– وقد أعطاك مادة من أجل أن تُعَمرّ ، والقوى الثلاثة من أجل القوى الأربعة الملونة فيك .

– وحينما تأتى الروح إلى العالم متأخرة (فيما بعد) ، تشعر بعار من أجل هذه الألوان .

– ومن أجل البحث عن سلامة الروح لا تسق حصان الروح فى هذا المحيط .

٤٣٦٥ – ويعلم أولئك الذين هم أهل الذهن والذكاء أن السلامة بساحل البحر .

– وقد قيد قدميك ويديك بقيد القضاء فى هذه الدار الهباء .

– فإذن بيديك وقدميك المقيدتين لا تطلب عرض البحر على ظهر ثمرة يقطين .

– وإذا كنت لا تعلم السباحة ، فلماذا تسوق حمارك داخل القلزم ؟ .

– وإذا كنت لا تعلم السباحة فتعلمها ، ولا تذهب عبثا وبلها على رأس المنارة .

٤٣٧٠ – وحتى إذا كنت استاذا فى السباحة فقف أمامى قبل ذلك .

– ألست كالسفينة المكسورة أيها المتهور ، وقد صارت السباحة وبالا فى البحر .

– فمن الذى اشترى ثلاث ياردات من الأطلس بتسع دراهم الا على سبيل العقل والفهم ؟

– وعند هذا القلب الذى هو معدن العقل ، كل خير الفلك بأجمعه شر .

– وكل من هو ذكى فى القلب والروح ، وكل من هو يقظ فعلى العين والرأس .

٤٣٧٥ – وهو جسر على طريقين من الماء ، وحينما تعبره ما الجسر وما الوادى .

---

(١) ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ [الفجر ٢٨] .

فى عزة العقل

- عزة العقل مرتبطة بالنفس عند من هو صاحب ضمير منير وروح طاهرة .
- فهى لطيفة إن نسبتها إلى الزمان ، وهى دنسة إن قستها بالعقل .
- والأول والآخر والعزيز والذليل ، والعلوى والسفلى والقبيح والجميل .
- كلها غرض من الأمر لحضانة آدم ، والنفس عرض وجوهرها العالم .

٤٣٨٠ - وهى وراء المراتب الأسمية ، وهى القابلة للصورة الجسمية .
- وقد صارت ذاته مدبرة من النفس ، وحركته قابلة الأمر من النفس .
- وهو مادة مدراج الإسم ودرجها ، وهو علة مراتب الجسم وآلتها .
- وقد صار كل هذا مسلما للعقل ، والسماء عقل وقد صارت الروح سلما .

فى جمال العقل

- هو سبب الأمة والرسالة ، وهو علة الصورة والهيولى .

٤٣٨٥ - وقد وضع هو بأمر القِدَم ، الصورةَ فى هيولى العالم .
- فذلك الوجود الذى يكون بلا لسان ، يكون فى هيولا العقل والروح .

فى خلق العالم

- لقد خلق من أجل التناهى عالم الجسم كالكرة المستديرة .
- وقد صنع هذا العالم متساويا كالكرة ليس متفاوتا من ناحية إلى ناحية .
- فالعالم ممتد وفى الحد تكون الجهة المتناهية ممتدة .

٤٣٩٠ - ورتب بعد ذلك فى ولاية التصوير الناقش والقابل للنقش .
- فمن أوله الروح وفى آخره الجان والفاعل والمنفعل بينهما .
- وفى الدار القابلة لصفة الغناء ، من أجل رفعة القصور والبناء .
- جلس العقل فى قيد الأمر ، (وصارت) النفس من شوق العقل مريضة القلب .
- والصورة من أجل المادة فى قيد ، والأفلاك التسعة فى يد الأنشوطات السبعة .

٤٣٩٥ - وفى باطن الفلك جواهر أربعة كلها فى قيد وفى خصام بعضها مع الآخر .
- وهناك ثلاثة مواليد من هذه الأركان الأربعة مثل النباتات والمعادن والحيوان .
- وحين صار النبات غذاء للحيوان ، صار الحيوان أيضًا غذاء للإنسان .
- وعندما صارت الحكمة غذاء للإنسان صار ملكا ، بهذه الطريقة سما ثانية إلى الفلك .
- والا ففى عالم اليقين والظن ، يستوى الحمار والحكيم .

٤٤٠٠ - والنطق الطيب أفضل من الصمت والنسيان أفضل من ذلك عند الروح .
- فيجب أن تثقب الدر فى الكلام ، وإلا فالخرس خير من الكلام .
- والصمت الموجود عند الأخرس ، أفضل من كثير الكلام الذى يسوق العبث .
- وقد ساق عقلك نصيحة محكمة ، كن حسن الكلام أو أبكم .
- فإن أنت قبلت النصيحة ، فمتى تكون محروما من الفضل ؟ .

فى مراتب العقل

٤٤٠٥ – الأعضاء مثل المدينة وعمالها ، العقل فيها وزير والقلب سلطان .

– والغضب شرطة والهوى عامل هذا ظالم والآخر جاهل .

– ولم لو يقم العامل بما ينبغى ، فإن العقل يسلمه للشرطة .

– وإذا تصرفت الشرطة بسوء على أية وسيلة ، فإن هذا موكل إليها من العقل .

– وإذا كانت نفس السلطان عادلة ، فإنها تصير على سواء مع الجسد والعقل والروح .

٤٤١٠ – وترجمان القلب هو النطق واللسان ، وحافظ الجسد النفع والخسارة .

– وحين يجد الترجمان بمرور الزمان ، ظهرا من قوة السلطان .

– لويجد مما قلته نصيبا ، يكون الملك طيبا وتكون المدينة سعيدة .

– وإذا كانوا جميعا طالبين للشهوات ، يصيرون عند مآلك الملك ناقصين .

– وإذا لم يكونوا جميعا تحت أمر العقل والقلب ، يكونون أذلاء خجلين .

٤٤١٥ – وحينما يطيعون العقل والقلب ، يصيرون رفعاء وهم فى حضيض الفناء .

فى ذكر القوى الحاسة والحافظة

– تكون النفس التى هى منك كحافظة الروح كثيرة العمل بدونك فى جسمك .

– ولو أن تلك الأنواع الخمسة من الشرطة بلا عمل ، فهناك ثلاثة وكلاء فى باطنك يقظون .

– ذاك يهضم وهذا يقسم ، وهذا يخرج الثفل وهذا يعطى النعمة .

– ذاك يبدى الطريق وهذا يدبر ، يصير هذا حافظا وذاك يغير .

٤٤٢٠ – ألا ترى إنك حين تكون نائما ، وتصير فارغا من المشقة والعذاب .

– تكون من أجل راحتك ونومك ، ومن أجل صلاحك وأسبابك .

– ومن النار والماء فى هذه المتربة ، سلبت من ماء وجهك الأصل الترابى .

– حتى يجلسك على سرير سر العقل من أجل راحتك .

– فأنت مستريح والعقل منهمك فى العمل ، وأنت نائم وهو يقظ .

فى الجمع بين العقل والشرع

٤٤٢٥ – العقل عين والنبوة نور ، ذاك من هذه وهذه من ذاك وليس بينهما بعد .

– والذين يكونون أسارى للشهوة والغضب هم عيون بلا نور ونور بلا عيون .

– فأعلم أن النور بلا عين غصن بلا ثمر وأعلم أن العين بلا نور جسم بلا رأس .

– فهذه مظهرة لتواضع الملىء بالتلبيس ، وتزيد تلك الكبرياء مثل إبليس .

– تعطى هذه من يد الأمير شيئا ، وتطلق هذه من مؤخرة « الرئيس » صوتا .

٤٤٣٠ – فليس هناك إلا الشرع والعقل والروح والدماغ ، للخلق فى هذين الدارين عين ومصباح .

– ومادام الهوى بديلا لك عن العقل فإن كل شىء يضحكك إلا الجدل .

– وحينما يميل العقل إلى كل قلب ، ويتحدث من قلب كل شخص .

– فهذا من أجل المصلحة فى هذا البناء الذى أوله نار وأخره ريح .

– هو البطل الحارس الأمين للألوهية ، وهو الياقوت الثمين فى فص خاتم الإنسانية .

٤٤٣٥ – ولا يفعل العقل إلا العدل والكرم ، فأولو الأمر أنفسهم لا يظلمون .

– وحينما يفتح زاغ الهوس جناح العقل ، فإنه يخفى رأسه فى العشب كالقطا .

– والراكب الذى يمتلك عنانا من العقل ، يملك حصان العاقبة تحت فخذه .

– وليس للوجه مشاطة مثل العقل حتى لا يقع فى يوم سوء .

– وعندما لا يأخذ سىء الأصل المجدَ من العقل ، فمتى يصير حجر سىء الأصل جوهرا ؟ .

٤٤٤٠ – فلا تعط أيها الابن – اليوم الطيب بالسىء ، واقض النهار مع عقلك لا مع هواك .

– فكن مع العقل وأهرب من الهوى ، فالهوى علة مختلطة اللون .

– والكون بلا تجربة يكون فسادا ، أما التجربة فهى عقل مستفاد .

– والعقل الذى يكون من أجل العاطفة يكون ختم عمره على هذه الصفة .

– فالعقل من أجل البر والاحسان ، ذلك أن خلقته نفسها من هذا القبيل .

٤٤٤٥ – ولا يكون الكلام السىء إلا على لسان الضعيف ، وكل من هو ديِّن لا يكون دنيئا .

– وملك العقل أفضل من عقود المنجم ، وممارسة الملوكية خير من ممارسة الخفارة .

– ولا يمكن مدح العقل (كما ينبغى) قط ، وليس الا به يستطاع أن يثقب در المدح .

– فهيا وتخلص من الدنيا الفانية حتى تعلم جمال الباقى .

– وذلك الشخص الذى وصل إلى ملك العقل يرى الدارين كما هما .

٤٤٥٠ – ومن أجل الحصول على نعمة القلب تعلق بالقلب ، وليكن التراب على الجسد .

– ويا أيها الاله الخالق سبحانك ، اوصلنى أنا السالك إلى ملك العقل .

– وحينما انتهى كلام العقل ، جاء بالعلم النظام فى الدنيا .

❑ ❑ ❑

الباب الخامس
فى فضيلة العلم ، ذكر العلم أربح لأن فعله أرجح

فى العلم ودرجة العلم والمتعلم والسائل والمسئول ، قال الله تعالى : والذين أوتو العلم درجات ، وقال أيضا : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، قال النبى ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء ، وقال أيضاً : أطلبوا العلم ولو بالصين ، وقال ﷺ : نوم العلماء خير من عبادة الجهلاء ، وقال العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان .

- يحمل العلم إلى باب الإله ، لا إلى المال والنفس والجاه .
- فأعمل بما قد علمت ، ثم ابحث عن العلم من باب العمل .

٤٤٥٥ - ويجب أن تكون حليما ومن بعد ينبغى لك العلم ، وانتفع بالعلم المقروء مع حلمك .

- والعلم بلا حلم يكون تراب الطريق ، والعلم مع الحلم كرامة.
- والروح بلا علم تميت القلب ، والغصن بلا ثمر يجلب الخداع .
- ويبحث الجاهل عن النفع من المال والجاه ، ويبيع الأجل بالعاجل سريعا .
- والرجل بلا علم لوف يصفى فيه الثفل ، والدر من البحر العظيم صغير .

٤٤٦٠ - وكل من ليس له علم ضال ، ويده قصيرة عن تلك الدار .

- ويعطى العلم المرء الطريق إلى النعيم ، أما الجهل فيحمله إلى الجحيم .
- ويكن العلم دليل النعمة والوفرة ، وما أسعد ذلك الذى صار العام قرينه .
- وأهل العلم والفضل يزرعون الضياء ، صدورهم أفلاك ونكاتهم نجوم .
- وحين صار صبر الرجال قرينا للعلم ، فإنهم يعلمون ويجمعون إلى العلم خلق الحلم .

٤٤٦٥ - الحلم تبعٌ طيب للعلم ، ومتى صار الحجر مرجانا دون أن يكون حجرا .

التمثيل فى وضع الشىء بغير موضعه

- روى أن أبله قد نهض من مكانه وطلب من مخنث أن يقص له سيرة .
- (قال له) : قل لى سيرة يا فلان ، قال أذهب ولا تمزح .. حذار .
- فالإنسان لا يطلب سيرة من المخنث ، ويجب على المخنث أن يقول سيرة المؤخرة .
- فأرهف السمع نحو كل الكلام ، وانقش كل ما هو أفضل فى روحك .

٤٤٧٠ - واعط الروح كل ما هو باعث على الصفاء ، وتجاوز سريعا عن كل ما يبعث الكدر .

- وحجة الإلـه فى الوجود ؛ قراءة العلم وعدم العمل به .
- ولقد جعلت رقبتك مثل شجرة الجوز ، من الإغراء والضرب على القفا .
- فلا تشتر هذا الإغراء ففى هذا البناء ، تملأ العشوائية الجسد لكن بالريح .
- فأنت قربة مملوءة بالريح من الرأى والقلب والجسد ، وتصير حبلا بابرة واحدة .

٤٤٧٥ - فلا كنت فى الدنيا الخراب التى لا صريخ فيها شخصا مأخوذًا بربح الغواية .

- فاعلم أولا القِبلة من القُبلة حتى تعرف الشحم من الورم .
- فحتام أنت فى النفاق والاحتيال ، وقد كحلت عينيك بالألم والجزاف .
- وكل من يغتر بصوت الغيلان ، فأجله تحت أشواك أم الغيلان .

– وعلمك من الروح ومالك من الجسد ، وتلك معشوقتك وهذان عدوان .

٤٤٨٠ – وكن طاهرا حتى تكون من أهل الدين ، وكن كذلك حتى تصير هكذا .

– والمنطق لا يلائم السائرين فى الطريق ، فالفيل السمين ضعيف الصوت .

– والعالم هو قيم الدارين ، أما الجاهل فهو حقير وحائر .

– وقد حمل الحكماء الحمل جملة ، وكلهم ذهبوا ونجوا من هذا الهوس .

– وأنت ربطت القلب والجسد بهذه الدنيا ، يا من لست ذكيا حتى تكون ثملا هكذا .

٤٤٨٥ – ويكون العالم من خاصة الله ، وقارىء العلم جرىء كالشحاذ الملحاح .

– ولا تستشر السفيه مع أجل الدين ، ولا تضرب عرق الرأس من أجل القدم .

– فليست للسىء سلامة من الأخيار ، وليست للقش قيمة من الكهرمان .

– وأبواب الأدنياء لا تبرق من أجل الذهب ، كما أنهم لا يفصدون الوريد الأكبر من أجل الرأس .

– وذلك الذى تكون له علة فى الظهر ، كيف يشكو من القبضة والأصابع ؟

٤٤٩٠ – وحينما تضع على رأسه المرهم ، لايزيل من همه مرهم .

– وأولئك الحكماء الذين يظهرون وجوههم لك لا يهبونك قلبا أو جسدا .

فى الجاهل ويظن أنه عالم

– كان بضعة من العوام يضربون رافضيا بحرارة الحقد من أجل الدين .

– فأتى أحد الناس سريعا من ممر ، وأخذ يضرب ذلك الذى كان يضربه الآخرون .

– قلت : إذا كانوا يضربونه من أجل إشكال كفرة وإيمانه .

٤٤٩٥ – فلماذا يا من أنت فى كل الأحوال سندان على القلب لمَ طرقت بدون علم مائتى مرة ؟ .

– فما هو جرمه ؟ قال : اسمع جيدا أنا لا أعلم جرمه ولكن .

– أهل السنة كانوا يضربونه وأنا فى أثرهم ، ذهبت وضربت من أجل الثواب .

– لقد قرأت العلم ولم تصبح من أهل الفضل ، والجهل أفضل كثيرا من علمك .

–وكل من ليس مهيأ للعلم ، مثله مثل القش والكهرمان .

٤٥٠٠ – فبالرغم من أن حجر الكهرمان بطبعه وطبيعته أفضل من تراب الحقل والمزرعة .

– وبالرغم من أن القش ينجذب تماما إليه ، فأى شىء يحدث للكهرمان من القش ؟ لا شىء !! .

– وعالم العلم عالم متسع ، فبخ بخ لذلك الذى صار خائضا فيه .

– وعالم العلم عالم عجيب ، وليست هذه الخطة هى خطة الخط والحرف .

– وحينما يكون لك علم ويميت القلب . فمن الذى يدعوك آدميا .

٤٥٠٥ – ولو أن طلب العلم أثمل منك العروق ، فذلك لإنك صرت خاصا بعلم الكلبية .

– فافرغ العروف من صفات الكلبية ، والا فإنك ستبعث كلبا يوم القيامة .

– فالكلب المدرب يشعر بالعار بطبعه وفى داخله من الإنسان الجاهل .

– فكيف لا يكون الحمار مطأطىء الرأس ، وحبق الحمار يكون أفضل من ذقن الحمّار .

–وعلم الدين سقف روضة الروح ، وهو سلم لعقل الإنسان وحسه .

٤٥١٠ – ومن أجل الصديق والعدو ، العلم أفضل للروح والعمل للجسد .

- وعلم الروح أفضل من مقدرة الجسد ، عند العالم لا عند صاحب الظن .
- وحلقة شراكك قدرة الجسد ، فالليالى حبلى بالأيام .

التمثيل فى العالم والمتعلم

- يكون رجل العلم بعيدا عن العمل ، ومثل هذا المهندس والأجير .
- فالمهندس العالم ينجز فى لحظة ما ينجزه البناء فى خمسة شهور .
٤٥١٥ - ويفعل البناء فى شهرين ما لا يراه الصبى فى سنين .
- ثم يتذوق الصبى من السرور ، ما لا يجده الفاعل طوال العمر .
- وأجر هذا أقل من أجر ذاك ، لأن هذا عمل بجسده والآخر علم بروحه .
- فلم يفعل ذاك شيئا ونال نصيبه ، وفعل هذا وأبقى اسمه .
- ويرى « ما كان » الشخص الذى هو حى ، وذلك الذى رأى ما لم يكن فهو شخص آخر .
٤٥٢٠ - وكل من صارت روحه مستريحة من علمه ، يعلم ما كان ويرى مالم يكن .
- فروح العالم تكون ناظرة للمآل وبصيرة للجاهل ترى الحال .
- ذلك أن الأغبياء والنشالون ، ارسلوا الطين إلى آكلى الطين .
- ثم حين يراه العالم مع الطين ، يجعل الرغبة فى الطين فى قلبه باردة .
- فتبرد فى قلبه لذة الطين ، ويصير قلبه بالحيلة مبتعدا عن الطين .
٤٥٢٥ - فهو من أجل المصلحة يسخر منه ، ويضحك مقهقها من شاربه .
- وحينها تكون لك فى بلاهة القلب نصيب ، فإنهم يكونون قد ارضعوك لبن حمار .
- وليس خير الجاهل فى الأصل خيرا وشر العالم خير من خير الجاهل .
- وأجر عمل عام كامل درهمان ، والعالم ثمن لعلم لحظة واحدة .
- ذلك يتحمل من هذا وهذا يتحمل من ذاك ، إذا أن العمل مركب والعلم راكب .
٤٥٣٠ - وماذا تصنع بالعلم فى وسط الكنز ؟ فيجب أن تعمل فللعمل فائدته .
- والعلم ذكر والعمل أنثى ، والدين والدولة بكليهما مهيآن .
- والعلماء قلة فى هذا العالم ، والعامل بين العلماء قليل .
- والزعفران المتواضع نضر الوجه ، أما ذلك الذى يسحق الزعفران فهو كثير النفاج .
- ويستحوذ سرور القلب على شارب الشراب ، أما حزن القلب فيجتاح صاحب الشراب .
٤٥٣٥ - فحتام تسأل مثل ثقلاء الروح ، ليس هناك عمل للعاملين بالكلام .
- وينبعث الجزاء للرجل من الحال ، ويجب أن يكون هناك حال حتى يكون هناك مقال .
- فاسأل المتحدث عن المقال لا عن الحال ، وأطلب من صانع التروس ترسا لا جوال .
- وزاد هذا الطريق العجز والصمت ، وقوة الرجل وقُوته قلة الجهد .
- وللسائر فى الطريق دليل من الألم ، ومن ليس به ألم فهو أقل من حمار .

التمثل فى المحبة والشكر

٤٥٤٠ - سأل أحدهم مندهشا جملاً حين رآه مسخرا .

- (قال) : لماذا تطيع طفلا بالرغم من مثل هذا القد والقامة ؟ .
- فهيكلك حين طلعتك عظيم جدا ، فماذا تصير إذن مطواعا للأطفال ؟ .
- فأجابه الجمل وقال : أيها الرجل ، لقد صرت هكذا متابعا للألم .
- وبالرغم من أنه لا علم لى بالطفل ، إذ أنظر إلى المهار والحبل .
٤٥٤٥ - فقد آلمنى ويظل يؤلمنى ، وأنا قد صرت متابعا للألم .
- وكل من لا يكون الألم دليلا له ، لا يكون له علم بالدار الآخرة .
- وألم العشق دليل للرجل ، ونار العشق مؤنسة للكبد .
- فبالرغم من أن الحاج عالم بالمناسك ، إلا أن عمله بها يجعل علمه مضيئا للطريق .
- وجلد العالم ملوث بالسم ، إلا إنه يفوح برائحة المسك من باطنه .
٤٥٥٠ - والعالم هو ذلك الشخص الذى يستخرج المعنى البكر خارج الغم والفكر .
- وإذا كان محدثا فاعلم أنه نديم ، وإن كان محققا فاعلم إنه حكيم .
- والجسر حارس وليس رفيقا فى الطريق الذى يكون فيه بحار تهدد روحك .
- ومما لا شك فيه إنه يجب عليك أن ترى مضطرا مرابطين كثيرين فى هذا الطريق .
- فلا تطلب من كل هؤلاء رفيقا قط ، وابحث عن القوت من أجلك ومن أجل المركب .
٤٥٥٥ - وليس العقل من أجل الماء والقوت ، ورفيق الحاج لا يكون حارسا .
- والحية على رأس الكنز من أجل الحراسة ، وليس من أجل أن تأخذ منه كسبا .
- وصدق العالم أفضل من العقل الناطق ، والقادر فى العمل أفضل من المستمع إليه .
- والعمل بلا علم لا يعطى ثمرة أو نتيجة ، إذ لا تثمر البذرة التى بلا لب .
- والألم بلا علم بذرةٌ فى أرض ملحة ، والعلم بلا ألم حجر فى كير .
٤٥٦٠ - والمعرفة التى تزداد من العمل ، مثلما يكون للبصر انتشار .
- والعلم الذى هو تحت يد الأجير ، ليس علما وإنما كله قوة .
- ومادام رجلُ الدين قد بحث عن الدينار ، فهو مثل الناقه صحيحٌ ومريض .
- وحينما تقرأ العلم لاهيا ، وتجعل منه آلة للجاه والمكنة وتهيئة الطريق .
- يسحب ذلك العلم روحك مع الأمواج ، وبدلا من التاج يمزق الدين .
٤٥٦٥ - وبعد ذلك حين يستدعيك العلم ، يجلسك على بُراق بقائك .
- حتى ذلك المكان الذى تراه عيناه ، ولا يستقر حى يقرك .
- فلا تسرع من العلم ناحية الظن ، وذلك إنه فى الظن يوجد الخطأ والصواب .
- والروح بلا علم عاجزه ، والطائر بلا زاد لا يغرد .
- وروح العالم تغنى فى الموت ، مثلما يغرد البلبل على الأوراق .
٤٥٧٠ - والعالم الفارغ القلب علف (النار) ومن أجل النفس صحف الحرف [1] .
- والعلم الذى يكون من أجل الدين والعدل ، يكون نارا وماء وترابا وريحا .
- والباحث عن العلم فى الفساد ، يكون وجهه كما تكون سمكة فى ماء .
- والعلم الذى يكون من أجل البستان والضياع ، يكون كالمصباح بالنسبة للص .

(١) ربما كان يقصد سنائى أن يقول (غلف) بدلا من علف وإنه قام بصيغة التصحيف قاصدا فى هذا البيت .

- والعلم الذى تتعلمه من أجل الحشمة ، اعلم أن حاصله الألم وسوء الأيام .
٤٥٧٥ - ذلك أن خالق الروح ليس مثل الروح ، وليس قارىء العلم مثل العالم .
- فهو يقرأ جيدا ولكنه ينقلب سيئا ، ويأخذ الطريق لكنه يدور حول نفسه .
- ولم يملك إبليس العلم من أجل العمل ، ولكنه ملكه من أجل التكبر والغواية .
- ويعلم الشيطان قدر الدين أفضل منك ، فهو بالإغواء يأخذ منك دينك .
- فأنت أقل من إبليس أيها الحمار ، ذلك انك تبيع الدين وهو يشتريه .
٤٥٨٠ - وحينما تتعلق أنت فى شراكه ، تهرب من الله والرسول .
- وكل من أسكره كلامه ، لا يراه أحد فصيحا إلى الأبد .
- وذلك الشخص الذى لا يرضى عن الله ، يعد الحديث والحدث سواء .
- فالعلم لا يسقط فى المزبلة ، فلا يكون القدم طيبا مع الحدث .
- وفى أول لانهار سواء العاجز والقادر ، وفى آخر الليل سواء الملك والشحاذ .

حكاية الشبلى رحمة الله فى الإخلاص والرياء

٤٥٨٥ - فى ذلك الوقت الذى اقتنص فيه الشبلى نفسه كان يوما عند الأمير الجنيد .
- وقد جعل العين على وجهه كجد ولين ، قائلا : يا مرادى يا مرادى !! .
- فقال له الشيخ : اصمت اصمت ، وأذهب إلى بابه ولا تبع الكلام .
- ففى الطريق لا بيع هناك للكلام ، وليس فى طريقه ما هو أفضل من الصمت .
- وليس الألم فى طريقه بالشىء السهل ، وكل الفصحاء صامتون .
٤٥٩٠ - فخل عنك المقال وقدم الحال ، فالمقال قيدٌ اتركه سريعا .
- وأولئك الأشخاص الذين هم فى قيد الحال ، ارتفعوا عن القيل والقال .
- وادخل فى مناجاة من لا لسان لهم ، وقل ما تريد ولا تفتح شفتيك .
- وأترك المقال وأحاديث المحال ، وذرةُ الصدق أفضل من مائه مقال .
- وأذهب فاترك طريق التقليد والقيد ، وارفع اليد عن مهاوسك كلها .
٤٥٩٥ - ولو إنه مرادك فهو يعلم ذلك جيدا ، وإن لم يكن فإنه لا يقبل هذا منك .
- والذى يوجه وجهه من هوس المقال إلى الدعوى ، فهو مثل صوت الجرس وليس له معنى .
- ولا يأخذ رجل المعنى من الكلام صديقا ، وذلك انه يكون قشرا للألباب .
- فلا تبحث عن طريق الصواب من المقلد ، ومتى يكون ضوء القمر درجات سلالم ؟ .
- ولك من بحث عن الصدق فى العلم ناله ، وكل من أختار الدهاء منه مات .
٤٦٠٠ - ومتى فضل الحاذق شيئا عن العدم ، فالفالج للشيخ وللشاب الموت وَلَهاً .
- وليس هناك رجل صادق فى العمل ، لكن المدعين كثار .
- وطلب العلم من باطن أهل الصواب ، مثلما يكون الماء الصافى فى الجدول الصغير .
- وحينما تصل أسنانه إلى مكان تعطيه روحه جسب مزاجه .
- ويجب للذهب أن يشتد صلابة بالزئبق ، وتكون الورقة دليلا على روح الشجرة .
٤٦٠٥ - فالعلم فى لبك والعمل فى القشر ، مثل ضوء المصباح والزيت .

- وحينما يتوجه العلم هناك إلى الخلق ، فإنه لا يترك ثمن معرفته إلى الخلق .
- وتكون المعرفة أفضل من أجل الزاد ، لو تعلم إنك لا تعلم شيئا .
- فلو إنه من أجل الله فقليله كثير ، وإذا كان من أجل المال والجاه فهو هوس لك .

حكاية فى العجز والسكوت

- سأل الشبلى شيخ زمانه الجنيد سؤالا طيبا من أجل صيد (المعرفة) .

٤٦١٠ - قال : أيها الشيخ عرفنى أصل جملة العلوم فى هذا الزمان .
- حتى أعلم ما هو طريق العقبى ومن هو رجل الطريق من هؤلاء الناس .
- قال : أحمل أيها السيد القلم سريعا حتى أحدثك عن سر القدم .
- فحمل الشبلى القلم فى الحال ليكتب ما قاله كلمة كلمة .
- قال : اكتب بهذا القلم : الله ، وحينما كتب قصر الكلام .

٤٦١٥ - قال : ثم ماذا ؟ قال الشيخ : هو نفس ما أمليته عليك .
- والعلوم كلها تحت هذه الكلمة ، وهى فى الصورة واحدة ولكنها كل شىء .
- ولا تعتبر أن هناك علما فى الدنيا غير هذا ، واستمع إلى فرق الشحم من الورم .
- فاعلم هذا واهرب من القيل والقال ، فهذا هو كل شىء ودعك ممن سواه .
- والسائرون فى الطريق الذى يملكون أعينا فى رؤوسهم ، يجعلون أبصارهم مركزة على ظهر دليلهم .

٤٦٢٠ - ولا يجوز الاقتداء بالخلق ، فليس هذا هو طريق الله بل طريق الهوس .
- لقد توجهت أنت إليه وتوجه هو إليك ، وكلاكما كالحلقات فى الشعرة .
- فأنت صديقه وهو صديقك بالهوى ، وهو عابد صنمك وأنت عابد صنمه .
- وكل من لم يكن مع نفسه صديقا قط ، فانما يكون راضيا عن عالم العلم .
- وليس ميلك إلى الخير والشر من تلقاء نفسه ، بل هو جلاب لما فيه الخير والشر .

٤٦٢٥ - ومتى يعطى للبخار والتسكين والنار فى القلب أيها المسكين .
- ونار القلب من حكمة اليسار واليمين لا تنقص إلا بالمروحة .
- فافرغ القلب من نار الظن ، فليس لقبضته التراب روح أو ماء .
- وقد هيأ للطريق كل الأسباب ، ووصل حتى المنزل فى ألم ونصب .
- وقطع بلا رفيق هذا لاطريق الهائل ، وجعل نفسه نصف مذبوح .

٤٦٣٠ - وقد قامر جميعا بكل ما فى نفسه من ألوان ، وذهبَ النفس وبقيت الروح .
- وقد جعل من كل هذه الأنفس فدى ، وجعل من القلوب والنفوس غداء .
- وبقيت الروح الصافية وذهب الجسد ، وبقى الصدق راسخا وذهب الاحتيال .
- وقد صار جهينه معنى للأمر ، وصارت بثينة عينا للأرواح .
- وحينما صرت فارغا من طريق العلم ، لابدأ الحديث عن العشق اذن بعد ذلك .

فصل فى ذكر العشق وفضيلته وصفة العشق والعاشق . والمعشوق « ذكر العشق يريح القلوب ويزيل الكروب »

٤٦٣٥ - العشق حبيب يستلب الروح ، والعشق قاطع للرأس ومطهرٌ للسر .
- ويبوح العشق بالسر لمن قطعت رأسه ذلك لإنه يعلم أن الرأس لا تحفظ السر .
- فانهض وأظهر القامة للعشق ، إذ قال المؤذن : لقد قامت .
- العشق هو الذى يبوح بمكنون الكلام ، بل إن العشق هو الذى يستر عارى الجسد .
- وليس للعشق لأى مخلوق ، ولا يكون العشق إلا للواصل .
٤٦٤٠ - والعشق ماء يشعل النار ، بل أن نار العشق تحرق الماء .
- ولا يكون العشق إلا بالتجرد عن صليب الجسد ، فالطائر العالم يكون كاسرا للقفص .
- والروح التى تكون بعيدة من الأحدية ، أعلم إنها مثل الطائر المنزلى .
- فهذه ليس لها سعى يعلو عن ذاتها ، إنها ذات جناح ولكنها لا تطير إلى الأوج .
- وقصارى همتها أنها تأكل الحب ، وغاية قوتها أن تطير حول المنزل .
٤٦٤٥ - فكن عبدا للعشق حتى تنجو من الآلام والقبح والدمار .
- وعبد العشق يكون حر الروح ، وكيف يكون رجل السفين رجل الدر ؟ .
- فأعلم أن رأس السفينة ملىء بالهوى وقاع البحر هو مكان طالب الدر .
- وكيف تكون طالب در وثمة سفينة ، فإنك لا تجد الدر ولست بهذا القبح .
- فاقطع الطمع من الدر اللامع ، فكيف يكون لمعتاد الخرز طريقا إلى الدر .
٤٦٥٠ - وأعزم على اليابسة على الحصان وعلى الحمار ، وحين تصل إلى البحر أجعل الرأس قدما .
- وللباحث عن الدر يكون الثمر فى البحر ، فاعلم أن الروح والرأس حذاء للقدم .
- وكن مع الرأس قبل أن يكون لك سفر الماء ، وتعلم أيضا من ظلك .
- وابحث عن الدر هكذا وإلا فأنت أمام الدكان مع الخرز الرخيص ورغيف خبز .
- مادمت من هذا الظل فى هلع ، فكيف تعرف الدر من الخرز الرخيص ؟ .
٤٦٥٥ - وليس حظك معك موجودا مع العشق ، وأى عمل للعاشقين مع المقصود .
- فالعشق مع المقصود يكون كفرا ، ويكون العاشق بريئا من رغبة نفسه .
- والعاشق هو ذلك الذى ينصرف عن الروح والجسد سريعا دون أن يتحدث بكلام .
- ولا يضع الجسد والروح فى ثلاثين محل ، ولا يدخر للكنز السكة المزيفة .
- وحينما يكون فى لون الذهب الجعفرى مثل القمر ، فإنه لا يدخر بدرات الفضة المزيفة .
٤٦٦٠ - فالصانع اللطيف والخالق البار طاهر ويريد العمل طاهرا .
- فضع روحك على صدف الدر حين تجده ، وإلا فلا تفرط فى الخرز الرخيص من يديك .
- ومقالتك من تأثير الهوى فاذهب ، أنت ثرثار وقدرة طاعتك حبتا شعير .
- وخطة التراب للهو واللعب ، والعالم الطاهر للتصرفات الطاهرة .
- وتتأتى الفائدة من العشق لمن فقدوا أنفسهم ، والعشق والمقصود معا عبث .
٤٦٦٥ - والعاشقون يلقون بالرؤوس فى الليل المظلم ، وأنت فى مقام كيف تظفر بالعمامة .
- والعشق نارى الطبع لا ماء فيه ، والعشق باحثوه كثار لكنه نادر الوجود .

- وحينما يحدث العشق يقصم الظهر ، ويقيد قدم العاشق يدى الفلك .
- وواسفاه فإن هذا المعنى لا يمكن قوله لك لأنه مجرد عارية .

حكاية فى كمال العشق والعاشق

- رأى أحد الناس عاشقا متيسا كان يموت وكان يضحك سعيدا .

٤٦٧٠ - قال له : من أى شىء ضحكتك ووقوفك الجميل هذا حتى فى وقت تسليم الروح ؟ .
- قال : حينما يرفع الملاح الأستار يموت العشاق أمامهم على هذه الصورة .
- وللعشق لا دليل هناك له طريق ، وفى الطريقة لا رأس هناك ولا خوذة .
- وليس للعشق والمعشوق اختيار ، وليس العشق على هذا النسق الذى تعده .
- ولا يعرف أحد وجودًا للعشق ، فهو لم يجعل وطنا له كل قلب .

٤٦٧٥ - ولو تنظر جيدا لا مجال هناك للشك أن للعشق طريقا وراء الأفلاك التسعة .
- وليست مزاولة العشق أمرا بالذكاء ، فالعقل فى طريق العشق مجنون .
- فكل الكائنات تأخذ فى طريق العشق براءتها من عجزها .
- والعرش والفرش من أصله حائران ، وقد عادا من الطريق تائهين .
- ولم يعط أحد دلالة على جوهر العشق ، ولم يجلس أحد قط إلى جوار العشق .

٤٦٨٠ - ونقد العشق من دار الأرواح ، وليس من الأشخاص والأشكال والأشباح .
- وهو موجود فى الطريق الذى لم يوجد ، والعشق هو الإسراع فى الطريق مع التجرد عن النفس .
- والكفر والدين عقلٌ ناقص ، فمع من يكون العشق مع الكفر ام مع الدين ؟ .
- وكل ما فى الكائنات من جزء وكل فى طريق العشق أقواس جسر .
- و إذا احترق العود والصفصاف معا ، فدخانهما على نوعين وأن كان الغبار واحدا .

٤٦٨٥ - والصفصاف مع الشجر المثمر ومع شجر الحور ، تعطى كلها لونا واحدا من النار .
- وذلك الشخص أن يكون العشق دليله ، يكون الكفر والدين كلاهما حاجبين لبابه .
- وأعلم الذى عمامة عابد الصورة وقت العمل نعل وحزامه زنار .
- وكلما كان ذلك النقش حول الفلك فهو خارج عن دار سكة العشق .
- والعشق أعلى من العقل وأعلى من الروح ، و (لى مع الله وقت) للرجال .

٤٦٩٠ - والعقل رجولة يعلم السيادة ، والعشق ألم يحرق الملوكية .
- وثِقَل العشق يجعل الطفل شيخا ، ويجعل العشق البعوضة قابضة على البَاشُق .

التمثيل بقصة أدم عليه السلام وسبب عشقه .

- ليس القلب إلا مشتريا للحزن ، ألم تكن قد سمعت عن آدم ؟ .
- حمله عز علمه إلى الجنان ، وأنزله ذل عشقه إلى الأرض .
- صار سلطانا حين سار فى طريق العلم ، وصار عريانا حين أخذ طريق القلب .

٤٦٩٥ - وحينما رأى كل هذه الألطاف من الله ، سمع عشق روحه النداء من الحق .
- ويا من ذاتك ماهرة كالعقل ، لا تترك العشقَ فهو أيضا من نفس المنزل .

- ولتختر مكّر الشيطان وعشق آدم حتى تصل إلى أيهما فى لحظة .
- فتمسك بالعشق بالقلب ، فلا يتأتى أمر من القلب المتحير .
- ويكون العشق للرجل تاجا للرأس ، ويكون العشق أحسن من كل فضل .
٤٧٠٠ - ولا يكون العاشق مرتبطا بالعقل ، ولا تكون علة العشق الخير أو الشر .
- وقد نزلت (اهبطوا منا)على آدم من العشق ، وجاء وحيدا إلى عالم الحياة .
- فأحاط عقل العزم به ، وعقرت غيرة العشق قدمه .
- وقد اختار طائرين للأمرين معا ، العقل ببغاء والعشق بطريق .
- فقدم العقل باحثة عن نقد الحال وشعلة العشق قائلة (لا أبال) .
٤٧٠٥ - ويكون باشق العقل قابضا على الصعوة ، أما نسر العشق فهو قابض على البازى .
- وكلنا أطفال فى طريق العشق ، العاشقون أصفياء ونحن ثفل .
- وقد تجد الكثيرين الذين بلغوا العقل ولكن قل من تجده قد بلغ العشق .
- وفى الدنيا التى يقول فيها العشق السر يكون العقل نماما .
- فما دمت قد بقيت طيبا وعقلك مفتوحا ، فأنت كالقطا والعشق كالصقر .
٤٧١٠ - والباحثون عن الحق الذين أودعوا القلب الطريق ، يعدون العقل جيفة الدبر .
- ومن يكون المحدث أمام خلقة القدم ، ومن يكون اليوم الأسود أمام تباشير الفجر ؟.
- فالروح العجيبة هى التى تعلم العشق ، ذلك أنها تعلم تفسير شهد الشفة .
- وتكون صورة العشق مجرد قشرة لا تزيد ، والعشق طيب دون عين وشين وقاف .
- وليست هناك سلامة فى طريق العشق ، وليس هناك اضطراب أو استقامة .
٤٧١٥ - فاستمع إلى صفة العاشقين منى ، وإذا لم تكن فيك فاذهب عنى وابحث عنه بها .

فى صفة العشق

- صورة العقل والعشق هى المقال ، والمعنى هو المحك والمعيار لها .
- والعاشق منفصل عن ذاته وعن أهله ، والعشق مقدم على أعراض المنزل .
- فإذا كنت لا تعشق (ما تربطه) حول وسطك قط فتخلص منه .
- وحين يتنفس عليك صبح العشق ، لا تجد أنت شخصا ولا شخصٌ يجِدُك .
٤٧٢٠ - وحين تخاف الموت من نفسك ، كن عاشقا حتى لا تموت .
- ذلك أن الأجل يسلب روح الاحياء ، وكل من هو حى بالعشق لم يمت .
- والعشق يكون زادا ووقودا للنار ، والعشق موت لملك الموت .
- وكل من لم يكن له عشق ذلك الجمال يكون له الألم دون ألف أو لأم أو ميم .
- وكل من هو فى قيد نفسه متى كان عابدا لصنم العشق ؟.
٤٧٢٥ - وبالرغم من أن العشق (فى الظاهر) مزيد للطرب إلا أن للعاشق نائحا فى باطنه .
- والرجل العاشق يكون أزرق السحنة ويكون طائر دولته مكسور الجناح .
- ففى طريق الخلق وأفواه أهل الفضل ، من أجل البحث عن الرغبة والحزن .
- تكون حرارة بلا ئه حلوة المذاق ، ويكون جرح قضائه عذب المساغ .

– فإذا أردت كل الياقوت احفر المنجم ، وإذ أردت كل العشق فاقتلع روحك .

٤٧٣٠ – وحينما لا يكون لك عشق فأنت بلا دواء ، متى تعرف مذاق الخبز دون أن تذوقه ؟ .

– والرجل المظلم الروح المنير الوجه ، يصير وجهه من حرارة العشق كالترس .

– والعقل والنفس والطبع من أجل الحياة ، أتعلم ما هى كلها بجوار العشق ؟ .

– النفس نقش والعقل نقاش والطبع غبار والعشق فراش .

– وحينما عقد العقل النقش محا النفس ، وحينما حدث العشق مات الطبع .

٤٧٣٥ – وما دام الخلق معزولين عن العشق فإنهم مشغولون دائما بالبحث والسعى .

فى اشراق العشق

– هكذا قرأت أنه كان ببغداد رجل فرط فى قلبه .

– وصار الرجل صادقا فى طريق العشق ، وصار فجأة عاشقا لا مرأة .

– وكان نهر المعلى سكنا لهذا والمرأة من الكرخ فصار ماء دجلة حائلا .

– وكان هذا الرجل يسير مسرعا فى طريق دجلة كل ليلة نم نار قلبه .

٤٧٤٠ – وكان يذرف العبرات على باب المرأة ، وقد صار غافلا عن الروح من الجسد .

– وقد اسكرته خمر العشق ومن الحماس كان يسبح بيديه .

– وحينما مرت فترة على هذا الحال ، خمدت نار العشق قليلا .

– وعلى هذا الحال رأى نفسه يدور حول كيف (ولماذا) .

– وكان على وجهها خال كالقمر ، وحينما نظر الرجل إلى خال المرأة .

٤٧٤٥ – قال : ما هذا الخال يا قمرية الوجه ، هيا تحدثى معى عن أحوال خالك .

– فقالت له المرأة : لا تمكث فى الماء هذه الليلة ، وهيا وانج بنفسك .

– إن الخال على وجهى منذ ولدت من أمى ، ونار عشقك قد خبا أوراها .

– وما دمت قد رأيت الخال على وجهى ، فقد امتلأت من جمالى الشديد هذا .

– فلم يسمع الرجل وصار فى بطن دجلة ، وصب على نفسه الدم تهورا .

٤٧٥٠ – فغرق وأسلم الروح فى الماء ، وصارت روحه وجسده تبابا فى الماء .

– وما دام الرجل كان موجودا فى حال السكر ، فقد كان طريق السلامة له فى الشكر .

– وحينما استيقظ من سكر العشق ، ضحى بالروح العزيزة من أجل السر .

– ومادام للرجل الشرر فى القلب ، لم يكن مطلعا على حاصل الجسد .

– وحين خبا الشرر وجد الخبر ، وحينذاك وجد من العقل الخطر .

٤٧٥٥ – وذلك الذى هو مدع فى طريق العشق ، أن كان أسدا فهو أقل من ثعلب العشق .

– فقد بقى فى قيد الفهيقة ، وهو مسوق عن باب المعنى والخبر .

– فيصير حاله كحال ذلك الشاب ، الذى صار خجلا من النساء .

– الم تسمع ما قالته تلك العزيزة ، حينما لم يخف الرجل حاله عنها :

التمثيل فى احتراق العشق وأظهاره

– سارت ذات مرة امرأة جيلة فى الطريق ، وكانت عالمة بأمور الرجال .

٤٧٦٠ – فرأى شاب المرأة ، وكانت تبدى فى ذلك الزمان من فنها .

– فتعقب الرجل المرأة فى الطريق ، فنظرت له المرأة إذ ذاك بطرف عين .

– (وسألته) : أيها الشاب أى عمل لك فى أثرى ، لقد سرت ببلاهة فاذهب واتركنى .

– قال الرجل : لقد صرت عاشقا لك ، ويا من أنت مثل (عذرا) لقد صرت (وامقك) .

– والخوف أننى من التفكير الآن ، أسرع فى الدنيا وأصير مجنونا .

٤٧٦٥ – وقد انتهى وجودى من هذا الجمال ، وكسرت زجاجة الروح بحجر الغم .

– ولم يبق لى الآن حال أو عقل ، وما يزيد على ذلك قد ينسينى الدنيا .

– فقد صار ظاهرى وباطنى بك مشغولين ومعزولين عن البشر .

– فاحتالت عليه المرأة الذكية ، ذلك لأنه كان رجلا شديد الغباء .

– وقالت له : إذا كان قلبك قد صار مشغولا بى فإن وجودى قد صار مبذولا لك .

٤٧٧٠ – ولكنك إذا نظرت إلى جمال أختى لحظة لفقدت النطق .

– فهى مثل البدر فى ليلة التمام ، وهى بنظرة واحدة مثل مائة ألف حسناء .

– فالتفت الرجل إليها فقالت المرأة : يا من كل وجودك حيلة وفن .

– أعشق ثم إلتفاتٌ إلى الآخرين ؟ تلك هى الغفلة .

– ثم صفعته المرأة على وجهه حتى دميت عيناه من الألم .

٤٧٧٥ – وقالت يا بائع الحيل ومشترى الحكايات ، إذن كانت نظرتك إلى من الدنيا .

– فإذا كان وجودك مشغولا بى ، فإن غيرى لا يكون مقبولا لك .

– وكلك ناظر إلى كلى فلو كنت هكذا فمتى صبرت عنى .

– ومتى التفت إلى غيرى ، وأين حملت هم القبيح والجميل .

– ولو كان أصلك لى مطلقا ، فكيف صرت ملحقا بشخص آخر ؟ .

٤٧٨٠ – فحينما تلتفت إلى سواى فإنك تتبرأ من جمال وجهى .

– فأنت رجل مهذار ولست رجل ألفة ، وأنت لون نافجه ولون النافجة لا جدوى منه .

– أنت ضعيف فى هذا السوق ولكنك شديد الإيذاء آكل البطيخ ولست زارعا له .

– وأنت محترق اللب ساذج الحديث وأنت مفلس التجارة ساذج فى السوق .

– وكل من هو مدع فى العشق فقد أوقع الظلم على العشق .

٤٧٨٥ – وليس للعشق طريق إلى السلامة وليس فى طريق العشق استقامة .

ذكر معنى العشق وبرهانه

– العشق دعوى والعقل هو الحديث ، والعقل معنى والعشق هو العمل .

– ونفى الذات صفة للعشق ، ودم القلب صلة للعشق .

– وكل من أبدى له العشق وجهه يخطف قلبه وروحه جملة .

– ولا ينتصر أحد على العشق فالعشق عنقاء المغرب اليوم .

٤٧٩٠ - وإنك لا تقول من أنت للعشق ، وأى سعى لك على باب العشق .
- والعشق عمل أسود الرجال ، ليس بالدعوى بل بالبرهان .
- وكل من له رأس خيرٌ من القلنسوة ، ذنب أن تكون على رأسه خوذة .
- فذلك الذى يكون فى العشق شمع الطريق ، يكون كالشمع نارى الخوذة .
- وأنت طفل فأذهب وغط عينيك من الشيطان ، وأنت طفل الطريق فصر صامتا عن نفسك .
٤٧٩٥ - واعلم اليد اليسرى من اليد اليمنى ، حتى لا تعتبر الإيمان من التقليد .
- ويكون عشق الرجال عن طريق الحاجة ، أما عشقك فللخبز والبصل .
- فأذهب أيها الدرويش فى طريق الاستغناء فى أثر نفسك كالغريب .
- وأطلب الكد من الجسد والجذب من الروح ، وأعلم أن الغليان من العشق والذوق من الإيمان .
- ومن أجل روحك التى تفكر فى السعادة ، فإن الموائد الثمانية سبع موائدة أمامك .
٤٨٠٠ - والعشق يريد الرجل كالشمع الحى ، بصيرته وقلبه أبيضان والطلعة صفراء .
- وحيثما يكون حس وانجذاب ، يكون الدلال بجرأة وسعادة .
- وأنت كذلك من العشق والطبع الممتزجين ، لا تساوى شيئا فى نظر العاقل .
- ومتى تدخل فى عين أهل العقل ، فإنك تبيع النفاق والنفس تشتريه .
- وما دمت تبيع لها هذه السلعة ، فهى تعطيك فى كل لحظة خلعة جديدة .
٤٨٠٥ - وتدوم سلعتها معك لحظة فحسب وخلعتها الشراك والألم والقيد والقفص .
- وإذا تحررت من شراكها وقيدها هذين ، فإنك تخلع النعل وتضع الخوذة .

فى العشق المجازى

- إذا لم يكن هناك فى الجنة طعام أو شراب ، فما الذى كان يجعلك تتجه للصلاة القرب ؟
- فقال كسول : لقد صرت قائما على بابها ، ذلك أنه (أكلها دائم)
- واحبة حظيرته يسمرون وآكلو لقمة خلده آخرون .
٤٨١٠ - والحمل الفطيم والطير السمين ، تنتظرها منه يوم الدين .
- والأصدقاء جميعا يطلبون منه اللقاء ، ويطلبون جميعا منه الرضا فى الدعاء .
- وأنت تطلب منه الطعام يوم العرض ، تطلب الخبز واللبن والعسل الجارى .
- وميلك بجملته نحو الطعام ، وليس إلى دار الخلد ودار السلام .
- وحظ الدنيا قرين الألم والتعب ، وهو الملبس والمطعم والمشرب .
٤٨١٥ - وقد وعدك بالمنكح والمسكن والسماع واللقاء غدا .
- وما دمت فى قيد زينات النِسْوة وغلها فأنت لهذا السبب كنت تتردد على بابه .
- ولو لم يعدك بالحوار لعين ، لبدت لك الأحزان سريعا .
- ولست له عبدا ولست فى قيد ، وأت موشكٌ على البكاء فلماذا تضحك ؟ .
- وانظر لنفسك لكن مثل الشيطان دائما ، ما دمت تحت الفلك ذى المرآة الزرقاء .
٤٨٢٠ - ومادمت تحت الزمان القديم فإن النفس فى طلب التمرغ فى المراغة .
- وحين لا يكون طائر الدولة أليفا ، يذهب الزاغ حيثما يشاء .

- وأيضا فإنها بهذا القيد فى قدمها واللطف العجيب صارت تاجا للرأس وزجرا للأديب .
- والقول لك فمم تخاف ؟ (من) ذات الجنب وتعب المرض .
- لا كما كسر ضلع عائشة ، فقال لها الرسول : فُزْتِ .
٤٨٢٥ -وقد جعل الله فهما للشوكة التى تدخل فى القدم .
- ذلك أن الكرم يعلم أن محض الكرم يجعل ضائعا ذلك العناء والألم .
- فإنك تدعو وليس هناك إجابة ، ذلك أن لك قلبا وليست فيه إنابة .
- ذلك أن الله يعلم الإنابة ، وحكمته ما نعة للإجابة .

فى معنى القلب والروح ودرجاتهما
ذكر القلب انفع لأن شأنه أرفع

- يلقى الجد بقبلاته على عتبة القلب ، ذلك أن الهزل لا يكون مفتاحًا لمنزل القلب .
٤٨٣٠ - ويقبل القلب النور رشوة من الروح ، فمتى يقبل الحور من يد رضوان ؟ .
- ووزن الرأس خفيف مثل وزن السر ، وقوت القلب صغير مثل ورق الورد .
- وعلى باب أهل القلب فى وقت الطعام ، يكون القمح الحرام عقربا .
- فما دمت لا تغسل القلب دائما من الباطل ، لا تضع رقم القصارين على القلب .
- والقلب الذى يكون أسود كجناح الزاغ ، متى يصيد الطاووس فى البستان .
٤٨٣٥ - وذلك الشخص الذى يكون قلبه ملكا على جسده ، تكون خلعة البلاط لروحه .
- إذن فإن عينيك فى طريق الأسباب ، نحو الشراب والملبس والنوم .
- فحتام أنت غافل ياسىء الأصل ، قلبك فى الطين وأنت نائم كالكلب .
- فأنت مثل الكلبة الحامل أيها الجاهل ، إذ تملك كلب مجنونا فى قلبك .
- فلك طبع السوء الكلاب وطباعها ، وتتخذ مثل الكلب من العظام قوتًا .
٤٨٤٠ - فاقتل الكلب المجنون بالعذاب ، ذلك أن فى الطريق الابطاء والإسراع .
- وكل من عقره يصير لتوه قطا ولودا لجراء الكلاب من الخوف .
- وإذا حصلت على ذرة من النور ، تعبر جسر النار بلا ألم .
- وإن لم تحصل على النور تصير نارا ، وتصير ذليلا أمام الخالق .
- فليس لك فى منزل القلب حاصل إلا ألم القلب من باب الجسد .
٤٨٤٥ - وطريق جسدك شطر منزل الروح ، أعلم أنه حائل لك من هذه الأركان الأربعة .
- وينبعث جناح العقل وقوادمه من الروح ، ولا تتأتى الروح والقلب من الجسد المظلم .
- وأعلم أن باطنك هو قلبك وكل ما هو غير باطنك باطُلُ لك .
- وموضع الدين القلب واللب والدماغ ، مثل زيت المصباح وفتيله .
- والقلب يكون مثل الشمس التى تحرق الأنجم ، فمن الذى يستطيع منه أن يبرز وجهه فى النهار .
٤٨٥٠ - والقلب الذى يجد السيادة على النفس ، يجد الرئاسة على كل الرؤساء .
- وليس مثل ذلك القلب الذى يبيع العقبى بالقليل من أجل الدنيا .
- ولا يكون القلب أصلا للحرص والحاجة ، ومادة القلب ليست من الماء والطين .

- والقلب الذى يكون محبا لمثل هذه الأمانى ليس قلبا وإنما هو قطعة من اللحم .
- والقلب الذى يكون مريدا منك للأمانى لا يكون عالما بشىء من حال الله .
٤٨٥٥ - ويكون قطعة نتنة من اللحم لا أكثر ، لا يعتبرها أحد شيئا ذا قيمة .
- ويصير الجسد فاسدا حين يفسد القلب ، وظلم العسكر يكون من ضعف الملك .
- وحينما يبدأ الملك فى الظلم والجور يفتح للظلم أيدى الجيش .
- وليس الظلم فى الدنيا من الماء والطين وكل هذه المظالم من كبر القلب .
- ولو لم يكن قلبك على صورة الزاغ ، لكان صيادا لكل الطواويس بنوره .
٤٨٦٠ - فاجتهد حتى يصير قلبك كالقلم ، قبل أن يتحول الأمل إلى ألم .
- و للعاشقين من أجل البحث عن الشرف ، لا من أجل الحصول على اللذة والرغبة .
- عتابٌ واحد والتراب على مفرق الفرقد ، وحديث واحد ورداءان مشقوقان على الصدر .
- وفى هذا كله أمورك بلا نور ، فمنك حتى النور طريق بعيدٌ جدًا .
- ومع مثل هذا القلب يكون السفر سقرا ، والسفلة أسوأ من الكلب والذئب .
٤٨٦٥ - والكلب وطماع الذئب مفترس ، والسفلة عبدة الجبت والطاغوت .
- اذن فهىء فى هذا الطريق القوت من الروح ، وليس من الدلق والعصا والمخلاة .
- وإلق بنفسك فى زورق الدين ، فمن هذا الطريق تصل إلى عليين .

يقول فى الروح والقلب والجسد

- من باب جسد صاحب الخوذة حتى قلبه طريق (يقطع) فى مائة ألف سنة .
- ويكون على السالكين وقت الرحيل مثل موسى والخصم ونهر النيل .
٤٨٧٠ - ولكن الأمر حين يصير مغلقا فى وجهه ، يتحول الدينار فى النهاية إلى نار .
- حتى عقد الله الطريق لذلك المقيد وكأنه الجنزير .
- إنك تملك شطر الطريق جيدا أمامك من باب نفسك حتى باب قلبك .
- وليس الطريق إلى قلبك هو هذا الطريق ، والعقل عن ذاك قاصر ومقيد .
- وطريق جسمك إلى القلب مثله كمثل المخنث والمنزل الأول .
٤٨٧٥ - إذ إنه فى كل لحظة يصيح قائلا من المرض : آه يا مكة أنت بعيدة جدا .
- وصورة مكة ثلاثة حروف والقلب ضيق ، إلا أنها فى الذهاب ألف فرسخ .
- وطريقها على السالكين وقت الرحيل فى طريق القلب ملتو كشعر الزنجى
- لكن نار (الشوق) عندما تضطرم عنده ، يصبح الطريق طيبا مثل طبع الزنجى .
- وذلك الذى لا يأخذ الطريق بجد من أوله ، يبقى فقيرا مثل الزنجى .
٤٨٨٠ - والذى ذهب عجبا فى الطريق ، يكون مثل الزنجى ابله القلب .
- وليس عنده دين من لبس فى قلبه نصيب من لب القلب .
- ومثل هذا القلب المليء بالخلل الذى لك ، الوحوش والشراك معك متوائمه .
- لقد أعطيت قطعة اللحم اسم القلب ، وفرطت فى قلب التحقيق .
- فأنت غافل عن القلب ولا علم لك به ، فذلك القلب شىء وأنت شىء آخر .

٤٨٨٥ – فالقلب هو طريق آخرتك ، ولكنك لا تعرف القلب من الذيل .
– وجناح العقل وقوادمه تكون من القلب ، والجسد بلا قلب جوال طين .
– وتبقى النخلة في الطين جافة وبلا ثمر حين يحملون منها قلبها .
– وباطنك حقيقة هو قلبك ، وكل ما هو ليس باطنك فباطلك .
– ونبيع الدين من القلب والعقل من الدماغ والدين مثل النهار والعقل كالمصباح .
٤٨٩٠ – ويجب أن تكون هناك شمس حارقة للانجم و مصباحك لا يقلب الليل إلى نهار .
– وذلك القلب الذى لا يحتوى على شىء قط وقت الشدة سوى الله .
– ليس مثل ذلك القلب الذى من أجل التلبيس يصبح جيفة فى مزبلة إبليس .
– والقلب منظر ربانى ، وفيه الطرح والفرشى النورانى .
– فمن أس الجهل ولعدم علمك كيف تسمى حجرة الشيطان قلبا .
٤٨٩٥ – ويكون معراج القلب بوقت الفراغ ، قاب قوسين من عقل الدماغ وشرعه.
– ومن باب العين حتى كعبة القلب ، مائة منزل ألف للعاشقين .
– فمن هو من الخواص يقرأ أسماءها الألف ومائة ، والعامى يعرف شراكها الألف ومائة .
– وأولئك الذين كانوا أيها السيد من أصحاب القلوب قد سبقوك بمائة منزل .
– وجلسوا على بساط السماط ، وبقيت أنت ماشيا على الرباط .
٤٩٠٠ – ولا يكون القلب أصلا للهزل والمجاز ، ولا يكون القلب جحيما للغضب والحرص .
– والقلب الذى له سر بما هو موجود وبما فى اليد ، لا تسميه قلبا فليس كذلك بل ذنب .
– والقلب الذى صار أهلا مع حاجيات هذه الدنيا أعلم إنه لا تتأتى منه كثرة .
– فهذا لك غبن أن قطيعا من الجهلة سموا الشكل الصنوبرى القلب .
– فهذا الذى سمى قلبا بالمجاز ، اذهب وارمه أمام كلاب الحى .
٤٩٠٥ – والقلب الذى يملك السيادة على العقل ، لا يكون على الشكل الصنوبرى .
– والقلب الذى له شغل مع المال والجاه ، أعلم إنه كلب لأن هاتين جيفتان .

يقول فى صفة تربية القلب

– مالالذى يجعل القلب قويا على المشقة والخوف إلا شراب التسليم المفرح .
– إنك تصير آمنا حينذاك من المحنة والحرص حين تشرب جرعة من الخمر الصافية .
– ومادمت لا تشرب شراب الدين فأنت ثمل ، وحين تشربه تنج من كل بلاء .
٤٩١٠ – وهذا المفرح الذى يصفه الأولياء ، يصنعونه فى بيت شفاء الرضاء .
– وطعام هذا المكان طين فارجع عنه ، فذلك الذى يأكل الطين يصفر وجههه .
– ومادمت لا تتعفف هنا عن الطين ، فمتى تبعث من التراب أحمر الوجه .
– وحين يذكر الرجل أكل الطين ، يعطى آخر الأمر روحه للرياح .
– والخبز والرداء الأبيض لذلك المنزل ، لا يزيدان إلا من سواد القلب .
٤٩١٥ – فالقلب يجعل ردائك الناعم خشنا ، ويسلب المشروب الحلو خجلك من الرأس .
– فلا تغتر بجمال الجلد ، فلابس الخرق رجل حسن الوجه .

- وليس المرض طيبا أو لطيفا أو جميلا ، وليست الطبيعة الحلوة بالخوذة والديباج .
- والنفس الحسية رخيصة بالطعام وغذاء الروح من المائدة التى لا خبز فيها .
- والغافلون سمان من البطر لأنهم ، قليلا ما يحملون هم الروح والكساء .
٤٩٢٠ - وكل قلب لا يكون مسكونا بالغم ، ليس قلبا بل هو منزل دم .
- ولا يكون رجلا ذلك الذى يدور حول نفسه ، ذلك أن الرجل يبحث عن طريق النجاة لنفسه .
- فحتام ؟ أخرج من ركن دارك ، من مثل هذا المنزل إلى الخلاء الواسع .
- وأنا غلام الرجال المختارين ، ولتكن روحى دائما فداءً لهم .

يقول فى صفة الليل

- حينما اختفت من أجل نفع الأرض نار السماء من دُخان الأرض .
٤٩٢٥ - وحينما يكون الدهر فى الدار المغطاة بالقار ، فإن كل الدائرة تكون متلاطمة بالدخان .
- وظلمات الفلك التى تشبه البحر ، صارت متحكمة فى طبع الدهر .
- وأمام الشياطين داخل مستودع قذر ، زنوج يرقصون على الفحم .
- وصارت كتلة الكون ممتلئة بالصدأ ، وغطت العالم بغلالة من المسك .
- والليل مثل البحر الأسود وأنا كالجوهر الذى وضع رأسه فى الصدف .
٤٩٣٠ - وقد نام فى أحضان اهريمن ، زنجى له رداء من المسك .
- وجعل زنوج معجونون بالقار ، حجر السبه مع الساج فى خط واحد .
- وجعل الشيطان لنفسه خرقة من الدخان ، وأبدى الجهات الستة جهة واحدة للخلق .
- ومن الأفواه المعجونة بالدخان كان الشيطان يتنفس بالفحم فى وجوه أهل النوبة .
- وصار جوهر الناس حبرًا ، وسدت منافذ الأنفاس .
٤٩٣٥ - أو كانما من جوال أسود صبى زنجى اعمى الكحل فى بئر .
- فجعل النور الكثير قليلا ، وجعل ظلمات الجهات الستة واحدة .
- وقد ذهب ظل الشمس كالسهم ، فاحتوى القيروان كالقار .
- وحين صارت عين الشمس تحت التراب ، انتقل النيلوفر من الحوض إلى النسرين .
- وعيون النرجس متفتحة فى الحدائق . لكنها غريبة فى المرتفعات والمنخفضات .
٤٩٤٠ - وأبدى زحل وجهه من أوجه ، وكأنه كرة من الفضة المطلية بالذهب .
- وصار المشترى خافيا من الفلك ، ولم يبد وجهه قط للعيان .
- وسل شكل المريخ السيف حينا ظاهر ، وحينا مختف فى السحاب .
- وتوارت الشمس بوجهها فى الحجاب ، ولبست نقابا من السواد .
- والزهرة مُختفية فى الحضيض وقد صارت محرومة من نورها كلية
٤٩٤٥ - ولم يبق لعطارد أى رمق ، وهو أيضا على هيئة دواته مطلق .
- وسيدة المشرق فى مهجعها الجميل ، نائمة على سطح مفرش ازرق .
- والفلك الفيروزى والنجم عليه ، مثل الذهب الأحمرو اليد المخضبة باللون الأزرق .
- والشهب فى الأثير غازية فى الميدان ، وذيل العقرب لاعب الصولجان بالزهرة .

- وصار القمر عظيما أمام بنات النعش كأنه نصف حلقة ذهبية .

٤٩٥٠ - وتركزت عين السهيل على الثريا ، حائرة كرجل بقى فى سيل .

- والقطب فى قطر الفلك دائما ، متمكن كالشيخ الوقور .

- ونواح الأرملة ونحيب اليتيم شطرت قلب المشترى نصفين .

- ومن أجل تعويذ عقد الحور العيب ، صار الفرقدان كالهليل الذهبى .

- والأنجم فى المجرة تماما مثل فتات الصدف على ماءٍ جار .

٤٩٥٥ - وصار شكل المجرة ظاهرا منه ، مثل موسى والبحر وضربة العصا .

- وشكل الثريا مثل الحجر اليمانى ذى الفصوص السبعة ، قد بدت للعين على كأس واحد .

- وشكل السها ضعيف مثل جسدى ، حينا ظاهرة وحينا مختفية .

- ودوران الانجم من وراء الأثير ، خيل رومية تطوف حول زنجى شيخ .

- والكواكب ظاهرة من طريق المجرة ، تشبه تماما الدمع فى عين الأعمى .

٤٩٦٠ - فجعل الفلك كالاكمام فى الحديقة ، ونور الفلك مصباح ذو ذبالات ست .

- وقد بقيت ساكنة كالجوهر فى الدرج ، السبعة السيارة والأبراج الاثنا عشر .

- وقد صار الفلك والسماء من غضبى مثل دمعى وصدرى .

- وحينما تنفس الزنجى القبيح من كحل الصبح فى النار والفحم .

- خرج نفس الصبح وساق خيله ، وكان أب الليل يحتضر .

٤٩٦٥ - حتى تطل ملكه الفلك برأسها من كرة الشرق مثل الترس الذهبى .

- وقد صار العالم مثى أصفر الوجه ، حين أخرج الصباح العلم الأحمر .

- وتجددت الدنيا مثلى قلب العالم ، وانمحى الليل من خوف النهار .

- وتساقطت الانجم من خوف الصبح وصار الزنجى هاربا من الروم .

- وحينما طلع الصبح سعدت النفس من النور إذ بسط خيمة من النور .

٤٩٧٠ - وفى وقت الصباح ظهر حبيبى على بابى فجأة .

- الحبيب الذى اختطف القلب والروح ، حينما كان يدهن المسك بالكافور .

❑ ❑ ❑

الباب السادس
فى ذكر النفس الكلية
ذكر النفس الكلية نذير ناصح وإهمالها غرور فاضح

- جاء مثل القمر آخر الليل ، شيخٌ قائل (أنعم الله صباحكم) .
- وقور الجسم ساكن الأركان ، حاد البصر عالم بالطريق .
- وجهه كالشمس مشع بالضياء ، ورداؤه أزرق مثل رداء الفلك .

٤٩٧٥ - وكأنما صعدت شمس فجأة من حوض النيلوفر .
- أو ربما زرع بستانى طينتى كأنها الفل على البنفسج فجأة .
- وحينما ملأ عينيه من أصلى ، ملأ درج الجسد بالدر حتى فوهته .
- وحينم إنطلق فى نطقه الملىء بالسكر ، خلع خوذة السيادة من على الرأس .
- قال : « كيف أصبحت » يا ابنا بالتبنى ، يا من بقيت فى سجن النفس .

٤٩٨٠ - ويا من بقيت أسيرا فى بئر الغرور ، والنفس العابدة للهوى أميرة عليك .
- فانهض فليست هذه الأرض دارك ، وليس منزل الهوس هذا مكانك .
- فلماذا تمد عبثا بساط اللهو ، فى هذا الرباط الذى عمره مائة ألف عام .
- وإذا أردت ألا تحرق قباء القباء ، فأخلع من الجسد القباء الذى خاطه آدم .
- وحرر نفسك من هذا القفص ، وأظهر برهانا على كونك خليفة .

٤٩٨٥ - وكن قابعًا فى موطىء التراب وإلا فتجاوز عن الأنجم والأفلاك .

صفة الكلمات التى دارت مع النفس الكلية والأجوبة التى قالتها

- قلت : يا من عجنك الإله بالنور ، يا من صار الشيطان من إنعكاس وجهك كالحور .
- ويا من (صار) الزمان منك كالعيد والجمعة ، ويا من (صارت) الأرض من وجهك كالمرآة .
- فصفتك أعلى مما يجود به النفَس ، ووصفك يكون من قبيل الهوس .
- فأنت بديع جدا بالصورة والقد ، وليس فى الكون مثيلا لك .

٤٩٩٠ - ومعاينة صورتك من صفتك ، ذلك لأنك الوجه والمرآه .
- أنت دائم الوجود فى إقليم الدين ، من أجل طريق الإعتذار وشكر الشكور .
- فأنت طوبى وهبت المادة لبستان ارم ، وأنت كعبة ملك تراب الحرم .
- فما أكثر بهاء نفَسك وما أشد قوة نفْسك ، أأنت عقل ؟ أأنت روح ؟ أأنت قلب ؟ إذن فمن تكون؟
- وحبذا صورتك فهى شديدة الجمال ، وما أشد شوكتك إذ لا عيب فيك .

٤٩٩٥ - أنت أعلى من الجوهر والعرض ، وأنت غرضٌ لكل الكائنات .
- والجوهر الذى يقبل منك القوت ، برج الشمس ودرج الياقوت .
- وأنت الشارب من يد الملك ، مثل الرسل « هنيئا لك » .
- وماذا تفعل أمام مدبر ملىء بالألم ، فى مثل هذا الركن الذى يذرو الكنوز مع الرياح .
- وقد جعلت الصومعة التى هى مثل شيطان فى دخان ، تنثر النور من إنعكاس وجهك .

٥٠٠٠ - وأنا الذى لم أر نجم السها أبدا فى هذا البئر (الدنيا) ، و فى هذا الزمان مع شمسين وقمرين .

– أجل ففى السراى الجسمانى ، أنت تعلم هذا الحديث أفضل منى .

– أجل فهذا هو خلق الشيوخ وفعلهم ، وهم الذين يجعلون الأسرى أمراء .

– فأى مكان هذا لعارف بالكون مثلك ، قال : مكانى فى الدنيا هو هذا ؟

– فالألم هو الذى يكون عمارة لهذه الدار ، والخرابات دائما أهى أماكن الكنوز .

٥٠٠٥ – فمكان الكنز الموضع الخرب ، ويكون الكلب كلبا فى الموضع المعمور .

– وعرشك وفرشك سراى وبلاط ، فأى أمرٍ للخليقة بك .

– والظلمة متراكمة مع العمران ، أما النور فيصبح حول الخراب كثيرا .

– وليس القمر أو الشمس فى هذا الدار المليئة بالألم والنصب هما اللذان يطلبان الخراب .

– وأولئك لا يدخلون إلى المنزل بشكل مباشر ، يحدثون فجوة ما ويظهرون وجوههم .

٥٠١٠ – وخير للذكى أن يمل طعنات الدهر ، وخير للقشر المليىء باللب أن يشق نفسه .

– وقلب الذكى مثلما هو موجود وسط اللوز ، أما قلب الجاهل فهو مثل قشر الجوز .

– واللب لطيف ما دام القشر رقيقا ، وعندما يقوى يصير القشر حجابا .

– وحين يكسل الرجل يلزم له الحجر ، إذ إنك تحصل على اللب اللطيف من (دق الثمرة) بالحجر .

– قلت يا من روحك مليئة بالطيبة ، لم تقل لى من أى مكان أنت ؟

الأجوبة التى قالتها النفس الكلية

٥٠١٥ – قال : أنا قبضة اللاهوت ، وأنا قائد الناسوت ودليله .

– أنا فى الدنيا التى تكون مكانا لحظى ، وهذه الدنيا كلها تحت قدمى .

– وأنا أول خلق فى الدنيا ، ولا أبدى وجهى فى كل مكان .

– إذ أننى أبخل بنفسى على الأنذال والسلفة ، وأنا فرد عن الخلق فى الجبلة .

– ونظر الحق (متوجه) إلينا من كل الخلق ، وخلقى منفصل عن كل الخلق .

٥٠٢٠ – وتربتى جوهر للمناجم ، وموضعى مرجع للأرواح .

– وقد جئت من أقليم يكون القلم فيه كالقدم رأسه قدمه .

– وتلك الأرض هى التى فى ذلك المكان المبارك مثلما تكون شمس سمائكم .

– حصباؤ ها جوهر وترابها ذهب وبحرها عسل وجبلها عنبر .

– والقصور فيها عالية وفخمة ، طاهرة كالنار وبيضاء كالثلج .

٥٠٢٥ – وسقوفها مثل الفلك قابلة للمسيح ، وأرضها كالنقطة قابضة على قارون .

– والسكان الذين يوجدون فى هذا المكان ، رؤوسهم كالجواهر وأقدامهم كالزمرد .

– وجسر جبحونهم رؤوس الظلمة ، وموضع وحشة درجاتهم قلب العالم .

– رؤوسهم مرفوعة كالرؤساء ، وقدودهم ممشوقة كآمال البلهاء .

– وكلهم مستغرقون فى جمال القدم ، كلهم فارغون من صورة آدم والعالم .

٥٠٣٠ – وثيرانهم من أجل دفع الألم ، تلعب بالخراب كأسد العلم .

– وأرضها زائدة بالليل والنهار ، وهى ثابتة وكل ما فيها ثابت .

– وكلهم خالدون من عدم حزنهم ، لا علم لهم كالظل والشمس .

- وكل واحد منهم فى ذلك البستان ، من أجل قبول الدراويش .
- صاحب صدر سدرة الأزل ، ومؤنس فاطمة جمال على .

٥٠٣٥ - وكيف أصف أنا هذه الجماعة ، وكلهم من يقين الروح بلا ظن .
- وهم بلابل روضة الأنس ، وهم سكان حظيرة القدس .
- وهو عالم بأجمعة بديع الحال ، وصورته دليل خير الفأل .
- وأنت ترى هذه الروضة إذا أردت ، وتجعل من البصر والروح قرينين .
- فأرضها بلا عقوبة من الذل والغم ، وهواؤها بلا عفونة من الحرارة والرطوبة .

٥٠٤٠ - وأرضها بلا جبال أيضا أو حفر ، وجوها أيضا بعيد عن تقلبات الجو .
- وحصباؤها ونباتها عالم وحى ، وحشرات أرضها (فى عظمة) خسرو وكيقباد .
- وكل ما له مكان فى صحنها ، ذو روح حتى الحجر والمدر .
- فأنا من حظيرة خازن الملكوت ، وحجتى فى خزينة الناسوت .
- قلت : أين هى هذه الأرض آخرا ، قال : هى أعلى من متى وأين .

٥٠٤٥ - فمن قال أن مدينة الله ذات مكان ؟ هى موضع الروح والروح ليس لها مكان .
- وحين قال مثل هذه النكات لى ، نام العقل فى بصرى .
- ذلك أننى بقيت مثل الصورة على الديباج فى مقابل جمال هذا الجميل .
- ومن يد ذلك الضاحك الشفة ، بقى الأجل واضعا طرف أصبعه فى أسنانه (دهشة) .
- والعين التى ليس لها بضعة من صورته ، يسحب نسر الفلك البصر منها .

٥٠٥٠ - والمركب الذى يمتطيه دائما ، له أسطبل من طريق المجرة .
- وأرواحنا والهة من جلالته ، ولم يتيسر لأحد درك حالته .
- فحالته هى العشق فى عالم الغيب ، ومقالته هى الصدق فى طريق الدين .
- وليس لعقل عابث طريق إليه ، ذلك أنه ليس فى الخلق ملك مثله .
- وما دام بابه وحظيرته غير مرئيين ، فلا تذهب إلى هناك وقف مكانك .

٥٠٥٥ - وأمام بلاطة من أهل الهوس ، الخمر غائبة والورد برى وحسب .
- وهو أمير فى هذا البناء ، من أجل عز الشرع وبذل العدل .
- ولا يوجد عسكر الهوس على بابه ، وليست له عصبة من الفرسان والمشاة .
- وقد جعل الروح من جواهر النور ، والأذن والجيد مثل آذان الحور وأجيادهم .
- وهناك أنغام تكون من هدايته ، والحرف والصوت فى ولايته .

٥٠٦٠ - وأنت أعمى فى وضح النهار وقد قبلك إلى ذاته ، ذلك أن الجهل قد أخذك من دار الهذر هذه .
- وما دام النبى والقرآن ساقطين أمام مثلك ، تحول هذا إلى صورة وذاك إلى مجرد خط .
- وقد جعل جهلك من أجل القيل والقال جبريل كأنه دحية .
- فطف حول هذا الشيخ حتى يخرج قدميك من البئر ، (ويرفعك) من البئر إلى رأس العرش .
- وقد صار الطفل الذى طاف حوله رجلا ، ونما البذر الذى رباه هو واستوى على سوقه .

٥٠٦٥ - فذلك إنه من قوة قوائمه ، النفس سائمة له إلى الأبد .
- وقَلّ أن يسمع عن مثله فى السلف ، زارعا فى مزارع الملكوت .

- ورِوحى من أجل هذا الحديث كالعسل ، وقد وضعت العين على كوة الأذن .
- وأعلم أننى لم أمل من هذا الكلام ، كما أن الظمآن لا يرتوى من الماء الملح .
- وتربية الروح من رؤية الحبيب ، مثل أكل الشهد وسكر الورد .
٥٠٧٠ - ولا تصير المعدة ذليلة من علم ذلك ، ذلك أن الطعام والشره متكاتفان .
- قلت له : إن االأيام جميلة معك ، سأكون معك فالأمور حلوة معك .
- وبدون مثل هذا الشيخ من الذى يستطيع أن يصل إلى عز حياته فى شبابه .

يقول فى صفة المريد

- حينما فتح الشيخ الحصيف شفتيه ، هرب الظل خارجا من الدار .
- قلت للشيخ من أجل التحقيق ، يا من لك ملك الدين جدير وخليق .
٥٠٧٥ - أنا الذى تحدثت معك لحظة عن الغم ، ولا أعطى هذه اللحظة بكل العمر .
- والعمر بلا أحبة لا يكون عمرا والعمر بلا صديق يكون عمرا غمرا .
- والعمر مع الصديق الذى هو قرين ، تساوى قيمة اللحظة منه ألف سنة .
- ويكون القلب فى قيدك سعيدا فى العذاب ، فلم تعجب إذا كان الشواء لذيذا من الملح ؟
- وتكون الروح من وجهك فى إرم ، ويكون القلب سعيدا من تأييدك .
٥٠٨٠ - ولأنك فى مركز الحقيقة والحذق ، فلا ملك واحد هناك فى مقعد الصدق .
- وتكون الصحراء منك لابسة للحرير ، ويصير البوص منك بائعا للسكر .
- ومنك يجد رأس صندوق الصدق ويد الصفاء مفتاح قفل الوفاء .
- وقد صار الغائب عن الوعى قرينا للوعى منك ، وجاء للهيولى العريان الغطاء .
- والمرء من الخير يصير خير النية ، وحينما يكون سيئا تسوء نيته .

يقول فى عذر الانبساط

٥٠٨٥ - ما دمت أنا كالعقل معلقا فى شفتيك أنظر بالروح ، وأنا كالقلم مادمت (متبعا) لخطك أفدى الروح .
- ولا يستطيع أحد أن يحيد لحظة عن المرآة المضيئة فى يد العقل .
- وحين عقدت سنان العزم أمامك ، أخذت أبكى دمًا وأنا أضحك .
- ولو أننى عزفت كالصنج فى هواك ، لعزفت لحنك والأنشوطة فى حلقى .
- وفى ذلك الوقت الذى قال فيه السيد السِّر المطلق ، قال : أنا الحق والمشنقة حول الحلق .
٥٠٩٠ - فذلك الذى يهرب خوفًا على نفسه ، يخلط العشق بدم القلب .
- واعتماد السيد يكون بعد فراق جسده ، ويكون كل كلامه وصالا للحق .
- فكن وجها لمن يوليك الظهر ولا تقفز حائرا ، ولا تضع اليد والقدم على المشنقة .
- ذلك أنه فى (كل من)[1] رموز الأزل ، خاصة حين سمعت الروح الغزل .
- وحينما ظهر الحق للسيد ، كان مفتاحًا لقفل السر .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ، (كل من عليها فان) الرحمن ٢٦ .

٥٠٩٥ - وقد أحضر هذه الرسالة من أول الأمر ، ثم خلق فى النهاية ذلك الراغب فى نفسه .
- وأنت من مخلفات الأجل ، وأحتواك الحرص والأمل من قدام ووراء .
- وبقيت مرة ثانية من أجل الخبز والماء ، فى حجاب حاجة الجسد وكأنك البصل .
- فأى غراس لك لبذور الحرص والطمع والحاجة فى طينة القلب فالحرص لا يأتى بعز .
- فأنت تسرع فى دار الحمارية هذه ، ولا تقول لى ماذا تشبه .
٥١٠٠ - إذا لم تكن قد ارتددت ثانية إلى الماء والخبز ، فماذا تلقى ببذور الشهوة والغضب والحرص .
- فما هو مالح يجعله محلوجا من الخيط ، وما هو رطب يصيبك بالفالج .
- فخف من غرور هذا الفلك ، فليس لك سر مرور الفلك .
- ففى هذه الحجرة المكونة من الجسد والقلب والروح ، صار الماء منها غرامة على العقل .
- فإذا أعطاك الفلك مقدار حبة سمسم ، لربط قربة على مؤخرتك سريعا .
٥١٠٥ - ومن الذى يستطيع من حبة سمسم أن يستخرج منين من الزيت ؟
- وإذا استدعاك القلب إلى نفسه ، فأنه يأخذ دينك وروحك بالقهر .
- وليست راحة الدنيا بلا تعب أبدا ، وما أسعد ذلك الشخص الذى نجا من الإثنين .

يقول فى حفظ النظر

« قال النبى : النظر سهم من سهام الشيطان »

- ترد الروح ذلك الذى يقبله الجسد ، وذلك الذى يكون خيرا للقدم يكون شرا للرأس .
- فلا تنظر إلى الحسان فعاقبة الأمر أن النظر يثير البكاء .
٥١١٠ - فهى فى أولها تبدو نظرة عابرة ثم يفوح منها الفتن وتتفكك الخيوط .
- وتكون بذرة العشق من النظرة الثانية ، ويكون بعدها الهم والدمع الندى .

حكاية

- ألم تسمع أن عيسى فى زمنه طلب المطر محتاجًا من المولى .
- فذهب مع قومه للإستسقاء ، وأخذ كل شخص يدعو من عجزه .
- فلم يصر الدعاء مقرونا بالإجابة ، فصار عيسى من ذلك السبب محزونا .
٥١١٥ - وفجأة جاء النداء : أن اخرج المجرم من بينكم من أجل المُكرِم .
- فليس طريق الرضا للمذنب ، ولا يسمع من المذنب دعاء .
- فعادت كل هذه الجماعة (إلى شأنها) فقد كانت الدنيا ضائقة من هذا الجمع .
- ولم يبق إلا رجل أعور مع عيسى ، فلتكن أرواحنا فداء لروحه .
- قال له عيسى : لماذا لم تذهب ولم تعط ظهرك كالآخرين .
٥١٢٠ - وما دمت قد بقيت فقل لى أى ذنب فعلت فقد سودت صحيفتك .
- قال ذات يوم (وقفت) فى شارع وأخذت أنظر إلى المحارم .
- ولكنى قطعت الطمع من روحى فى نفس المكان الذى نظرت فيه .
- ومن شدة غضبى لم أحرك قدمى حتى اقتلعت هذه العين .

- وحينما انتصر الشيطان على عينى ، جعلت العين سوادا كأنها الوشم .
٥١٢٥ - وحين ظفر الشيطان على بصرى ، أبعدت البصر عن عينى .
- فذلك الذى صار منى نصيبا للشيطان ، وصار تابعًا لأوامر الشيطان .
- أبعدته عن نفسى دفعة واحدة ، حتى لا أبقى رهينا لغضب الله .
- قال له عيسى : هيا أدع سريعا ، فأنت فى هذا الزمان مْن خاصة الله .
- فرفع يده سريعا الرجل الأمين ، وعيسى فى أعقابه قائلا (آمين) .
٥١٣٠ - رفع الرجل المتدين سريعا يده ، وكان الإله راضيا عن فعله .
- فظهر السحاب سريعا فى الجو ، وأمتلأ السحاب با لمطر وأخذت تمطر .
- وقامت السيول من اليسار واليمين وشقت الأنهار طرقها .
- وكل من اختاره الله ، فأمره نافذٌ على الزمان .
- فلو نفذت أمر الله فإنك تأمر على الزمان مثل الملوك .
٥١٣٥ - فلا تنظر إلى مالا يجب النظر إليه . حتى لا تجد من الزمان خطرا .
- فكل مالا ينظر إلى ما لا يجوز ، لا يتحمل الألم والتعب فيما لا يلزم .
- وكل نظر لا يجوز فى الدين سهم من سهام الشيطان اللعين .
- والعشق خطأ إلا بالاختيار وأين آهة العاشق من الاختيار .
- فماء الوجه يهرب من ماء الظهر (المنى) ، ويريق ماء الظهر ماء الوجه فى كثير من الناس .
٥١٤٠ - فهم ماء الظهر وقوت البطن يجعلانك مليئا بالريح فى هذا العالم .
- فإليك إذن فارس مسرع فى هجوم وحملة ، يبقى راجلا ومعه مهماز .

يقول فى صفة حسن الوجه وسوء الطوية

- أولئك الحسان بالصور ، لوحة للأطفال مغطاة بالديباج .
- فأى طمع للمرء من الوجه الحسن ، وأى نقع لقطعة الخشب من الديباج ؟
- وكل من لها وجه حسن وحشية الطباع ، والوجه الحسن دليل الطبع السىء .
٥١٤٥ - وعلى قدر ما يكون الوجه حسنا يكون الخلق سيئا فلذلك لا يصاحب العاقل حسناءً .
- وأمام الشخص الذى لا دين له ولا مذهب ، يكون الوجه الحسن كثمرة اليقطين الملونة .
- وكل من له من الجهال نية سيئة ، أعلم أن حسنه عارية كالقمر .
- إذ أنهم كالمصابيح لكن الذابلة منها ، أحياء بقطرة وأموات بنفخة .

يقول فى شرح الجميل والقبيح

- إن سعة يد الحسناء تكون مثل خلود الغصن إذ ينتج دائما أغصانا .
٥١٥٠ - ومن أجل حسرة الشيء عند القبيح ، اليد والقلب ضيقان كممر الحبق .
- وقد سحب إلى جوار نفسه مرحاضا ، وأنت تلقبه حينا بالروح وحينا بالحبيب .
- وهكذا تجعلك الشهوة محجوبا ، فلا تميز بين الخنزير والجميل .
- وقد جعلتك ذات العين اللوزية والجسد الفضى ، محترق القلب كالفسدق فى فمك .

– من يبقى أسيرًا لمثل هذا القلب وتظل قدمه حتى الأبد مغروسة فى الطين .

٥١٥٥ – وتلك الحسناء قمرية الوجه فضية القد عندما جعلتك كالذهب (أصفر الوجه) وأنت حسن الوجه حسن

– الأسم عندما تبعثر جمتها المسكينة بأى شىء تسيطر على مثل ذلك القلب وذلك الدين .

– والحية والطاووس مزينا الوجه والشعر ، والعافية آدم والقلب حواء .

– وحين أتفقت الحية مع الطاووس ، كانا شرا على حواء وآدم .

– وذلك الغلام الجميل حسن الوجه ، وذلك الجميل الذى شعره كالجنزير ووجهه كالديباج .

٥١٦٠ – تكسر جمته المسكية ظهرك ، وتجعلك سيطرة عشقه كالفحم .

– ومنذ أن تجد وجهه الذى يشبه الورد ، يجعلك كالقنفد من قلة النوم .

– ولو انه نهض على الفور لكسرت يده رقبتك وكأنها قدم .

– وهو بالرغم من وجهه وشعره الجميلين ، فهو يأكل الخبز وحده وهذه خصلة سيئة .

– فأعينهم السوداء ووجوهم البيضاء ، تقطع الآذان والأنوف فى حبهم .

٥١٦٥ – وهو حلو الليونة والحقد فى باطنه ، وقد صار الطين من إنعكاس وجهه مرآة .

– ومن قلبه هذا الذى يشبه الحجر فى جسده ، يبكى قلب القاسى دمًا .

– وحينما تصير عيناك كالسحاب الأزرق ، تجعله شفتاه من الضحك كأنه البرق .

يقول فى صفة الحسان

– إن الجميل معوج فأى اعوجاج تقوم به أنت ، ويا من أنت أقل من الهباء أى هباء تقوم به .

– يا من لوزتاك (عيناك) مثل الجوز (مفتوحة) ، لقد بقيت رهينة فى يد الأطفال فى الحفرة

٥١٧٠ – فلماذا تجعل العمر هباء كالباحثين عن الوفاء فى وعود الحسان ؟!! .

– فحسان الزمان من كبار وصغار ، لهم عيون كعينى يوسف وقلوب الذئاب .

– وصورتهم مليئة بالآفة كالصينى ، يعطون الورد بالعين والشوك بالقلب .

– وأيضا فهؤلاء الحسان اللائى يحرقن العالم ، حبهم كالنار والقلوب مجامر .

فى مذمة الشهوة

– إذا مزقت الشهوة روحك إلى قطع ، فإن أمر الحسان يطول عليك .

٥١٧٥ – فإذا كانوا يشعلون العالم من وجوههم ، يمزقون القلب شرها ويخيطون الروح .

– وكلهم فى قيد رغباتهم ، والعاشقون كلهم أمامهم كعابدى الأصنام .

– ومن أجل ألم الأرواح تخمش عيونهم الأرواح .

– فهم يريقون ماء دولة « جمشيد » ، من هاتين الضفيرتين والحاجين المثنين .

– والضفيرتان شاهدتان على الوجنتين ، أنهن لسن ببشر بل أفاعى مجنحة .

٥١٨٠ – كلهن شياطين وكذلك يظنون أنهم يشرفون على الحور .

– فهن حيات مع بضعة من الطرر الندية ، السم فى الناب وليست الخرزة على الرأس .

– لقد جعلن شعورهن ملتوية كشعور الغيلان من أجل الإحتيال وفتنه الأحساء .

– ومئات الألوف من المفاتيح ذات السلاسل كلها ممتلئة بالغضون والوجه كالبدر المنير .

- فالشعر المفتول يكون قاطعا كالروح ، الضفيرة الغولية تكون غولا للقلب .
٥١٨٥ - ومن هؤلاء الحسان كل الآن من أجل العتاب ظهره محنى من الحزن .

يقول فى صفات حسنى الوجه والحسان

- هذه الحسناء التى تنظر أنت إلى ناحيتها ، تسلب هى القلب وتكسب أنت الألم .
- فإذا جعلت الوجه بدون نقاب ، تجعل الطريق مليئا بالشمس والقمر .
- وإذا جعلت الضفيرتين منسابتين ، تفصح ثلاث من ليالى القدر عن سرها .
- وحين تجدل الحواض شعورها ، يلقى أهل الصين بنقوشهم فى الماء .
٥١٩٠ - وحين يشق النطق درج درها ، ينسج حياؤها نقابا من الورود .
- وثنيات شعرها من داخل الدار ، تكون مسكا لليد وجلالً للقدم .
- وإذا إستطاعت أن تكون فى الحجب ، فإنها لا تخفى على أى عاشق قط .
- ورائحتها تجعل العقل ثملا ، ويرد وجهها يد الموت .
- وتلقى حلقات شعرها با لمعميات ، وصورتها السوداء باحثة عن السويداء .
٥١٩٥ - ومن شفتيها للروح العمياء كوثر خالد وتلبس عين الأعور الديباج من خطها .
- وقد صار الشيطان من وجهها كا لملك وصار النهار ليلا من شعرها الأسود .
- وجهها وشعرها أفضل من الليل والنهار مزيدان للسرور منيران للمجلس .
- ويحيا الموت من رائحتها ، ويستشهد القمر بحسنها .
- وعين البصيرة نا ظرة للروح من سيرها ، ويد المعنى جامعة للورد من طرفها .
٥٢٠٠ - وهى حينا ظاهرة وحينا مختفية ، مثل النقطة فى عين الأعمى .
- وخطها وخالها مثل خط الكتاب واعرابه ، تحت كل منها دُنيا ، دنيا من المعنى .
- وإذا تبدت بوجهها وجدائلها ، صار ليل الحبيب ليلين ونهاره نهارين .
- ومن مشاهدة غصنى الورد هذين ، ينفرط عقد الرجل كحبات الرمان .
- وتصير العين أذنًا حين تعزف على الصنج ، وتصير الأذن عينا حين تتصدى بألوانها .
٥٢٠٥ - ومن الخط المسكى الذى يبيع الياقوت صار إلسان العين مكسوا بالديباج .
- والنهار حائر دائما من ليلها ، وقليلا ما ضلت القبلة الطريق إلى فمها .
- وقد أسرع وهم العاشق نحو شفتيها ، فهى لا تفتح فمها إلا للضحك .
- وقبلة العاشق التى تملأ نفسه ، لا تجد فمها مفتوحا إلا لضحكة .
- وليس من الأكمام تتفتح العينان ، وليس من الابتسامة تنفرج الشفة .
٥٢١٠ - وحينما يتلوى رباط شعرها كان رباطا لقنديل الشمس .
- ويبدر المسك كومة فوق كومة ، وجامعو سنابله سعداء منه .
- وصورة القهر واللطف خالها وشفتها ، وعالم القبض والبسط يومها وليلها .
- وياقوتها فاتح للقلب معلق للروح ، وقوامها ناثرٌ للياقوت ناثرٌ للمرجان .
- وفعل وجهها يزرى بالربيع ، وحبة رمان شفتيها كاسرة للخمار .
٥٢١٥ - وحينما يشتعل شمع الوجه من الحياء ، يعلم الغزلان الدلال .

- وشعرها مخيم للعقل والروح ، وعينها منتزه للعين .
- وحينما يشعل شعرها الحرب ، يكون قبيحا أن تقوم النافجة بالإدعاء .
- ودم العاشق الذى تسفكه جدائلها على الأرض ينبعث منه أريج المسك .
- وشعرها من التموج على الوجه المحبب ، مثل النقطة تمامًا فى بسم الله .
٥٢٢٠ - فمن الذى يرفع بصره عن هذه العيون ، لايفعل ذلك إلا شخص عنده آفة فى البصر .
- والعين التى ليس لها نور من رؤياها ، تكون الفائدة منها بعيدة عن وجه المحبوب .
- وقدها فى عين الحبيب مثل السرو الممشوق على ضفتى جدول .
- وتستطيع أن ترى من اللطف الذى لها العظام فى جسدها كالدم من الجلد .
- والجوهر بجوار شفتيها رخيص ، والأرداف مرتعشة على خاصرتها ،
٥٢٢٥ - وروح الروح نور على قمرها ، ونور العقل يا قوتها الملىء بالسكر .
- ولو ينسج عليها عنكبوت صغير (خيوطه) ، يقام عليه حد الزنا فى الحال .

حكاية

- رأى (أحدهم) ذات وقت شخصا مشردا حيا تحت رداء ممزق .
- قال له : هذا الرداء خلق جدا ، قال : هكذا يكون لمثلى .
- ما دمت لا أبحث عن الحرام ولا أفرط فى الدين ، فلابد ألا يكون الرداء أفضل من هذا .
٥٢٣٠ - فهو طاهر وحلال وزرى الهيئة ، وليس قذرا وحراما ووجيه الهيئة .
- وما دام حلالا ويصلح للصلاة ، فهو لى مجن الجلال .
- وليس ألم العلة مثل ألم الدين ، وليس رجل الشهوة مثل رجل الدين .
- فالفضل فى هذه الدنيا الفانية أن شرهما ينقص فى حساب الجمل خمسة .
- وحين يكون عشقها أسَّ الخطأ ، فمتى تكون عطاءً لك من الحق .
٥٢٣٥ - وما أسعد ذلك الشخص الذى يرفع اليد عنها ، ولا يصير مثلنا عبدا للغرور .

فى مذمة الدنيا ووصف تركها

- متى تكون حلوة إلا فى عين الأبله ، تلك التى تسلب روحه ودينه .
- فشرابها يعطيه الشر وطعامها الذلة ، وفضتها تعطيه السم وذهبها النواح .
- فحتام من هذيانك ووقاحتك ، (تقول لها) أنت عظيمة وعظيم فتات حديثك .
- وللخلق الذين هم تحت حركة الزمان ، عين تصيبها الحرارة وعين تصيبها البرودة .
٥٢٤٠ - وحين صار المرء خارجا عن قيد الكون والفساد ، فإنه يجد إذن من الاعتدال المراد .
- وابحث عن آخرتك ذلك أنها جدول أمل ، وآخرتك جدول مستقيم مملوء بالعسل .
- فلو أن الدنيا الحلوة دار قرار لك ، لا تكون حلوة تلك التى تأكل البشر .
- فهى حلوة لو أن النفس شرهة شهوانية ، وإلا فموضع الزلل فاسد .
- ويا من أودعت إياها قلبك وفهمك ، لماذا تجذب نحو نفسك قاتل والدك .
٥٢٤٥ - وقد قتلت الدنيا الظالمة والدك ، وأصابه الأذى من تلك المليئة بالأذى .

- وقتلت ابنك وأمك ووالدك ، وركنت إليها مسرورا فأين نخوتك ؟
- فلا تجذب التنانين إلى نفسك ، فهى تسحب روحك إلى النار .
- فمن الذى يستطيع أن يقرأ سورة التين ، ثم ينام طيب النفس بجوار التنين .
- وتلك الروح التى لا يكون فيها حرقة الدين ، لا يكون سعيها يقينا .
٥٢٥٠ - وما دام المهر موجودًا فى دار أبى مرة (إبليس) فحتى مائة سنة يكون مهرًا .
- وأب هذا الأبن العظيم وأمه يخاطبانه قائلين (يا حبيب أبيك) .
- وحتى إذا كان الأجرد قريبا من المقبرة ، فإن الجدث لا يعتبره إلا شابا حديث البلوغ .
- وليست الدنيا جميلة بوجهها القبيح وعينها ، وهى كأنف الزنجى لكنها :
- تجعل نفسها كالحور سحرا ، رشيقة لطيفة ندية وطرية جميلة .
٥٢٥٥ - ولكنها فى الباطن عند العقلاء الخالدين ، ذات وجه أسود وشعر أبيض .
- فكيف تكون ساعيا فى دنيا الذين ليسوا برجال ، فكن ثابت القدم دائر الرأس.
- وقد أثر عشقها عليك فهى التى تجعل الأسود الفاحم ناصع البياض .
- فالكأس ذهبية واليد (التى تقدمها) ممتلئة بالزينة ، وفى هذه الكأس السم المهلك للأرواح .
- فلا تغتر بجمال الدنيا ، ذلك إنها قريبة من العاقل والجاهل
٥٢٦٠ - والغنى والفقير فى غرورها ، مثل خيال الذى يفكر فى الكنز تماما .
- وهى أكثر وضاعة من فأر فى جحرة ، وأنت كالقط تمشط لها شعرك منتظرا ؟ ! .
- وأخذت ترقص فى هذه الحان كالأبله والثمل على قدميك .
- وفيها الأربعة الوضيعة والسبعة العالية أخوات وأقارب لك .
- واذن فما دمت بشرا فاقرأ على الجسد والقلب والروح آية (حرمت عليكم) .
٥٢٦٥ - وما دامت الدينا أما لك وأنت لها ابن ، فكيف تعقد عليها أن لم تكن مجوسيا ؟ .
- ومثل المجوس قد دعوت الدنيا العينين والقلب والروح .

فى طلب الدنيا

- كل من يطلب الدنيا من الهه ، لتكن له ، لكن العقبى ليست له .
- وكلاهما لا يكونان معا فاترك واحدة ، ولكن لا ترفع لايد عن تلك الدار النفيسة .
- فهذه الدنيا الغادرة بلا قدر ، وهى كالجثة بالنسبة للكلاب .
٥٢٧٠ - وذلك الذى طلب العقبى من الخالق ، لو أعطاه أياها فهذا جائز .
- ذلك أن الأضحية لمن حسنت أعمالهم ، وجملة العقبى لآكلى الحلال .
- فذلك الذى أدعى صداقتنا ، فأننى أدمر فيه القلب والروح .
- لو إنه نظر إلى الأغيار ، لأرفعنه على المشنقة حيا .
- اتعلم من أجل أى شىء الألم والعناء ؟ ، من أن الله (أغير منا) .
٥٢٧٥ - ويملك الرجل (الحق) جسده وفق هواه من الدين ، ويحرم الرجل (الحق) كل ما هو غير الحق .

فى مذمة الأشخاص الذين يغترون باللقمة والكسوة

- الكسوة من أجل عورة العامة ، أما الخاصة فالعرى كسوتهم .
- والكسوة ملائمة للنساء ، اما حيدر والرجل الحق فالدرع (مناسب) فوق صدره .
- والرداء مقبول على النساء ، أما كسوة الديباج فهى آفة البصر .
- وابحث عن الرجل فى الملابس الخَلِقة ، وابحث عن الكنز فى الأماكن الخربة .

٥٢٨٠ - وللنساء تكون الملابس طبقة فوق طبقة ، أما الرجال فاليوم الجديد للرزق الجديد .
- وحينما لا تكون هناك ملامة ولا اتعاظ ، يكفى رداء العريان للحفاظ .
- والعرى يكون كساء للنساء ، خاصة فمن كانت منهن وقحة معجبة بنفسها .
- وليس لامرأة بزيها منزل الفهم ، وخير من العرى ستر العورة .
- والنساء جاهلات صغراهن وكبراهن ، وأفضل للمرأة كل ماسترت أكثر .

٥٢٨٥ - فجاهد فى أن تكون باقيا فى بقاء المعنى ، وأذهب فرد القطن على بائع القطن .
- فأى شىء يفعله العقل بالرداء الجميل ، وأى شىء تعلمه صورة الديباج من الديباج ؟ .
- فلماذا تقتل الجسد من أجل الهوس ، وتكفى حرارة العشق رداء للجسد .
- فأنت تعتبر الدين أدنى من قلنسوة « الرئاسة » ، وأنت مذنب من ذلك الهوى .
- وأنت لا تخرج من هوى الجسد بالقلنسوة ، وتظهر الرأس إذا ألقيت بالقلنسوة .

٥٢٩٠ - وما دامت الرأس قد ظهرت فى الليل المظلم ، فاخط بقدمك واجعل العمارة من الرأس .
- وأذهب ذات ليلة فى وقت الساهرين ، واختبىء حذرا وخفية من آخذى الحمير .
- واظهر رأسك من القلنسوة ، وهذه هى التوبة من الذنب الماضى .
- فما الذى جرى لو لم يكن فوق رأسك تاج ، فالعقل فى الرأس وليس فوق الرأس .
- وتلك الصورة التى تكون فى أهل المحراب ، يجدونها فى جريدة المجردين .

٥٢٩٥ - فأولئك الذين لديهم صورة الرأس والقلنسوة ، فإن لهم المرأة والجاه والقوة والذهب .
- والمتأهل قد قيد قدميه بنفسه ، وكسر رأسه بيديه .
- وإذا صار حيا أو ميتا هذا السىء الحظ ، فأثاثه وحاجياته تبقى تحت الشجرة .
- وهكذا ينبغى أن يكون ممزق الجلباب مقبولا فى عقل العامة .

٥٣٠٠ - فذلك الذى يسقط بعيدا عن عقل العامة ، يعطى عمره للماء وترابه للريح .

يقول فى طلب الدنيا وغرورها

- ليست زينة الله الخيول والسروج ، إن زينة الله جمال الدين .
- وأنت قَدْمِتَّ لأنك قد صرت أسير الهوس ، والنسر يبعد بصره عن الموتى .
- فلا تنظر إلى الدنيا من أجل سرها ، فلم تتصرف كالنمامين .
- فأنت فى دنيا المتوائمين مع السوء ، كالسر فى يد النمامين .

٥٣٠٥ - وليس حب الزمان بلا حقد ، إنه كما يوجد الثوم فى ثمار اللوز .
- فمتى كان جديرا بدُنيا الروح ، كل من كانت وجهة قلبه المنجم .
- ويبعث مقلوبا فى دار المعاد ، كل من يولى وجهه من العقل إلى الجماد .

– وكل من هو الآن فى هذا الحى الملىء بالمدر ، يلوى وجهه عن النبى والكتاب .

– حين تقوم قيامة الحى الذى هو منه ، يكون وجهة قفاه وقفاه وجهه .

٥٣١٠– فيا سنائى من أجل الدين والصلاح ، ومن أجل البحث عن النجاة والفلاح .

– فما دام لا يوجد هنا حر مثل البحر ، املأ الفم بالسم والقلب بالدر .

– ذلك إنه فى الروح بواسطة الأسباب ، نبتت القذارة من التراب والرطوبة من الماء .

– إذا صار الآدمى غلاما اجيرا ، صار الهاذون كتابا .

– ولو أن الروح كانت طاهرة ، لكان الذهب أكثر حفظا من التراب .

٥٣١٥– وإن لم تكن الأركان أطهر من التراب ، لكان الذهب أكثر حفظا من التراب .

– والعاطون بخلاء والقلب فى عذاب ، والمرضعة مريضة والطفل يريد الرضاعة .

– وكل من هو بخيل فى الحياة ، يكون ذليلا كالكلب حين يموت .

– ولا يمكن الذهاب أكثر من ذلك بالنسبة للسيد والأجير ، فى جوال الغرور .

– فلا تغتر أنه اسمر البشره ، فهذه السوداء سوف تصيبه بالشيب .

فى مذمة محب المال

٥٣٢٠– حين يدعوك السافل اذهب إلى ضيافته ، ثم أكسر بعد ذلك خبزه وأسنانه .

– والطبُع اللئيم على باب الدنيا ليس من أجل الأمن بل من أجل الخوف .

– وإذا كانت السلسلة لا تقبل حلقة أخرى فأضرب بها السافل فهو يموت بنفسه .

– وقد حملا طاعتك وقلبك ودينك ، خمرك المرة وعمرك الحلو .

– والمحلة مليئة باللصوص والمنزل بالرياش ، فكيف يحلو للحارس الخشخاش .

٥٣٢٥– ومذلتك من طمع الخلق والدلق ، ووجودُك زورق لبحر الحيلة .

يقول فى مذمة الشراب

– حتامَ يحتسى رجل الدين الشراب ، وحتام يضل السراب البط الصينى .

– وأية فائدة تكون من الشراب ؟ وأوله شر وآخره ماء [1].

– لقد رهنت نفسك بتراب المحلة ، فقيمة عمره كريحه حبتا شعير .

– فلا تجعل القلب مسرورا بذلك الماء ، فهو يذهب من هذا الماء (إلى النار) .

٥٣٣٠– مثل فرعون المشئوم المتكبر ، الذى ذهب من طريق الماء إلى النار .

– وتلك النار التى تكون ملونة لك ، هى مستندة على الماء مثل فرعون .

– ولو أنك على سطح القلزم كمنظف الأحواض فى المنازل ، فالسفينة هى الأخرى تسير على سطح البحر .

– وهناك مثل عند العاقل أن عليه أن يهرب من شاربى الخمر .

– أنه مثل المشعوذ الذى لا بضاعة له ، حين يقوم بألاعيبه على رأس السوق .

٥٣٣٥– فليس فى القلب سرور من سرها ، وكل ما أعطته ليس إلا غرور ! .

– فحينما يعربد المرء فهو مؤذ للولى ، وإذ سخا فهو كاذب .

(١) يلعب سنائى هنا بالألفاظ فكلمة شراب أولها شر وآخرها ماء لأن كلمة ماء تعنى بالفارسية (آب) .

- والثمل الذى يلقى بكلمتين طيبتين ، يكون مثل نور الصبح الكاذب .
- والثمل مثل الصبح الكاذب بالفعل ، ويكون ليله ونهاره مثل الجاذب بالفعل .

حكاية ومثل

- قال داهية لبهلول : سوف أهبك بردة .
٥٣٤٠- قال : أريد مائتى عصا فوقها ، قال : لماذا ترغب فى العصا ؟ قل .
- قال : لأنه فى دار الغرور ، ليست الراحة بعيدة عن تعب القلب .
- ذلك إنه فى الدار الفانية ، لم يجد أحد راحة بلا تعب .
- وفى منزل الخداع والغرور هذا ، لا أرى الراحة بعيدة عن تعب القلب .
- وجبة الرجل زهده وسننه ، ذلك أن تصحيف كلمة الجبة حتى كلمة جنة .
٥٣٤٥- فماذا افعل بجبة من البرد ، وواهب الجبة يبحث بها عن الاسم .
- ذلك إنها فى منزل التعب والراحة ، قد وهبها من أجل اسمه هو لامن أجل إنتفاعى بها .
- وكل ما أودعه الفلك للخلق ، سلب اسماءه كلها منى .
- وسر هذه الصومعة النفس النمامة ، والعقل الكلى خزانة دار السر .
- فلم تأخذ القوت من يد ذلك الشخص الذى يدرس علم : مات يموت .

حكاية

٥٣٥٠- باح رجل بسر من بلهه لأحد النمامين الخبثاء .
- فأفشى الرجل النمام سر ذلك الرجل بأجمعه أمام كل سَافل .
- فغضب الأبله من ذلك النمام ، وقال الرجل : أيها الشرير فاعل السوء .
- لقد أفشيت سرى أيها الجاهل ، وكأنه مثل صوت المطرقة على السندان .
- وقد قصد قلبى الإنتقام منك ، ولأقم اذن مناحة فى دارك .
٥٣٥٥- فأنا أعرف نائحة بستين درهم ، واعرف أخرى بسبعين درهم .
- ولا أترك هذا التعب ضائعا ولأعطيك حق سعيك كما تستحق .
- وقد آذيتنى بلا سبب ، وفعلت ما لم يكن ليفعل .
- فلأ صر مشغولا بعقابك لذلك ، حتى تخرج من رأسك الفضول .
- وهجم عليه فجأة وطعنه ، فساء أمر الرجل النمام .
٥٣٦٠- وقتل الرجل النمام فجأة وساءت عاقبة الأبلة من الغضب .
- إذ قبض الملك عليه سريعا ، وقتله قصاصا ولك أن تعجب من هذا .
- وبلا سبب قتل رجلان هباء ، ذلك أن جاهلا فعل ما لا يجب أن يفعل .

التمثل فى أكل الربا ، أكل الربا كمن يأكل نار اللظى

- قال محتالٌ مرابٍ فاسق ذاتَ يوم لجعفر الصادق .
- ماهو المقصود من تحريم الربا ، اجاب : لأنه يمنع الجود.

٥٣٦٥- ذلك أن متعاطى الربا أسوأ من شارب الخمر ، فالمروءة تجعل شارب الخمر يعطى بسخاء .
- وبالرغم من أن مزوده ملىء بالعلف ، فهو مع الله والرسول فى حرب .
- ولو أن قلبك قد صار قرينا للعقل ، فاسمع من الحق إذ يقول (بحق الله) .
- ذلك إن الربا حين يتجمع قليلا قليلا ، فاقرأ من الكتاب إنه يذهبَ جملة .
- وكذلك جعلك حرص الدنيا ، أن قلبك مؤذ ليدك محق الله .
٥٣٧٠- وكذلك تجعلك الفضة مشغولا ، بحيث لا تخاف من الله والرسول .
- فإذا قرأت مائة آية من التحريم ، لا يأتينك الخوف إذ أنك تحب الفضة .
- وأنت لا تقرأ (يوم يحمى) من القرآن ، فويلاه من روح الأبله الجاهل .

حكاية

- قلت لمتسول : أيها الجاهل لا تعط الدين للأدنياء من أجل كسرتى خبز .
- فأجاب ببله من (صف المسؤلين) إنها من أجل الخرقة والجماع والطعام .
٥٣٧٥- فاذا اردت الصدق فأنا سعيد بهذه الحاجة ، وأن افعل هذا خيرٌ من أن احمل اثقال الخلق .
- فقد دفعنى الطمع إلى الكدية ، حتى لا تكون بأحد حاجة إلى .
- فويلاه ما دام البلهاء يضحكون كثيرًا فى الدنيا المليئة بالضوضاء من ذلك الأبله .
- وما أكثر الحمقى فى هذا الخان ، اربابهم موجودون داخل القصور .
- وحينما يشغل الحرص قلب الأبله ، يبحث كثيرا ذلك الذى يجد قليلا .
٥٣٨٠- وإذا كانت الدنيا لمحبها غما وحزنا ، فهى تعشق أعداءها .
- فلو إنك ذو مال وجاه ومكنة ، فإن الحارث والوارثَ فى أثرها .
- وأعلم أن مالك هم الذى ينفق طبقا لنفعك وذلك بقى منك لمن بقى عنك .
- ويبقى إلى الأبد ما تبذله ، أما ما تدخره فلا تسمه مالا .
- ولا يشبه ما ادخرته ما أعطيته ، فأذهب وأبذل فليس المال بأفضل من روحك .
٥٣٨٥- وكل ما يبقى منك من خير وشر ، أعلم إنه هبة الموت وليس هبة نفسك .
- وظاهر الدنيا مثل العروس ، لكنها فى الباطن مثل العجوز التى لا معنى لها .
- والدين والدنيا كلاهما ضد الآخر ، وحينما يكون الدين لا يشترى بالدرهم .
- واعلم أن أمور الدنيا برمتها شعوذة ، فحرر نفسك إذن من مكرها .
- وهى عدوتك فكيف تصاحبها ، وتقوم لها با لآجل والعاجل .
٥٣٩٠- وأعلم أن أمر الدنيا برمتها لهو ، وأعلم أن تركها عز ورفعة .
- وحب الدنيا يعطيك النار وهى لم تعطك خمرا وتعطيك الخمار .
- وكل من لديه هم كثير ، فإن رفيقيه الكفر والفقر .
- وفى ظاهر المرء يحتال المرء بقوته ، ويضع الشبكة فى بيت العنكبوت .
- والصوفية يقيمون فى نفس واحد عيدين ، والعناكب تقدد الذباب .
٥٣٩٥- ونحن الذين نأكل القوت من يد الروح ، حتى نأكل ذلك الذى يسحقه العنكبوت .
- والحرص ماء أجاج وأنت على سفر ، يزداد العطش منه كلما شربت أكثر .

- ولا يروى الماء الملح الظمأ ، فلا تشرب منه إذ يصيبك بالاسهال .
- ونعمة الدينا ماء مالح ، حينما يكون الماء الملح يكون الاستسقاء .
- فتوجه ناحية الدين وكفاك عن الدينار ، فمن الدينار تكون النار غدا .

٥٤٠٠ - وكل من يخزن يكون مثل النمل ، ليس مثلها تماما بلى وأكثر منها عارا .
- فالنملة تكون دائما فى كدح وكد ، باحثه من الدنيا عن الخوف والتعب والألم .
- وتكون النملة دائما فى سعى وكدح ، أما الرجل فيكون محلقًا مثل البازى .
- فأخرج نملء الحرص فى داخل الصدر ، فسرعان ما تتحول هذه النملة إلى حية .
- ومئات الألوف من الأغنياء الذين يملكون الحرص على أبوابهم فقراء .

٥٤٠٥ - والقناعة تضع مئات الآلاف من المتسولين فى ضيافة الله .
- وكل من هو قانع فى ضيافة الله ، وكل من هو طامع إعلم أنه متسول .
- وصورة الحرص تكون من السرور ، ولكن سيرته كلها تكون من الغرور .
- وظاهر الحرص شديد السحر ، ولكنه فى الباطن اعلم إنه باعث على الخداع .
- والرجل الفقير الذى هو قليل فى نظر نفسه ، يبعث غنيا عند الله .

٥٤١٠ - وفى هذا المهذر الذى لا تمييز فيه ، يكون الفقير عزيزا عند الله .
- وفى السعى لا تكون الاستقامة لأن من الغنى يقوم الكبر والحقد والشر .
- ولا يزن الحق بالغنى ذلك الذى يتولد من غناه الكبرياء والحمق
- فمتى يتواءم الغنى مع الفقير ، فهو يميل إلى الدنيا وهذا يميل إلى الدين .
- فمن أجل ميل القلب لا تنظر بعينيك إلى مال الأنذال .

٥٤١٥ - وكل من ينظر إلى مال الناس بعينيه ، فإنه يجعل الهه فى غضب مع هواه .
- وقد أرسل الحق رسالة إلى الرسول ، إنت لا تنظر إلى الدنيا وأهلها .
- وصف بصرك عن صور الأعداء ، وزين بصرك من وجوه الأحباء .
- فما دام هناك وجه أبى ذر وسلمان ، فلماذا تتوجه إلى نقش هذا وطلعة ذاك ؟
- و إذا جذبتك الدنيا إلى نفسها ، فمتى ينظر الرسول نحوك .

٥٤٠٥ - وحينما لا ينظر الرسول إليك بعينه النبوية فعلى أى شىء تكون ؟.

يقول فى نقص الدنيا

- بالرغم من أن الدنيا تحلب لبك من الحرص ، لا ترفع يدك عليها فهى أمك .
- و إن لم تكن مجوسيا فكيف - بكلامك الحو - تجعل أمك زوجة لك .
- فخذها كثمرة اليقطين من أجل الفأل ، إحملها حينا وألق بها عاليا حينا آخر .
- وبالرغم من أن العقرب يؤذى بلدغه ، فمن لدغه هذا ترياق ينفعك .

٥٤٢٥ - وبالرغم من أن الحية بطبعها مؤذية ، فإنها حارسة شجرة الصندل .
- وحينما يضيق صدرك من نباح الكلاب ، خذ حجرا وألقه للكلاب .
- ولا تعط خبزا بلا إبر لذلك الكلب الذى يعقر القدم حذار .
- و إذا قمت بإيذاء نملة صغيرة ، فأنت معتادٌ على الظلم وسفاح .

- ومن أجل النجاة من دار الأخساء ، احتل ولكن لاتسىء إلى أحد .

٥٤٣٠- ولا تجعل قيامك ومقودك مع الاخساء ، ولا تجز أيضًا الانقطاع تماما عنهم .

- وإذا سقطت فجأة بين الاخساء ، فالتعود عليهم أفضل ورضا القلب .

- وكن على الناحية اليمنى كالجنة ، وأعلم أن جهنم والكنيسة على الناحية اليسرى .

- فسر على الناحية اليمنى مثل أولئك ، ولتكن شبيها بيد « دستان »[1] وقوته .

- فسر مستقيما على الناحية اليمنى ، تنج والا فأنت معوج إذ قطعت العهد .

٥٤٣٥- وأنا لم أر سلامة من الاخساء ، فإن رأيت أنت فبلغهم عنى السلام .

- وما دام قد صار لك كثير من شهد الوحدة ، فاعط ذلك العسل الوخز بشدة .

يقول فى ترك الدنيا ورياضة النفس

- أيها الرفعاء المشرفون بالعقل والروح ، لا تجعلوا لهذه الرفعة تصحيفا .

- فالرأى الثابت فى كفاية الرفيع ، فلماذا تجعلون هذه « الرفعة » دنسا ؟ .

- وأنتم لم تروا أنفسكم جميعا ، (ولم تروا) إنكم بشر أحداث .

٥٤٤٠- وللجميع من ولاية الخالق ، الاستقامة قالب والمعنى الروح .

- وليس من هذه الأرض .. إلا لأبناء آدم - سلم إلى سقف العالم .

- (ولهم أيضا) مادة الكفر وقاعدة الدين ، وسلم درجات العقل هو هذا .

- وهذا أيضا من فعلك أنك وأنت فى الحمى ، قد (تركت) الماء وذهبت إلى السراب .

- وقد صار ماؤه سرابا فماذا تفعل ؟ وصار عقلك ودينك خرابا فماذا تفعل ؟ .

٥٤٤٥- وما دمت مالكا لأشجار فاكهة ، لا تقطف فاكهة هذا وذاك دائما .

- فإذا كنت تريد النور ليدك مثل موسى ، أخرج يدك إذن من جيبك .

- وأنت لم تذهب فى طريق مدين أمام شعيب ، وأكثرت من الطواف حول حجب الغيب .

- ولم تكن برهة راعيًا للقطيع ، فكيف رفعت العصا فى وجوه الجميع .

- فأودع القلب لذلك الذى يكون من المنزل ، يكون بعرك أفضل من مسك الغريب .

٥٤٥٠- وقد صارت لك كل النعمة حاصلة ، وأنت غافل عن الأسباب والدار والمال .

- ومائدتك ممتلئة من كل ما هو نعمة ، لكن المائدة تنتهى على يد الفأر .

- ولا يمكن أن يكون هناك أبله مثلك بخيل ، إذا أنك تلعق شفتيك على شاطىء النيل .

- والزهد الأصيل يوصلك فى الوصل ، والزهد المشترى لا أصل له .

- وكل ما هو من سعى الطبع والفلك ، ليس ملكا لك ولكنه ملك الملك .

٥٤٥٥- وقد رأى الفلك فرشه نورا ، فجعل أعماله مثيلا لهذا النور .

- فلا تطلب حطب العبث من كل شخص ، فنار القلب كثيرة مع كل خسيس .

- ويملك الدرويش الحطب الجاف للإنضاج من نار قلبه .

- وقد غسلت الكواكب نار روحك بسبعين نهرا بيد الصواب .

- والحركة بالجبر للخليقة فى العالم ، والحركة بالاختيار للإنسان .

(١) داستان : أحد أبطال إيران القديمة وهو والد البطل الشهير رستم .

فى بيان نسب الآدمى
من عرف نفسه فقد عرف ربه

٥٤٦٠ - أنت بالقوة خليفة للجوهر ، فايت بقوتك إلى الفعل .
- وللإنسان اختيار بين العقل والهوى وهذا شرح (كرمنا) .
- فلا تذل الإنسان إذ أن الغيب وضع فيه « جوهرا » وسط سلك من العيوب.
- ولماذا اختارك أنت للاختيار بين العبيد الذين وراء الحجب .
- وما دمت فى طريق الغضب والزيف ، فإما أن تكون وحشا أن تكون بهيمة .

يقول فى الحرص والشهوة والغضب

٥٤٦٥ - الدواب والشياطين والوحوش ثلاثة أنواع ، ولكن لها رأسا واحدة ورقبة واحدة وقدمين ويدين .
- والكلب والحصان معك فى المسكن ، ذاك عقور وهذا الآخر عاص .
- فروض ذاك وعلم هذا ثم أدخل إذن وتحدث حديث الآدمية .
- وقد قضيت العمر فى المكر والنميمه والزور ، وأنت (المسمى) إنسانا والوحوش والدواب سواء بسواء .
- وقد قيدت قدمك ثلاثة شياطين مع كل الحسرة والندم والشكوى .

٥٤٧٠ - مع ثلاثة شياطين فلو أن فيك من آدم نفسا فأفعل ما فعله إبليس مع آدم .
- وذلك الذى بلا لون صورك ، وضع فيك الحرص والشهوة والقتال .
- وداعى الخير والشر كلاهما فى داخلك وكلاهما فى الخير والشر ضيفان أمامك .
- وعن طريق الخلق الحسن والسيرة السيئة ، أنت النيران السبعة والجنان الثمانية .
- وأنت المقصود من خلق الكون أيها الغافل عن المعونة والعون .

٥٤٧٥ - ومن أجل الدين يوجد فى داخلك أكثر من مائة ألف سماء وأرض .
- وهى لا تعطى لروحك إلا البهاء ، ولا تنادى جسدك إلا للسوء
- حيث يكون العقل ويكون الغضب والشهوة ، سببالجلب الخير أو لدفع الشر .
- والشهوة حصان والغضب كلب فى الجسد ، فاجعل كليهما معتدلا بالحيلة .
- ولا تزد فيها ولا تقلل منها ، بل فاحتفظ بهما فى حد الاعتدال .

٥٤٨٠ - ذلك أن الشخص الذى يملك طبع المرض يعلم أن ما هو طيب فى الكلب طيبه فى الحصان .
- ومن أجل الدفع والنفع والقوة والجاه ، والغضب والرغبة فيك رفيقان .
- وكل من ليس لديه غضب أو رغبة ، لا يكون كذلك خيرا وكيسا .
- ولا يذهب إلا الابله وسيء الطوية إلى سفر بلا سلاح أو قوة .
- وقد صار الإنسان عزيزا بميزة العقل ، ولا يكون لقائم المنضدة تميز .

٥٤٨٥ - وعقلك وروحك هما قيهاك ، وطباعك الأربعة هى مركبك .
- وحينما لا يكون للعظيم أى مركوب ، وإن يكن عظيما - إلا أنه معيوب .
- ولو أنك عاملت مطيتك جيدا ، فإنك تمر من العقبات المهيبة .
- وإن لم تعاملها جيدا تسقط ، وتمشى على قدميك بين حمارين .
- فلا تنم إذن مثل القيم ، ولا تنم حائرا فوق ظهر المطية .

٥٤٩٠- وما دامت لك قرابة مع الشمس والقمر ، فلماذا يتفوق عليك الظل .
- ولو كان القمر باذلا المعونة لك ، فمن الأفضل لك أن تحتفظ بمركبك بعيدا عن القمر .

فى معنى أن العاقلين لا يكونون فرحين

- شرف المعرفة ملجأ لكم ، وذنوبكم قوت المغفرة .
- ليس الإنسان من أجل عدم الحزن ، ولا مخلوق إلا الإنسان قدمه فى الطين .
- فهو مقصود كل الخليقة ، وهو أهل التكليف والعقل والرؤية .
٥٤٩٥- والعرش والفرش والزمان من أجله ، وليست هذه الأرض الفاسدة مكانه .
- وهوغريب عن كتله التراب هذه ذلك أنه صديق مع العقل وفى نفس الدار .
- والآدمى هو الذى يعرف البكاء والضحك ، ذلك أنه يعرف التعب والسرور .
- والسرور غريب عن أهل العقل ، والهم للآدمى فى نفس المنزل .
- ومن الحزن أنك من راحة الجسد تدعو الحزن سرورا .
٥٥٠٠- فالغم يأكلك من الأمن ، ولست مثل ذلك الشخص الذى لا يغتم .
- وحينما أكلك الغم وصار سمينا ، زاد حزنك وقلت رجولتك .
- وأنت قوت الحزن فى هذا العالم ، وحينما تذهب لا يجد الحزن قوتا .

يقول فى متابعة النفس وذم الهوى

- يا من أنت طوال السنين شيطان بهادتك ، وكنت على سبيل الطبع حاضنا للشيطان .
- وقد جعلك الهك سيدا للعقل ، ثم جعلت نفسك غلاما للشيطان .
٥٥٠٥- وذلك الذى كان له العقل الكل مربيا ، أى فعل له مع صورة النفس ومادة الشيطان .
- ولا يختلط العقل مع الوحش والشيطان ، إذ أن العاقل يهرب منهما .
- فهيا خلص المنزل من الخائن ، وأغلق الباب وكن آمنا من اللص .
- ذلك أن الشيطان يهرب من الباب المغلق ، ولا يختلط العاقل بالبهيمة .
- ونفسك الحسية ذات خمسة أبواب ، والروح العقلية ذات ممر واحد .
٥٥١٠- فالمنزل ذو الأبواب الخمسة للمنافق ، والمنزل ذو الباب الواحدة للموافق .
- والحواس الخمسة شراك من أجلك لمدة خمسة أيام ، والعقل والروح غلاماك إلى الأبد .

فى تعب الروح من الجسد وتأذيها

- لا تظهر الفاقه أكثر من هذا للروح ، وأحسن معاملة هذا الضيف النازل ليومين .
- وعيسى روحك جوعان مثل الزاغ ، أما حماره فجعل من السمسم نارا .
- ورحك نحيلة من الكلام الذى لا معنى له ، وجسدك سمين من العمل المدعى .
٥٥١٥- وأنت كالجرس ملىء بالضوضاء ولا معنى ، وأنت كالطبل صوت قوى ولا دعوى .
- وقد وجد الجسد اللون والرائحة والخطر من الروح ، والجسد بلا روح كالبوص بلا ثمر .
- ويكون الناس خالدين من نور الروح ، ويصير الطين ذهبا من حرارة الشمس .

– فاعتبر الجسد بلا روح ترابا ، وإن كان مرتفعا إعتبره كالتل .
– وماذا يكون الجسد إلا قبضة من التراب ، بدون النفس الشريفة والروح الطاهرة .
٥٥٢٠– وتكون للتراب الرتبة من الروح ، وإلا لكان نوح بلا روح ترابا .
– ومائدة الروح وهى ذروة الفلك ، أما ذباب هذه المائدة فهو الملك .
– وروح الجسد وروح الدين إثنان ، هذه حية من (هو) وتلك من الهوى .
– وغذاء روح الجسد من حركة الرياح ، وغذاء روح الدين من المعرفة والعدل .
– وتأكل روح الاطهار الغذاء الطاهر ، أما الحية فهى التى تأكل التراب والريح .
٥٥٢٥– وتهب الرياح والتراب الرواء لجسدك ، أما رواء روحك فيعطيه الدين الطاهر .
– وتتغذى روح الجاهل من جسده ، وحين لا تجد الغذاء لاتذوب (شوقا) .
– وتصير الروح سمينة باقية من الدين ، ما دام العقل والدين موجودين من أجلها كالساقى .
– فأى أمر للحدثان مع القدم ، وتاجه أحقر من القَدَم .
– وقد اكتشف الحدثان نفسه بالأمس ، وصار العقل ثملا مفتونا مع القدم .
٥٥٣٠– وقد نهضت الروح بمزيج من العدل والعلم ، وحيثما وجد هذان فالروح موجودة .
– وكل ما هو يبعث على العبث ، لا تعتبره من القدم واعتبره من الحدثان .

فى معنى ما يقال أن ماهو من التراب يعود إلى التراب

– يجدُ جسدك العدة من الفلك والطبع ، وهذا وذاك يريدان صنيعتهما ثانية .
– أما الحق فقد وهب الروح (ولذا) فهى تبقى خالدة ، فذلك الذى يعطيه الحق لا يسترده ثانية .
– فهو واضع المعرفة فى قلبك ، ومتى كان يسترد عطيبته ؟
٥٥٣٥– فهو لم يجعل ذلك الذى سواه ترابا ، وهو لم يمحُ ذلك الذى رسمه .
– ذلك إنه فعلها لحكمه لا صدفة واقتضاء ، وكل من يصنع بحكمة لا يجعل (صنعه) هباء .

فى صفة النفس البهيمية وأنواع الشهوات

– سبب الغضب والشهوة من اللقمة ، وآفة الذهن والفطنة من اللقمة .
– وقد قال الحكيم أن الرجل العابد لشهوته بطبعه أسوأ من عابد الصنم .
– فعبد البطن واللذة والشهوات ، أسوأ من عبد العزى ومنات .
٥٥٤٠– فهذا من خوفه لا يصنع زادا ، أما ذاك فيصل إلى السوء ثانية من الشهوة .
– فالغضب والشهوة خصال الحيوان ، والعلم والحكمة كمال الإنسان .
– وأنت بجوهرك خليفة الله ، فلا تنزل إلى مستوى الحمارية والكلبية .
– وما دمت ثملا بالغضب والرغبة ، فكيف بالله تكون آدميا .
– وقد جعلهما مختلطين بالقلب والكبد ، غضب أبليس وشهوة آدم .
٥٥٤٥– من هاتين القوتين يشبه المرء الوحوش والبهيمة عند الشهوة والحرب .
– والعفة والحلم آلتا العقل ، والشهوة والغضب آفتا العقل .
– ومن الذى رأى النوم واليقظة (مجتمعين) فى رجل واحد ؟ ذلك إنه لا يمكن جمع الضدين .

- فإما هو نائم واما هو يقظ ، فلا تنتظر وجودهما معًا فى لحظة واحدة .
- فأدخل الرأس فى (نطاق) حكم إلهك ، حتى تصير آدميا مرة واحدة .
٥٥٥٠- ويا من أنت ملوث من شهوة الفرج ، وقد كانت اربعة نساء تحت يدك .
- أجعل الغضب والشهوة تحت قدميك ، واترك اذن الرغبة فى الشهوة .
- ويا من أنت مجنون دائما من شيطانين ، شهوة كشهوة المخنث والغضب الرجولى .
- وهاتان الطبيعتان المريضتان مثل المنشار ذى الحدين ، تجذبك هذه من ناحية وتلك من الأخرى .
- هذه تلطف لكن مع الحيلة ، وتلك تبعث على الكبرياء لكن كإبليس .
٥٥٥٥- ويكون قبيحا لو أن ابن سيد الاحياء صار غلاما للطعام والكساء .
- ويا من صرت ملكا على كل الأحياء ، حتام أنت فى التفكير فى الطعام وهم الكساء .
- فكيف لا يكون عندك وثوق بالإله ، أليست روحك مرزوقة من رزقه .
- وهو الذى يجعل لك هذا الاحتياج عدما ، يجعل الحرص قلبك وروحك هباءً .
- وقد صار الغافل عن الخالق وعن أمره فى اختيار أذاه .
٥٥٦٠- فقد فعل كل ما يُنهى عن فعله ، وقد أكل كل ما نهاه عن أكله .
- ولم يستمع من بارىء الفلك أية (الرجال قوامون) .
- وحين يكون الرجل سيئا ماذا تفعل النساء ؟ وأى شىء يفعلنه بالقطن والغزل والمغزل ؟ .

فى الحشر والنشر

الناس كما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون

- وما دمت لا تمضى آدميا عن هذا المنزل ، فأعلم أنك ستستقر فى قعر سقر .
- فابق حتى يبعث الخلق حتى تعلم كيف يقومون من باطن (التراب) .
٥٥٦٥- فلو أنك هنا (ملكٌ مثل) قباد وبرويز ، تبعث من الطين كلبا ما دمت ظالمًا.
- وإن كنت هنا أميرا من ذهبك وقوتك ، وكنت متكبرا فإنك تقوم من التراب نملة .
- وإن كنت هنا فى عز الملوكية ، تجد يديك قصيرتين من الظلم .
- وإن كنت فقيها ولكنك مثير للفتنة فإنك تقوم شيطانا يوم القيامة .
- وإذا كنت مزاولا للزهد لكنك حمار ، فأنت حطب النار ولكنك حطب ندى .
٥٥٧٠- وإذا كنت قاضيا ظالما ، تصير يوم الحشر مسكينا .
- وإذا كنت عالمًا ولست بعامل ، فأنت ذو لسانين ولست بالكامل .
- وإذا كنت دفنت فى سيرة سيئة ، فاعلم أنك تبعث فى صورة وحش .
- ويكون خيرك وشرك ظاهرين عليك ، فما دخل أى شخص بخيرك وشرك ؟
- ومعنى المنزل يبدو من ظاهره الذى يطل على الحى ، ويبدو المنقوش فى القلوب على الوجوه .
٥٥٧٥- ويجعل المبدع من أجل التجلى القوة باطنة والفعل خارجا .
- ويزيد الخير فى رواء الغوغاء ومن الشر يكون التراب على رؤوس الذباب .
- فأية فائدة تتأتى لى لو أنك طيب ؟ وأية خسارة تحيق بك لو أننى سىء ؟ .
- ويكفيك هذا القدر فإن لك فى هذه الصومعة هوس الفأر وعلم القط .

فى التمثيل

- أغسل الوجه واليد من الطمع فى هؤلاء الكلاب الذين يسعون فى المزبلة يا من أنت أقل من قط .

٥٥٨٠- فالقط غاسلٌ وجهه أيضًا ولص ، فلا جرم أنه من تلك الدنيا بلا نصيب .

- وللفأر شعر كشعر السنجاب ، لكنه لا يَطْهر من « ماء » البحر .

- ولا يصلح للدباغة حتى ولو كان جيدا ، ولا يصير طاهرا مثل الجلد الآخر .

- والناى والصنج اللذان يملكهما القط ، لا يصْلحَان أبَدا لرقص الفأر .

- فهو لص ناقب للدور بلا وهق ، والنملة أيضا لصة ووهق فى نفس الوقت .

٥٥٨٥- وما دام جسدك كقلب الضبع ، فسواء قليله وكثيرة فى المقال .

- وقد صرت مخرفا أمام هذا وذاك فضع الدجاجة على بيضها وارعَ المنزل كالديك .

- ذلك إنه فى مدينة هؤلاء الأشخاص الراضين ، قد ربطوا الحزام من أجل السيادة .

- فلا تقلل من شأن النصيحة فقد أضاع الغمر العمر فى طمع الأعمام .

- وهيا اختر القناعة فالطامع الدون هو فى الدارين مع عذاب الهون .

٥٥٩٠- وقد احترق احتراقا طالع ذاك الذى باع الدين والحرص من وَبَاله .

- وقد رفعت اليد فلا تجد قدم حرصك من أجل النصيحة قيدا من القناعة .

- فلو أنك طيب لا تخاف نفسك ، وإذا كنت شريرا فإن الزاهد لا يعرفك .

ذكر اظهار حال تلك الدار

فى يوم القيامة فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

- ليست هناك فى يوم الدين يد معين ، ولا يكون نسبُ المرء شفيعًا له .

- فهو حين يبعثك يعلق كل ما قدمته فى رقبتك .

٥٥٩٥- تقول لك بوتقتك حين تصفيك ، هل أنت ذهب أم نحاس مطلى بالذهب .

- فلو إنك سىء تصفيك نارك ، وإن كنت صافيا تستريح منك .

- وحين تصل إلى النار الموعودة ، تخبرك هل أنت بوص أم عود .

فى ذكر أنساب البشر من أركان البشر

- بالرغم من أن الإنسان قيم على الزمان ، إلا أن الشيطان الناضج خير من الإنسان الساذج .

- وليس هناك ساذج إلا وهو قلة مركبة ، مثل أسلوب الروم إعوجاج فى إعوجاج .

٥٦٠٠- فما لم يصر الإنسان بشرا ، فهو حينا جنى وحينا وحش وحينا عقرب .

- فما لم يكن الإنسان ناضجا فى هذا الزمان فهو أسوأ من أى حى .

يقول فى الإنسانية والحيوانية

- تركيب النفس الإنسانية ، نفيسة وعقلية وهيولانية .

- وهى نافذة من القلب والروح والقوة ، وحدها إنها حية ناطقة مائتة .

- فاعلم أن الطين والقلب هما عجينة الإنسان ، هذا على ذاك على هذا وقد صارا معا .

٥٦٠٥- وكل شيء إلا البشر لونٌ واحد أما سلام كلها وأما حرب .
- وروح الإنسان عالم من العجائب العظيمة ، وقد وجد من الروح هذا التعظيم .
- فالروح العجيبة هي روح الإنسان والتي هي سجينة في هذا المنزل للشيطان .
- فأحيانا تسرع نحو الحق بالأمر ، وأحيانا تلعب في نقاط كعبتي النرد مع الخلق .
- وهنا ملك تحت يدها دائما ، وهو يريد دوما سبعة أجنحة .
٥٦١٠- فقدم في الجسد وأخرى في الروح ، وقد بقي متحيرا مثل المرجان .
- وجسد الأدمي وقلبه مثل المصطاد ، هو ضعيف وهو أيضا قابض لما هو أضعف منه .
- فهو حينما عاجز ضعيف الجسد من حمى ، وهو حينما مثل السبع ملىء بالشغب .
- فا لآدمي هو ضعيف الجسد وقوي القلب ، والآدمي هو مخلوق الجسد من الطين .
- لكنه يملك بين الطين جوهرا ، وليس من الخلق من هو ضريب له .
٥٦١٥- فلا كان هناك إلا القيامة ميزانا لاعتقادك بالخير والشر .
- فهي ليست من أجل الطامع أو من أجل الخائف ، ولا يكون مثلها حكم عدل .
- ونفخة الصور احتفال للرجال ، وكل من يأكل من هذا الحفل فذلكم هو الرجل .
- ولو إنك تحفظ السر مثل الأرض ، لارتفعت مثل السَماء .
- والعقل بمثابة النفس الطاهر للقلب ، والروح خلقت من أجل الطباع الأربعة .
٥٦٢٠- وحينما ذهبت الروح وبقيت في المنزل الطاهر ، بقي القالب في قعر التراب .
- وكل من هو ممتلىءٌ وثمل من هذه الجرعة ، فعقله مصباحٌ بليل وقلبه نهار .
- وإذا كان هناك حجاب في ليل الوصل ، فإن السر يكون ممزقا للحجب في النهار .
- ويكون النهار قوي القلب واشيا ، ومن الخير أن يأتي السر للضعفاء في الليل .
- فذلك أن مقلوب اليوم (روز) هو الزور ، ويكون طائر عيسى أعمى في النهار .

حكاية في هذا المعنى

٥٦٢٥- قبل ظهور البشر تصادق طائر مع سمكة من الاحتياج .
- كان كل واحد منها ساكنا في مقامه ، ذاك فارغ من الفخ وتلك آمنة من الشص .
- وحينما انتشر الانسان في الأرض ، خلعت السمكة من قلبها حب الطائر .
- قالت : سلامًا وأذهب إلى أعلى ، ذلك أنني سأعود ثانية تحت الماء .
- ذلك أنه قد جاء إلى العالم نسل من الحيلة والشر والشره .
٥٦٣٠- فهم لن يتركونني تحت الماء كما أنهم سينزلونك من الهواء .
- وسيقومون بافناء الجميع برمتهم ، ويحكمون على السباع والوحوش .
- فللانسان بخياله بعد تفكير ، وجرمه أصغر منا وجُرمه أعظم .
- فأحوالهم من أجل الاحتيال علينا ، وعقلهم من أجل اعتقالنا .
- فهو من دناءته يصبح مشاركا للحق بأدنى شيء أي بالحديد والبوص .
٥٦٣٥- وابن آدم مخلوق مدلل ، ومن أجل هذا قهره ولطفه .
- فهو حينما يهلع من صوت ، وأحيانا بحبة يسمى نفسه إلها .

– وهو بشىء تافه بصير صعب المراس والمزاج ، ويعود مخلخل القدم بالحزن ثانية .
– وأحيانا يتجاوز بجسده عطارد ، وحينها يصير حائرا من شوكة .
– وقد خبىء ما هو مكتوب عليه وما سيحيق منذ الازل .
٥٦٤٠– أحيانا يرفع الايوان إلى الفلك الرابع ، وحينا يصير جريحا من نصف دودة .
– وأحيانا يجعل من الفرقد مسندا له ، ويجعل من الحرير والقصب مرقدا .
– وأحيانا يصير دفينا فى الدم والتراب ، فراشه من التراب ووسادته من الشوك .
– السابقة خبئت عنه فى المسير ، والخاتمة مخفية عنه فى القراءة .
– فذلك الذى ذهب سهمه من التقدير ، وذلك الذى ذهب خوفه من التيسير .
٥٦٤٥– وما هى هذه كلها ؟ صنعة التقدير ، وما هو ذلك كله ؟ حاصل التيسير .

فى أن الإنسان ظهر بعد الجهات والأشياء

– من الهوى ومن الطبع فى الإنسان ، أعلم أن دعوة العقل جاءت بعد الجميع .
– فإذا كان الدين قد جاء بعد الجسم والروح ، فلماذا تتعجب من هذا الترتيب ؟
– فمن أجل أن ترتبط الإبنة بالطفل ، هو لعبة أولا ثم ابن .
– وألا يموء القط فى وقت ظهور الورد أولا ثم يغرد البلبل ؟.
٥٦٥٠– ويعلم صاحب القلب العاقل ، أن بين هذا الصوت وذاك فرقا كبيرا .
– ويعلم الناس الأذكياء ، الفرق بين نهيق الحمار ، وبين الأرغنون والموسيقار .

فى بيان ظلم الإنسان وجهله

– لا يصيب الإنسان سوء(من شىء) أكثر مما يصيبه السوء من ظلمه ومن جهله .
– وأى حديث هذا ؟ أن كل ما يصيبه يأتيه من ظلمه ومن جهله .
– والحق ممدوح وعالم وعادل ، أما العبد فهو حينها ظالم وحينا جاهل .
٥٦٥٥– والإنسان المذنب أكثر انكسارا ، وقدم الطاووس قذى فى عين الجناح .
– وذلك الذى يقول : لقد صرت معصوما فإنما يكون شؤما على نفسه .
– وذلك الذى يرى نفسه منكسر القلب ، يرى نفسه خجلا من كل قلبه .
– فهو جدير بالاله الكريم ، وهو آمن من عذاب نار الجحيم .
– فقد قال اله العالم لداود ، إنه أنا الصديق للمنكسرة قلوبهم .
٥٦٦٠– وأرواح الأطهار خزانةُ الفلك ، وأجسام الخيريين هى مقعد الفَلَك .
– وبالرغم من أن جسمك غير مقبول ، فهو جرىء العين لكنه حسن البصر .
– والإنسان بأكمله عيوب ، وكذلك يظن أنه شديد الجمال .
– وهو يملك من العيوب أكثر من مئات الألوف ، وفضله فى أنه مقدم على البهائم .
– فإن كانت له زينة فهى من العقل والأدب ، وألا فإن نسبه مع البهائم أيضا .

فى مذمة الدنيا وإهانتها وتركها ، ومن ترح فرح

٥٦٦٥- الرجل الذى يكون عاشقا لاثنين ، يكون الموت معه داخل المنزل .
- وتكون كالبعوضة ذليلة وقت الحرب ، ويكون الباشق فيلا وقت الطعام .
- فهو مثل النعامة وليس مثل الرجل الحر ، فالطائر لحمل الاثقال والحمل للبيض .
- ولا يخشى الرجل الشجاع القلب المخنث ، ويعرف الحصان « الإنسانَ » الضعيف جيدا .
- فعمل القلب الحرب وعمل الروح الحذر ، وعمل الملك القوة وعمل المرأة السمر .
٥٦٧٠- وكل من هو خصم أمام ملك العقل يسلب القلب من نفسه ولا يسلب الروح منه .
- وإذا تقهقرت الرأس والقدم من الخوف ، فسريعا ما يصير احمر الرأس كالاقحوان .
- ويكون الرجل حقيقة قليل الضرر ، والدخان الكثيف يكون من الخشب الندى .
- ويفكر الرجل الجبان فى الخيانة ، ويبعثر سره أمام الخلق .
- والرجل الذى تكون روحه عزيزة عليه ، يكون له لسان حاد فصيح .
٥٦٧٥- وذلك الذى ثقل قوته عن الجيفة تدفعه ضحكة حادة إلى الحبق .
- فاحفظ صوت المؤخرة فى الدهليز ، ذلك أن للنيام فكا نشطا .
- فأنت تشكر أكل السكر بعد البوص ، وأنت تصبر صبر الآكل بعد القىء .

حكاية ومثل
فى لذة الدنيا مع شدة العقبى

حكاية بذيئة لا تترجم (فى عشرة أبيات) .
- والكلب وإن كان جلدا سمينا ، لا يتجول فى القرية بلا صيد .
- آخرها : والناس غافلون عن أصولهم ، ولا يعطون انفسهم حقهم أبدا .

فى مذمة الجبن والجبان

-هناك مثل أن إقامة الحد فى بيت العذاب خير من الخوف من إقامة الحد .
-وخوف الرجل على روحه أسوأ من الطعان ، (اسوأ) من طعن السيوف السهم والطبر من الآخرين .
٥٦٨٠- وإذا كان الأجل يجعل الرجل حزينا ، فإن الموت شريك للجبان فى طبقه .
- وحينما لم يمل الجبناء إلى حكم الأجل رأوا جهنم ماثلة أمامهم .
- وفى ذلك الصف الذى يكون فيه نفع للقوة ، لا ينبغى أن يكون للرجل قلب هلوع .
- ويحمل الجبان همَّ مالم يأت ، ومن ذلك لا يحدث له إلا الغم .
- ويبتلع الغزال اللقمة مع خوف القلب ، وبسبب ذلك فلا إلية له ولا جنب .
٥٦٨٥- والرجل الذى لا يكون يوم القتال بلا قيمة ، من الأفضل أن يكون حاضنة بجوار الخيمة .
- ولكل شاب صار مبرزا فى الحرب ، أفضل عدة هو الأجل الطويل .
- والرجل الذى لا يصلح لشىء ويحمل الجوشن ، يكون كالسمكة فى اليابسة والغار .
- والسيف مع الرجل قيمة ورفعة ، وقلب صاحب الآراء العشرة (المتردد) ظل الموت .
- وكل من هو فى الحرب جبان وغمر ، فإن مجنه وجوشنه عمر ثان .

٥٦٩٠- ولا يكون المجن مسلما به الا للجبان ، وليس مسموحا للشجاع الا بالسيف .
- والسيف ملائم لرجل الرجال ، والسيف البتار غريب عن الجبان .
- والترس الحديدى للرجل عدة ، ومن لم يأت أجله فترسه قوى .

حكاية فى الشجاعة والغيرة

- كان ظهر حيدر خاليا من الترس ، فسأله خصمه عن ذلك فقال الرجل :
- ما دامت المواجهة موجودة يكون الترس حسنا ، وحين تدار الظهر فالقتل أفضل .
٥٦٩٥- ويكون ماء وليس رجلا من فولاذ ، الذى يلبس الترس أمام كل ريح .
- ورجل الرجال يكون مثل الجبل ، تخشى الرياح صولته .
- وما دامت حرارة القلب لا تشتعل من الحقد ، فمتى يتعلم الجسد الشجاعة من القلب ؟ .

حكاية فى هذا المعنى

- سأل أحد المخنثين جحا قائلا ، قل شيئا عن على وعمر .
- فقال له جحا : ان هم الطعام لم يترك فى قلبى (مجالا) لحب أحد أو لبغضه .
٥٧٠٠- وكذلك جعلنى الشره إلى اللقمة إننى صرت عن التعصب فردا فى طريق واحد .
- فربما جاءنى الأمر بالطعام والنوم ، فاقترن قلبى بالطعام والشراب .
- وكل من يأكل كثيرا يخرج كثيرًا ، لا مثل لقمان كان يعيش طويلا من لقمة واحدة .
- ويكون الرجل ذو المال بلا يقين ، والذى يأكل حتى الشبع يكون جائع الدين .

فى ذم ملأ البطن وكثرة الأكل

- كان أول قيد فى طريق الإنسان ، مزمار الحلق وطبل البطن .
٥٧٠٥- وأعظم قيد هو مزمار الحلق ، وفإنه يجعل طبل البطن ذا جهات ستة .
- والطبل والمزمار أصل الفتنة والشر ، فاترك كليهما ذليلا وأنج بنفسك .
- وكل من صار له المطبخ اليوم قبلة ، فاعلم أن مكانه فى الغد هو جهنم .
- ففى هذه البرزخ الخَلِق للآدمى من المطبخ باب فى جهنم .
- فلو إنك لاتلوى اسم المعدة دائما ، فقلل الطرق حتى لا تضل الطريق .
٥٧١٠- والشره حيوان حين يبدأ العمل ، يكون نارا ما لم يجد المراد .
- فهو مثل الكلب والقط يريق ماء الحياء ، حتى يأخذ من الخلق الماء والخبز الساخن .
- وليست قلة الأكل أصل الشر والبطنة ، وحيثما كانت بطنة لم تكن فطنة .
- وقلة الأكل من فعل الرجال ، وموت السفلة يكون من المأكول .
- وذهن الهندى ونطق الإعرابى من قلة الأكل وندرة الماء .
٥٧١٥- فهذا ذكى وليس ذلك بغمر ، وليس هذا مريضا وليس ذاك قصير العمر .
- وحين تأكل كثيرًا تكون كالفيل ، وحين تقلل الأكل تكون جبريل .
- وقلة الأكل هى الذهن والفطنة والتمييز ، وكثرة الأكل بذرة النوم وأصل الحبق .

- وقد نام الراهب الحر فى الدير ، وله من صفاء الخاطر خير .
- وكل من هو كثير الأكل ، إعلم إنه كثير الذلة .
٥٧٢٠- وأيضًا فكل عاقل يكون قليل الأكل ، اعلم حقيقة إنه قليل الذل .
- ومتى يصير المنتجب قريبا إلى العلم ، إلا ببطن خفيف وقلب رقيب ؟ .
- وقد صارت الشهوة فخا وقلبك عليه ، والمنزل ملىء باللصوص وقد بقيت فيه أعمى .
- والطعام القليل يزيد حلمك ، ويقلل الأكل الكثير علمك .
- وغذاء عقل العلماء الحلم ، وكساء أذكياء الروح العلم .
٥٧٢٥- وكل من لا يكون العلم والحلم مقترنين به ، لا تعتبر أنه رجل فى الدنيا .
- إذ لا ينسج العقلاء لأنفسهم ، كسوة الجسد من سلسلة الأسنان .
- واللحم أفضل على ثور الحقل ، وزينة الرجل العلم والفضل .
- فكن قليل الأكل حتى تعمر كثيرًا ، فالرجل جائع وقوته الشبع .
- وكن قليل الأكل حتى تصير ذا مئونة ، فإن عكفت على البطن ترى الموت .
٥٧٣٠- ويكون أصل العلم من قلة الأكل ، وأصل البلاء الرجل الممتلىء بالطعام .
- وتصير روحك مستريحة من لقمة ، وحين تأكل لقمتين تكون الآفة .
- فقلل من اعتبار الذين يأكلون كثيرًا أناسا ، فهم قدماتوا بقىء واحد مثل حمدان [1].
- وتصير الدار والمنزل منتنين منه ، وتنقلب المعدة إلى مؤخرة والسبب منه .
- وإذا أردت ألا تكون لك سحنة كالورد الأصفر ، فلا تطف كثيرا حول الإفراط فى الأكل .
٥٧٣٥- وإذا صرت بالأكل مسلوب الروح ، فأنت قتيل جهنمى به ولست شهيدا .
- ووجه كثير الأكل لا نور فيه ، والسيادة بعيدة عن عبد الحلق .
- ولا تجعل قحف الرأس مثل المحرقة من دخان شمع الحمقى .
- وطلب الخبز والماء قبيح من السفلة ، وكأنه النفخ فى التراب المتخلف عن الفحم المحترق .
- وحينما تكثر من أكل اللقم ، يحضر عسر الهضم مفتاح المرحاض أمامك .
٥٧٤٠- وحينما تقوم المعدة بالهضم ، تجعل من الحلق مستراحا آخر .
- وحين تصب الخمر الرياح فى الدنيا ، تلقى بعسر الهضم على الأفواه التى بلا عمل .
- وقد سموا الرجل والمرأة الذين لهما حرص المؤخرة والحلق القيم والسيدة .
- وتكون لك صحة الجسد فى التعفف ، فانهض سريعا عن رأس الامتلاء .
- تكون مثل بدر التمام سعيا وسريانا ، جاريا من باب لباب ووجهك فى كل وجه .

التمثيل فى ترك الدنيا وقصة روح الله وتجريده

٥٧٤٥- حينما حمل الروحُ الامين « روحَ الله » زادت منه زينة الفلك الرابع .
- وقد أعطى خالق الدارين وصانعهما الأمر لجبريل .
- أن ابحث عنه فى كل مكان ، (وانظر) أى شىء يملك من نعمة الدنيا .
- وحين بحث رأى إبرة على طرف خرقته سأله :

(١) حمدان : كناية عن عضو الذكورة .

- لأى شىء هذه الإبرة معك ؟ أجاب : من أجل ستر عورتى .

٥٧٥٠- فأنا من زينة الخلق قانع بالخِلَق ، ذلك أننى لست بخاقان .

- وما دامت الكسوة الخلقة موجودة ، فهى محتاجة إلى الخيط والإبرة .

- وقد قال الجميع : أنت خالقنا ، وأنت عالم بكل أحوالنا .

- ولم يكن يملك شيئا من حاجيات الدنيا سوى الإبرة التى فى طرف ردائه .

- فجاء النداء من الرب الرؤوف ، إن أجعلوه موقوفا فى ذلك المكان .

٥٧٥٥- فرائحة الدنيا تنبعث دائما من هذا الجسد ، فالفلك الرابع مسكن له .

- ولو لم تكن إبرته هذه رفيقة له ، لوصل إلى ما تحت عرش الله .

- وحينما منعت أبرة روحا ، صار الشريف قانعا بمكان ما .

- وبقى متأخرا عن مكان القرب والجلال ، وجعلت ابرة (روحا) فى وبال .

- فيا أيها الشاب إقبل نصيحتى ، وابعد القلب عن الدنيا وزينتها .

٥٧٦٠- وحتى تصل مرفها إلى تلك الدار ، وتصل إلى السرور والعز والبهاء .

- وإلا صرت سواء مع تراب الطريق ، فطريق العقبى منفصل عن طريق الهزل .

- وأعلم أن الدنيا سم قاتل ، فأذهب واجعل من العقبى ترياقا لها .

- ذلك أن عابد الدنيا على العمياء ، مثل عابد الصنم مظلم القلب .

حكاية روح الله عليه السلام وتركه الدنيا وكلامه مع ابليس

- قرأت فى الأثر أن روح الله ، خرج إلى الصحراء فجأة ذات ليلة .

٥٧٦٥- وحينما سار ساعة دهمه النوم ، فذهب مسرعا إلى مكان لينام فيه .

- ورأى حجرا ملقى فجعله وسادته ، وراح فى النوم ولم يقاومه .

- ونام ساعة ثم استيقظ سريعا ، فرأى إبليس فى تلك الآونة .

- فقال له : أيها الكلب الملعون لأى امر أتيت لى فجأة ؟ .

- ومتى كان لك فى ذلك الموضع الذى هو عصمة عيسى مأوى ؟

٥٧٧٠- فأجاب : لقد اعتديت على ، وتصرفت فى دارى .

- فمن أى شىء تتعامل أخيرا معى ، ولأى سبب تتصرف فى دارى .

- فملك الدنيا كله هو دارى ، وليس مكانك هذا الملك بل هو مكانى .

- فكيف تأخذ منى ملكى غصبا ، وكيف مع عصمتك تستضعفنى .

- قال : أى ألم أصبتك به ؟ قل لى إذن : متى قصدت ملكك ؟ .

٥٧٧٥- قال : إن هذا الحجر الذى جعلت منه وسادة لك ، أليس من الدنيا حين أخذته هونا ؟.

- فالقى عيسى بالحجر سريعا ، فانمحى شخص إبليس لذلك السبب .

- وقال : لقد نجوت أنت وطردتنى ، وخلصت كلينا من القيد .

- فليس لى أمر بعد ذلك معك ، فالملك لى فأذهب وأتركه لى .

- وما دمت طالبا للدنيا هكذا ، متى تستطيع أن ترى العقبى ؟ .

٥٧٨٠- فأذهب واقطع الطمع عن الدنيا بأجمعها ، وأعتبر جوهرها وذهبها ترابا .
- وليكن التراب فوق رأس ذلك الذى طلب الدنيا ، وليكن عابد الدنيا هباء .
- فهو مثل الثور كثير الأكل ، ومعدته كالطاحونه وحلقه كا لمعلف .
- وقد صار كثير الأكل حائرا حول الكنيف من رأيه الخاطىء السخيف .
- وباع الأفلاك التسعة بكسرتين من الخبز ، فتصدق باللقمة وقلل الشبع على المائدة .
٥٧٨٥- حتى تقول لك الأيام متى تثير اللقمة فى معدتك .
- وقد صارت أيامك من التفكير فى هم العشاء قاضية على سرور المذاق .
- فمن أجل كل ذلك تموت بلا ثمن ، إذ إنك من أجل اللقمة فى عذاب .
- وكل من كان مثل عيسى ساميا عن الشره ، ينجو من حزن ما يطلب وما يكون .
- فإنه يرى جليسا لزمرة الملك ، ويرى الفلك الخامس سقفا له .
٥٧٩٠- فاقبل نصيحتى فى هذا الحال ، ورفع تاج العدو وعرشه فى الطريق .
- والدنيا الملعونة هى عدو لك ، فأخرج عقلك من شراكها .
- ومع من أتحدث ؟ فهؤلاء الغافلون عن الأمور شياطين بالفعل وأناس بالشكل .
- وحتام أقول فليس هناك رفيق خير ، وليس مسموعا قول الولى لديك .

فى ذم حب الدنيا وشرب الخمر

- إشرب الخمر الأن على ذكر الربيع ، وابق حتى ينبت الشوك فوق قبرك .
٥٧٩٥- ويا من أنت مثل فرعون المشئوم المتكبر ، قد ذهبت إلى النار عن طريق الماء .
- فماذا تفعل أثناء ألم الخمار ، ولم تلزم الماء الذى يفضى إلى النار ؟ .
- ومن مثل ذلك الدم الذى يقطر بالركل ، ثم يبعث من دن معوج .
- فلست حيا حين تفعل ذلك بل أنت عقور ، وكيف يحييك الذى مات من الركل ؟ .
- وما لم تكن كالأسود ترعى فيما حولك ، فلماذا تشرب كالثعالب دم الكرم ؟ .
٥٨٠٠- وقد سلب العشق منك وعيك ، فاعلم أن عدم الوعى من عدم العقل .
- ومادمت عاقلا فلماذا تميل ناحية الخمر ، وكيف تجعل من سور الشوك أوراق ورد ؟ .
- فذلك الذى يملك عقلا لا يطلب الخمر وذلك الذى يكون حزينا لا يشم الورد .
- ومن أجل وعيك لا تكن مائلا (إلى الخمر) خاصة وأنت ثمل والمنزل على طريق السيل .
- ومادمت لا تملك إذنا فى القرية ، لا تعط جيفة الحمار لصيد اللص .
٥٨٠٥- وهذا أفضل للسيد فى هذا السوق ، وفى هذه الروضة وفى هذا البستان .
- فالكيسة خالية والمدينة مليئة بالحزن ، والشرع خصم وليس النديم با لمسموح به .
- والحى ملىء باللصوص والزوابع والجان ، وأنت آخذ فى أكل الخس والخشخاش .
- فاحزم أمرك إذ أن لصك فى الدار ، وخازنك خائن وغريب .
- فحتام الإقلال من شأنِ نفسِك ، وألم ينقبض قلبك من كونك آدميا ؟ .
٥٨١٠- فاجلس فى هذا الحفل الملىء بالفتنة والشغب يقلب ملىء بالغم وختم على الشفة .
- ولقد شربت الخمر ولا بهاء لك ، وشربت المخيض ولكن بالحقد .

- وحينما صرت ثملا أيها الساذج ، سقطت قربة الخمر كأنها تل من تراب .
- فلماذا تسكر وفى هذا الفرسخ ، الحمل زجاج والطريق ثلج والحمار اعرج .
- فالحمار اعرج وضعيف والحمل ثقيل ، ومنزلك صخرى وأنت حائر .

٥٨١٥- والطريق مظلم والمصباحُ بلا زيت ، والريح صرصر وأنت كاسر لنوافذ الدار .
- والرأس بلا مخ وليست القدم ثابتة ، وليس مسموحا لك بهال الصديق والمعين .
- وقد صنعت مهدا من فروع الأشجار ، حتى وضعت القدم فى موضع صعب .
- ومادمت عابثا فى هذا السفر ، يكون منزل هذرك (دنياك) من الخيال .
- وأنت نائم فى الليل ومعاقر للشراب فى النهار ، فماذا تفعل الاخراب الملك والدين .

٥٨٢٠- وأنت سعيد بالخمر وآدم فى القيد ، وهذا أنت يا قاطع الرحم ويا أيها الابن العاق .
- فبالرغم من أنها تظهر السرور وأول الأمر ، إلا أن معولها هو الكيسة الضائعة .
- ذلك أنها فى هذه المتربة والقرية الخربة تجعل الكيسة ضائعة والجسد سمينا .
- ويعلم ذلك الذى له عرق تفتح ، ان نحيل الوسط نشط فى الكدح .
- وحينما سار الرجل السمين سبع خطوات ، اختفت اعضاؤه السبعة عن طباعة الأربعة .

٥٨٢٥- فما زلت طفلا فخذ منها الحساب حينما يلبسون ملابس السرى .
- ويكون الجيب مثل ذيل الثوب وزوائده ، وقد أخذ منك العطسة والسعلة والحبق .
- وقد وضعت رأسك تحت قدمها ، وأنت وقد جعلت من روحك مكانا لجسدها .
- وقد أعطيتها الدين والعقل ، أما هى فاعطتك الشيطان والوحش .
- وأنت تشرب منها ما يكون باعثا على ضعتك ، وهى تسلب منك وجودك .

٥٨٣٠- وقد ضيعت العمر ادراج الرياح ، من أجل الخمر غافلا الحساب ، كم يعز على !! .
- وأنت مشغول باللهو والسماع ، وأنت معزول عن دار البقاء .
- وأنت فارغٌ من الموت وآمنٌ من القبر ، وماذا أقول لك وأنت أعمى القلب .
- وقد تشبثت بالدنيا مستسلما لها ، وأدميت القلب الطاهر .
- وتكون الحبة أمام ناظريك كأنها جبل أحد ، وترى أنه ينبغى أن تكون الفضة لك إلى الأبد .

٥٨٣٥- وربما وسوس لك شيطان الذي بإنه لااله هناك ولا دين .
- وليس هناك خصم لك أسوأ من الدنيا ، ولمن أقول فلا توجد هنا عين مبصرة .
- وقد ارتفع قدر الجسد عندك ، وذلك لأن الحلق احتاج دائما إلى الطين .

فى مذمة الأفعال القبيحة التى هى من الطبائع الحيوانية

ذكر المثالب للتوقى لا للقبول والتلقى

- إن الحرص متصل بباطنك دائما ، فابق والتراب على رأسك والريح فى يدك .
- واعلم أن الحرص حية لا تشبع بطنها فى العالم إلا بالتراب .

٥٨٤٠- وصورة الطمع الذى هو آفة البشر ، قرد له ذيل كلب ورأس قط .
- وصورة بخل ذلك الذى يملك الذهب ، مؤخرة ملتهبة والصوت فيها محبوس .

– واعتبر الظلم كالكلاب والشياطين ، نجسا ومرحاضا وآكلا للنار .
– والغضب تحت كسوة المصور ، كلب نتن وشيطان ناثر للنار .
– وصورة الشهوة كالطاووس ، الجناح مسعود والقدم منحوس .
٥٨٤٥– وصورة الحسد فى عند الأحرار ، ذئب مفترس لأمثال يوسف آكلٌ للملك .
– ومثل الرياء كمثل الشمع ، الحرارة له والنور للجمع .
– والتظاهر والحشمة فى عين الكبر ، كنا س اكمه وأبكم .
– وصورة الإعجاب فى الصدر ، قبة ذات ست جهات فى مرآة .
– وكلها فى نفسك الجحود ، وكلها فى حُجب حواسك .
٥٨٥٠– حتى يكشف عنك النقاب ، وانظر حتى يتحدثوا معك .
– حتى تعلم من الذين أخذتهم إلى جوارك ، حتى تدرى من الذين أجلستهم على بابك .
– وحتى موتك لم تقم بقتلهم .. وتفقد الملك ويكون لمن بعدك .
– وحينما تسير فى الدنيا الباقية ، يأتون لك جميعا أحياء .
– فلا ترق ماء وجه حياتك من أجل ممر (يقطع) فى خمسة أيام .
٥٨٥٥– وشجعان الرجال الذين يتوجهون نحو التراب ، يطهرون الأرواح عن طريق الحرب .
– وحين تريد طريق الحرب أيها الرجل ، سوف تحمل معك الوحوش والشياطين والبهائم .
– والحرص والكبر والبخل والحقد والحسد ، وشهوتك وغضبك داخل الجسد .
– سبعة أبواب لجهنم فى حجاب ، وهكذا سماهم العقلاء .
– وكيف يستطيع الرجل الذى لا يترك هذه السبعة فى الدنيا أن ينجو من النيران السبعة هناك .
٥٨٦٠– فأعلم أن النار الحارة تحيق بروحه ، حينما يرتكب واحدة من هذه السبعة .
– فيجب أن تصل أولا إلى باب العقل ، واعلم أنك بعد ذلك تصل إلى خطة الأبد .
– ففى تلك اللحظة يموت الموت من أهل النفْس والنفَس ولا يموت المرء ثانية .

فى ذم القبائح والأفعال المذمومة ومنعها .

– لا تحمل هذه الحياة إلى صدر السعير ، اتركها مكانها ومت .
– ولا تحمل جسدك حيا إلى ذلك المكان ، ولا تعط لعدوك ماء الحيوان .
٥٨٦٥– فالحرب قائمة بين الإثنين ، فلم تعطى سيفك ليد عدوك .
– وحين تقترب عين الأجل ، وتفتح العين من ذلك العقل .
– حتى ترى العالم الخفى ، وحتى ترى عالم آدم .
– وحتى ترى مرة واحدة بعين العيان الأشياء كما هى بالفعل .
– فماذا رأيت من تلك الدنيا حتى الان ؟ أنت قد سمعت اسمها وأنت هنا فحسب .
٥٨٧٠– وأنت غافل عن الدنيا وعن أمورها ، ولم تجرب بالفعل عملها .
– فما دمت كالعريس والعقبى كالعروس ، لا تنظر ناحية الدنيا إذن .
– وإنى لاخاف أن تردك هذه الفعلة عن المقصود فى الوقت الموعود .
– وأمام السلطان لا تنظر إلى الحارس ، ومن الأفضل لك النظر إلى السلطان .

التمثل فى شأن أصحاب الغفلة ونظر السوء

- روى أن امرأة فى الطواف تحدثت مع شاب حديثا حلوا .

٥٨٧٥- ذلك أن هذا الرجل حين رآها فى الطواف صار فردا فى انتفاء الصبر والمعرفة عنه .

- فقد صار عاشقا لها بنظرة واحدة فى الحال ، وقال للمرأة عن حالة الأحوال .

- فقالت المرأة لذلك الشاب من المعرفة ، إذ كانت أكثر معرفة من ذلك الشاب .

- أيها الشاب : أليس معلوما لديك لأى شىءبقيت محروما من هذ النظرة .

- فمن الخير أن يكون الرجل عفيفا فى هذا الموضع أيها الشاب الظريف .

٥٨٨٠- ويحك ألم تخجل من خالقك ، ففرطت فى الحياء دفعة واحدة .

- و صار خالقك ناظرا إليك ، ولم تصر حاضرا له بالقلب .

- وليس هذا مكان التمتع والنظر ، فهو مقام الخوف وموضع الخطر .

- فخالقك ناظر إليك (فى حين) أنك متابع للآخرين بشهوة .

- والحياء للرجل أفضل من كل أمر ، وليست مثل الحياء صديق لك .

٥٨٨٥- فأخجل من الاله الخالق البارى ، وحينئذاك لا تخف قط من الخلق .

- وكل من هو خائف من الخالق ، فإن خلق العالم مرتعدون منه .

- وإذا كنت تريد ثمرا أيها الجسد - يوم الثمر ، فاخجل وارفع يدك عن الحرام .

- وما هو مثال جهنم فى البطن ؟ ، إنه الحرص ، وما هو الكلب فى الكبد ؟ إنه السر .

- وقد جلست فى الخرابات لكن لجمع الحقد ، وتتبعت رسم المجوس قائلا هذا هو الدين .

٥٨٩٠- وقد جعلت من صدرك مسكنا للتنانين ، فأى شىء هى ؟! إنها الملك والجاه والعز والظفر .

- وما الذى أعطى المجن للعميان السكارى؟ إنه العلم وقوة الدين .

- وما هو الشىء الذى ظاهره وباطنه نجس إنه الصوفى المزيف .

- وما هو الذى يبدو فى الظاهر قطا وهو كلب داخل الجوال ؟ إنه العمل والكسب الحلال .

- ومن الذى شارك الكلاب والشياطين ؟ ، إنه هذا الجندى وذاك الغازى .

٥٨٩٥- وما هو الشىء الذى أعطى للص الشمع والمصباح ؟ إنه شمع شرع نور الدماغ .

- وكيف ألقيت مجنا على الماء ، وأصبحت لا تعرف خبرا كالشمل .

- ومن هو الزورق ذو النقاب على وجه جيحون ؟ أنها ابنة قارون .

- وما هو الكساء ذو الألوان السبعة كالطاووس ؟ إنه رجل اللقمة والحيلة .

- ومن الذى رفع الصياح كالقطا من الجبل ؟ انه العارف المرائى .

٥٩٠٠- ومن الذى يرفس السقف ويجعل المنزل خرابا ؟ إنه المدعى بلا أكل ونوم .

- ومن الذى رفس نفسه كالسكارى ؟ أنها عدة القلب الوضيع .

- وقد لقب نفسه با لمسيح ، ومنه مائة ألف صدر جريح .

- وقد طلسم نفسه كالدجال ، فهو حينا ذو خرقة وحينا ذو حال .

- وكل هذا الغضب والحرب والظلم والشرور وحوش وشياطين فى نقاب الغرور .

٥٩٠٥- فلا تحمل إلى دار البقاء حيات وعقارب بهذا القبح من هذه السفينة .

- وكيف يمكن أن يحول إلى بشر كل هؤلاء القبيحى الفعال الذين بلا دين ؟ .

- وهم طوال عمرهم يرون رأى الخلق ، والناس لا يختارون أنا سالا رأى لهم .
- فأستسلم مسرورا إلى العزلة ، أو تعود على هؤلا ء وعذب الروح .
- وطلابى للعز من الهمة والطبع ، فلست مثل السفلة محبا للذلة .

يقول فى صفة الربيع والتشبيهات

ذكر الربيع يحيى القلوب الميتة ويشرح الصدور الضيقة

٥٩١٠- قال البلبل شكر الانصاف على لسان الربيع مثل الناس الأذكياء .
- وشكر عدل الربيع امام الاله ، تقوله قلوب الورود بلسان البنات .
- والصحارى مليئة باغطية دون وسائد ، والبساتين ممتلئة بالعرائس اللائى لا مهور لهن .
- وقال القرآن بلفظ كأنه الدر للرجل الذى سحب طرف ردائه (عن وجهه) (فانظر)[1].
- حتى ترى بعين عارفة بالعقل ، على اكناف الصحراء وفى سفح الجبل .

٥٩١٥- ومن أجل (صنع) النقوش التى تسلب الروح ، الأفلاك مصورة وخالطة للألوان .
- والبستان بالألواح القرمزية ، بالفُرُش التى تتغير ألوانها .
- والفروع مغطاه بالحلل ناثرة المسك ، وامتلأ الوادى بالعنبر وغطى با لميناء .
- ودموع الندى كالسهيل والسها ، تسيل على وجه الحشائش حين يكون الصبح .
- وقد صارت مشام الهوى عنبرية من نسيم الصبا (الخارج) من مسام الأرض .

٥٩٢٠- والسرو كالحور أخضر الكسوة والمسك والعنبر نابتان حوله .
- الحديقة مثل العطر المضمخة با لمسك ، والوادى يشبه جد ائل الحور العين .
- وعين الدمع سيالة سارت حتى باب الحديقة من حافة الماء .
- وقد جعل القلم ابهام الربيع كالفرجال ، وقصرت الجدائل يدُ الربيع .
- لا كما يدير بلا خوف جدائل الليل ويسحبها نحو التراب .

٥٩٢٥- ولو يريد بحكم خلق الكمال ، يجعل الدم مسكا والمسك دما فى الحال .
- وصفة الورد قد قالها البلبل بقوة القلب الآن مثل الإنسان العاقل .
- وللصحارى ملابس ملونة وللحدائق زينة من الحلل .
- والجبال كلها مليئة بالنقوش الجميلة ، والأفلاك مصورة على الديباج .
- والفرع مثل العقد الملىء باللؤلؤ والروح مثل نافجة الغزال .

٥٩٣٠- والحدائق مليئة بأحقاق الدر والجوهر ، والوادى ملىء بسبائك الفضة والذهب .
- وكنز قارون على أطراف الحجر ولزينة الحور عيان بكل لون .
- وقطرات المطر مثل حبات الجوهر ، وهو يقطر الدر على الشقائق .
- والقمرى والفاختة بين أشجار السنار ، حملا من العاشقين الصبر والقرار .
- والسرو كالحور بين المنتزه ، والياسمين ذو المسك المصفى حوله .

٥٩٣٥- وسلاسل المطر مثل الدر اللامع ، جاء من حدود الأرمن الصقلاب .
- والطيور النائحة على تيجان الورود ، سكرى بلا مطربين أو كأس شراب .

---

(١) المقصود : « أنظر كيف نبين لهم الآيات » - المائدة ٧٥ .

– وقد غسل السحاب الوادى الطاهر ، وكل ما هو ملوث على وجه التراب .
– وقد افشى العالم باجمعه سر القلب ، وصار اذكياء الزمان كالرعاع .
– وترك الرجال والنساء كلهم منازلهم ، وخرجوا إلى الخلاء من أجل التمتع .
٥٩٤٠ – وما اسعد ذلك الشخص الذى له فى فصل الربيع لذة من القبل والعناق .
– فمنظره يبدو شارح للقلب ، وفتاته تبدو كملك قيصر .
– وكسرة الجدائل باحثة عن بنفسج القلب والعود الصراح نابت على حافة الجدول .
– وحينما أكلت نافجة الغزال سنبل الوادى ، جاوز عبيرها جبلى قاف والطور .

فى المساواة بين العربى والفارسى

– فضل الدين فى طريق الإسلام ، وليس فضل المليك فى طريق الفرادى .
٥٩٤٥ – والملك محتاج إلى إدارة الأمور فما صلة الملك بالفارسى أو العربى .
– ومن أجل الدين والقيام بالشغل ، ليس هناك باب مغلق قط أمام العربى .
– وحينما أشعل عمر شمع العرب ، احترق فى العجم كسرى كأعواد (الهيما) .
– وملك العدل والدين قلب ملىء بالألم ، وما دخل الفارسى أو العربى فى هذا ؟
– فالفارسى من أجل إدارة عملك ، والعربى من أجل القتال من أجلك .
٥٩٥٠ – ولو أن أحدا صار ملكا لأنه عربى ، لكان أبو الحكم سيد الفلك .
– ولو أن العربى ملجأ للشرع ، لكان أبو لهب شمسا وقمرا .
– وحينما لا يقل فضل الرجل ، ليكن من أهل العرب أو أهل العجم .
– وقد صار للعربى قدر على سبيل المعنى ، وليس من أجل الصورة المجازية .
– وكل من صار أهلا لروح المصطفى ، ماذا يجدى أبا جهل شده للحيته وشاربه ؟ !
٥٩٥٥ – فصورة العربى من أجل المعنى ، فاعلم إنها ليس من أجل أن تجعل السيادة لك .
– وتعلم الروح أن تحيا بالعقل والعلم ، وأى شأن للروح بالعربى أو الفارسى .
– ومثل هذا الجلف الذى بلا أدب يقول لك : إنك تقول هذا لأنك عربى الأدب .

فى بيان أن الأدب ليس بالفارسى أو العربى

– اقرأ العلم حتى يجعل القبول لروحك ، وهو الذى يجعلك فاضلا على ذوى الفضل.
– ولقد كان أبو لهب من أرض يثرب (؟) ولكنه لم يسمع (قد قامت الصلاة) .
٥٩٦٠ – وكان سلمان من ديار العجم ، ولكنه كان يهلك القدم على باب الدين .
– والعلم الذى تجعله على يدك ، من أجل نفسك ، يصير الرى به كالظمأ دائما .
– ومتى يصير تاج (منا) بعيدا عن مفرق سلمان من أجل أنه فارسى .
– وقد ذكره كأهل بيته ، وقلب سلمان بلفظة (منا) فرح .
– ومتى توصلك إلى حكمة الأدب ، ظنون الخيال والحيلة والشغب .
٥٩٦٥ – وبالرغم من أن ابا جهل كان قريبا ، إلا إنه كان بعيدا عن المحبة مظلماً .
– وما دام لم يؤملك إلا فى الهوى ، فقد سود القلب ولم يبيض الروح .

- اذن ففى هذا الطريق الملىء بالقيود والاغلال السور الأربعة التى تبدأ بـ « قُل » تعيذك من الجميع .
- وليس نقل النحوى وشبهة الثنوى الا نبوة عن الطريق النبوى .
- ويجب أن تكون نسبة الدين صحيحة فحسب ، ذلك أن الدولة قد صارت منهارة من الهوس .
٥٩٧٠ - والدولة من وجهة نظر الشدة والصولة ، أعلم أنها اليوم سعى وغدا عقاب .

يقول فى احتساء الشراب وخواصه

- من أجل أى شىء اصيب رأسى بالخمار ؟ أمن أجل الرؤساء حين يكونون طامعين فى شرب الخمر ؟! .
- وحينما تكون الخمر مرتسمة فى الأصل ، تصير النار والتراب والماء ريحا .
- ذلك ان الطباع الأربعة لا تجد سيطرة عليها ، فمن الأولى لأى شخص الأ يسرع على نحوها بقدمه .
- فالخمر فى أصلها دائما فى كف قدم العقل ، ويحدث هذا على الفور .
٥٩٧٥ - والخمر ملك مسلط على جمال الجسد ، وقمر العقل من كمال الخمر فى حيرة .
- وأعلم إنها هى مادة الحجر الحار والبارد ، واعلم انها مثل الذهب محك الرجال .
- وهى من كفها مليئة بالمعجزات كموسى ، وهى محية الموتى مثل عيسى .
- والعقل بصيرة للرجل وعدل ، وغذاء الروح الخمر والهواء .
- واعلم إنه ليس من سلوى هذه الدار الخراب للأذكياء الا من الخمر .
٥٩٨٠ - والخمر واقفة فى وجه الهم ، ذلك أن سلوى الأدمى هى الخمر .
- فإذا كانت هناك عندك مشكلة للعقل ، فلا تذم خمر عقل الصديق .
- ومن رطوبتها علامة لحرارة الصفراء ، من حرارتها نَفَسٌ لألم السوداء .
- وهى فى هذه الحديقة الجميلة ووادى الفلك من أجل بومة النفس وزاغ الملك .
- مثلما يعطى الورد رسالة على يد الخمر حتى يعيرها رائحته .
٥٩٨٥ - وينبع من أنف ذلك الذى شم الورد نشاط القلب .
- وهى فى طريق فكرة العاقل تكون من أجل كشف فطرة الغافل .
- وهى مدد عشرة الكرام ، وهى نقل الأحرار ونقد الرجال .
- والقليل منها عزيز ومقوى ، ولكن الذى يشرب منها كثيرا يصاب بالذلة .
- وما دمت تشربها فأعزها ، وحين تشربك هى أذلها .
٥٩٩٠ - ومن الأفضل ايداع القلب باحكام الدين ، وشرب الخمر خير من أكل (اموال) الوقف !
- ويستوى كلاهما حين تكون على الصراط شربك الخمر وأكلك لمال الرباط .
- والبصيرة التى تكون مليئة بالطمع ، تجعله عالما بعلامة خف الجمل .
- لقد أرقت ماء وجهك وفرطت فى عقلك من رأيك ، ولا زلت حتى الآن محترق القدم نحو الخبز .
- وذلك الذى انبعث الخبز من قلبه وروحه ، يشرب ضيفه الربح بلا خمر .

فى صفة الدنيا

٥٩٩٥ - المال على الكف كالفيل على السفينة ، والمال فى القلب كالماء فى السفينة .
- ومال المصلح كالماء تحت السفينة ، إذ تتأتى من سيره كرامة الجسد .

– ومال الممسك كالماء فى الفلك ، إذ يكون وجوده مقدم الهلاك .
– وحينما يملك المرء النفس والدرهم من الأفضل أن يكون جوادا أيضا .
– وما دام لم يأكل فى دنياه كبد أحد ، لا يتحمل حسرة فى أخراه .
٦٠٠٠ – وإن لم يكن من المال إلا الرفاهية ، إلا أنه لا يخلو أبدا من هاتين الآفتين .
– فإن كان حلالا فأنت مشغول به عن الزمان ، وإن كان حراما فأنت به معزول عن الاله .
– ولم يكن لابن عوف مع أن ماله من الحلال – مجال من جوار المصطفى .
– فكن رجل دين ودعك من المال ، وانهض وحز الدنيا برمتها .
– ولا يكون الحكيم باحثا عن الشبع ، فاغسل يديك من الطعام الحلال .
٦٠٠٥ – فلو أن له ملجأ من الجسم ، لكان ذلك أيضا حجابا للطريق .
– ولو أن هناك كمالا فى الذهب والفضة فمتى يصير أن حلقة للكلاب وسيورا للدواب .
– ولو لم يكن المال مائلا للحمير ، لما صار حلقة لفروج البغال .
– والبشر أموات من أجل القوت ، وسير الركاب كأنه المنجم[1] .
– والآدمى (يسير) أمام الحصان بلا درهم ، والدراهم فى سيور ركاب ذلك المحتشم .
٦٠١٠ – والدنيا دائما فى أذى من الدين ، وقد سلب ماء الدنيا جمال الدين .
– ومتى تواءم المال مع الحكيم ، ومن الخير للقبيح أن يتواءم مع الأعمى .
– وذلك الذى يخشى أن يكسر ذنبه ، ليلة بعيد دائما عن نهاره .
– وذلك المكان الذى يحتوى على العلم والأدب لا يتسع لهما فالطريق ضيق .
– ولا يصير المال مائلا إلا على الدون ، ويصير الجاهل سائلا من طبعه السيء .
٦٠١٥ – فالدون والدنيا يكونان معا قرينين ، فهذه هى البغى وذاك قوادها .
– ويجعل قوى البصر جسرا تحت رغبته ، أما الأعمى فيقيم على ظهر الجسر .

التمثيل فى الأصحاب المغرورين

– روى أنه كان هناك رجل أعمى ، آدمى الصورة ولكنه دابة بالفعل .
– ذهب يوما إلى الحمام وبقى وحيدا داخل الحمام .
– كان وحيدا وجلس فى ركن ، فعثر هذا الابله على خرزه .
٦٠٢٠ – والقلب والجسد والوقود والكبد كلها مليئة بالحرارة فأخذت النار تتصاعد من خصية الأحدب وظهره .
– فالخصية كالقرعة والاصبع كالسنار ، والخرزة فى الإبهام والبطيخة على الظهر .
– فظن عبثا هذا الأعمى المحب لنفسه ، ولم يجعل ألم الخصية كالكسوة .
– فامسك بأصابعه بابرة حادة ، وجعلها تجاه خصيتيه .
– وغرس هذا الاعمى الجلف الذى لا قيمة له الابرة فى خصيتيه .
٦٠٢٥ – وحينما بلغ الألم روحه من الابرة ، دخل فى حرب مع قلبه .
– فأتى بالنار من قلبه وبالريح من بصره ، وتذكر علة جهله .
– وأخذ يقول فى كل آن : أيها الاله الغفور إننى مريض من العناء والغم .

---

(١) أى من كثرة ما به من زينة ذهبية وفضية .

– فإيت لى بالفرج من هذا العناء والغم ، فلم يبق لى مع مثل هذا الغم قرار .
– فالابرة حادة والخصية رقيقة ، فنجنى بفضلك سريعا .
٦٠٣٠ – فالقى رجل حينذاك نظرة ، فصار عارفا بحال هذا الابلة الاعمى .
– فقال له أيها الابله الذى من صفاته كذا وكذا ، ويا من لك الغذاء من جهل الشهور والسنين .
– إرم الابرة من يدك تنجو ، فأنت مريض بالروح والقلب من هذا الجهل .
– وكذلك أنت تشكو من الدنيا ، مثلما كان يفعل أعمى القلب احتيالا .
– فارفع يدك عن الدنيا حتى تنجو ، فأنت تشكو حائرا فى أمر نفسك .
٦٠٣٥ – فأحيانا ترميك بعيدا عنها بقدمها ، وأحيانا تمد إليها اليدين من الطمع .
– وأنت لا تريد الدنيا لكن بالقول ، يا من قولك نجس كالبول .
– ويا من قولك نفاق وكذب ، وأنت أمام الدنيا ورقبتك فى النير .
– فسعيد ذلك الذى رفع يده عن الزمان ولم يترك حب الدنيا يتجه إلى القلب .
– وألم الدين دواء المؤمن ، يصير به آمنا من الجحيم .
٦٠٤٠ – وأى شيء يكون الاتكاء على لذة الدنيا أيها السيد ؟ إنه احتساء دم القلب .
– وأنت تخشى السلطان وقت اللذة ، ولا تخشى الله وقت العصيان .
– فلا تضع القلب عن الدنيا التى لا معنى لها ، فليس لها ثبات هذه الدنيا .

حكاية

– روى أنه فى ولاية الشام ، كانت الابل قد ذهبت إلى المرعى .
– وقصد جمل هائج فى الصحراء هلاك رجل جاهل .
٦٠٤٥ – ففر الرجل من أمام الجمل فأسرع فى أثره الجمل الهائج .
– فرأى الرجل بئرا فى طريقه ، ورأى لنفسه ملجأ فيه .
– فاقترب الجمل من البئر فجأة ، فألقى الرجل بنفسه فيه .
– وعلق يديه بالشوك كالورود ، ووضع قدميه أيضا فى أخدود .
– وحين نظر الفتى فى مقر البئر ، وجد تنانين وقد فتحت أفواهها .
٦٠٥٠ – ثم رأى بعد مشقة شديدة زوجا من الحيات ، نائما تحت كل قدم من قدميه .
– ورأى زوجا من الفئران على رأس البئر ، إحداهما أبيض والآخر أسود كالقار .
– يقطعان بقوارضهما جذور الشوك ، حتى يسقط الشاب فى البئر .
– وحيث رأى الرجل الجاهل هذه الحالة السيئة ، قال يا رب أية حالة هذه ؟
– أأجعل لنفسى مكانا فى أفواه التنانين ، أو أذوب بأسنان الحيات .
٦٠٥٥ – وأسوأ من كل هذا الذى صار طالبا للثأر ، وهو الجمل الهائج على رأس البئر .
– وسلم جسده آخر الأمر للحكم ، ففتح له الاله بابا من الكرم .
– فوجد فى أركان الشوك الرفيع قدرا من المن اللطيف .
– فجمع قليلا من ذلك المن ، ونظفه وألقى به فى فمه .
– فأدهشه لذته وصار ناسيا للخوف .

٦٠٦٠ - إنك ذلك الرجل وبئرك الدنيا ، وطباعك الأربعة على شكل الأفعى .
- وهذان الفأران الأبيض والأسود الفاحم ، اللذان يقطعان جذور الشوك فى لحظة .
- هما الليل الأسود والنهار الأبيض ، اللذان يجعلان جذور عمرك تبابا .
- والتنانين التى فى قعر بئر ، هما القبر الضيق ولست به عارفا .
- وعلى رأس البئر أيضا جمل هائج ، هو الأجل أيها الضعيف العاجز .
٦٠٦٥ - والشوك هو عمرك أى الحياة ، ألا تدرى ما هو إذن المن بالنسبة لك .
- الشهوة هى ذلك المن أيها الرجل ، وهى التى جعلتك غافلا عن الكونين .

حكاية

- ذات مرة من العجز طلب متدين دينارا من أحد الأغنياء .
- وحينذاك كان الفتى الذى لا مثيل له قد وضع الحب على الشفة والقلب جثة .
- وحينما قال له مرة ومرتين السائل العظيم ، هكذا أجابة الغنى .
٦٠٧٠ - قال : لو أنك عابد للحق أيها المستسلم ، فاطلب الدين والدنيا من الحق وليس منى .
- فأجابه : أن الدين طيب والدنيا قبيحة ، فأنا أطلب الطيب منه وأطلب القبيح منك .
- فقد قالوا لى من أجل القلب : أطلب الحق من الحق والباطل من الباطل .
- وما دمت أنت على الباطل وأنا على الحق فالحقيقة أننى أطلب منك نصيبك .
- ومن ذلك أن النفس بالرغم من أنها جوهر شريف ، إلا أن أمرها باطل ورأيها سخيف .
٦٠٧٥ - ولقد أعطيتها القلب الذى رباه الحق ولكنها تعود إلى الحق مليئة بالالم .
- وأنت لا تجد الدين لو أن بك غم البدن ، فذلك لأن مهر الدين هو طلاق البدن .

حكاية

- كان فى ديار الروم بلبل وزاغ ، ولكل منهما عش فى حديقة .
- وكان الزاغ يطير دائما داخل الحديقة ، ويطير أيضا دائما بين الوادى .
- كما كان البلبل فرحا فى الرياض ، يقص الحكايات فى أمور العشق .
٦٠٨٠ - فشتم الزاغ قائلا : إننى حسن الصوت وأنت قبيحه ، وأنت قبيح الوجه وأنا حسن الوجه .
- فحزن الزاغ وهجر الوادى ، وجلس البلبل فرحا فى مكانه .
- وضاق صدر الزاغ وسر قلب البلبل ، وذهب طفل ووضع فخا .
- فسقط كلاهما - خائبيى - فى الشبكة (وسقط) الزاغ والبلبل من أجل حبة .
- فقال الزاغ للبلبل : أيها البلبل لقد صرت أخيرا ساكنا لا تثرثر .
٦٠٨٥ - فسواء البلبل والزاغ فى هذا الطريق ، وبالنسبة للفلك سواء الشعلة والمصباح .

حكاية

- كان فى مدينة بلخ بقال ، يملك مالا لا حد له فى الدكان .
- كان مرفوع الرأس بين أهل الحرفة ، وكان ماهرا فى المعاملة .

- كان لديه السكر وأيضا الطباشير والعسل والخردل والخل أيضا فى الدن .
- فذهب إليه أبله لكى يشترى سكرا ، ثم يحمله إلى المنزل بعد أن يشتريه .
٦٠٩٠ - فأعطى البقال درهما وقال : أعطنى (بقيمته) سكر (ولا أوصيك) .
- فمد البقال يده إلى الميزان ، حى يعطيه السكر وينفذ الأمر .
- فلم ير المكاييل فى الميزان ، فضاق صدره من ذلك وأخذ يبحث .
- ووضع الرجل البقال فى ميزانه ، مكيالا ذا مائة مثقال لا يقل ولا يزيد .
- وجعل من الطباشير مكيالا للميزان ، حتى يعطيه السكر مقابل المكيال .
٦٠٩٥ - وربما كان الابله قد أكل الطباشير ، فجعل الروح والجسد فداء للطباشير .
- فأخذ يسرق قطع الطباشير من الميزان ، وأخذا البقال يضحك فى الخفاء .
- وقال (فى نفسه) إن المسكين لا يعلم أن هذه خسارة (عليه) ويظنها كسبا .
- فكلما نقص الطباشير من هذه الكفة ، نقص سكره من الكفة الأخرى .
- وأناس الدنيا كلهم على هذا النسق ، صاروا من أجل الكسب قرناء للخسارة .
٦١٠٠ - وضيعوا أنفسهم أدراج الرياح ، وضحوا بتلك الدنيا فى سبيل هذه الدنيا .

حكاية

- سليمان ذلك الذى كان فى دنيا القدر سلطانا الوقت ورسولا .
- وكان قد ركب على ريح الصبا ، وصار ناحية المشرق من « جابلسا » .
- رأى فى الطريق فجأة مجرى ماء ، ومزرعة وفلاحا شيخا .
- كان يزرع ويحرث بوداعة ، يبكى حينا ويضحك أحيانا .
٦١٠٥ - فذهب سليمان إليه وألقى السلام ، وحين رآه الشيخ أبدى له الاحترام .
- وسأله من أنت يا من ركبت بقلب فرح على مركب الريح .
- قال : أيها الشيخ أنا سليمان وأنا أيضا نبى وملك .
- وتحت أمرى ملك الأرض والجن والشياطين على اليسار واليمين .
- وملكى أيها الشيخ أراضى بلا حدود ومن الشرق إلى الشرق ومن قاف إلى قاف .
٦١١٠ - وأنا ملك على الروم والصين واليمن ، وانظر إلى الريح لقد صارت مسخرة لى .
- قال : لو أن هذا بناء راسخ ، لما وضع أصله على الريح .
- وكل ما هو من الريح يصير إلى الريح ، فكيف تصير الروح سعيدة بالريح .

حكاية

- قيل له فى زمن وفاة الاسكندر ، دعا الجميع من الصغير إلى الكبير .
- قال : الآن أغلقت يدى ، هيا قولوا ما الذى فى يدى ؟
٦١١٥ - قال أحدهم : فيها جوهر ، وقال آخر فيها لآلىء .
- وقال ثالث : كتاب الملك ، وقال الآخر : خاتم الملك .
- قال (الاسكندر) لا ، لا ، كلكم مخطئون ، وكلكم تطلبون طريق الهوس .

- وفتح يديه فى الحال وقال ليس فى يدى إلا الريح .
- وقد عمرت ثلاثمائة سنة ، ومن كل هذا العمر أملك الريح .

حكاية

٦١٢٠ - روى أن أستاذا قال للاسكندر العظيم أمام الناس :
- إلى متى أنت مشعل للفتنة فى الدنيا ، وقد صرت غافلا عن العجز وعن الموت .
- وحينها يطير بازى عمرك ، لا يكون شخص قرينا معك .
- فكل شىء يأخذ زاوية خاصة به ، وبالرغم من أنك ملك إلا أن أحدا لن يقبلك كعبد .
- وليس فى الدنيا ما هو أفضل من قلة الايذاء ، ما دمت لا تفكر فى أى أمر لك .

٦١٢٥ - وقد صار عمر النسر طويلا ، لأن أحدا لا يرى منه إيذاء .
- فلا يؤذى منه حيوان قط ، ولا يمد رأسه إلا لميتة .
- ولو لم يقتل البازى القطا ظالما ، لزادت سنى عمرها عن الألف .
- ذلك أنها أكثر ضعفا من النسر ، وطعامها ومكانها أكثر لطفا .
- وكل من يبدأ فى سفك الدماء ، يموت سريعا كالباشق والبازى .

٦١٣٠ - وحين أبديت البرهان فى هذا الكلام ، بدأت الكلام فى النسيان .



ثالثا

الشروح والتعليقات

للجــزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة
شروح وتعليقات

١ - يبدأ سنائى موسوعته بتوحيد الله سبحانه وتعالى كأساس للإيمان وأساس للإسلام وأساس أيضا لكل ما يمكن أن يدخل فى باب العلم والشرع وكالشعبة الأولى من شعب الإيمان . وهو ما درج عليه كل الشعراء الفرس بعد سنائى فى منظوماتهم أيا كانت موضوعاتها .

١ - ٥ : المقصود بالباطن قلب العارف الذى تربى على معرفة الحق وهو لا يصل إلى هذه المرتبة إلا بتوفيق من الله تعالى .. وهو أيضا واهب العقل وللعقل قيمة كبيرة فى الطريق عند سنائى كما سنرى بالتفصيل .. والمقصود بالعقل الحى أو حرفيا العقل ذى الروح كما ورد فى البيت هو العقل الذى احتوى على قبس من النبوة ويعترف بالسلوك كوسيلة من وسائل المعرفة وليس العقل الذى يقف على ما تقدمه الحواس .

٧ - ٩ : المقصود أسماء الله الحسنى والسائد بشأنها أنها تسعة وتسعون والأحاديث المتواترة بهذا العدد . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ « إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة » (حلية الأولياء ج٢ ص٢٧٤ و ج١٠ ص٣٨٠) وتواتر الحديث باختلافات يسيرة فى اللفظ وبنفس المعنى وفى البت ١٨٩٩ من الحديقة ذكر العدد ١٠٠١ مرة أخرى على أساس أنها المنازل التى يسير فيها السالك إلى الله تعالى .. ومن قائل أن التسعة وتسعين إسم هى أسماء الله الحسنى أما الألف والواحد فهى تجلياتها .. وأما انتساب كل إسم منها إلى حاجة فيعنى أن العبد ينادى الله سبحانه وتعالى ويدعوه بالإسم الذى يعبر عن حاجته .

١١ - الكفر والدين مسرعان فى طريقك .. يعنى أن الكافر نفسه يود لو كان مؤمنا « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مؤمنين » فضلا عن أن مولانا جلال الدين الرومى قد عبر هذا المعنى تعليقا على الآية الكريمة « يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا » بأن الجحيم ومن فيه يشتاقون إلى وجه الله الكريم .. فالكفر نفسه هنا خجل من الكافرين .

١٧ - ٢٤ : المعنى الواضح أن معرفة الله سبحانه وتعالى ليست عن طريق الحس والوهم والخيال وأنه لا معرفة لله تعالى إلا بالله نفسه « عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنور الله » والعارف بالله هو الذى لا يتقيد بعرش أو بفرش .. ولا يرضى بما دون الله سبحانه وتعالى ولسنائى بعض التعبيرات التى تبدو خارجة عن المألوف مثل التعبير الموجود هنا والذى يقول فيه يجعل العرش أرضا تحت قدميه والمقصود بالطبع أنه لا يهتم بما دون الله .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى خص عبده المخلوق من حمأ مسنون بنفث من الروح التى جعلها سجلا لكلامه ومنبئة عنه فى الخليقة سبحانه وتعالى ومعبرة عنه وساعيه إليه .. وهذا هوو مايقصده بقوله أنه المبدأ و المعاد لكل الخلق .

٢٥ - ٣٠ : فى هذه الأبيات يتناول وسائل المعرفة .. أى معرفة الله سبحانه وتعالى من عقل ووهم وحس وخيال .. وسوف تناولها بالتفصيل فى ما بعد والمقصود هو ذلك المعنى الذى ذكره آنفا من أن معرفة الله لا تتأتى إلا به سبحانه وتعالى .

٣٥ - ٤٠ : فى هذه الأبياتت يتحدث عن مشكلات كلامية من قبل القدم والحدوث والذات والصفات وما إليها وسوف نعود إليها عندما يصل موضعها تفصيلا . والإشارة هنا إلى عبارة منسوبة إلى الإمام على « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

٤١ - ٤٥ : يتحدث عن دور العقل فى معرفة الله سبحانه وتعالى .. فكل ما فى العقل من قابليات أنه هى عطية من الله سبحانه وتعالى .. كما أن العشق نفسه وهو الوسيلة المعترف بها للمعرفة لا يبلغ كما له إلا بعطاء من الله نفس - فالعقل له منه المقال والعشق له منه الكمال .

٥٠ - ٥٦ : المقصود بالطبع معرفة الله تعالى والمعرفة مذكورة فى فصل التوحيد على أساس أن أول درجات الإيمان معرفة الله سبحانه وتعالى وفى تفسير للآية الكريمة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أى ليعرفون .. والعبارة التى ذكرتها آنفا « عرفت الله

بالله وعرفت ما دون الله بنور الله » منسوبة فى كشف المحجـوب إلى الإمام على رضى الله عنه ومنسوبة فى اللمـع للسـراج الطوسـى (ص١٠٤) إلى ذى النون المصرى أما كتاب تذكرة الأولياء للعطار فقد ذكر العبارة على لسان ذى النون : عرفت الله بنور الله وعرفت الخلق بالرسول . والشطرة الثانية من البيت ترجمة لفقرة تأتى فى الدعاء « يا من دل على ذاته بذاته » والشطرة الثانية من البيت ٥١ ترجمة لدعاء منسوب إلى بكر الصديق رضى الله عنه « سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » والشطرة الثانية من البيت ٥٢ مثل فارس يضرب للمستحيل .. والضمير فى « بابه » يعود إلى العقل نفسه .. وينظر سنائى إلى القول المنسوب إلى أبى الحسين النورى فى طبقات الصوفية للأنصارى « ص١٥٨ طبعة عبد الحى حبيبى » (سُئل ما الدليل على الله تعالى فقال : الله فقال ما بال العقل قال : العقل عاجز والعاجز لا يدل إلا عاجز مثله) .

٦٢ - الحيرة هى لب العبادة .. وفى حديث منسوب إلىالرسول ﷺ « يا دليل المتحيرين زدنى تحيرا » وفى طبقات السلمى قول « منسوب إلى بايزيد البسطامى « المعرفة فى ذات الحق جهل والعلم فى حقيقة المعرفة حيرة » وإلى ذى النون المصرى تنسب عبارة أخرى فى تذكرة الأولياء ترجمتها « إن أكثر الناس حيرة فى الله أكثرهم معرفة به » (ص١٠١) وقال شيخ الإسلام الأنصارى فى الفكر فيه دهشة والدهشة نقصان والمعرفة حيرة وحيرة شديدة » « طبقات ٩٥ » وعند مولانا جلال الدين الرومى (المثنوى) حديث طويل عن الحيرة ودورها فى الطريق :- « انظر الأبيات ١١٠٨ - ١١١٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحها » .

٧٠ - من الممكن أن يكون سنائى فى هذا الترتيب العددى وفى التخيل الكونى الذى سوف نراه مسيطرا على الحديقة متأثرا بالفيثا غورنية تأثرا شديدا وذلك عن طريق إخوان الصفا . فالواحد أصل العدد ومنشأة « واعلم يا أخى أن صور الموجودات كلها تتلو بعضها بعضا فى الحدوث والبقاء عن العلة الأولى التى هى البارى سبحانه وتعالى كما يتلو العدد أزواجه أفراده بعضها بعضا فى الحدوث والنظام عن الواحد الذى قبل الإثنين » (رسائل طبعة الزركلى ج٣ ص٢٣٠) وينصرف هذا التصور العددى إلى نظام الكون فالاله واحد والعقل اثنان والنفس ثلاثة والطبائع والأركان والأخلاط والجهات والأوتاد كلها مقسمة إلى أربعة والحواس خمسة (رسائل ج٣ ١٨٣ - ١٨٥) وكلها تصرف فيها طبيعة الكون والفساد وهى قوة مختصة سارية فى جميع الأقسام (رسائل ج٣ / ١٩٣) والصمد هو المصمود إليه بالحوائج .

٧٥ - ٧٨ : أى أن الزيغ يتأتى من السؤال ومن البحث فى ذات الله وفى الحديث النبوى : تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله » وفى الحديث الشريف : نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » مسند أحمد ٢/ ٣٦٧ قاهرة ١٩٤٦ وما بعدها وصحيح البخارى ٤/ ١٢٥ .

٧٩ - ٨٨ : هذه أول مشكلة كلامية تردفى الحديقة وهى معروفة باسم مشكلة الاستواء والكيفية وقد فصل ابن حزم المشكلة بقوله : « ذهبت طائفة إلى القول بأن الله تعالى جسم وحجتهم فى ذلك أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض فلما بطل أن يكون الله تعالى عرضا ثبت أنه جسم وقالوا إن الفعل لا يصح إلا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم واحتجوا بآيات للقرآن فيها ذكر اليد واليدين والعين والوجه « ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص١١٧ القاهرة ١٣١٧ هـ » كما غالى بعضهم ومنهم أصحاب مقاتل بن سليمان من المرجئة فقال إن الله جسم وأنه على صورة إنسان من لحم ودم » (الأشعرى : مقالات الإسلاميين تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٠ جـ١ ص٢١٤) واليد المذكورة إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح / ١٠) والوجه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (البقرة/ ١١٥) والمجىء إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا ﴾ (الفجر/ ٢٣) أما النزول فإشارة إلى الحديث النبوى الشريف « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قبل الثلث الأخير من الليل ويقول من يدعونى فأستجيب له ومن يستغفر فأغفر له « موطأ مالك جـ١ ص٣٥٨ » والقدمان إشارة إلى ما ورد فى الحديث « يضع الجبار قدميه فيها فيقول قط قط » أما الإصبعين فإشارة إلى ما ورد فى الحديث النبوى « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » وتعبير النور والشمس من التعبيرات التى توسع فيها فيما بعد مولانا جلال الدين الرومى .. وكلاهما أى الرومى وسنائى يتأثران إلى حد كبير بنظرية فيض المخلوقات عن البارى تعالى كفيض النور عن الشمس يفيض منها ورجعته إليها والخلاصة أن سنائى ينكر المكانية والاستواء كما سنرى أيضا أنه ينكر التجسيد انكارا تاما وأثرت نظرياته السنية الأشعرية هذه فى كل من جاء ومن بعده من الصوفية .

٩٠ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ الأنبياء ١٠٤ .

٩١ – لمولانا جلال الدين فى كتابه « المجالس السبعة » تفسير قريب من هذا البيت : إن الزهاد يفكرون ماذا نصنع وماذا نفعل أما العرفاء فعرفوا منذ الأزل مـا الذى فعله وما الذى جرى وقال بالعربية : لا تكونوا من أبنـاء العمل وتكونوا من أبناء الأزل الزاهد يقول كيف أصنع والعارف يقـول كيف يصنع : إن سير الزاهدكل شهـر مسيرة يوم وسير العارف كل لحظة حتى عـرش المليك (عن تعليقات مدرسى رضوى ص٩٦ – ص٩٧) .

٩٣ – ٩٩: إشـارة إلى الآية الكـريمـة ﴿ استوى على العرش ﴾ (الأعـراف/ ٥٤ – يـونس/ ٣ – ١/ عد/ ٢ – السجـدة/ ٤ » وللميبدى فى كشف الأسرار تعليق على معنى الأستواء يستبعد تمامـا الاستقرار وتفسيره بأنـه العلو والسمو ومن ثم فـاقرأ الأمـر بروحك ودعك من الفضول وعن الإمـام إلى حامد الغـزالى قال مالك رحمة الله لما سئل عن الاستـواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهـول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » (عن تعليقات مدرس رضوى ص٩٨) .

١٠٣ – علق مـدرس رضوى على هذا البيت قـائلا « قيل أن الإشارة فى البيـت إلى ما روى عن على : سلونـى عما دون العرش » (ص١٠٠) والمعنى الموجود فى البيت لا يشير إلى هذا من قريب أو بعيد بل قد يكون المقصود أن أولئك الذين غالوا فى على رضى الله عنه من السبأية وأضرابهم وأضافوا على صفات الالوهية قد جعلوا الحسين بنى على رضى الله عنهما يعاديهم ويحاربهم .

١٢٠ – أى رسم الاله روحك من مادة مجردة ولا لون لها .

١٢٢ – أى أن الله سبحانـه وتعالى يخلق فى غير مكان وبلا آلـه بل بمجرد أن يقول للشىء كن فيكون « إنما أمـره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

١٣٠ – كنت كنزا مخفيا .. فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » حـديث مروى فى معظم كتب الصوفية ، وتقوم عليه معظم أسس نظرية المعرفة عندهم وأورده فروزانفر فى أحاديث مثنـوى » ونقل من منازل السـائرين لابن الداية « قال داود عليه السلام : يـا رب لماذا خلقت الخلق ، قـال : كنت كنزا مخيفـا فأحببت أن أعـرف فخلقت الخلق لكى أعـرف » (ص٢٩) وورد عن الشيخ محمد القاوقجى نقـلا عن ابن تيمية أنه قـال أن هذا الحديث ليس من أقوال الرسـول وليس له سند صحيح ضعيف كما تبق فى هـذا الزركشى وابن حجـر (عن تعليقات ص١٠١) ومن الـواضح أن سنـائى تبع فى قضية التـوحيد مـا ورد عنـد صوفيـة العرب بنصـه ونصه يقـول الكلابـاذى « إن قلت متى فقـد سبق الوقت كـونه وإن قلت قبل فـالقبل بعده وإن قلت هـو فالهاء والـواو خلقه وإن قلت كيف فقـد احتجب عن الوصف بـالكيفية ذاته وإن قلت أين فقـد تقدم المكان وجوده وإن قلت مـا هو فقد بـاين الأشياء هويته » (الكـلاباذى : التعرف إلى مـذهب أهل التصوف ص٣٤ – ص٣٥) كما تحدث الكـلاباذى عن المعـرفة بما يشـابه مـا ورد عند سنـائى « أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده وسبيل العقـل عنـدهم سبيـــل العــاقل فى حـاجة إلى الدليل لأنه محدث والمحدث لا يدل إلا على مثله » (التعرف ص٦٣).

١٣٩ : القرآن الكريم عن حسن التصوير (المؤمن/ ٦٦) التغابن/ ٦٨ الأعراف / ١١ .

١٤٣ – ١٥٢ : النفس هنـا هى النفس الناطقـة وهو ليس نطقـا بـالفعل بل المراد هو قـوة إدراك المعقولات .. وفكـرة أن القلب كالمرآة التى تنعكـس عليها الصور .. أخـذها مولانا جلال الدين فيها بعدوزاد عليها وكررهـا ، كما أن مثال ابومة التى تختفى من الشـمس من الأفكار التى انتقلت أيضا إلى مولانا جلال الدين فى أكثر من موضع من كتب المثنوى الستة .

١٥٦ – يسخر سنـائى كثيرا من الذين يتقعـرون فى استخدام المصطلحات الصـوفية والتجلى هو غلبـة النور الالهى الـذى ظهر لموسى عليه السـلام فى الجبل فجعل الجبل دكا وخر موسى صعقا أما الحلول فهو اختصاص شىء بشىء بالحيثية وهو على نوعين سريانى وطريانى والسـريانى هو حلول أجزاء الحال فى أجزاء المحل والطريانى هو حلول المجموع فى المجموع (تعليقات ص ١٠٣) .

١٦٥ – إشارة إلى حـديث نبوى يـرويه بعضهم عن الرسـول ﷺ فى شأن أبى بكر الصـديق رضى الله عنه أنه قـال « يا أبـا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر قيل يـا رسول الله وما الرضوان الأكبر قال : يتجلى الله عز وجل يوم القيامـة لعباده المؤمنين عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة » ويضيف مدرس رضوى أنه لا أصل لهذا الحديث ن كتب السنـة والجماعة لكنه موجود فى كتب الصوفية وفى كشـف الأسرار للأنصارى من نقل الميبدى ويضيف لأن أبا بكر كان متفوقا فى معرفته . (تعليقات ١٠٢ – ١٠٤) .

١٦٦ – ١٨٤ : الحكاية التى وردت فى هذه الأبيات من أشهر الحكايات الصوفية وردت قبل سنائى عند أبى حيان التوحيدى فى المقابسـات (ص٢٥٩ من طبعة مصر ١٩٢٩) وفى احياء علـوم الدين للغزالى (ج٤/ ص٧) كما أوردها الإمـام الغزالى أيضا فى كتـابه

كيمياى سعادت . وقد أوردها أيضا فيا بعد مولانا جلال الدين الرومى فى الكتاب الثالث (انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور : الدفتر الثالث الأبيات ١٢٦٠ - ١٢٦٩ وشروحها .. الزهراء للإعلام العربى ١٩٩٢) .

١٨٦ - هنا اشارة إلى قصته من قصص الأدب الشعبى لم يشر إليها مدرس رضوى فى تعليقاته ولم أعثر لها على أصل .

عنوان الفصل انظر : انظر شرح الأبيات ٩٣ - ٩٩ من نفس الكتاب .

١٨٩ - الاصبعان هنا إشارة إلى ما ورد فى حديث نبوى ورد عند أبى نعيم الاصفهانى فى حليته الأولى . « ٨/ ٤٥ » : « إن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن ما شاء أزاغه وما شاء أقامه » وعند الإمام الغزالى : « قلب المؤمن بينى اصبعين اصبع اللطف واصبع القهر (احياء ١/ ١٠٠) وهو نفس التغير الذى قبله مولانا جلال الدين الرومى (انظر الدفتر ٣/ الأبيات ٢٧٧٧ - ٢٧٨٩ وشروحها) كما أن الشرح أصلا موجود فى شرح التعرف إلى مذهب أهل التصوف لإبراهيم بن المستملى البخارى (٢/ ١٠١ من طبعة الهند بدون تاريخ) .

١٩٨ - هذا البيت منقول من قول أبى حنيفة النعمان فى ربيع الأبرار للزمخشرى « ما آتانا عن الله ورسوله على الرأس والعين وماآتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخرج عن تأويلهم وما آتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال » كما ذكر الإمام الغزالى نفس القول دون اسناد (١/ ٧٢) .

٢٢٤ - حديث نبوى : الكسل بذرة الكفر .

٢٢٩ - المراد أن السالك الصادق يقطع عوالم الدنيا والآخرة ، أو العوالم الأربعة الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت ، وكأنه يقطع المنزلين فى منزل واحد وفى رضوى المنازل التسعة بأنها المنازل العشرة وهى عبارة عن التوبة والشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والصدق والإخلاص والمحاسبة والمراقبة والتفكر والتدبر والتوحيد والتوكل والمحنة والشوق وذكر الموت (١٠٩ - ١١٠ تعليقات) والنص صريح فى ذكر المنازل التسعة .. وقد يكون المقصود هنا الأفلاك التسعة ، المراد أن الصادق العاشق أكثر عملا من الزاهد المتيبس الجاف وهو أدنى من العاشق ، فالعشق عمل وسعى وجهد ..وبالطبع الذى يقطع الطريق وهو يمارس حياته العادية بين البشر أفضل من ذلك الذى يعتزل .. وفى نفس المعنى يقول مولانا جلال الدين :

إن سير العارف فى كل لحظة حتى عرش المليك ، وسير الزاهد فى كل شهر حتى العتبة

٢٣٥ - « ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم » حديث نبوى ورد فى الجامع الصغير ٢/ ١٤٥ .

٢٤٠ - إشارة إلى العنكبوت الذى نسج على غار ثور فى جبل أبى قبيس عندما اختفى فيه الرسول ﷺ والصديق رضى الله عنه أثناء الهجرة .

٢٤١ - فى الشطرة الأولى إشارة إلى معجزة من معجزات الرسول ﷺ وردت فى مناقب ابن شهر آشوب .. وفى تفسير كشف الأسرار (ج٣/ ٨٤) وملخصيها أن أعرابيا من بنى سليم صاد ضبا وحمله إلى داره وفى الطريق وجد جمعا فسألهم عن وجهتهم فقالوا أن محمد ابن عبد الله قد أدعى النبوة وهم فى الطريق إليه فصحبهم ، وكان الرسول ﷺ جالسا فى مسجد المدينة فدخل الأعرابى وأغلظ على الرسول فى القول وكلما دعاه ازداد غلظة .. حتى قال : والله لا اومن بك حتى ينطق هذا الضب ويصدقك ووضع الضب أمام الرسول فانطلق هاربا فدعاه الرسول فعاد وانطلق معترفا بألوهية الله ونبوة محمد وأسلم الأعرابى . أما الشطرة الثانية تشير إلى معجزة أخرى وردت فى كتاب شواهد النبوة للبيهقى أنه ﷺ عندما كان عائدا من غزوة تبوك اعترضتهم فى الطريق حية مهولة فأوقف الرسول راحلته فرفعت الحية رأسها وطأطأتها .. وانصرفت إلى حال سبيلها فقال ﷺ أنه امن الجن الذين استمعوا إلى القرآن وعندما بلغنا ديارها قدمت لتحيتنا.. وقال « أحبوا عباد الله من كانوا » (عن تعليقات رضوى ١١٣ - ١١٤) .

٢٤٣ - فى رأى مدرس رضوى الشطرة الأولى تشير إلى عدم إكمال ﷺ لوليمة اليهودى الذى دس له السم فى شاة (ص١١٥) لكنى أرى أنها إشارة إلى شرب خالد بن الوليد رضى الله عنه لذلك الحق من السم الذى كان فى خزائن كسرى وقيل أن نقطة واحدة كفيلة بقتل الرجل فرفعها كلها إلى فمه وافرغها فى جوفه بعد أن قال بسم الله الذى لا يضر مع إسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وأصبحت الحكاية من المأثور الصوفى الذى يتكرر كثيرا عند كبار مشايخ الصوفية .. أما الشطرة الثانية فتشير إلى الحصى الذى سبح فى كف الرسول وهى واردة فى شرح التعرف (٤/ ١٩٣) وأوردها أيضا جلال الدين الرومى فى الكتاب الثالث « انظر الترجمة العربية الأبيات ٣/ ١٠١١ - ١٠٢٩ وشروحها » .

٢٤٨ -٢٥١ فكرة الحفظ الالهى للإنسان برغم جحوده وجبروته يضرب سنائى لها المثل بحبة القمح التى توجد فى رغيف الخبز

مع طول الرحلة التى قطعتها والمراحل التى مرت بها والمقصود بالطبع أن الإنسان أثناء مروره بالمراحل العديدة التى يقطعها محفوظ بالحفظ الالهى .. وقد تناول مولانا جلال الدين نفس الفكرة فى الكتاب الثالث (انظر الأبيات ٣٣٣ - ٣٣٩ وشروحها من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) .

٢٥٧ : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت يبدو أنها منقولة من كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى « باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال : مالى اذن عند الله تعالى وأجعل الله ذخرا لولدى وقسمة بين ذوى الحاجة » كما ذكر نصير الدين الطوسى حكاية قريبة منها : « أصاب بعض العلماء مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك ، قال : لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى » والحكايتان تذكر ان بموقف أبى بكر الصديق رضى الله عنه عندما خرج عن كل أمواله قبل الهجرة ولما سأله الرسول عليه السلام عما تركه لأولاده قال : الله ورسوله .

٢٦٤ - ٢٧٩ : هذا المثال الذى يضرب عن رزق الله للإنسان فى كل مراحل حياته مأخوذ من قول مكحول الوارد فى كتاب عيون الأخبار للدينورى (ج٢/ ص٣٦٤) قال مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزه عن داود بن أبى هند عن مكحول قال « الجنين فى بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم فيأتيه الله برزقه من قبل سرته وغذاؤه فى بطن أمه من دم حيضها . فمن ثم لا تحيض الحامل ، فإذا اسقط استهل استهلالة انكارا لمكانه ، وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدى أمه ثم حوله إلى الشىء يضع له ويتناوله بكفه . حتى اشتد وعقل قال : أين لى بالرزق يا ويحك ، أنت فى بطن أمك وفى حجرها ترزق حتى إذا عقلت وشبيت قلت : هو الموت أو القتل وابن لى بالرزق ثم قرأ : يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » وقد تناول مولانا جلال الدين نفس الفكرة فى الكتاب الثالث وأحال القارىء أو السامع إلى سنائى فى الحديقة لكى يقرأ الفكرة عنه بالتفصيل (انظر الكتاب الثالث المثنوى الترجمة العربية لكاتب هذه السطور أبيات ٥٠ - ٦٨ وشروحها) .

٢٨٣ - العرس عند الصوفية كما فصله مولانا جلال الدين الروى فيما بعد هو الموت فمنه الانتقال إلى حياة أرحب وأوسع وأكثر خلودا (انظر الكتاب الثالث - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور أبيات ٣٥٢٩ - ٣٥٣٦ وشروحها) .وخلعة الموت هى الرحمة الآلهية أى أن الرحمة الالهية تسبغ على المرء بمجرد موته ، ومصير الإنسان محدد بمجرد الموت .. وأن اسبغت عليه الرحمة الالهية منذ اليوم الأول لوفاته فأنها لا تسترد منه عند البعث .

٢٨٧ - الذهب النضار العمل لله تعالى لا رياء ولا سمعه والذهب المزيف جاه الدنيا وزخرفها والعمل الصالح أيضا إن كان رياء وسمعة .

٢٩١ - الصديق حية لأنه يمنع عن باب الله ولمولانا جلال الدين فى الكتاب الرابع من المثنوى شرح مفصل لهذه الفكرة « انظر الكتاب الرابع من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى ١٩٩٤ ت . مدبولى - الأبيات ٩٦ - ١١٢ وشروحها » أما كون الجنة صديقا فلأن الحية فى المأثور الفارسى غالبا ما تكون حارسة على كنز فكان وجودها يدل على وجود الكنز .. ومن ناحية أخرى تقيم فى الغالب فى الخرابات والخرابات موضع الزهاد والنساك والصالحين فكأنها مؤنسة لهم .

٢٩٢ - « إلا » إثبات و « لا » نفى وكلاهما يشيران إلى إثبات الشهادة « لا إله إلا الله » فالنفى نفى لما عدا الله والاثبات له وحده جل شأنه و إلا عالم الاثبات ولا عالم النفى والعدم فامح أولا ثم ابثت وبذلك تصل إلى جوهر عالم البقاء وتنجو من صدف عالم النفى والفساد .

٢٩٣ - عن العدم الذى هو أساس الوجود ، وعن العدم كمخزن لعالم الوجود تفصيل عن مولانا جلال الدين فى الكتاب الخامس من المثنوى « انظر الأبيات ١٠٢٥ - ١٠٥٠ وشروحها » والكتاب الرابع الأبيات ٢٤٤١ - ٢٤٦٨ وشروحها .

٣٠٥ - ٣٠٨ : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا هدانا الله » فليس من المعقول أن يجتبى الله سبحانه وتعالى الإنسان من بين مخلوقاته .. ثم يتركه فى بيداء الحيرة والضلالة « انا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا » وهداية الله سبحانه وتعالى ذات طرق عديدة .. وتأتى من حيث لا يحتسبها الإنسان وبطرق لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى ، والأمراء الستة فى البيت المقصود بهم أصحاب الكهف كما تقول بعض التفاسير فهم ستة والراعى أى سبعة وثامنهم كلبهم .. ولا نخوض فى عددهم « قل ربى أعلم بعدتهم» وكانوا أسرى عند دقيانوس مرغمين على عبادته فلما سقط قطان يتقاتلان من فوق سطح أغمى عليه .. فقالوا فى أنفسهم : كيف يكون جديرا بالألوهية من يهلع من قط .. فهجروا القصر والتقوا بالراعى وكلبه ، ودعوا الراعى إلى الأيمان فآمن ثم تبعهم هو وكلبه وحاولوا رد الكلب لكلا ينبح ويدل عليهم فلم يعد ، وتقول بعض التفاسير أن الله الذى ينطق كل شىء أنطقه فقال أنه يبحث عن الاله الذى يبحثون عنه وتبعهم إلى الكهف » (قصص الأنبياء / ص٣٤٣ وتفسير الطبرى) .

٣١١ - عن استخدام الكلاب كرمز للوفاء انظر مولانا جلال الدين المثنوى الدفتر الثالث الترجمة العربية الأبيات ٣١٥ - ٣٢٢ وشروحها .

٣٢٥ - اعطاء الفراء للقصار .. كناية عن الخروج عن أسباب الوجاهة عند بعضهم وكتابة عن الخروج عن رداء البشرية . والقصار هو المرشد وهو الشيخ : أى سلم إلى الشيخ لباس الأنانية والكبرياء وهواجس النفس وخطرات الطبيعة البشرية .

٣٤٦ - إشارة إلى ما يروى من أن سيدنا عيسى كان يمارس الصباغة فى أول حياته ومن أناء واحد أخرج ثيابا متعددة الألوان (الثعالبى : قصص الأنبياء ص٣٨٩ ٤ القاهرة ١٩٥٤) وأصبح دن عيسى فيما بعد رمزا عند الصوفية للون الواحد الذى تفنى فيه كل الألوان وكل التعينات (لون الوحدة ولون العشق) .

٣٥١ - الشرطى هنا الذى يعيد للعالم قوامه وصوابه بعد الفترة هو محمد ﷺ والأبيات التالية التالية إلى البيت ٣٦٣ فى مدحه ﷺ وكان سنائى من أوائل من استخدموا القصص القرآنى وقصص الأنبياء فى ضرب الأمثلة وهو ميدان اتسع كثيرا وتعددت أبعاده عند مولانا جلال الدين الذى جعل من عالم النبوة وعالم الولاية عالما واحد .

٣٥٦ - « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (النجم / ٤) .

٣٦٩ - انظر شرح الأبيات ٧ - ٩ من هذا الكتاب .

٣٧٢ - الحق تعالى هو مبدع النقطة والخط والسطح قبل خلق المكان وخالق الجسم والبعد والجهات الستة قبل خلق الزمان .

٣٧٩ - « كل ما توهمتوه ، الله غيره » من أحاديث مثنوى لفروزانفر ص١٤٢ وشبيهه ما قيل « كل ما خطر بالك أو صورة خيالك فالله غير ذلك » وأشبه به ما قاله الإمام الباقر رضى الله عنه « كل ما ميزتموه بأوهامكم فى أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم » ونظيره ما جاء فى كشف الأسرار عن الشبلى « ما عرفتموه بعرفانكم وميزتموه بعلومكم وآرائكم وعقلتموه بأوهامكم وأفهامكم وقدرتموه فى عقايدكم وقلوبكم فهو مصروف إليكم مخلوق مثلكم » وأورد أبو النصر السراج كلام الشبلى فى اللمع .

« وكل مميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم » (عن تعليقات مدرس رضوى ص١٢٨ - ص١٢٩) .

٣٨٧ - لا اتحاد هناك ولا حلول .. أينما تولوا فثم وجه الله .. مراياه خلقه وابداعه .. وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد .

٣٩٠ - مثال طير الفاخته التى تصيح « كو » وهى فى الفارسية « أين » والتلاعب بين هذا الصوت ومعنى الكلمة نقلة مولانا جلال الدين بنصة ومعناه عن سنائى دون أن يشير إلى ذلك . وكلاهما أخذ الصورة لا المعنى من عمر الخيال فى الرباعية التى يقول فيها :

هذا القصر الذى كان يطامن السماء
وكان الملوك يسجدون على أعتابه
وأيت كيف حطت الفاخته على شرفته
وأخذت تصيح : كوكو .. أين أين

وانظر الدفتر الثالث من المثنوى الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٢٩٩ - ١٣٠٥ وشروحها .

٣٩٢ - ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك﴾ آل عمرا / ١٨٨ ٨

٣٩٧ - « الوجود خير و « ليس فى الامكان أبدع مما كان » فالله سبحانه وتعالى أحسن كل شىء صنعا .. كما قال شاعر آخر .

كل شىء موجود كما ينبغى أن يكون .. وما لا ينبغى أن يكون ليس موجودا .

وقال آخر :

الدنيا كالعين والأذن والخال والحاجب كل منها طيب فى موضعه (عن تعليقات مدرس رضوى ص ١٣٠) .

٤٠٢ - نظير هذا المعنى : صحة القوس فى انحنائه وجمال الحاجب فى تقوسه .

٤٠٣ - كل خلقة فى العالم خلقت كما ينبغى .. وقد اقتبس مولانا جلال الدين هذا المعنى فى الدفتر الثالث ، وأشار إلى سنائى وإلى الحديقة كمصدر لهذا المعنى انظر الترجمة العربية للمثنوى الكتاب الثالث الأبيات ٢٧٧١ - ٢٧٧٨ وشروحها .

٤١١ - كنزا لروح العلم والمعرفة والحية النفس الأمارة بالسوء والعقل العقل العرفانى .

٤١٢ - الحكاية التى تبدأ بهذا البيت مصدرها ابن الجوزى فى كتاب نقد العلم والعلماء (ص ٤٠) « وما مثلنا إلا كرجل رزق

ولذا أحول فـلا يزال يرى القمر بصورة قمرين حتى أنـه لم يشك أن فى السماء قمرين . فقال له أبوه : القمـر واحد وأنها السـوء فى عينك ، أغمض عينك الحولاء وانظر فلما فعل قال : أرى قمرا واحدا لأنى عصبت احدى عينى فغاب أحدهما . فجاء هذا القول شبهة ثانية فقال له أبـوه : إن كان كذلك كما ذكرت فغض الصحيحـة ففعل فرأى قمرين فعلم صحـة ما قالـه أبوه » وقد روى العطار نفس الحكـاية فى أسرار نامه ص ٩٠ طبعة سيـد صادق - كوهرين كما وردت فى الكتاب الأول من مثنوى جلال الدين (الترجمة العـربية لمحمد كفافى ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٤٢٥ - فكرة تناسق الخلق وأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا .. فضلا عن أن هذه الأبيات تتميز بروحها التفاؤلية الشديدة من ناحية ومن ناحية أخرى على أن التناقضات التى تملأ الحياة هى التى تجعلها تتميـز بالتوازن اللازم فليس الصوفية قوما يحلقون فى عالم المثال كما يفهمون خطأ ولا هم أيضـا يطلبون من الإنسان أن ينفى تماما الجوانب السلبية من حيـاته بل أن مقاومته لها ووقوفه أمـامها هو الذى يعطيه الحق فى لذة الوصول وبقدر بعد الشقة تكون لذة المنزل وقد دق مولانا جلال الدين على هذه الفكرة كثيرا فى (انظر الكتاب الخامس أبيات ٥٧٤ - ٥٨٥ وشروحها) . وهناك مأثورات كثيرة فى هذا المجال .

٤٤١ - من هنا والمثال الذى يليه يناقش قضية كلاميـة ناقشها الصوفية كثيرا وهى قضية الجبر والاختيار وهى من المسائل الأولى التى أثيرت فى الإسلام .. فقـد ثار الجدل : هل يخلق الله تعـالى الأفعال الـذميمة أو بعبارة أخـرى : إذا كان الله قـد قدر علينـا منذ الأزل أفعالنـا الشريرة فلماذا يحاسبنا عليهـا وفى أواخر جيل الصحـابة قال سعيـد الجهنى وغيلان الدمشقى ويـونس الأسوارى بـالقدر (الملل والنحل للشهر ستانى ١/ ٣٥ مصر ١٩٥٦) وسلك أبـو الهذيل العلاف مسلك واصل (ملل/ ٣٥) فلما جاء النظام قال أيضـا بالقدر ولكنه زاد عليه بأن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بـالقدرة على الشرور والمعاصى (ملل ١/ ٥٦) والإنسان بتعبير شيخ المعتزلة واصل هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله (ملل ١/ ٥١) والأفعال على رأى جهم تخلق ونسبتها إلى الإنسان مـا تنسب إلى الجماد كما يقال أثمـرت الشجرة وجـرى الماء (ملل١/ ٨٠) ويقف أهل الشريعة مـوقفا وسطـا فيرون أن الأفعال مخلوقة من لله تعالى مع استطاعة تحدث من الله تعالى (انظر مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ج١/ ٢٧٣ وما بعدها) وسنائى للعبد مقارنة للفعل (ملل١/ ٨١) وقـد عمق الأشعرى هذه الفكرة وخـرج منها بما سماه الكسب المجعول تحت قدرة الله تعالى وسنـائى عندما يقول إن الله لا يفعل السـوء إلا بالجلف والـذى لا عقل له إنما يذهب مذهب المعتزلة فى نفى فكرة فعل السـوء عن الله تعالى تعالى بادىء ذى بدء .. والعبد هـو الذى يصب نفسه بجهالة بـالشر .. ويخلص أحيانا إلى الخير والشـر مجرد أسماء .. وهى أمور نـسبية فما تظنه شرا قد يكون الخير كله ومـا نظنه خيرا قد يكون الشر وهلم جرا .. وفى موضع آخـر من الحديقة يقدم فكرة مشابهة لفكـرة « الكسب » الأشعرية مفسـرا ذلك بأن الجبر لا ينصب إلا على حـركة الخليقة مـن الموجودات والسموات والأفـلاك أما الأفعـال الإنسانيـة فتوصف بـالاختيار ويقول فى البيت ٥٤٥٩ من الحديقة :

والحركة بالجبر لخلق العالم ، والحركة بالاختيار للإنسان .

وفى البيت ٤٦١ يرى أن التكريم الحقيقى للإنسـان يكمن فى منحه حرية الاختيار بين العقل والهوى . وعند مـولانا جلال الدين اتخذت الفكرة أبعـادا أخرى وأضاف عليها من بيـانه وفكره (انظـر مقدمة الكتاب الخامـس من المثنوى - الترجمة العربية لكـاتب هذه السطور تحت عنوان العدالة الالهية والحرية الإنسانية) .

٤٨٠ - السواد .. هـو اللون الذى يـرمز إلى الفقر نسبـة إلى حديث منسوب إلى الرسول ﷺ « الفقـر سواد الوجـه فى الدراين » والسواد هـو الذى لا يقبـل لونـا آخر ومن هنـا فهو لـون الوحـدة وهو فى اصطـلاحهم الفناء فى الله واتحاد القطـرة بالبحـر وهذه مـرتبة الكاملين.. ومن هنـا قالوا « إذا تم الفقـر فهو الله » .. هذا فى حين أن الإمام الصـاغانى اعتبر حديث الفقـر سواد الوجه فى الدراين من الموضوعات وليس حديثا نبويا .

٤٩٠ - هلال اسم غلام للنبى ﷺ قـال بعضهم هو هلال من حمراء وقال بعضهم بل أبو الحمـراء هلال بنى حارث .. ونسبت إليه مقامات وأحوال .. وهنـاك هلال آخر ورد فى الاصابة عندما قال ﷺ : يـدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فلم يلبث أن دخل عبد حبشى هو هلال مولى المغيرة بن شعبة عليه جبة من صوف فيها رقاع من أدم رافعا بطرفه إلى السماء (الاصابة فى تمييز الصحابة لإبن حجر العسقلانى جـ٦ ص٢٩٢ القاهرة ١٩٠٧) أما نعل بلال فاشارة إلى مـا روى عن النبى ﷺ أنه قال لبلال بعد صلاة غداة يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملتـه عندك فى الإسلام منفعة فإنى سمعت الليلـة خشف نعليك بين يدى فى الجنة قال بـلال وما عملت عملا فى الإسلام أرجى عندى منفعة من أنى ما تطهرت طهورا تاما فى ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لى أن أصلى »

٥٠٠ - الكلمة المقصودة فى هذا البيت هى الشهادة أى التوحيد .

٥٢٣ - الدنيا ومن فيها فى نوم الغفلة ، والغفلة تلعب دورا كبيرا فى دوام هذا السوق وهذا ما عبر عنه مولانا جلال الدين الرومى فى أن الغفلة عماد عن عمد الحياة الدنيا .. وهى السبب فى رواج هذا السوق .. ويدق عليها بصور كثيرة منها فكرة أن الإنسان طوى مراحل حياته الأولى غافلا .. وجاء إلى هذا الكون نائما دون أن يدرى المنازل التى قطعها لكن الصورة التى يقدمها سنائى هنا صورة كلية تقدم لنا الكون كله فى صورة واحدة ذات وجود أهون على الله من جناح البعوضة .. فالوجود البشرى بالنسبة لهذا الكون .. ولحركة الأفلاك ودورانه « نملة فى ذيل تنين » فلا التنين يحس بوجود النملة حتى يسقطها أرضا .. ولا النملة تحس أنها قابعة فى موطن الخطر .. ومن ثم فالعمر الإنسانى كله حبة واحدة فى ذيل .. وإياك أن تنخدع بالعرس .. فالعرس والمأتم كلاهما جليس للآخر .. وهو ما عبر عنه مولانا بتلازم الكون والفساد فى الخلقة الإنسانية (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٥٩٢ - ١٦٤٠ وشروحها) .

٥٥٣ - ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ الحديد/ ١٢ .

٥٥٤ - عندما أنزلت الآية على الرسول ﷺ قال : مرحى ، ومن هذا التحسين يد موسى البيضاء وكون الخليل أواها ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾(التوبة ١١٤) .

٥٦٤ - كل هذه الادعاء والقعقعة من الجسد ، وإلا فإن الروح والقلب غنيان عن كل هذا وغناهم يكون بنور الله .

٥٦٥ - ٥٦٦ : أى شىء هذا افساحك الطريق لبضعة من الأخساء الذين ترى أنهم أقدر على نفعك وضرك من الله سبحانه وتعالى .. إن النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين إلى الله تعالى هو الجدير فقط بأن يفسح له الطريق ولا شىء آخر .. وكل من تعتمد عليهم من دون الله تعالى مجرد مصابيح تطفأ عندما ينفد زيتها وتنعدم فائدتها عندما تسطع شمس الحقيقة .

٥٦٧ - ٥٧٠ : ذلك الذى تراه شمعا لا يحتاج حتى إلى ريح من أجل أن يطفأ .. فإن نصف عطسته تكفيه .. والطريق إلى الله وإلى الحقيقة ليس بالادعاء والتفاخر والنفاج بل بابداء الألم والعبودية الحقة .. والألم ينبغى أن يكون فى سبيل الحقيقة .. وإلا فإنه حتى الآلام التى تمارسها هى نابعة منك أنت ومن اهتماماتك أنت ومن همومك أنت وليست فى سبيل الله ومن ثم فهى لا شىء .

٥٧٢ - أورد الزمخشرى أصل الحكاية التى تبدأ بهذا البيت فى كتاب ربيع الأبرار « اجتاز عمر ابن الخطاب بصبيان يلعبون فهربوا إلا عبد الله بن الزبير فقال له عمر : لم لا تفر مع أصحابك قال : لم يكن لى جرم فأفر منك ولا كان الطريق ضيقا فأوسع لك » كما وردت الحكاية عند الراغب الاصفهانى فى محاضرات الأدباء ومفاكهات الظرفاء (جـ١/ ص٣٢ مصر ١٢٧٨) كما وردت فى أدب الدنيا والدين للماوردى . والملاحظ أن حكايات سنائى فى بعض الأحيان قد تكون منبتة الصلة عن السياق .. فالحكاية هنا عن الحلم والعدل .. ولا علاقة لها بما قبلها وما بعدها .

٥٩٤ - الثورى هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى من العلماء والزهاد وأهل الحديث توفى ١٦١ هـ فى حين أن أبا يزيد البسطامى الصوفى المشهور توفى على الأرجح سنة ٢٦١ هـ ومن ثم يستبعد تماما اللقاء بينهما وربما كان المقصود النورى (أبو الحسن النورى) من صوفية القرن الثالث الهجرى ومعاصر تقريبا لأبى يزيد البسطامى (توفى على الأرجح سنة ٢٨٦) والحكاية وردت عند السلمى دون ذكر للسائل والسؤال كان عن معنى العارف (طبقات الصوفية للسلمى ص٧٢ تحقيق نور الدين شريبة القاهرة ١٩٥٣) .

٦٠٢ - « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة » الجامع الصغير للسيوطى ١/ ٣٧ . واسناد سنائى هذه الكلمة للإمام على رضى الله عنه خطأ شائع .

٦٠٩ - عن مثال الفاختة وهديلها انظر شرح الأبيات ٣٩٠ وما بعده من هذا الكتاب .

٦٣٨ - « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » تسند فى أغلب الأحيان إلى الإمام على رضى الله عنه ، وفى أحيان قليلة تذكر كحديث نبوى وترد فى كتب الصوفية كثيرا على أساس أن هذه الدنيا كحلم نائم عند أغلبهم ، وعلى أساس أن الإنسان عندما يشرف على دنيا أكثر رحابة وسعة يحس أن الدنيا التى كان يظن أنه عالم بها لا تساوى شيئا وأنه كان فيها بمثابة النائم الذى لا يدرى بما حوله .

٦٦٩ - أنظر إلى تعبير وعناق الموت فى هذا البيت فهو يعبر خير تعبير وأوجزه عن الاهتمام بهذا العالم دون العالم الباقى : أن كل كون فى هذا العالم معرض للفساد .. وعناقك له .. معناه أنك تعانق الفساد ، ويثبت العلم الحديث أن الاغتراف من اللذائذ الحسية يسرع بمقترفها إلى النهاية ، وكلما زاد اقباله عليها يزداد دنوه من الموت ، إنه بينما يتمتع يدمر ، وبينما يحس أنه سعيد بما يتمتع به يسرع

نحو الشقاء الحقيقى .. فضلا عن ابتلائه بالأمراض التى تدمره بحسب ما يغترف منه .. أمراض النفس وأمراض الحس .. فمعانق الدنيا إنما يعانق فى الحقيقة جثة .. تعبير متقدم كثيرا على عصره .

٦٧٧ - « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » (إبراهيم / ٧) .

٦٨٢ - الشكر لله والتوفيق إلى شكر الله من الله أيضا . ﴿ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ .

٦٨٨ - العنوان المذكور الشكر والشكوى من الأوفق أن يكون اللطف والقهر فكل الحديث يدور بعدها عن اللطف والقهر .. وهما الاصبعان المذكوران .. وينظر سنائى نظرة كلية شأنه شأن كل الصوفية من أن لطف الله وقهره بالنسبة للعبد سواء ينبغى أن يشكر عند اللطف وألا يشكو عند القهر ، وحتى إن شكا فالله سبحانه وتعالى يحب أن يسمع شكواه ويحب أن يسمع تضرعه ليجزيه عنه ، فالبلاء فى الحقيقة عطاء ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

٧٠٤ - طعمة الدود هنا هو أيوب عليه السلام فبعد أن أبتلى بالبلايا المذكورة بالتفصيل فى كتب التفاسير وجأر إلى الله بالدعاء « أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » أعاد الله عليه جميع نعمه أضعافا مضاعفة إزاء صبره فرد عليه صحته « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » ثم حول ما كان فى مخازنه من حبوب إلى ذهب والدود الذى كان يتساقط من بدنه إلى دود قز والذباب الذى حط على فضلاته نحل عسل .. وفى حديث عن أبى هريرة « أمطرت على أيوب عليه السلام جراد من ذهب فجعل يلتقطه فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك فقال : بل يا رب ولا غنى لى عن فضلك » وقد قال الشيخ أبو المحاسن القاوقجى فى كتاب اللؤلؤ المرصوع إن هذا الحديث موضوع ولا أصل له .

٧٠٧ - بلعام هو عالم بنى اسرائيل الذى أضله الله على علم وبلغ من علمه والتفاف الناس حوله وورعه أنه إنتظر النبوة فلما نزلت النبوة على موسى لم يؤمن به وأنكره ومن ثم يقرن عادة بابليس فى العبادة التى لغير رضا الله تعالى والعبادة التى لا تؤدى إلى حسن العاقبة والعياذ بالله .. ونزلت فى شأنه « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان وكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (الأعراف / ١٧٥ - ١٧٦) .

٧١٠ - عزازيل هو إسم إبليس قبل أن يعصى ويمتنع عن السجود ويحرم من رحمة الله .. وهو مثال للجهد الذى لا توفيق فيه ، والعبادة الممزوجة بالرياء ، والكبرياء الذى لا محل له ومعانى أخرى عديدة ترد عند الصوفية .. وأنا خير إشاره إلى قوله تعالى قال : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال : أنا خير منه ﴾ (الأعراف / ١٢) .

٧١٥ - صورة فى الواقع السياسى الذى كان سنائى يعيشه .. دول تقوم ودول تنهار وغلمان يصيرون سلاطين وسلاطين ينقلبون إلى غلمان .. وخضوع تام من الجنس الفارسى إلى الجنس التركى الزاحف على إيران بقوة لم تفسدها الحضارة بعد وعقيدة نقية وظهرت فى اللغة الفارسية تعبيرات عن الأتراك مقرونة بالسلب والنهب والعدوان وتكثر أمثال هذه التعبيرات فى أشعار سنائى يقول :

ألا ترون هؤلاء السفهاء الذين يفعلون فعل الترك ، إن قبورهم ضيقة ومظلمة كعيون الترك .

لقد مرغوا فى التراب رأس ذلك الذى كان يلبس التاج بالأمس ، والقوا فى جهنم هذا العام من كان رئيسا فى العام الماضى .

فلا يأتينكم العار من هذه الكلاب الملوثة بالفساد ، ولا تضيعن قلوبكم من هذه الحمر التى لا لجام لها ديوان سنائى ص١٦٩ .

والغريب أن سنائى خدم دولة تركية الأصل أيضا هى الدولة الغزنوية بل إن البيت المذكور يرى عبد اللطيف العباسى شارح الحديقة أنه يقصد بالتركى الجلف الحدث الرفيق ناصر الدين سبكتكين والد محمود الغزنوى ومؤسس الدولة الغزنوية وكان عبدا مشترى من التركستان اشتراه سبكتكين الذى كان حاجبا لأحمد بن اسماعيل السامانى وكان البتكين عبدا أيضا .. ودارت الأيام دورتها ليكون محمود الغزنوى ابن سبكتين هذا أقوى ملوك عصره وتقلب له الأعلام .

٧٢٤ - سبقت رحمتى غضبى حديث نبوى « كنوز الحقائق عبد اللطيف المناوى ١/ ٢٩ » .

٧٤١ - لعل فى البيت إشارة إلى الحديث الذى معناه أن النار تقول للمؤمن يوم القيامة « جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى » (سيوطى جامع ١ / ١٣٣ وشرح التعرف ج٢ ١٧٧ وأحاديث مثنوى فروزانفر ص٥٢) كما ورد المعنى أكثر من مرة عن مولانا جلال الدين فى الدفتر الثالث من المثنوى (انظر الترجمة العربية الأبيات ٣٤٧٨ - ٣٤٩٥ وشروحها) .

٧٥٢ - « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا افنيتكم ولا تشبهوا بـاليهود » (رواه الترمذى عن سعد) الجامع الصغير ١/ ٧٠) .

٧٦٧ - المائدة التى لا خبز فيها هى الفيض الذى يفيض به الشيخ على مريـديه .. انظر الأبيات الأولى من مثنوى جلال الدين الكتاب الثالث الترجمة العربية ، وانظر لتفصيلات أكثر منها الكتاب الخامس الأبيات ٢٨٨ - ٣٠٤ وشروحها .

٨٠١ - « إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه » و « الرزق أشد طلبا للعبد من أجله » الجـامع الصغير ٢ / ٢٦ وفى عيون الأخبـار « الرزق يطلب العبد كما يطلبه إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى يستكمل رزقها ألا فاتقوا واجملوا فى الطلب » .

٨٠٥ - « إن الله عز وجل يأتى برزق كل غد » حديث نبوى شريف ورد فى مسند أحمد ٣/ ١٩٨ .

٨١٧ - ليس المقصود بالطبع ترك العمل والتواكل التام كما قد يتبادر إلى الذهن عند قراءة البيت بل المقصود ألا يكون الهم كله فى التكاثر وألا يتحول الإنسان إلى مجرد آلة للسعى فى سبيل التكاثر وإلا فإن الحث على العمل وعلى السعى مثبوت فى الحديقة وفى ديوان سنائى بشكل لا يخطئه النظر .

٨١٤ - مضمون حديث شريف هـو « إن لك عند الله رزقا وله عليك أجلا فإذا أوفـاك مالك عليه أخذ مالـه عليك » ومنه أخذ أحد الشعراء العرب قوله

إن الذى شق فمى ضامن ، للرزق حتى يتوفانى .

٨٢٠ - لم أجد أصلا للحكاية .

٨٢٦ - الحكايـة التى تبدأ بهذا البيت رواها الشيخ العطار ببعض التفصيل فى تـذكرة الأولياء وجعل بطلها الصـوفى المشهور ذا النون المصرى يقول « قال ذو النون كنت ذات مـرة جوابا فى صحراء مليئة بالبرد ورأيت مجوسيا ألقى بطرف ثـوبه فوق رأسه وأخذ يكنس الثلج ويبذر الـذرة قلت له : أيها الزارع أية حبـوب تبذروها .. قال : الطيـور لا تجد ما تقتاب بـه فابذر البذور حتى تثمـر ويرحمنى الله قلت: الحبوب التى يبـذرها غريب لا تقبل من مجوسيتـه . قال : لا يقبل ألا يرى مـا أفعل قلت : يرى .. قال : يكفينى هـذا .. ثم قال ذو النون : عنـدما ذهبت إلى الحج رأيت ذلك المجـوسى يطوف كـالعاشق . فقـال : يا أبـا الفيض رأيت أنه رأى وقبل .. وأن هـذه البذور أثمرت .. وأنه وهبنى المعرفة ووهبنى العلم ... إلى آخره ، كما نظمها العطار أيضا فى مصيبت نامه (تعليقات رضوى ١٦٣ - ١٦٥) .

٨٤١ - طـائر عيسى أى الخفـاش ، وهو الـذى صـوره عيسى من الطين ونفخ فيـه فصار طيرا بإذن الله . « التعـالبى بـ قصص الأنبياء . ص٢٥٦ » .

٨٦٨ - ما دمت فى الطريق فأنت فى الجدول ، ولكن حين تصل إلى بحر (الحقيقة) أى تفكير لك فى الجدول ؟!

٩٠٦ - قـد يفهم من هذا البيت أن سنـائى يتبنى وجهتـه انظر المسحيـة بالنسبـة لقتل المسيح على أيـدى اليهود .. وفى القـرآن الكريم ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ... ﴾ بل رفعه الله ، وحتى مع وجود حالة الرفع تبقى الحقيقة التى يقول بها المسيحيون وهى أن عيسى سار نحو الصليب وتقـدم إلى القتل محبة فى الله تعالى ولتقديم المثل الأعلى والتضحية بـالروح فى سبيل الحبيب وهى من الأفكار الصوفية شديدة الشيوع .. الموت فى سبيل العشق .. والموت فى سبيل الحبيب .

٩٠٣ - ٩٠٥ : الصـوفى الحقيقى لا هو مقيـد بكرامـة ولا بكشف .. بل يعتبر الكـرامة والكشف من قبيل الاستـدراج ومن قبيل البلاء الالهى .. والكشف قيد يقعـد عن السعى ويحد من طموح الصوفى .. لتكن « لا » التى تنفى كل ما هوى سوى الله سبحـانه وتعالى قـاضية على كل مـا هو سـواه .. وإياك أيضـا من مصيـدة العقل .. أى عقل تتحدث عنـه عقلك المظلم الموزع المشتت بين مائة رغبـة ورغبة.. ومائة طريق وطريق .. جعلت الدنيا وهموم الدنيا عين هذا العقل لا تكاد تبصر .

٩١٢ - ٩١٣ : القط فى البيت هو هـذه النفس الأمارة بـالسوء القابعـة فى ركن الجسد والتى تتسم بطبع القطط التحفـز والتناوم والشهوة والحرص .. وما دامت موجـودة فلا نجاة لك منها فألق بها خارج وجودك .. واعلم أن الكفـر والإيمان لفظان طارئان .. وكان الله ولم يكن ثم كفر أو إيمان .. والله موجود لا يزال أبدى الوجود فدعك من الكفر والإيمان .. وأسلك إليه الطريق مباشرة .

٩٣٠ - ٩٣٧ : تقييم شـديد الـوضوح لسيرة الحلاج شهيـد الصـوفية ومثلهم الأعلى : لقـد قضى أولا على جميع النفوس الأمـارة الموجودة عنده ، ثم تحول كل ما فى داخله إلى قلب مستعـد لتلقى الأسرار الآلهية .. لكن وآسفاه : إن الحلاج لم يستطع أن يكتم هذا السر. وأفشاه أمـام الرعاع الذين لم يـؤذن لهم .. وكان قتله من هذا الأمـر .. فلم يكن لهؤلاء العوام الرعـاع طاقة على فهم هذه المعـانى فأساءوا تأويلها وحملوهـا على الكفر وهى قمة التوحيد .. مثل البسطـامى الذى لم يقل سبحانى عبثا ولا جهلا (لجلال الـدين الرومى فى الكتاب

الرابع تفسير لهذا الأمر لا يبتعد كثيرا وإن كان أكثر وضوحا انظر الكتاب الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٩ وشروحها - القاهرة ١٩٩٣ توزيع مدبولى) .

٩٣١ - ترى أى سر مطلق تحدث به الحلاج وما انفك الصوفية يخوضون فيه منذ مصرع الحلاج ولفترة طويلة وإذا كان قد أفشاه أمام الرعاع والعامة ومن هم ليسوا بأهل .. فما هو ؟! أى سر هذا الذى يقول عنه أبو العباس سريج أحد قضاته : أنا لا أعلم ماذا يقول وتوقف عن الحكم عليه بعض كبار المشايخ ومنهم شيخ الإسلام الأنصارى .. وقال عنه ابن خفيف الشيرازى بل إمام ربانى «انظر سيرة ابن خفيف الشيرازى للمترجم حيث جمع عددا كبير من أكثر الروايات تفصيلا عن الحلاج » ، واعتبره آخرون ومنهم الخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد مشعوذا .. واعتبر أبو حامد الغزالى بعض ما جرى عن لسانه من قبيل الاستغراق وشدة الوجد . والحقيقة أن هناك فرقا شاسعا بين الحلاج الشخصية الصوفية التى عاشت فى فترة معينة من الزمن وعبرت عن أفكار بعينها بكلمات بعينها استثارت الفقهاء والعامة ومن هم على سدة الحكم وانتهت بقتله والحلاج العاشق شهيد العشق والذى نسج حوله عدد من كتاب التصوف الفرس وشعرائه العديد من الحكايات والأقاصيص وهو فى حاجة إلى دراسة خاصة .

٩٣٨ - « دع نفسك وتعالى يا بنى » إشارة إلى قول الحسين بن منصور الحلاج عندما سأله أحدهم « ولكنى على الطريق إلى الحق» فقال له هذه العبارة .

٩٣٩ - الطريق بينك وبين الحبيب ليس طويلا إلى هذا الحد إذا صح الفعل واستنارت مرآة القلب ، أنه أقرب إليك من حبل الوريد ، يستجيب لك إن كنت مخلصا دون أن تدعو ودون أن تنطق ، وفيك قبس منه ، وبقدر قوة هذا القبس فيك يكون قربك منه .

٩٦٦ - الشيخ الجورجانى .. لعله الشيخ أبو القاسم الجرجانى من مشايخ الصوفية فى خراسان .. اسمه على ، وكان معاصرا لأبى سعيد بن أبى الخير ، وهناك احتمال أنه الشيخ الجوزجانى وهو أيضا من كبار مشايخ خراسان واسمه حسن بن على وهو معاصر لمحمد بن على الترمذى وأبى محمد بن الفضل البلخى (تعليقات رضوى ص١٧٥) .

١٠٠٠ - للحكاية مثيل عند الأبشيهى كما وردت عند فريد الدين العطار فى تذكرة الأولياء (طبعة ليدن ص٢٤٨) وبالتالى لم يعثر على أصل قبل سنائى .

١٠٣١ - الشطرة الثانية سخرية لأن الرأس موجودة دائما بين أذنين .. وهو مما يهدد به الأطفال عادة .

١٠٤٣ - البيت مقتبس من قول مسند إلى الإمام على رضى الله عنه « أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام » (تعليقات مدرس رضوى ١٧٩) ومن هذا البيت وحتى البيت ١١٣٨ يقدم سنائى فصلا فى تعبير الرؤيا . وهو كما هو معلوم علم من العلوم المعترف بها فى الحضارة الإسلامية كما ورد فى مقدمة ابن خلدون وتفسيرات سنائى هنا لا تخرج عن كتب تفسير الأحلام الكبرى تعطير الأنام فى تعبير المنام للشيخ عبد الغنى النابلسى ومنتخب الكلام فى تفسير الأحلام لابن سيرين وكامل التعبير لشرف الدين أبى الفضل حبيش بن إبراهيم التفليسى . و تلعب الرؤيا عند الصوفية دورا كبيرا فى التعبير عن معانى عديدة ، فهى المعادل الموضوعى لما هو منتظر ومتوقع ، وفى الأغلب أنها تعبير عن شىء سوف يقع ، أو حنين إلى المنبت الأصلى (الجنة) .. مثل رؤيا الفيل لأرض الهند عند مولانا جلال الدين الرومى (انظر الدفتر ٣ الترجمة العربية الأبيات ٤٢٠٢ - ٤٢٠٥ وشروحها) .

١١٣٦ - ١١٣٨ : بعد أن تناول سنائى الأحلام كلها يطلب أن يكل المرء أموره كلها إلى الله سبحانه وتعالى فما قدره سوف يكون .. وكل أمور الأحلام من قبيل التفاؤل والتشاؤم وهو ما لا دخل للدين به .. أنما هى حيرة الإنسان وحزنه هى التى تجعله يتعلق بأى شىء .. فدعك من النوم الجسدى .. وليكن همك أن تنفى عن نفسك نوم الغفلة .. وإياك ونوم الغفلة .. فالنائم نوما جسديا يستيقظ ، لكن نوم الغفلة والموت سواء .

١١٣٩ - ١١٤٣ : كل ما فى الكون علل وأسباب لكى تدل على الخالق الأعظم جل شأنه ويوم أن تختفى هذه العلل حتى ما كان منها فى سعة الأرض وفى عظمة الشمس ، فإن ما يترتب عليها أيضا يختفى .. فسرح بصرك الداخلى فى الخالق وإياك وهذا المخلوق الذى يفنى .. ونظرك فى المخلوق من الاثنينية وليس من الوحيد .. والعقل فحسب هو الذى ينظر إلى المتناقضات .. لكن التوحيد لا يطلب سوى الوحدة .. فأطلب الوحدة .. وطلب الوحدة لا يكون بحولك ولا طولك ولا قوتك .. فمن الخير هنا تسليم العجائز .

١١٤٤ - ١١٤٧ : حرب الصفاء هى الطريق الصوفى .. تنفى النفس وينفى الكسب مرحلة بعد مرحلة .. تنمحى عنه الشوائب.. وساحة هذه الحرب هى القلب .. والنفس لها بالمرصاد .. تمتلىء كبرياء وعنجهية .. على رأسها خوذة من الجسد ومن رغائب الجسد .. وخير لك فى هذا القتال أن تلقى بالسيف .. وأن تضع عن النفس خوذة الجسد ، فإن رغبتك فى هذه الخوذة هى التى تحدد إطار

عملك .. وتحدد بالضبط من تكـون ، وتجعلك تخلط فى أفعالك ، فتعـد الذنب حسنة والمعصية طاعـة فى حين أنك إن تخلصت من هذا الجسد ، ومن هذه النفس ، فإنك تصل إلى عن الطاعة ورئاسة الدين وهى الباقية بينما رؤساء الزمان فانون .

١١٤٨ - ١١٥٤ : المراد بترك التركيب ونفى الترتيب التسليم التام أمام الأمـر وما يأتى به الأمر .. هذه هى مطية التوفيق ، وهذا هو التحقيق المحض .. وكلاهما فى يدك : الروح والقلب فإياك وموت القلب ففيه هلاك الروح ، وضح بالروح إن كان فى التضحية بالروح أمان القلب .. وإياك والتوقف ، لا تخف من أن يقال عنك منبت ، بل سر فى الطريق مهما كان السائرون فيه قلة ، فالمنبت فى هذا الطريق عالم وحدة ، عالم يسير على قدمين .. فيه كل ما يكون فى العالم مـن صراعات وحياة وموت ، وقضاء على بعض المعالم وظهور معالم غيرها ، وليس إلا فى هذا الطريق يوجد ودائما موت وحياة ، فكل فكرة تموت تحل محلها فكرة أخرى ، وكل مرحلة تنتهى تبدأ بعدها مرحلة أخرى ، ولا تنتهى تماما إلا بانتهـاء ما تمليه عليك النفس ، وبالقضاء على ما يحبسـك العقل فى إطاره ، حينئذ تولد فى عالم الـدين وهو عالم يختلف تماما .

١١٥٤ - ١١٦٠ : الرأس كناية عن الجاه ، وكنـاية عن الرغبات التى تقذف بالإنسـان فى الأودية لا يبال فى أيها قد هلك ، وهى التى تفرقـه على الطرق ، والأبطال هم المرشـدون وهم الأولياء وهم الواصلـون ، لهم ما للأنبيـاء ، ومن الأدب أن يفقد المريد إرادتـه أمام المراد ، والجاه يغطى من هم فى حاجة إلى غطاء ، أما أولئك الذين يحسـون فى قلوبهم بلذة الحقيقة ، فإن أى جاه أمامهم لا قيمة له .. وألم تر يـوسف الصديق عليه السـلام ، لقـد بدأ جاهة من قعـر الجب ، أما جاهك أنت فهـو سجن لك ، تظل دائما محكوما به ومستلـزمات المنصب وأبهته ، وينفتح الطريق أمام بقية الموبقات .. وأمامك النماذج والمثل لماذا تبتعد ؟! لقد كان الأنبياء يملكون كل شىء ومع ذلك فقد اختاروا طريق الفقر ، كانوا ملوكا وأنبياء ومع ذلك اختاروا الطريق الذى ينبغى عليك أن تسلكه ولم يفضلوا عليه طريقا آخر .

١١٦٧ - ١١٧١ : لا يزال سنـائى يدق على نفس المثـال ، إن كان ثمـة خوذة تريـدها فلتكن خـوذتك من نار المعـاناة والألم فى الطريق ، لتكن مثل الشمعـة رأسها نار لتنير للجميع أو مثل القلم « تقط » رأسـه من أجل أن يكتب ، لتكن رأسك من أجل الآخرين ، ولتفعل ذلك بعشق ، فالعشق هو الذى يضىء الطريق . .

١١٨٠ - إشارة إلى الآية الكريمة « هل أتى على الإنسان حين من الدهـر لم يكن شيئا مذكورا » (الإنسان/ ١) والإشارة هنا إلى ما روتـه مصادر السنة والشيعة على السـواء من بذل الإمام على بن أبى طـالب رضى الله عنه اقراص الشعير الثـلاثة على المسكين واليتيم والأسير وتذكر الرواية فى مجال الايثار .

١١٨٦ - الكيميـاء الأزلية هى الكيميـاء المذكورة فى كتب التراث أى صنعـة تحويل المعادن الخسيسـة إلى معادن نفيسـة ، وهى فيض الشيخ الذى يحول الإنسـان العادى إلى إنسان ربـانى ، وهى نفس الشيخ الذى يقع على الطين فيجعلـه قابلا لتلقى الأنـوار الالهية وهى ذات معانى عديدة عند الصوفية .

١١٨٨ - سيد « لولاك » هو محمد بن عبد الله ﷺ إشارة إلى حديث قدسـى يرويه الصوفية أنه قيل فى الرسول « لولاك لما خلقت الأفلاك » والشطرة الثانية إشـارة إلى الآية الكريمة ﴿ واصبر نفك مع الدين يدعون ربهم بالغداة والعشى يـريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريـد زينة الحياة الدنيـا ﴾ (الكهف / ٢٧) ويقول الصوفية أن الآيـة نزلت عندما جـاء رؤساء العرب إلى الرسـول ﷺ ووجدوه يجلـس مع فقـراء الصحابة رضـوان الله عليهم ومستضعفيهم فقالـوا : اجعل لنا يـوما ولهؤلاء يومـا .. وقبل الرسـول ﷺ من أجل تأليف قلوبهم فنزلت الآية الكريمة .. وتطور فهم الآية الكريمة فيما بعد إلى جعل معظم سلاسل الطرق الصوفية تنتهى عند أهل الصفة هؤلاء ويكون رأسها الرسول ﷺ ، وإلى نسبة التصوف نفسه إلى أهل الصفة .

١١٨٩ - حمل القلب على اليد كناية عن الاستعداد الدائم للتضحية فى سبيـل الحقيقة وفى سبيل المحبوب ، وهو كناية أيضا عن انتباه السـالك الدائم إلى وعورة الطريق وصعوبته والعقبات فى طريقه ، كما أنه يشـير أيضا إلى كون السـالك ملازما على الدوام للمرشد .

١١٩٠ - ١١٩٤ : الشىء الواحـد فيه صورة ووصف وعين : قد لا تكـون الصورة هى الوصف وقد لا يكـون كلاهما يعبران عن عين الشـىء وعن ذاته .. فالصورة بمثابة الرحم الذى يحتوى على الشىء والصفة هى المشيمة التى تحيط بالشىء داخل الرحم .. والشىء ذاته هو الوليد وهـو الجنين .. وغالبا ما تكون الصورة حاجبة للصفـات الحقيقية فالصورة خادعة ، والصفة نفسـها قـد تكون حجابا على الذات نفسها وقد تكـون المعرفة وقد يكون العلم مجرد حجاب يسـد الطريق إلى الواقع وإلى الحقيقة .. عالم من المتناقضـات قد يوجد فى الشخصية الواحدة .. وقـد يوجد فى الشىء الواحد .. ومن بين كل هذه الأشيـاء يهدف الصوفى إلى اللب وإلى الجوهر .. إلى النور وليس

إلى المصباح أو إلى المشكاة .. المصباح المشيمة والمشكاة الرحم - والنور هو الوليد والطريق إلى الحق ضيق وعر وما لم تعبره فأنت مع نفسك الحيوانية والإنسانية ومع جسدك هذه اللعبة ذات اللون الواحد .

١١٩٥ - ١٢٠٠ : كل ما فى الأرض مخلوق من أجل الإنسان .. خلف السوء لآدم عليه السلام .. لكنه عليه أن يكدح فى هذه الأرض حتى يعود إلى موضعه ومحله وموطنه .. انظر إليه وهو نائم .. يكون خارج هذه الدار تماما .. وهو يظن أنه فيها .. وكل ما له فى هذه الدنيا ينحصر فى العلم والحكمة والشريعة هى الطرق التى تقوده خارج هذه المعبر وهذا التيه .. وكلها تجمع عند سنائى فى تعبير واحد « الدين » .. الدين هو الذى يحيى من الموت ، وهو الذى يوقظ من النوم العميق .. هو الذى لا يقف عند الصورة .. وهو العوض عند تلك النفس التى تفنى والجسد الذى يبلى ، فإنك إن قمت من رقدتك الأخيرة ينبثق لك صبح الدين (يوم الدين) ويضاء طريقك بنور اليقين .

١٢٠٣ - الحكاية التى تبدأ بالبيت لها أصل من السيرة النبوية الشريفة وأسباب التنزيل وعندما نزلت الآية الكريمة ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ تدعوا المؤمنين لتجهيز غزوة تبوك سارع المسلمون إلى التبرع .. فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بأربعة آلاف درهم وكانت نصف ما يملك آنذاك .. فقال له الرسول عليه السلام « بارك الله لك فيما أنفقت وفيما امسكت » وأتى عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأتى عثمان بمائة بعير ومائة جواد وفى النهاية أت عاصم بن عدى العجلانى بألفى من وأربعمائة من التمر الدقل وأتى أبو عقيل الأنصارى وكان رجلا فقيرا بصاع من تمر وكان نصف أجر كدحه عن يوم كامل فأمر الرسول بأن يوضع صاع التمر فوق بقية الصدقات .. وبدأ المنافقون فى اللمز فقالوا : ما كان أغنى الله عن صاع أبى عاصم فنزلت الآية ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ (التوبة / ٧٩) ومنذ ذلك الوقت فصاعدا سمى عاصم بن عدى بصاحب الصاع (سيرة ابن هشام ٤ / ١٩٦) كما أنها موجودة فى تفسير ابن كثير دون ذكر للإسم (٤ ص١٢٦ - ١٢٨) ومن ثم فجعل قيس بن عاصم بطلا للحكاية خطأ من سنائى .. فقد اسلم قيس بن عاصم فى السنة التاسعة للهجرة .. وقال عنه الرسول عليه السلام هذا سيد أهل الوبر ، وقال ابن خلكان عن البيت :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ، ولكنه بنيان قوم تهدما .

أنها فى مرثية قيلت من قيس بن عاصم ، كما سئل الأحنف بن قيس : ممن نقلت حسن الخلق والحلم قال من قيس بن عاصم ، كما كان قيس من بين من حرموا على أنفسهم الخمر فى الجاهلية ومن هنا فالقصة لا علاقة لها بقيس بن عاصم .

١٢٣٠ - « عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده أن رجلا قال : يا رسول الله أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال فأى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل ، قال : أى المؤمنين أكمل إيمانا قال : أحسنهم خلقا » (حلية الأولياء ٣ / ٣٥٧) وأورد الغزالى فى الأحياء (١ / ١٩٤) قال ﷺ : أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر » ووردت نفس الرواية عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه .

١٢٣٥ - شيبتنى هود » حديث مروى عن الرسول ﷺ وما ذلك إلا لوجود الآية : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ (آية ١٢٢) فيها .

١٢٣٦ - لو امتلكت العالم كله وظننته نفعا لك فأنت مخطىء ، إنما هو خسارة عليك فإنه شاغلك عن العالم الباقى ، ومانعك عنه ، وزائل عنك فى النهاية ، ومحاسب عليه فى العاقبة ، فانظر فيما يشغلك قبل أن يهلكك ، وانظر فى ما تظنه نفعا فقد يكون خسارة الأبد » .

١٢٣٧ - « إذا ظهر النور يطل الزور » من الأقوال التى عاشت وإن لم يعلم قائلها ، ومعنى ذلك أن نور الدين ونور الحقيقة إن ظهرا .. فلا روح هناك ولا جسد ، ولا صراع بين الروح والجسد انتهى الصراع ، وحسمت القضية .

١٢٣٨ - ١٢٤٦ : أتريد عالم الغيب عن طريق النفس ؟ أتريد أن تقطع الطريق ومعك نفسك التى بين جنبيك أو تلك النفوس التى توجد داخلك تتصارع فيما بينها تجذبك هذه فتمضى خلفها تلهث ، حتى إذا مللت جذبتك الأخرى فمضيت فى أثرها ، تمتلىء شكا وريبا وتملؤك هذه النفوس عيوبا ، فأى شىء عالم الغيب مع ما فيك من عيوب ظاهرة ، أين عقلك إذن .. أين عقلك الذى أصابه نور المعرفة وفيض الشيخ .. أين عقلك الملكوتى ، لقد حجب هذا العقل ذلك الوجود الذى لك ، امح وجودك هذا إذن ، فوجودك حائل ، حجاب ، والعقل لا يزال يناديك ، ولا يزال يعاتبك ، ولا يزال يأمل منك ، وأما أن تقلع عن سيرك وراء نفسك الأمارة بالهوى ، أو تبكى بعد ذلك ندما عندما يفارقك العقل ، قانطا منك ، يائسا من هدايتك ، مهنيا حرره الآن من عقيلة النفس وليكن قوتك من النور ، من نور المعرفة ، ومن فيض الشيخ ، وحينذاك تكون ضريبا للملائكة معاشرا اياهم ، ناظرا إليهم .

١٢٤٧ - ١٢٥٣: تريد الوصول إلى الله تعالى، تريد أن تختار فى طريق الدين وفيك كل هذا الإفتراس والتوحش.. كن فى البداية إنسانا فالمرحلة الأولى من الطريق هى أن تكون إنسانا.. والإنسان لا يكون وحشا إلى هذا الحد .. إن الشيطان نفسه لا يصل إلى هذه الدرجة من التوحش، فالشيطان فى فساده شيطان على كل حال، لكنك إنسان تستطيع أن تنقى داخلك من خصال الوحشية ففيك حقد النمر وافتراسه فكيف تريد أن تصل إلى الحضرة .. إن كل ما تفعله إنما تقوم به داخلك أنت، تقطع الطرق داخلك وداخل رغباتك ومهاوسك وتظن أنك تقطع الطريق إليه .. فكيف تريد الوصول إليه .. إنا تصل داخل نفسك أنت .. وأنت بعيد عن الطريق الرئيسى إليه.

١٢٥٤ - ١٢٥٩: لم أفهم المقصود من تعبيره عن جعل الصوفى آية من الكوفى، هل يقصد أن الكوفى غير الصوفى وأنه فرق بينهما وأن الله سبحانه وتعالى يعلم أولياءه .. وصفة الكوفى تطلق فى التراث الإسلامى على ناكث العهد فربما يعنى هنا أن الله سبحانه وتعالى يعلم من يوفى بعهده (من الصوفية) ممن ينكث بعهده (من الكوفية) وبخاصة وقد ذكر فى الشطرة الثانية أن العشق للقرشى والرأى للكوفى، والصوفية عادة يعتبرون الرأى جزءا من العقل، وبعيدا عن طريق القلب .. والله أعلم .. ويشير فى البيت التالى إلى أن التصوف نفسه قد أصبح علما لا ذوقا وفيه يجوز ولا يجوز، ويستخدم أساليب العلم ومصطلحاته فى حين أن الصوفية الحقيقين قد أجابوا على العهد لا بقولهم : بلى إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف / ١٧٢) فيما يعرف بيوم العهد ويوم ألست ويوم الميثاق وعليه معانى كثيرة عند أهل هذا الفن .. فبدلا من « بلى » هذه ينطق الصوفية بـ « لا » الشهادة التى تنفى كل وجود فيما عدا الله سبحانه وتعالى .. ومن ثم فهم مؤمنون بالله، وهم تحت قبابه « أوليائى تحت قبابى (وفى رواية تحت قبائى) لا يعرفون سواى » وعند مولانا جلال الدين هم عيال الله » (انظر مولانا جلال الدين الكتاب الثالث الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٣٦٦٥ - ٣٦٧٠ وشروحها) هؤلاء الصوفية لا جسد عندهم ولا فقد غارقون فى الدمع ندما وخوفا و إشفاقا من ألا تقبل أعمالهم، وكلهم سجناء هذا العلم الذى وضع فى قلوبهم.

١٢٦٠ - ١٢٦٥: كما أن هناك فرقا بين القرشى والكوفى، هناك فرق أيضا بين هذا الصنف من الصوفية الحقيقين وصنف آخر من الناس، شامخ بأنفه لا تدرى لماذا، واضع على رأسه خوذة من الذنوب، فدعك من هؤلاء المتوجين المتكبرين إن أصحاب التاج الحقيقين هم أولئك الذين وضع الله على رؤوسهم تاج القرب .. تريد أن تكون مثلهم .. حسنا .. اخلع عنك هذا الوجود الإنسانى كثير الألوان .. وليكن لك رداء من لون واحد مثل عيسى عليه السلام .. إياك والبهرج .. وإياك وتعدد الألوان فهذه الألوان تضلك، وأنت مفتون بها افتتان طفل، يظنها ذات حياة وهى ليست كذلك .. وأنك أن فعلت ذلك واتخذت من عيسى مثلا، فسوف يكون لك كل ما كان لعيسى .. وما للأنبياء وللأولياء والمقربين.

١٢٦٦ - ١٢٦٨: لكن لهذا شرطا آخر، قلل من طوافك حول نفسك، دعك من عبادتك لنفسك وجعل هذه النفس مركز الكون .. أنت إنسان فى النهاية، إنسان بعوامل ضعفه واحتياجه إلى العون واحتياجه إلى المرشد .. وكل هذا لن يتيسر لك ما دمت مع نفسك .. إن ذرة واحدة من هذه النفس، خصلة واحدة منها، وسوستها ومطالبها ناهيك عن تسلطها أنها تسد أمامك الطريق، ومحال أن تمضى إلى ذلك المكان ومعك نفسك، فإن جو ذلك المكان لا يستو عب آدم مع النفس، فهيا .. إبدأ الطريق، لكن : أترك نفسك وتعال.

١٢٦٩ - لم أجد للعنوان هنا أصلا، والضمير فى « طاعته » عائد على الشيطان بالطبع، وقد أغفل مدرس رضوى فى البحث عن أصل الحكاية التى تبدأ فى هذا البيت وهى واردة فى محاضرات الراغب الأصفهانى جـ٢ ص٤١٦ (مصر ١٢٧٨ هـ).

١٢٧٣ - لا ينبغى الإستكانة حتى بصالح الأعمال وتزكية النفس على الله تعالى، والإيمان بأن العمل مقبول فهذا هو الشرك بعينه.. وكان رسول الله ﷺ يستغفر ربه فى اليوم ألف مرة، كما نهج نفس النهج كثير من الأئمة .. فكان أبو يزيد البسطامى يقول : إنى انظر فى المرآة فى اليوم مائة مرة مخافة أن يكون قد إسود وجهى .. أى خوفا من أن تكون عبادته رياء وقتلا للعجب فى النفس .. والأعمال بخواتيمها .. فقد يعمل أحدكم عمل الجنة ثم يكب على وجهه فى النار، والطمأنينة إلى قضاء الله، واعتبارها أمرا مفروغا منه أمر مكروه تماما والمثال عزازيل الذى انقلب إلى ابليس بعد أن أخطأ خطيئة الكبرى بعدم السجود إلى آدم، وكان مثالا فى التعبد ويسمى طاووس الملائكة، وبلعام عالم بنى إسرائيل الذى لم يؤمن بموسى ونفس عليه نزول الرسالة وقد مر ذكره.

١٢٧٥ - القصة المذكورة هنا منسوبة إلى الصوفى حاتم الأصم، ففى طبقات الصوفية للسلمى عن محمد بن ليث عن حامد اللفاف أنه قال : سمعت من حاتم الأصم أنه قال « ما من صباح إلا والشيطان يقول لى ما تأكل وما تلبس ؟ وأين تسكن فأقول : آكل

الموت وألبس الكفن وأسكن القبر » (ص٩٦) كما نقلها فريد العطار فى تذكرة الأولياء فى ترجمة أحوال حاتم الأصم .

١٢٨٠ - هذا القول ليس معلوما إن كان حديثا أو من أقول العظماء إذ أن الحديث الوارد هو من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ، من زهد فى الدنيا علمه الله بلا معلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى » (الجامع الصغير ٢/ ١٥٤) كما لم أجد للحوار المذكور بعدها أصلا ويبدو أنه من تأليف سنائى .

١٢٨١ - العسس هنا والشرطة وأحيانا يقال عنه « عوان » مثال للشر فى المصلح الصوفى وعند مولانا جلال الدين (فى صدر الدفتر الرابع) تحليل رائع للدور الذى يخلق الشرطة والجواسيس وسنائى هنا يستعير لفظ العسس كناية عن المغريات التى تقدمها النفس الأمارة بالسوء والتى تردى المرء وتمضى به فى طريق الشر .

١٢٩٥ - يقول النص أن المدينة فى حدود الروم وأن إسمها الفسطاط ، وساحلها يصل إلى حد ياذ وهو أمر مردود على سنائى ويعتبر من أخطائه الجغرافية فى الحديقة ، وعلى كل حال لم يكن شعراء الصوفية يدققون كثيرا فى تأصيل معلوماتهم فقد كان المعنى هو المهم وليس المهم الإطار الذى يقال فى ههذا المعنى هو المهم .. والمدينة المذكورة ربما كانت قسطاط (بالقاف) وهى مدينة فعلا على حدود الروم وأن الخطأ المذكور حدث من قبل النساخ .والحكاية كلها أو المثل كله قائم على أن أهل السلطة والعوام والرعاع قد صاروا كالطيور الجارحة والعلماء أذلاء ضعفاء .. وهذه أول مرة أجد وصفا للعلماء بأنهم « طيور منزلية » والواقع أنه غريب فالطيور المنزلية عادة رمز لمن لا يستطيع الطيران خارج المنزل ، أو الصوفى المبتدى الذى لا يستطيع التحليق خارج المحسوسات .

١٣٠٠- بداية من هذا البيت يواصل العالم حواره مع الزاهد فيما يعد تكملة للحوار الذى كان فى المثال السابق .. لكن سنائى يتجاوز ما روى عن حاتم الأصم ويسوق حوارا أغلب الظن أنه من وضعه هذه المرة .. ويقدم صورة لصراع الزاهد مع نفسه ، ذلك الصراع الذى يقوم به لا يكل ولا يمل وكأنه طبيب يراقب مريضا ، ويحاصر مرضه ، ويسد الطريق أمام هذا المرض ، ويعلم من أين تكون مداخله ، ويعطيه ما يصلح له ، ويرده عن شهوته والحوار آية فى الذكاء .

١٣٢٤ - إذا كانت المرأة من أجل أن تقوم بزيارة تصفف شعرها وتزجج حاجبيها ، وأنت لا تعد هذا القلب من أجل يوم اللقاء الأكبر ، وله صورة مشابهة فى الديوان عن الفتاة التى يتحدد مولد زفافها فهى لا تنام ، والإنسان ينتظر الموعد الأكبر ومع ذلك يظل لاهيا منصرفا إلى ما يبعده عن التفكير فيه (ديوان سنائى ١٥٤ - ١٥٥) .

١٣٢٥ - يظل القلب محاصرا فى قيد الجهات والأركان وما يحد أفق رؤيته ويمنعه من التحليق والتحرى عن القبلة فى الكعبة على المتنطع المتفيهق الذى يبحث عما لا لزوم له فهو متهوس مضيع وقته فيما لا طائل من ورائه .. ويكون كحامل الكمون إلى كرمان وهو مثال يضرب فى الفارسية لما يضرب له مثال كحامل التمر إلى هجر فى العربية ، ومن ثم فعندما يتحرر القلب من قيود الأركان لا يكون للعقل من داع أو من عمل .. طلع النهار وبطل المصباح وطلب الدليل بعد حضور المدلول محال ، وقراءة خطابات العشق فى حضور المحبوبة عبث ولهو .

١٣٢٩ - ١٣٣١ : العقل المرتبط بالجسد فى سجون ثلاثة .. بل هو فى الحقيقة فى أكثر من سجن فهو مطالب بتتبع كل ما يمليه الجسد .. حواسه الخمسة بمثابة العيون والعسس ، ويتحول هذا الجسد الذى هو محل القلب ومهبط السر مجرد جاسوس مفتن كأى شرطى من العسس فأى عار يلقى بنفسه فيه الإنسان الذى يتبع شهوات الجسد ويسقط نفسه من حالق موضع النفس الالهى إلى مجرد العسس ؟!!

١٣٣٢ - ١٣٣٤ : نعم إذا استغنيت عن هذا اللسان وكبحت جماحه ولم تستخدمه إلا فى الذكر أو فى العلم أو التعليم صار (هو) لسانك الذى تتحدث به .. وإذا لم يكن لك ثم دليل فكفاك هو دليلا لك .. فهو الذى يدلك إليه .. وهو الذى يضع الدعاء فى فمك ويوحى لك به .. وهو الذى يجيب .. هذا إذا أضرمت نيران العدم فى كل ما سوى الحق .. كفاك هو عوضا ، وكفاك هو رفيقا ، وكفاك هو مؤنسا .

١٣٣٥ - ١٣٣٧ : أنظر إلى الصورة : إنك أن نظرت إلى نفسك وأحسست أن كل وجودك وكل ما لك وكل ما عندك هو هذه النفس ، فما تلك الورود التى تراها حولك والتى ترى أنها فى نتاج النجاح الذى حققته ، هى تماما مثل تلك البثور التى تطفح على وجوه أولئك الذين إسودت بواطنهم من تشاؤمهم وكآبتهم ، وتحولت هذه الكآبة إلى بثور على وجوههم .. واعلم أن الحشر هو النهاية .. لا عودة ولا رجوع حتى وإن أملت أن تعود لتعمل صالحا .. كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، وكل ما سوف تجده أمامك هو ذلك الذى قدمته فى الدنيا « ووجدوا ما عملوا محضرا » .

- ورد فى الحديث الموجود فى العنوان فى الجامع الصغير « فرغ الله عز وجل إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقى وسعيد » ومن الطبرانى « فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل » وفى كنوز الحقائق نقل هذا الخبر عن ابن عساكر مع اختلاف قليل ، كما نسب القول فى كشف المحجوب للهجويرى إلى منصور بن عمار (انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور مع آخرين لجنة نشر التراث بالأزهر الشريف ١٩٧٤) والآية ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾ ومعناه أن كل ما يجرى على العبد فى الحياة الدنيا مفروغ منه ، وعليه أن يتفكر فيما سوف يحمله معه إلى الآخرة .

١٣٣٨ - ١٣٤٧ وما مثلك إلا كمثل تاجر ، يرسل من السوق ما يحتاجه المنزل ، فلا يجد أمامه فى المساء إلا ما أرسله .. هذه سنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (الأحزاب / ٦٢) و « ولا تجد لسنة الله تحويلا » (الإسراء / ٧٩) فهيا .. انهض : أطب مطعمك ومشربك بالحلال وطهر طرف ردائك مما علق به من الأنجاس ، وتب قبل الموت ، وجاهد .. فسهم واحد ترمى به هنا : ترمى به عدوا كافرا ، أو منافقا فاجرا ، أو نفسا أمارة بالسوء تجاهدها الجهاد الأكبر ، فقد نجيت نفسك هناك من عذاب الهون وبهذا البيت تنتهى معالجة سنائى لقضية التوحيد فى الصرح الأكبر لأصول الإسلام بمذاق صوفى ، وذلك الصرح الذى تبع فيه معاصره العظيم أبا حامد الغزالى فى إحياء علوم الدين ، وبرغم التقارب الزمنى بين الغزالى وسنائى فقد أشار سنائى إلى إحياء علوم الدين فى شعره مما يقطع بأنه كان يعرفه (ديوان سنائى / ص٢٧٣) وكانت الظروف فى مشرق الدولة (خراسان وأفغانستان حاليا) فكريا مشابهة تماما لنفس الظروف التى نهض فيها أبو حامد الغزالى لكتابة موسوعته العظيمة « إحياء علوم الدين » ، كان الخلاف بين المتصوفة والفقهاء حادا ، وكانت وطأة الهجوم على كل ما سوى النص الحرفى للشريعة تزداد حدة يوما بعد يوم ، وكان نشاط السلطان محمود الغزنوى فى اجتثاث كل جذور ما سوى ظاهر الشريعة قد آتى أكله ، وباتت المدارس المنتشرة فى أنحاء شرق الدولة تستبعد العلوم العقلية استبعادا تماما ونظرا إلى التصوف والعلوم الإجتهادية نظرة فيها كثير من الشك .. ومن ناحية أخرى كان الرعب الذى تبثه الطائفة الاسماعيلية فى أنحاء العالم الإسلامى .. وفى نفس الوقت الذى كان فيه سنائى يجوب خراسان كان اسماعيلية آلموت بقيادة الحسن بن الصباح يبثون الرعب فى التشكيلات السياسية من ناحية ويروجون لنظريات غاية فى التطرف والغلو من ناحية أخرى ، « وقد ذكر سنائى اسماعيلية آلموت فى بيت من أبيات الحديقة هو البيت رقم « ٣٥٠٠ » هذا النشاط السياسى استتبَع نشاطا فكريا هائلا تجلى عند الإمام الغزالى فى كتبه العديدة ، وكثرة شديدة فى كتب الفقه والشريعة مثل كتاب الأصول لشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسى « المتوفى سنة ٤٨٣ » وكتب جار الله الزمخشرى (من ٤٦٧ - ٥٨٣ هـ) فى التفسير والحديث والنحو والفقه ..وكانت للتصوف قصة أخرى ، فقد كان العصر عصر غلبة تيار التوفيق بين التصوف والشريعة الذى يعتبر المنطلق الحقيقى لحديقة الحقيقة ، وكان العهد ايذانا بظهور تيار جديد فى التصوف. هو تيار الشعراء الصوفية المفكرين والذى يعد سنائى على رأسهم ، وفى بداية هذا العصر تعرض الصوفية لاضطهاد من «الحرفيين » المتمثلين فى اتباع مذهب الكرامية ، ويتجلى هذا المنحى فى أقوال الشيخ ابى سعيد الميهنى « المتوفى سنة ٤٤٠ » والتى حررها فيما بعد حفيده محمد بن النور .. وكتابة أسرار التوحيد ملىء بالقصص التى تدل على تصدى الشيخ لبيان أن التصوف لا يخالف الشريعة « انظر أسرار التوحيد الترجمة العربية لاسعاد قنديل » ، وعند تلميذ أبى سعيد على بن عثمان الجلابى الهجويرى (٤٧٠) ظهرت المشكلة أيضا مشكلة الشريعة والطريقة : « ومن ذلك أى من مصطلحات الصوفية الشريعة والحقيقة والفرق بينهما ، هاتان العبارتان تطلق إحدهما لى صفه حال الظاهر والأخرى لإقامة حال الباطن ، هناك جماعتان تخطئان فى فهمها : الأولى علماء الظاهر الذين يقولون لا نفرق بينهما فالشريعة هى نفسها الحقيقة والحقيقة هى نفسها الشريعة والثانية : جماعة من الملاحدة الذين يرون أنه لا يجوز قيام إحدى هاتين مع وجود الأخرى ويقولون حتى تكتشف حال الحقيقة ترفع الشريعة وهذا هو كلام القرامطة والشيعة والمخدوعين لهم والدليل على ذلك أنهم يقولون أن الشريعة فى حكم المنفصلة عن الحقيقة مثلما يكون التصديق منفصلا عن القول بالنسبة للإيمان . فى حين أن التصديق بلا قول ليس إيمانا والقول بلاتصديق ليس إيمانا أيضا . وفرق ظاهر بين القول والتصديق .. فالشريعة إذن هى فعل العبد والحقيقة ملك الله وحفظه وعصمته جل جلاله . فمحال أن تقوم الحقيقة دون حفظ للشريعة » (كشف المحجوب للهجويرى ص٤٩٩) هذا هو الاتجاه الذى بلغ قمته بالغزالى (لتفصيلات أكثر انظر رسالتنا حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة لسنائى دراسة تحليلية - الجزء الأول ص١٥ -رسالة دكتوراه لم تطبع با لمكتبة المركزية لجامعة القاهرة).. ومن هنا سوف نلاحظ فى ترتيب سنائى لموضوعات الحديقة مواظبة دقيقة على أصول الشريعة .. مع التعرض بين الآن والآخر لبعض الموضوعات الفلسفية والصوفية .

– فصل فى شرائط الصلوات الخمس .. بالطبع فى بناء الشريعة تأخذ الصلاة الدرجة الثانية بعد الإيمان وعدم الاشراك بالله سبحانه وتعالى ومعظم الأحاديث هنا واردة فى إحياء علوم الدين (ج ١ ص١٧١) فى فصل « كتاب أسرار الصلاة » وكلها أحاديث صحيحة الإسناد فى كتب الحديث .

١٣٤٩ – ١٣٥٤ : الشرط الأول للصلاة هو الطهارة ، طهارة الجسد وطهارة النفس ، ولا صلاة مع وجود عيوب النفس ، فكما يتطهر الجسد بالماء ، تتطهر النفس بالتوبة والمجاهدة ، فإنك بالصلاة تقوم بمعراج للروح وتضع قدمك على سقف الفلك ، وكأنك تنادم المالك .. فهل يمكن منادمة الملك والنفس لم تتطهر ، والبطن عابدة للخبز ، والظهر مستندة على الماء ؟! والخمر المذكورة فى البيت ١٣٥٢ هى الفيض الالهى .. وأن الذى يدعوك إلى الصلاة هو الاله .. وما دام هو الذى دعاك إليها فإنه يقبلها .. فمتى يردك وهو الذى دعاك ؟! ومتى يحقرك وهو الذى كرمك ؟! ألا جعل الله أركانك الثلاثة (الطول ، العرض ، العمق) إذن منحلة العماد إذا كان ظنك بالهك هو هذا الظن ؟ إنك تصلى بينما الملائكة فى السماء تتباهى بك .. ويتغزلون فيك .. ويتحدثون بالنقاط العميقة عن عظمتك وعن إيمانك .

١٣٥٦ – أنف فى السماء وأست فى الماء » من الأمثال التى أوردها الميدانى (ص٢٠) وقد ترجمها سنائى هنا ترجمة حرفية إلى الفارسية .. والمثل كناية عن الكبرياء والغرور والإدعاء .. أى بإدعائك وكبريائك .. متى تستطيع أن تبصر الحكمة الكائنة فى الصلاة .. ومتى تدلك الصلاة نفسها على ما فيها من عوالم .. ومتى تكشف لك عن أسرارها وتسفر لك عن وجهها ؟! .

١٣٥٩ – لا تتم صلاة أحدكم إلا بعفة وسكينة ووقار » حديث نبوى شريف .

١٣٦٠ – ١٣٦١ : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » والكسل سببه أن الصلاة تقام رياء لا طاعة ولا عبادة ، والصلاة التى تقام رياء يكون فيها ثقل ، لأن المطلع على الضمائر والأسرار يعطيك هذا الشكل جزاء وفاقا لريائك .. أتدرى ما الذى يطهر مكان الصلاة ؟! دعك من الطهارة الظاهرة فإن كل إنسان يعرفها ، إنى أحدثك عن الطهارة الباطنة وهى لا تتم إلا بالألم والأهة وبيان الندم وذرف الدموع ، فهذا الألم وهذه الدموع هى الرسول المسرع إلى عالم الغيب والشهادة وهى التى تتقدم صلاتك (انظر مولانا جلال الدين الرومى .. الدفتر الثالث الأبيات ١٩٥ – ١٩٩ و ٢١٥٠ – ٢١٧٧ وشروحها) .

١٣٦٣ – ١٣٦٥ : أتدرى إلى أى مكان تتجه الروح وهى تصلى؟ إن وجهتها حظيرة الأحد .. والعرش الأعلى .. كما أن ذلك الصدر الشبيه بأحد أى القوى المتين العامر بتقوى الله هو ذلك المكان الذى يقصده الله تعالى فى الحديث المذكور « لا تسعنى أرضى ولا سمائى بل يسعنى قلب عبدى المؤمن » .. فضح بالروح فى سبيل « الأحد » كما ضحى حمزة بن عبد المطلب بروحه فى أحد .. هذا هو الشرط الذى به تجد طعما للأذان .. وقبل أن تدخل إلى الصلاة دعك عنك كل ما هو سوى الحق .. وكل ما هو سوى الدين وتجرد وتجردا تاما .

١٣٦٦ – ١٣٦٩ : الشرط الثانى هو الضراعة وابداء الحاجة ، فأى كبرياء تبديه أمام خالقك ومصورك ورازقك ومبدأك ومعادك؟! وما فائدة صلاتك إذن إن لم تحمل حاجتك من خلالها إلى الخالق ، وأى استغناء للمتنا هى فى الصغر أماما للامتناهى فى العظمة ، إن ضراعتك واحتياجك هما اللذان يسوقان إليك اللطف الالهى ، فترتفع حجب الأسرار وتذوق المعراج الحقيقى وتعرف ماذا تعنى كلمة إن الصلاة هى معراج المؤمن .. وتعود من صلاتك بكل ما طلبته منها .. اللطف الالهى والرحمة الالهية وكل ما ترجوه وتطلبه .

١٣٧٠ – ١٣٧٤ : إنك بصلاتك تقاوم وساوس الشيطان ، ألم يهدد ابليس بأنه سوف يقف لك كل مرصد .. ألم يهدد بأن « يحتنكن » ذرية آدم حتى يوم الدين .. وأنت إن لم تتصرف بجماع نفسك إلى الصلاة .. فإنه ينتهز فرصة وجودك أمام الخالق ليرى الخالق كيف يستطيع أن ينفذ تهديده .. وكيف يتلاعب بك وأنت فى الملأ الأعلى ، إنه يريد أن يخرجك من الصلاة حين تكون صلاتك مجرد حركات ولا روح فيها ولا تضرع .. لكن إن صليت الصلاة كما ينبغى .. فلا دخل لإبليس هنا .. فكيف يمكن أن ينتصر اللئيم عن الكريم والحديث (فى الخلق) على الصلاة التى فرضت قبل أن يخلق إبليس نفسه كأول العبادات التى فرضها الله على خلقه .. اليس الملائكة فى السماء يسبحون الله لا يفترون .. إنما كلها سبع عشرة ركعة .. إن قمت به مخلصا فقد حزت ملك ثمانية عشر ألف عالم (أى الكون بأجمعه ، وأى درجة فوق درجة مناجاة الخالق سبحانه وتعالى .. والحضور أمامه .

١٣٧٥ – ١٣٨٠ : أتظن أن الوضوء والاستعداد للصلاة إنما يتم بغسلك لأعضائك الظاهرة فحسب ؟! إن هذا أمر سهل ويسير ومقدور عليه .. ولكن كيف تنصرف إلى الصلاة وفى داخلك ما فيه من ادران وعيوب .. ماذا فعلت بما فيه من حسد وغش وحرص وكيف يمكن أن تكون لصلاتك قيمة وأنت لا تعترف بعظمة الدين .. إذن فكيف يمكن أن يتم غسل هذه الأدران الباطنة ..

انصرف إلى صلاتك مخلصا ودعها على الله يخلصك منها وادعه مخلصا أن يقوم هو سبحانه بتطهيرك مما لا تطوله يداك ولا تقـدر عليـه (انظر المثنوى الكتاب الرابع الأبيات ٢٢٣١ - ٢٢٣٤ وشروحها) فإنه بحوله وطوله قادر على أن يخلصك منها .. مثلما يخلصك الدواء الصحي من الداء العضـال .. إن الأمر أشبه بالشهادة .. إن لم تقم بـالنفى فى البداية فإن إثباتك لا يصح .. إنـك وأنت تصلى تريد أن تثبت الألـوهية للخـالق والعبـودية من نفسك .. ومـالى أطيل عليك إن الأمور كلهـا على الله .. هـو الـذى يوجهك إلى الحاجـة و إلى الضراعـة .. إلى تطهير النفس ، فاخلص له العبادة .. وادعه يستجب لك .

١٣٨٧ - ١٣٩١ : هـذا هـو المستوى الأعلى للطهـارة .. أن تغسل ذنـوبـك بـدمـوع العين وأنت تنتحب على أعتـاب الالـه ، وللمذنب ينبغى أن تكـون هناك كفـارة وليست الكفارة هنا بأقل مـن قتلك لنفسك التى بينى جنبيك تقديمها قـربانـا إلى الهك فهو لا يقبل ما هو أقل منهـا .. ومن هنا قيل « موتوا قبل أن تموتوا » و « اقتلـوا أنفسكم » توبة إلى البارىء سبحانـه وتعالى ، وجرب ، فإنك إن فعلت فسوف ترى أفضال الله عليك تنهمر ، ألم تثبت إنك له وأنك فى سبيله قاتلت النفس الشهوانية وقمعتها وأنتصرت عليها بكل ما تزينه لك من شهوات الدنيا وزخارفها .. المهم أن تكون صـلاتك فى حضور .. حضور قلب وحضور نية وتوجه إلى الخالق البارىء بكل ذرة فى البدن وخطرة فى القلب ونقطة من الدم .. انظر .. إنك فى الصلاة كأنك فى حشر .. الجسد على الأرض .. فى التراب والروح تحلق .. وهذا يتحقق بعدم النظر إلى الـذات وعدم الرعونه .. وإلا كتب عليك الفصل (الطلاق) من حيث تـريد الوصل ، والبعد من حيث تريد القرب .

- أتدرى ماذا يعنى الخشـوع وحضور القلب .. هو أن تحس أن جسدك هذا ليـس منك .. وأنه منفصل عنك .. وأنه مهما يجرى عليه لا يعنيك فى شىء .. ولن تحس بشىء .

١٣٩٢ : وإن كنت تريد مثلا من أمثلـة عديدة على ما أعنيه (والأمثلة عديدة فى سير الصوفيـة والأولياء فضلا بالطبع عن سير الصحـابة عليهم جميعـا رضـوان الله) فهاكـه من سيرة الإمـام على رضى الله عنه . والـروايـة المذكورة هنـا واردة فى تفسير كشف الأسرار للميبـدى (ج/ ١٧٩) كما نظمها العطـار فى كتـابة أسرار نـامـه (ص٢٨ و ص٢٩) (عن تعليقـات مدرس رضـوى ٢٢٢ - ٢٢٣) ووردت حكايـة مثيلة عن أبى الخير الأقطع « أصـابت أبا الخير الأقطع عـز غرغرينـه فى قدمـه وأمر الأطباء بقطعهـا ولم يرض فقـال له مريدوه لتقطع فى الصلاة إذ لا يحس فيها بشىء ففعلوا وخرج من الصلاة ولم يجد قدمه » (كشـف المحجوب / ص٣٩١) وعند الغزالى وتآكل طـرف بعضهم واحتيج إلى القطع فلم يمكن منه فقيل أنه فى الصـلاة لا يحس بما يجرى عليه فقطعت فى الصلاة » (إحيـاء علوم الدين ١/ ١٨٢) . وفى الحكاية التى بين أيدينا خطأ تاريخى فى ذكر الحسين رضى الله عنه فقد كانت غزوة أحد البيت السـابع من شوال. فى السنة الثالثـة للهجرة بينما كان ميلاد الحسين رضى الله عنـه فى الثالث من شعبان فى السنة الـرابعة للهجرة .. فكانت أحـد قبل مولد الحسين رضى الله عنه بحوالى إحدى عشر شهرا .

١٤١٢ - ١٤١٤ : ذلك الـذى يظن أن الوقـار فى الصـلاة وعـدم الرعـونـة تأتى بثقل الحركة فـإنه يخطىء .. فما دخل الجسـد بالصـلاة .. فى الصلاة تذوب الروح شـوقا إلى الخالق .. لكن ذلك الذى يتثـاقل فى حركته لكى يظن به المرض أو الجوع أو الحاجـة فهو الشحاذ ، إن هذا الـذى يبالغ فى « ضبط » وحركات الصـلاة الجسدية أنما هو مجادل متنطع .. والجدل والتنطع يبعـدان عن طريق الحق مثلما كان أبو جهل يجادل فى كل شىء ويسأل عن كل شىء ويشك فى كل شىء .. وفى النهاية لم يؤمن .

١٤١٥ - ١٤١٨ : الرجل هنا ليست دلالـة جنسية فرب امرأة فى الطريق أفضل من كل الرجـال والبر والبحر مصطلحان يردان دائما فى الفكر العرفانى كنايـة عن الوقوف عند الظاهر والايغال فى الباطن ، وبينهما مصطلحات عـديدة كالجدول والنبع وكلها درجات لمنابع المعرفة ، وبالطبع يعـد أرقاها البحر .. « بحـر الحقيقة عند أحمد الغـزالى ذو المراحل المختلفة يغشاه السـالك بسفينة وهى لا تقل أهمية عن سفينة آل البيت الواردة فى الحديث النبوى الشريف » حتى .. إن لم تحصل على الـدر الخالص .. فيكفيك مشاهدة عوالم البحر العجيبة ، ويكفيك أنك وصلت إليه .. والطلب فى حد ذاته عليه الأجـر والجزاء .. وكل الناس يسعون على الاحتمال « كما فسرها مولانا جـلال الدين من الكتـاب الثالث من المثنـوى الأبيـات ٣٠٩٥ - ٣١٠٠ .. انظر الأبيـات وشروحها فى الترجمة العربيـة لكاتب هـذه السـطور » يكفيك أنك تخلصت من عار القعود وعار الكسل وعـار الاستـسـلام .. وعار الجسد المكون من التراب والماء أدنى العناصر فى ترتيب الخليقة وإن تخلصت منهما فقد تحولت إلى سيار فى الأثير عال عن هذين العنصرين كأنك النار .

١٤١٩ - ١٤٢٢ : لكننى لن أقعد عن تحذيـرك من الكبرياء .. من إحساسك بأن السماء خوذة فـوق رأسك .. « عسكـر الترك » وأنك متوج .. إن التـاج الحقيقى هو الـذى يهبك إياه جبريل .. تـاج الخلةوتـاج القرب .. حينذاك تنقلب من أجلـك خوذة الفلك ..

تصير أنت فوق السموات وفوق الأفلاك .. وحينذاك سوف تعرف أين يكون الحق وأين يكون الهوى والهوس .. وإن كل ما كنت تلتصق به .. وتتوق إليه .. وتدافع عنه .. وتحس أنه جزء منك وأن دونه نزع الروح .. من مال وجاه ومنصب وولد كلها أمور مؤقته لا قيمة لها .. كلها ذاهبة عنك .. ويوم تذهب عنك يكون وجودك الحقيقى .. فمن ثم عدمك هو كالوجود تاما.. وكل ما كنت ترغب فيه من أمور وأشياء .. هى فى الحقيقة هذا الذى وصلت إليه فى نهاية الأمر .. التجرد الكامل .. بحيث تكون لله تعالى خالصا .

١٤٢٣ - ١٤٣٢ : الدعاء هو مخ العبادة ، « أدعونى أستجب لكم » و « أذكرونى أذكركم » إذا كان الدعاء مصحوبا بالانابة فهو عين الاستجابة (انظر الكتاب الثالث من المثنوى الأبيات ١٩٠ - ٢٠٠ وشروحها) إياك أن تظن أن الصلاة كاملة بدون تضرع وبدون ألم .. فالألم هو الرسول الذى يفسح الطريق أمام صلاتك ، وعندما يكون ثم ألم وتضرع ودموع وإنابة فإن عين الدعاء هو لبيك .. لكن إياك أن تظن أن لبيك هذه تقال فى حروف من قبيل تلك الحروف التى تستخدمها إن لبيك من الله سبحانه وتعالى تعنى الرضا والنعمة والرزق فى الدنيا وغفران الله ورحمته ورضوانه فى الآخرة .. هناك من يحملون عنك هذا الدعاء يترنمون به فى السموات « حمدنى عبدى فاحمدوه .. ذكرنى عبدى فاذكروه أثنى على عبدى فاثنوا عليه » هذا هو الذى يجعل إسمك ويجعل دعاءك مترددا بين طباق السموات . وانظر نفس الفكرة عن الألم ودوره فى الدعاء فى الكتاب الثالث من المثنوى الأبيات ٢٠٠ - ٢٠٧ وشروحها .

١٤٣٤ - ١٤٣٩ : ما أشبهك وأنت تتجه إلى الله ولازلت تحتفظ برعونتك وكبريائك بذلك السيد التى يتوكل على عبده : أنه دائما ما يجعله ممتنا .. متفاخرا قائلا : إنى صديق .. وأنت تعز على .. إياك أن تظن نفسك مجرد عبد ، إنك حبيب وصديق فلا تكن طاعتك كرها كطاعة العبد بل طوعا كطاعة الحبيب ، و إن كنت تقوم بالعبادة كرها فخير لك ألا تقوم بها فهو فى غنى عنها .

١٤٤٠ - ١٤٤٦ : الأبيات نقلها مولانا جلال الدين فى معانى متكررة من الدفتر الثالث ومر شرحها فيه : « وكل ما هو فى فرعون موجود فيك أنت ، لكن أفاعيك حبيسة جب وآسفاه ، فإن أحوالك كلها سوف تضعها على كاهل فرعون ذاك فلو تحدثوا عنك سوف يتولد لديك الخوف ، ولو تحدثوا عن آخر سوف يبدو لك الأمر وكأنه أسطورة وكم تقوم باالتخريب داخلك هذه النفس اللعينة ، ويلقى بك هذا القرين بعيدا جدا وليس لنارك حطب فرعون ، و إلا لصارت مثل فرعون ناشرة للهب (الأبيات ٩٧١ - ٩٧٥ من الجزء الثالث من المثنوى الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وانظر شروحها) وفى موضع آخر يقول : وكل من يضع الأساس لبناء فرعونى ، فإنه يقطع الطريق على مائة من أمثال موسى وهارون .. ولو كان فرعون قد وجد المكنه والوسيلة ، لما جرى الماء فى النهر إلا بأمره .. الأبيات ١٠٥٤ - ١٠٥٥ : من نفس الدفتر . وهكذا نرى كيف أن مولانا جلال الدين قد أخذ الفكرة برمتها من سنائى .. لكنى لم ألتف إلى هذا التشابه عند شرحى للكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين .

١٤٤٧ - المقصود أبو شعيب البراثى ، وبراث اسم محلة فى بغداد متصلة بالكرخ ، كان فيها مسجد جامع وقيل براث اسم قرية من سواد بغداد ينتسب إليها جماعة من العباد والزهاد منهم أبو عبد الله البراثى وهو من زهاد عصره ، وذكر ياقوت عند ذكره « لبراث » حكاية أبى شعيب .. وذكر أنه كان فيها مسجد جامع كان يجتمع فيه جماعة من الشيعة يسبون الصحابة رضوان الله عليهم فسوى الخليفة الراضى بالله (المتوفى ١٢٩ هـ) المسجد بالأرض وذكر ياقوت الحكاية المروية هنا ضمن ذكره لبراث كما ذكرها أبو نعيم فى حلية الأولياء (ج١٠ / ص٣٢٤) ومن هنا فمن الممكن أن يكون أبو شعيب البراثى المذكور فى المصادر المذكورة هو نفسه أبو شعيب الأبى الذى ذكره سنائى هنا (عن تعليقات رضوى ٢٢٥ - ٢٢٧) كما ذكرت هذه الحكاية نسبة لزاهد يسمى أبو عبد الله البراثى أيضا .

١٤٥٥ - ورد الاسم فى كتاب صفة الصفوة لابن الجوزى (٢/ ٢٩٣) كاحدى النساء العابدات تحت اسم « جوهرة العابدة البراثية » .. نزلت مع زوجها بى عبد الله جعفر البراثى فى براث ، وذكرت فى تاريخ بغداد تحت اسم جوهر (٤/ ٤٠٣) .

١٤٥٧ - ذكره ابن الجوزى هذه الحكاية أيضا فى ما كتبه من سيرة جوهرة - ورورت حديثا ترجه سنائى من خلال الحكاية (إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل بينى وبينك سترا وأنت غدا فى بطنى) وبقية الأخبار الواردة من تقليل الطعام إلى النصف كأجر لصلاة القاعد لم ترد فى المصادر المذكورة .

١٤٧٥ - المقصود من هذه الحكايات أن المرأة قد تكون فى الطريق أفضل من الرجل حتى ولو كان ذلك ذلك الرجل فى زهد أبى شعيب البراثى .. إن المرأة فهمت المقصود بالصلاة .. وشقت على نفسها وعلى زوجها .. وليست تلك الصلاة التى تتم من سطح القلب بالتى يجد منها العبد الفتوح .. أنها اشبه بعظم بلا لحم .. وهو طعام الكلاب لا البشر .

١٤٨١ - ١٤٨٤ : إن من هو مقيد بالصوم ومقيد بالصلاة ، عادة ما تكون الضراعة لله والاحتياج إليه سبحانه وتعالى نصب عينيه ، وهذه هى العبادة الدائمة ، أنت فى صلاة ما دمت فى انتظار الصلاة وفى انتظار فضل ربك ينصب عليك ، لكن هناك من يكون

جاههم متمثلا فى قفاز اليد لا فى خوذة الرأس ، لأنه يرى رأسه أعلى من هذه الخوذة التى يمنحها الجاه ، وهذا هو المحروم حقيقة ، فكل ما تأتيه يداه مردود ، ليس مثل ذلك الذى يتخذ من الصلاة وسيلة قربى ، فيكون ذلك الغار الذى تزاور عنه الشمس إذا غربت جديرا بسجدته ، أو يكون ذلك الغار الذى تقيم فيه عنقاء الحقيقة جديرا بهذه السجدة .

١٤٨٩ - ١٤٩١ : يقول مولانا جلال الدين فى كتاب فيه ما فيه « إن العالم على مثال الجبل وكل ما تقوله من خير أو شر تسمعه من الجبل وإن ظننت قائلا : لقد تحدثت حديثا حلوا ورجعه الجبل بجواب قبيح .. يكون هذا من قبيل المحال أن يغرد البلبل فى الجبل ويرجع بنعيق الغراب أو يرجع صوت الإنسان بنهيق الحمار .. بل فتيقن أنك قد نهقت » (فيه ما فيه ص١٥٢) .

ويقول فى المثنوى :

إن هذه الدنيا جبل وفعلنا نداء ، ويردد الصدى هذه النداءات (الدفتر الأول)

وفى الكتاب الثالث من المثنوى يدق مولانا جلال الدين على نفس الفكرة قائلا :

وكل نبى يحب الجبل لهذا السبب ، وذلك حتى يسمع اسمك مترددا مضاعفا . (الدفتر الثالث البيت ١٣٥٢ من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وشروحه) وهكذا فإن دعاءك ومناجاتك لله تترنم بها كل المخلوقات فتمتلىء بها طباق الجو ومن ثم ترتد إليك ثانية ، إن دعوت خيرا نالك الخير وإن دعوت شرا نالك الشر .

١٤٩٢ - ١٥٠٠ : لا أحصى ثناء عليك .. أنت كما أثنيت على نفسك » أى بثنائك يا الله تتعطر أنفاس الوجود، كله .. ويتحول هذا اللسان الدائر فى الأفواه وقطعة اللحم إلى أرغنون ورباب الحانه عذاب ، فهيا اقضم سكر الشكر لمن يكون القلب وتكون الروح تحت أمره وتحت حكمه .. فالعبيد ساعون إليه ليل نهار .. كلهم بأمره باحثون عنه ، فهو الذى يبدى الطريق ، ويجعل المرء باحثا عنه لكى ينجو ، أو معرضا عن ذكره ، وثق أنك مهما كنت ذا فصاحة فإنك لن تستطيع أن توفيه حقه من الثناء ولو حرصت ، فإن لسان الجسد لا يستطيع أن يعبر عن عالم الدين .. وقصارى جهده أن يعبر عن ما يعن له من متطلبات الجسد أو متطلبات الدنيا ، ولسان عالم الدين هو القلب ، فحتام تعول على العقل فى تمييز الطريق ، وأنت أن تغلب قلبك كوسيلة معرفة على عقلك تكون هزيمة العقل هنا انتصارا لك وفتحا لبابك .

١٥٠٣ - ١٥٠٥ : إلى متى تأنس بالخلق ، تبغى مدحهم لك وتلفهم حولك ، وذكرهم لك ، إن ودهم لك ليس صافيا ، سوف تملهم يوما ما وإن كنت لم تفعل حتى الآن فقد تأخرت ، ليكن أنسك بالله تعالى وصفوك له .. فطالما أنت خبير بالأمور التافهة فمتى تتفرغ للأمور الجادة ، ومتى تسلك الطريق المستقيم .. ليشغلك الإيمان ، فطالما أنت مؤمن فإنك تخشى الله ، وتقوم بصلاة الخوف.. صلاة الخوف على سلوكك الطريق المستقيم ، وعلى إيمانك .

١٥٠٦ - ١٥٠٨ : إنك لا تعلم أن هذا الأمر إنما يتم بالمقامرة بالروح .. والتضحية بكل رأس تنبت داخلك وتكون مستعدة للشموخ والكبرياء والضلال والاضلال .. إما إن فعلت فأنت مثال الجود ، وحينذاك يكون لك الإيمان الكامل ، ويسلم لك بالإيمان الكامل حتى ولو كنت وسط جماعة كافرة ، ويكون القلب منك كالكعبة ينظر إليها الحق دائما .

١٥١٩ - ١٥١٢ : يقارن الشاعر بين عالمين وبين مصطلحين : عالم الشعر وعالم الشرع ، وكان واعيا تماما لنظرة الشريعة إلى الشعر ، أقصد النظرة التقليدية ، فوظيفة الشعر عند سنائى بعد أن ترك التكسب بالشعر أن يكون شرحا للشرع (حديقة لبيت ١١٤٠٧) فالعكوف على الشرع أفضل من التكسب بالشعر والطواف حول الشعر ، ويشبه بيت الشعر بأنه صنم ويخاطب نفسه فى موضع آخر بأن ينبذ الشعر (لأن الشعر بجوار الشرع أمر مضحك) (حديقة بيت ١١٧١٢) ويفصل هذه الفكرة فى ديوانه: (ص٤٩٦) .

فأى شىء استفاد البحترى من فصاحته ما دام قد سمع فى جهنم « اخسئوا فيها » فاترك الشعر وطف حول الشرع ذلك أن الشرع يدفعك إلى التواضع أما الشعر فيدفعك إلى الكبرويا أيها العابث لقد صارت الشاعرية (سحرا) ولا نتيجة للشعر إلا « لا يفلح الساحر » وأنت لا ترى أبدا فى طبع شاعر الحزن والصدق ولا ترى إلا الكدية والكذب والنكران والإنكار » وفى بعض الأحيان اعتبار الشاعر شيطانا (فى مقابل النبى) . (بيت ١١٧١٩ من الحديقة) ويحاول وهو فى الحقيقة فخور بشعره أن يصل إلى فكرة توفيقية فيعتبر أن لشعره ظاهرا وباطنا فهو فى الظاهر غزل لكنه فى الباطن وحى وحمد وتمجيد (البيت ١١٧٣٤ من الحديقة) وحينما يرى أن هذا التخلص قد لا يكون مقبولا .. ينص على أن الشرع والشعر قد أصبحا فى بيت واحد هو الحديقة بالطبع .. ويرى أن الله تعالى هو الذى يفصل فى هذا الأمر لأنه هو وحده الذى يعلم حدود الحظر والاباحة ، وكل ما هو مباح لنا لأننا نعلم الفرق بين الشعر والشرع وحدود كل منهما « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

١٥١٥ - ١٥١٧ : عن الدعاء واقترانه بالاستجابة أنظر شرح الأبيات ١٨٩ - ١٩٩ من الدفتر الثالث من المثنوى وشروحها .

١٥١٨ : ما أشبهك بفرعون عندما كان يتفاخر لأن له ملك مصر والأنهار تجرى من تحته .. لقد كان كنار على ماء .. ونارك أيضا تلك التى تتوالى منها الألوان على وجهك وعلى شخصك نار قائمة على ماء ولا دوام لها .

١٥١٩ - ١٥٢٦ : عليك أن تتبع قلبك « استفت قلبك ولـو أفتاك المقترن ، فهـذا هـو الذى يستقبل مـا تمليه عليك الـروح فى تجوالها ، وهذا هـو النقل كل الحقيقى ، فما بالك تقـوم باتباع نقل العقل الـذى يقول عن فلان وعن فـلان ، وينقل عن ميت عن ميت ، نقل الروح هـو الذى ينقل عن الحى الذى لا يموت ، وهـو مايحيط العقل بكنه وصفـه « عجزت العقول عن صفتك .. ما عـرفناك حق معرفتك » والأمـور بالذوق ، وإنما الشـوق إليه هو الـذى يجذب هذا الذوق .. فتمعن فى ذاتك وفى نفسـك .. فإن كنت لا تتـذوق هذه الأمور فلأنك لا تشتـاق إلى شىء مع أنه معك وأنا .. رحمته لا تنقطع عنك .. سـواء اكنت عابدا أم تكن عابدا ، بل قـد يمنح سبحانه وتعالى دنياه لمن لا يحبه ، لكى يزداد بها بعدا ، فإنك إن أردته وإن أردت أن يجذبك إليـه ، فكن محتاجا إليه ، فاحتياجك إلى الله تعالى هو رأسمالك الحقيقى ، وأنت إن نظرت إلى الأمر حقيقة لوجدت أنك تعيش فى حـزن طويل ، فطالب الدنيا كشارب الماء المالح كلما شرب منه كلما ازداد ظمأ .. فعد إلى الاحتياج .

١٥٢٧ - ١٥٢٩ : الأمر ليس بالصورة ، « إن الله لا ينظـر إلى صوركم لكنه ينظر إلى قلوبكم » وهاك بلال لقد كـان أسود الوجه .. لكنه كان صـديقا فى بلاطه الالهى ، ذلك أنه مبدل الجلـود .. فى الدنيا قبل أن يبدلها فى الآخرة .. انظـر إلى من هو فى سلام مع إلهه .. يضفى عليه الله سماحة ونضرة وقبولا تجعل وجهه محبوبـا حتى وإن لم يكن جميل الملامح ، وعلى عكسه ذلك الذى يتبعد عن ساحة الله ، لا يؤمن بشىء ، ولا يرتدع لشىء ، مهما كان جميل الملامح .. هناك الغضب الالهى يحط على وجه .. فيكون منفرا ويحار المرء من أى شىء إذن يحس المرء بالنفور عنـد النظر إلى وجهه .. فإياك والصـورة ، فالصورة خادعـة .. الصورة فخ ، وعشق الصورة عاقبتـه العار كما قال مولانا جلال الدين ، وفى الآخـرة يكون تبديل الجلود .. ذلك التبديل النهائى « إن الذين كفروا بـآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزا حكيما (النساء / ٥٦) .

١٥٣٥ - ١٥٥٥ : أتظن أن لعلامة العلم بداية .. اعلم كما تشاء فلاتستطيـع أن تصل إلى نقطة ما « وتقول ها أنا ذا قد علمت فلا توجد أمارات ودلالات على العلم .. وكما أنه ليست هناك بداية تحدد مرحلة العلم ، فليست هناك نهاية تحدد مرحلة الشوق .. ذلك أن هذا كله يجرى فى عالم لا تدرى عنه شيئا هو عالم السر .. وهو عالم العافية .. وأنت لازلت تعيش فى عالم البلاء فأى خبر لك عن عالم العافية .. إنك لا تزال طفلا فى هذا الطريق ، تجعلك أثارة من علم تشعر بالكبرياء والاستغناء وتظن أنك قد وصلت فيه غاية المنتهى.. هذا هـو ديدن إطفال فـالرجال هم الـذين يستقلون الكثير من أنفسهم أليس يكفيك أن الله سبحانـه وتعالى قد دعـاك إليه وحببك فى آخرتك بأن عـرض عليك الجنة وأنت فى الدنيـا .. أنه فى الحقيقة يعلم أنـك طفل .. فهو يعرض عليك الثمن ، والعبـادة التى تكون فى سبيل الثمن انما هى عبادة العبيد والأطفال وليست عبادة الرجـال ، فلست طفلا تذهب إلى المكتب وتذهب إليه بالترغيب والترهيب .. لكنك رجل فتعبد عبـادة الرجال ، وتتلمذ قليلا فى مـدرسة الأنبياء إذن لنجوت من الجهـل ، وليس هناك فى هذا العالم ما هـو أسوأ من الجهل ، ذلك أن الجهل يجعلك تخسر الدنيا فى النهاية وقد خسرت الآخرة من البداية ، وذلك هو الخسران المبين .

١٥٥٨ - ١٥٦٩ : الأقوياء الذين يتبجحون بقوتهم إنما أنت تهبهم القوة أصلا ، وتستطيع أن تسلبها منهم ، مثلما تهب العطايا لكل المحتـاجين ، وأنت واهب الـرضا ، فهبنى هـذا الـرضا يـا الله ، ولا تنظـر إلى نسب جسدى ، بـل انظر إلى نسب روحى ، فالـــروح منـــك يا الله ، نفثه منك نفثتها فى ، ثم اننى فى سكر دائم من محبتك ، فهبنى اليقظة يا الله ، فإنى أخشى يا الله أن تزل قدمى ، وأنا يا الله أعلم ذنـوبى ، وأعلم أنك تسترها على يـا الله ، وهذا الشر يجعلنى متجرئا عليك ، ولست أدرى هل أنـا من الذين كتب عليهم الطـرد والابعاد فى سـابق علمك ، ولا الذى عاقبته أن يستـدعى إليك وفى حضرتك ، والقلب ضـال يا الله ، وهـو فى حاجة إلى الإنابـة ، وعيون الناس يا الله تنظر إلى المرء وكأنها تبحث عن جناية مفترضة ، وأنت الذى تهب القلب الضال وجهته ، كما أنك الذى تفتح الأبواب أمامه أبصار الناس لكى لا يقتحموا المرء بعيونهم باحثين عن عيوبه .

١٥٧١ - ١٥٨١ : هـذا هو قطيعك أيها الـراعى ، أنت الكل ، ولا أحـد غيرك ، كلهم صـور ليس أكثـر ، وفى الصور يستـوى يـوسف فى جماله والـذئب فى توحشـه .. ولا حقيقـة كاملـة إلا أنت يـا الله ، وكيف يمكن أن يتجه المرء إلى الموتى ويترك الحى الـذى لا يموت، وما هذا التبجح بأنت وأنا ولا يوجد إلاك ، وأنـت الموجود على الحقيقة والكل موجودات على المجاز ، فما دام المرء لا يحيا إلا بك وبإرادتك ، غاية حياة يدعيها لنفسـه ، وما دام لا يرزق بدونك ، فأى سعى وكسب يدعيه لنفسه ؟! .

١٥٨٤ : هذا البيت هو أصل الفكرة التى تكررت عنن مولانا جلال الـدين وعند حافظ وعند معظم شعراء الفرس بعد سنائى أن من عاش بالعشق لا يموت أبدا بل يظل فى حياة متجددة .

١٥٨٥ - ١٥٩٠ : ماذا أستطيع أنا أن أفعل بالفصاحة التى وهبتنـى إياها ، والسيف الذى وضعته فى يدى ، إن لم تمنحنى أنت القـوة على استعمالها ؟! وأى خير وشر تخيرنى بينهما وهل تستطيع قبضة التراب أن تتخير شيئـا ، بل أنه يكفيهـا أن تنطلق بالثنـاء عليك وأنت أيضا الذى توحى إليها بهذا الثناء فهو أيضا منك .. وجرأة من الخلق حتى أن يقوموا بمدحك .

١٥٩٤ - « أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

١٦٠٦ - قتلى النفس البهيمية والشهوانية التى أردتنا .

١٦٠٧ - من اطلع على حسن اختيار الله له ، لم يتمن فوق ما اختاره له .

١٦٠٨ - ١٦١١ : إن من يتصوره أملا غيرك أنت أملهم فى الحقيقة ، لأنه مـن المستحيل أن يكون هناك أمل عند الآملين سواك ، ذلك أنك الذى تـوحى بالأمل عند الآملين ، والـرجاء منوط بـك ، والأكباد ظمأى إلى مائك ، وأنت تهبهـا اليقين برحمتك الواسعـة يا أرحم الراحمين .

١٦١١ - ١٦١٣ : لا وكيل إليك سواك ، ولا معرفة تجدى ولا فضل ولا أية وسيلة من الوسائل التى يظن الناس أنهم يصلون بها إليك ، فإن لم ترد أن تهدى أحدا فلا هادى له ، وإن تمـسسنا بالخير فلا راد لفضلك إنك على كل شىء قدير ، وعلينا أن نقبل كل ما تجود به علينا ، إن خيرا وإن شر ، لا حاشاك أن تقضى بشر بل هو خير لنا إن كنا نعلم .

١٦١٥ - ١٦١٦ : كيف يمكن للروح ذلـك البلبل المغرد بالعشق أن يغـرد بعيدا عن بستـان الجنة ، لا .. إن هـذه الروح ليست بلبلا ، إنها صقر جـارح فالبلبل لا يقوى على قطع هذا الطريق (الـروح عن ابن سينا الفيلسوف حمامة رمز التأمل والفكـر وعند سنائى بلبل إن كانت عاشقة وبـازى أو صقر إن كانت واصلة ، وشبهها حافظ بأنها طائر السـدرة فحسب كما شبههـا جلال الدين فى أكثر من موضع فى شعره سواء فى المثنوى أو فى كليات ديوان شمس بأنها بازى) وهكذا فإن هذا الصقر الذى أطلق فى أثر صيد الدنيا يعود ويحوم حول سدرة المنتهى .

١٦١٨ - ١٦٢٢ : حتى هذا الشعر الـذى أتوجه به إليك أنت يا إلهى أنت الذى تضعـه على لسانى ، وأنت الذى تنجينى من نفسى التى توسوس لى أن أعود إلى مـا كنت فيه من شعر مديح ، وأنت يا الهى العالم بالسر ، وتعلم جيـدا من يتقرب إليك بالمظهر ومن يتقرب إليك بالتعـالم ومن يتقرب إليك بشقشقة اللسان ، ولا ثواب عنـدك لكل هؤلاء . بل إن ثوابك يتجه إلى من يظهر العجـز والذلة والمسكنة على بابك عجزا لـلواصفون عن صفتك .. ما عرفناك حق معرفتك ورب صامت مقبـول ، وفصيح مردود .. فهيا أيها الاله أقتل تلك القوس الشهوانية الموجودة داخل البشر من أجل نجاة البشر جميعهم .

١٦٢٣ - ١٦٢٥ : إن مجرد الـرجاء فى غيرك هـو من علامـات الزلل ، وويل لـه ذلك الذى يضع رجـاءه فى غيرك ، أوعن حبك بديـلا ، إنما يكون القهـر فى قلبه نباتا متشعبـا يثمر أغصانا من الحزن والغم والكآبـة .. نعم .. وليس سواك أيها المهيمن مع الأسرار من مخلص للقلوب والبواطن من هذا الشر الذى يحيق بها .

١٦٢٦ - ١٦٣٤ : لا عبادة بدون تـوبة ، ولا دعاء بدون إنابـة ، وساذج ذلك الذى يعبد الله فى سبيل الجنـة ، إن الجنة الحقيقية هى مطالعة وجهـه الكريم ، وهى جزاء كل أولئكـالذين تحملوا فى هذا العالم عـذابا أشد من عذاب جهنم ، وبأى شـىء تفيد الجنة من يحرم من معاينة الجمال الالهى ، إن الكبد إذا اعتـاد على العذاب والمقاساة فإن النيران تستوى أمامـه ، وحتى الجحيم نفسه إنما يتحول إلى جنة إذا خشى الله تعـالى .. وهكذا يضحك العاشقون ويتهللـون كلما ازدادت آلامهم وازدادت أشواقهم .. وهكذا يبكى العـارفون كلما أشرقت بواطنهم وضحكت بالمعرفـة .. وأنا يا الهى عابدك لا خوفا .. بل إنى عابدك ولا خـوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك .. إنهم هم العامة والسـذج الذين يعبدون طمعا .. بل إنى عابد خاضع لأحكامك حتى وإن أرسلتنى إلى جهنم أرضى بها سعيدا وأسرع إليها على رأسى لا على قدمى .

١٦٣٧ - « أفأمنوا مكر الله فـلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » (الأعراف / ٩٩) « قل يا عبـادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفـر الذنـوب جميعا » (الـزمر / ٥٣) أى أننى عنـد الخوف لا أمل من عبادتك يـا الهى ولا أشبع منها ولا أحيـد عنـها.. ولا أتجرأ على مناهيك يا الهى اعتمادا على أنك طلبت من المسرفين على أنفسهم عدم القنوط .

١٦٣٨ - أى أننى لا أجرؤ حتى على الاعتراض عليك أدنى اعتراض أو عدم قبول السم من يدك ، ولا أشكو أقل شكوى .

١٦٤١ - ١٦٤٢ : رغم أن مكرك وتأمينك سواء ، إلا أن المرء ينبغى أن يحتاط لنفسه ويهلع من مكرك مهما كان عابدا ، فما دخل الطاعة وما دخل المعصية فى الأمر ، إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى يظن نفسه فيها ثم يكب فى النار ، وأن أحدكم ليفعل فعل أهل النار حتى يظن نفسه فيها ثم يكون من أهل الجنة ، والأمور من توفيق الله سبحانه وتعالى ، وليس كل جهد قرينا للتوفيق ، لكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له .

- كان من الشائع أن هذا القول من الأحاديث النبوية الموضوعة ، وورد فى كشف الأسرار للميبدى أنه من أقوال السلف ، ووردت العبارة « الإخلاص خطر عظم حتى ينظر بما يختم » واورده الإمام الصاغانى فى رسالته « الناس كلهم موتى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم » ويقول أنه من الأحاديث الموضوعة . عن تعليقات مدرس رضوى ٢٣٤ - ٢٣٥ .

١٦٤٣ - ١٦٤٥ : العنوان عن الإخلاص .. والصور معظمها فى موضوعات أخرى وهى سمة تتكرر فى الحديقة كثيرا .. ولعلها من فعل النساخ .. والخطاب بالطبع لله عز وجل ، وسحق النوم تحت اقدام خيل الخيال كناية عن التفكر فى آلاء الله .. وفى الصنع لا فى الصانع ومثال الشمع الذى تقطع رأسه فيزداد ضياء ونورا من من الأمثلة النمطية فى الشعر الفارسى وأصله من الشعر العربى للعباسى بن الأحنف : « صرت كأنى ذبالة نضبت تضىء للناس وهى تحترق » وربما يقصد سنائى بهذا « تصفية الفعل عن المخلوقية » كما ورد فى الرسالة القشيرية بعد أن فصل الاخلاص بأنه « إفراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى دون شىء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة بين الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب به لله تعالى . (الرسالة القشرية ص٩٥) (القاهرة ١٣١٨هـ) .

١٦٤٦ - ١٦٤٩ : إلهى : لا أكون إلا ما أردت أن أكونه ، فأنا شجاع بك ، أن مصور بعونك ، ولو أنى يا الله تسلحت بسهامك أنت ، لما كان جبل قاف بعظمته وضخامته بالذى يصمد أمامى .. وقد تجردت من العقل الذى يكثر السؤال أمامك وأسلمت نفسى لك ، وتجردت عن أنيتى وعن ذاتى وعن رؤيتى لنفسى ، وتركت الطرق ، وعدمت الوسائل .. ولم يعد أمامى إلا بابك .. الهى طفت البلاد .. وجربت العباد .. وأنت أفضل من الكل .

١٦٥٢ - ١٦٥٤ : فى يدك أنت فحسب أيها الاله الفرد الصمد أن تقود العبد إلى الطريق .. وأن تدله على بابك .. نعم بأن تسد الأبواب الأخرى أمام النفس ، اجعلها ظامته دائما ولا تعطها القوة .. « إن من العصمة ألا تجد » .وطا لما أنا متعلق بهذه النفس ، فأنا فى نوم ، هبنى يا الهى ودائما الآلام .. فإن هذه الآلام هى التى تقود إليك وهى التى تقطع المرء عن الشهوات . وعن الألم انظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين : الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٢٠٠ - ٢١٠ وشروحها » .

١٦٥٥ - ١٦٥٩ : وما للطرق تتفرق بك هكذا ، همومك شتى ، واهتماماتك متعددة ، وكأنك حمار وجد نفسه فجأة أمام خضرة فهو لا يدرى من أى مكان يرعى وأى مكان يترك .. إنك تعلم أين ضاع ما تبحث عنه .. فلماذا تبحث عنه فى كل مكان ، لماذا تتفرق بك السبل هكذا .. أين إخلاصك الذى يؤدى بقلبك إلى الاتجاه نحو الوجهة الصحيحة .. وها أنت تمضى فى كل سبيل ، ولا تجعل همك هما واحدا ، وتعود كليلا متعبا مهدما من اللهثان والسعى والجرى فى الطرق المتعددة ، وما دمت وصلت إلى هذه الحالة فلن ينفعك جسر ولن ينفعك بر .. فقدضارت قواك .. وانتهى أمرك .

١٦٦٠ - ١٦٦٧ : كل هذه السفن .. سفن خطرة ، ربابنتها لا يعرفون شيئا عن البحر .. ومآلك معهم إلى الغرق ، ولو إنك مجرد سا الك (فرخ بط) فى هذا البحر الخضم .. لاستطعت أن تضرب فيه وحدك .. فكن سالكافى هذه الدنيا حتى تأمن فهى بحر عباب .. ولو كان مسيرك إلى القديم المتناهى فى القدم .. فإن بحرا لكلام يمكن أن يكون طريقا سهلا بالنسبة لك .. والقدم التى تعرف طريقا إلى القديم تكون كل الطرق أمامها جسورا توصل إلى الحبيب .

١٦٧٠ - « ولله غيب السموات والأرض وإليه بيرجع الأمر كله » (هود / ١٢٣) .

١٦٧٨ - الحكاية هنا ليست حكاية بالمعنى المفهوم ، بل هى مثل ألبسه سنائى شكل الحكاية وجعله حوارا بين شخصين . والمثل حول حمل الشىء إلى غير موضعه ، كعمل يدل على الحماقة ولا طائل من ورائه .. لكن سنائى ينتقل إلى معانى أخرى تداعت من هذا المعنى .. فما دامت العيون عمياء .. عيون الرؤوس .. وعيون القلوب فإن الأمور تستوى .. يستوى الجوهر والمدر .. والخبيث والطيب .. ومن يعلمون ومن لا يعلمون .. ومن يقوون على الطريق .. ومن يقبعون فى الدور .. إذا كنت تملك جوهرا فاحمله إلى من يفهمون فى الجوهر .. إلى أولئك المرشدين العظام الذين يعرفون الدر حتى وهو مخبوء فى صدفه .. حتى وإن تحسه بقدمه لا بيده ، وإن

سـار عليـه .. يعلم أن فى داخلـه درا .. احمل قلبك إلى من يعـرف قيمـة هـذا القلب ، واحمل همومك إلى من يستطيع أن يحل لك هـذه الهموم.. وإلا أصبحت سخرية للقاصى والدانى .

١٦٨٤ - ١٦٨٩ : لقد كتبت يد الخلق ابجـدية الخليقة منذ الأزل ، ولا يستطيع كائن من كامن أن يغيرهـا ، كلها تتوالى من عالم العدم ، لا يمكن لامرىء مـا أن يغيرها ، هى كامنة كمون الشىء بـالقوة .. إلى أن يحين أوانه فيكون شيئا بالفعل .. وهكـذا فالعدم مخزن الوجود (انظر الدفتر الثالث من مثنوى جلال الـدين الرومى الترجمة العربية الأبيات ٣٧٧٣ - ٣٧٧٥ وشروحها) تماما كما يكون الجنين موجـودا فى العدم .. ثم فى بطن أمه .. ثم يحين أوان الـولادة فيخرج من القوة إلى الفعل .. كـذا فإن هذا العالم كلـه قد وجد بأمـر واحد ﴿كن فيكون﴾ .. أدخلهم جميعا إلى دائرة الوجود .. وأيقظهم من نوم العدم .

١٦٩٠ - ١٦٩٤ : وهكذا فكل ما هو كـامن فى عقل الأستاذ بمجرد كتابته يستطيع حتى الطفل أن يقـرأه .. لقد خرج من القوة إلى الفعل .. وهكذا الأستاذ الكلى الخالق الواحد .. العقل الكلى حكمه .. والنفس الكلية دفتره .. والمادة قابلة للتشكل والجسم للتصور .. وكلها بفضله ومنـه وكرمه أتت من عالم العدم .. فى مراتب ودرجـات أعلاها العشق الذى ليس فوقـه إلا المعشوق .. كما عرف العقل درجته بأنه ناقص لا يدل إلا على ناقص مثله .. ولا يمكن أن يدل على الكمال .. فالعشق هو ملك الملكات وهو ملك وسائل المعرفة .. أما الطبع فهو القيم وهو حافظ البدن لا يزيد .

١٦٩٥ - ١٦٩٩ : لقد سخـر كل ما فى هـذا الكون « الأركـان » من أجلك أنت ، وهى كلها فى كـد وتعب من أجل أن تحصل أنت على ماء الحياة ، من أجل كرامتك أنت أيها الإنسان حتى يجعل منها كلها مادة لنطقك ومادة لكرامتك ، وهو مستعد للتضحيـة بها كلها فى سبيل الروح القدسيـة التى تسيطر على النفس ، وتنقلب هذه النفس الأمارة بالسـوء إلى عقـل حـافظ لمدينـة البـــــدن .. وهذا الأسلوب الالهى .. إنـه يجعل شيئا فوق شىء ويدا أعلى من يـد ولكل شىء غذاء (انظر لتفصيل هذه الفكـرة مثنـوى مولانا جـــلال الدين .. الكتـاب الثالث .. الترجمة العـربية لكاتب هـذه السطور المقدمـة ص١٣ - ص١٥ والأبيات ٣٠ - ٤٤ وشروحهـا » . وكلها عودتها إليه « ألا إلى الله تصير الأمور » (الشورى / ٥٣) .

١٧٠٠ - ١٧٠٨ : يقول مـدرس رضوى أن المراد بالمختار هنـا مختار العشق والمجبور المجذوب السـالك .. (تعليقات ٢٣٧) وقد لا يحتمل المعنى هذا .. بل المراد بالمختـار من يقول بالاختيار والمجبور من يقول بالجبر .. كلاهما خـاضعان لارادته ومشيئته .. فمن يقول أنه مختار محجوب بـاختياره ، ومن يقول أنه مجبر إنما هو فى الحقيقة مقيد بأغلالـه ، والله سبحانه وتعالى لا يصنع الشر ، بل هو جل شأنه خير محض والدق على «خيرية » الخليفة متواتر عند الصوفية « انظر الكتاب الخامس من المثنوى الأبيات ٩٧٤ - ٩٩٠ وشروحها » وانظر شروح الأبيات ٨٦ - ٨٨ من الحديقة . والخلاصة هى ما أوردها سنائى فى البيت رقم ١٧٠٨ : كل ما يأتى به الله طيب .

١٧٠٩ - ١٧١٥ : يقول على بن منصور الدينورى الشوق هو غلبة المحبة وهيجانها ويكون هيجان المحبة بقدر الشـوق .. ومثل المحبة كالنار ومثل الشوق كألسنة النار .. وكلما كانت النار أقوى كلما ازدادت ضراما ، وكلما ازدادت ضراما اشتد احراقها وبقدر ضعف النار يستطيع الناس القرب من النار .. وعندما تـستوى يهرب منها الناس وكل من يقترب يحترق ، وهكذا الشوق ، فالنار تحرق الحطب ، والشوق يحرق المراد وخواطر النفس (عـن تعليقات رضوى ص٢٣٩) وهناك حديث ورد فى التصفية فى أحوال المتصـوفة لقطب الدين الشيرابى ذكره دون اسناد « الشـوق مطية المؤمن » التصفية ص٣٩ - (طهران ١٩٧٠) .. إن الشـوق هو المحرك من أجل الخلاص من سجن الدنيا وهو الـذى يضرم النار فى كل ما سوى الله ، وهو فى حد ذاته سرور حتى وإن لم يكن الـوصول إلى الحبيب متاحا ، وحتى فى الواقع المعاش ، قد يخلع « الشوق » المرء من كل مـا يحيط به .. وقد يكون شوقه إلى « لعبة ميتة » بتعبير مـولانا جلال الدين فما بالك إذا كان الشـوق إلى الحى الذى لا يموت ، فـالشوق إلى « اللعبـة الميتة » و « عشق اللحم » يورد صـاحبه مـوارد التهلكة . وهذا هـو منظور سنائى فى الشـوق الذى يلقى بالذوق إلى الجحيم .

١٧١٦ - ١٧٢٤ : خروج الـروح من البوابة كنايـة عن خروجها من الجسـد ، أما القلب القديم فهو القلب الـذى سكن الجسد وعاشره واكتـوى بناره . ينقلب إلى جديد بصحبـة الروح وتحرر صورة هذا القب من قيـد الطبع ، ويصبح القلب مرة ثانية وديعـة فى يد الروح ، والـروح وهى فى مغادرتها لمحبسها وسعيها نحـو أصلها تهدر هديرا يمـلأطباق الجو من الأرض إلى الأثير فى شوقها الشـديد إلى العودة إلى أصلها ، ويغيب صـاحبها عن وعيه فلا يشاهد مـا حوله .. يخلو الطريق إلا من الشـوق .. تصبح الشـمس مجرد بقعة سوداء ، فا لمقصود هو خالق الشمـس .. والعالم الآخر ليس على مثال هـذا العالم .. هو عالم اللون الواحد .. لا أرض ولا سماء .. ولا كفر ولا دين فكل هذا خاص بهذه الأرض .. أرض الكون والمعتقدات والمتناقضات .

١٧٢٥ - ١٧٣٤ : إن هذا الشوق يـوصلك إلى عالم مختلف تماما ، تنقلب كل الأمور فيـه .. الكفر فيه ينقلب إلى دين ، والأرض تنقلب فيه إلى سماء ، وجبريل يمـدك فى لحظة بالحيـاة الخالدة ، العقل يندهش من هـذا الهدير ، وهزيم البرق منطلق من سنـابك جواد الشـوق الذى يسرع به خببا حتى الريح نفسـها لا تلحق به وهو مسرع نحو عالم العدم الذى هو أصل الوجود .

١٧٣٥ - ١٧٣٩ : « رب سلم » اشارة إلى مـا روى أن فاطمـة رضى الله عنها قالـت لرسول الله « يـا أبتاه أين ألقـاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر .. قال يا فاطمة عند باب الجنة ومعى لواء الحمد لله . وأنا الشفيع لأمتى إلى ربى قالت : يا أبتاه فإن لم ألقك هناك .. قـال : القينى على الحوض وأنا أسقى أمتى .. قالت : يـا أبتاه وإن لم ألقك هناك .. قـال : القينى على الصراط وأنا قائم أقول « رب سلم أمتى » قـالت فإن لم ألقك ؟ : قال : القينى وأنا عند الميزان أقـول « رب سلم أمتى » قالت : فإن لم ألقك .. قال : القينى على شفير جهنم أمنع شررها ولهبها فاستبشرت فاطمة رضى الله عنها بذلك ..(الأمالى عن تعليقات رضوى ٢٣٩ - ٢٤٠) .

١٧٤٠ - ١٧٤٣ : « ما يبدل القـول لدى وما أنا بظـلام للعبيد » (ق/ ٢٩) والوعود الالهيـة بأن يلقى المؤمن مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ومن دعوة لعبيـده أيضا أن رحمته سبقت غضبه .. فكما يكون المؤمن متحيرا فى صنعـه فى الدنيا .. لا يملك إلا أن يقـول « اللهم زدنى فيك تحيرا » .. هذه الحيرة فى رأى مـولانا جـلال الدين هى السبيل إلى تفتح الـروح (انظر الأبيـات ١١٠٨ - ١١١٧ من الترجمة العربية للدفتر الثالث من المثنوى وشروحها) ويزيد سنائى هنا .. بأنه كما تكون حيرة فى الدنيا فى آلاء الله ، تكون حيرة فى الآخرة من آلاء الله ومن رحمته بعبده .

١٧٤٤ - ١٧٤٧ : نـوقشت مشكلـة هل يخلق الله الأفعـال الـذميمة من قبـل (شروح الأبيات ٤٥٤ ومـا بعـده من الحديقـة) والمشكلة هنـا أيضا متفرع منها وهى هل يمكن أن تجوز على الله الصفـات الذميمة ؟! وبـالطبع يـستنكر سنـائى كأشعرى كـون جواز اتصاف الله سبحانه وتعـالى بالصفات الذميمة .. إنه سبحانه وتعـالى أعظم من ألا يستر على عبده ، وكل ثماره هى الرحمة ، أنه يجذبك إليه بلطفه .. ويدعوك إلى نفسه ، ويقدم إليك جنانه .. فأين هنا هذه الصفات السيئة التى يجيزها عليك الجهال ؟!

١٧٥٠ - ١٧٥٤ : كيف يكـون ركونك إلى هـذه الدنيـا وهى دار الألم ؟! لقـد جعلك الله سبحانـه وتعالى صـدفا يضع فيـه در التوحيد .. وأنت خلف آدم .. آخر المخلوقات واحدثها .. فكيف إذن يعطيك در التوحيد وتضيعه « ما هذا الافلاس الذى تضع نفسـك فيه .. إن هذا الدر يجعل منك ملكا .. رافع الهامه على السموات ، تستغنى عن الخلق .. تـستغنى بالله وأن لم تكن تصدقنى فانظر إلى هذا المثـال .

١٧٥٧ - ١٧٦٧ : إذا كنت لا تصدق ما يمكن أن تصل إليه بـالاستغناء عن الخلق جميعا والركون اليه . فـانظر إلى البازى ، إنه مجرد طائر ، لكنـه عندما يتعلم حـرفة الصيد ، يكون جـديرا بأيدى الملـوك وصحبتهم ، والخطوات التى تحدث عنها سنـائى فى تدريب البازى حرفة الصيـد وردت بنصها عند أبى حامد الغزالى .. مقارنـا ما يفعل بالبازى بما يفعل بالنفس عند تدريبهـا وهو نفس ما هدف إليه سنائى هنا .. فالرياضة بالنسبة للنفس كالتدريب بـالنسبة للبازى يقول الإمام الغزالى « وفعلوا بها - أى بالنفس - ما يفعل بالبازى إذا قصـد تأدية ونقلـه من التوثب والاستيحـاش إلى الانقياد والتـأديب ، فإنه يحبس أولا فى بيت مظلم ويخاط عينـاه حتى يصل بها إلى الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما قد ألفه من جو الاسترسال ثم يـرفق باللحم حتى يأنس بصـاحبه يألفه الفا إذا دعـاه أجابه (احياء علـوم الدين جـ٣ ص٦٧) وكلاهما إمـا سنائى والغـزالى أخذاه من تفسير كشف الأسرار الـذى املاه الأنصـارى على تلميذه الميبدى وعنه أيضا نقل صاحب شرح التعرف على مذهب أهل التصوف(ج٣/ ص١٠٤) .

١٧٦٨ - ١٧٦٩ : يتفق سنائى مع مولانا جلال الدين فى أن التجربة هى التى تبين الأبعاد الحقيقية للشخصية .. ويكرر مولانا جلال الدين قـولا مأثورا هنا هو « لا شجاعة يـا فتى قبل الحروب » ، فلابد من التعرض للامتحـان .. (انظر الأبيات ٦٨٣ - ٦٩٤ فى الدفتر الثالث للمثنـوى وشروحها) وهو ما يعبر عنه سنـائى بالاحتراق .. فعند الاحتراق فقط يتبين الصفصاف من العـود ، وتبدو أبعاد الشخصيـة كما هى وعلى أصـولها بدون أى نـوع من الادعـاء .. والبيت ١٧٦٩ إشـارة إلى مـا ورد فى حـديث عن النبى ﷺ « إنى لست كأحدكم .. إنى أبيت عنـد ربى يطعمنى ويسقينى ، كناية عن الله سبحانه وتعـالى كان بقدره على الطى (الصيام المستمـر) مما لا يتاح لغيره - وشبيه بهذا ما روى عن أبى يزيد البسطامى « لى أربعون سنة لم أتحدث إلى الخلق .. كل ما تحدثت به تحدثت به إلى الحق وكل ما سمعته سمعته من الحق » وروى هـذا الخبر بعدة روايات ، ونسبه بعضهم إلى الشبلى (الـسلمى ص٣٣٩) واعتبره الإمـام الشعرانى من أحاديث الرسول (لواقح الأنوار —/ ١٢٢) ولقطع الأسباب انظـر أيضا الأبيات ٢٥١٧ - ٢٥٢٧ وشروحها من الدفتر الثالث لمثنوى مولانا جلال الدين الرومى - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) .

١٧٧٢ - ١٧٧٩ : المثال هنا له مثيل أيضـا عند الإمام الغزالى « وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قـوة الحمل ويختص عنه بناحية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لتلك الخاصية فإن تعطلت منه وصل إلى حضيض رتبه الحمار (احياء علوم الدين جـ٣ / ١١) لكن سنائى يوسع فى الصـورة ، فليس كل جواد جديرا بـالجوادية ، بل هو الجواد الذى تـدرب ومارس الرياضـة ، وسما من مرتبة

الحيوانية إلى مرتبة صداقة الملوك ، ومن ليس كذلك فهو قد فقد خاصية السمو ، وأصبح معرضا لحمل أثقال اليهود والنصارى و يا لها من إشارة .

١٧٨٠ - ١٧٨١ : إنه يكون دائما فى مقام الخوف ذلك الذى لم يهذب نفسه بالرياضة ذلك لأنه معرض لأن يكون وقودا لجهنم ، فى الإنسان الذى لم يهذب نفسه بالرياضة بأكثر قيمة فى الحطب والحجارة فاقرأ إذن ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾ (البقرة/ ٢٤) .

١٧٨١ - ١٧٨٤ : هنا ثلاث مستويات للمعرفة : الشمس ، وانعكاس الشمس فى الماء (العقل) وانعكاسها من الماء على الجدار .. وعند مولانا جلال الدين الصورة على مستوين : الشمس وانعكاسها المباشر على الجدار : كان ذلك شعاعا على جدارهم ، وعندما سطعت الشمس محت تلك العلامة ، وكلما يقع الشعاع على شىء تقوم أنت بعشقه أيها الشجاع ويمضى النور من الجدار نحو الشمس ، فامض أنت أيضا نحو الشمس الجديرة بالمعنى (انظر الأبيات ٥٥٢ - ٥٥٣ و ٥٥٩ من الدفتر الثالث من مثنوى جلال الدين - الترجمة العربية وشروحها) .. يعترف سنائى بالمرحلة الوسطى .. أى مرحلة العقل الذى يمكن أن ينعكس النور عليه .. لكن أهم نقطة أن يكون عقلا ايمانيا .. أى سطع عليه نور الإيمان فبهداه يسير .

١٧٨٥ - ١٧٩٨ : الشرط الأول للإنسانية والآدمية هو طاعة الله .. هذا هو المنصوص عليه فى الآية الكريمة ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ (التغابن / ١٢) هذه الطاعة هى التى تدفعك إلى طريقه .. فكل من يطيع أحدا يبحث عنه ، يظل منجذبا إليه .. وهكذا كل الأنفس ، وإنك إن فعلت هذا فسوف ترى الجهال منعكسا حتى فيها قد تراه قبيحا (جلد حمار) ، وبدون الدين .. لا هدف هناك .. ولا قوة .. ولا جاه .. ومن لا دين له فهو فى الحقيقة لا يوصف بالإنسانية هو (لا أحد).. والدين هو كسوتك وهو ثمرك .. وكل ما تراه جميلا أو قبيحا فاعتبره طيبا (نقش القبيح أيضا يدل على قوة النقاش عند مولانا جلال الدين) .. ودليلك فى هذا الطريق هما : علم الله وعدل الله فبعلمه لن تضل وبعدله لن تظلم .

١٧٩٩ - ١٨٠٧ : هذه الروح الصوفية المتفائلة تتكرر كثيرا عند سنائى وتلميذه جلال الدين .. فليس هناك بد من الرضا ، وليس هناك شر مطلق فى هذا العالم ، فكل شىء نسبى ، ونحن الذين نضع الأسماء ونقسم الأمور إلى خير وإلى شر وفق تفكيرنا الناقص وفطرتنا القاصرة .. وإلا فكل ما يفعله الله خير .. والبلاء نعمة .. وأشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، فلتنظر إلى الأمور دائما من زاويتها الخيرة .. ولا يوجد شىء ليس فيه جانب طيب (انظر من أجل تفصيل لهذه الروح المتفائلة الأبيات ٤٢٥ - ٤٣٥ من الحديقة وشروحها) وما يصيبك من سوء وتعتبره شرا فإن لله فيه سرا خافيا فلا تتسرع فى الحكم ، وانظر إلى حكمة الله تعالى يجعل من الأسد المحصور صيدا للإنسان الضعيف .. ويجعل من أولئك المرشدين المتألمين دواء للقلوب المكلومة المحزونة .. ويمنح المرء أشياء من حيث لا يظنها موجودة فيها .. لكنها حكمته .. فليكن ديدنك دائما الرضا والتسليم .. فسواد جزعت أم صبرت مالك من محيص .. ولتصبر على البلية وتؤجر خيرا من أن تعترض عليها وتبتلى بها فى الدنيا وتعاقب عليها فى الآخرة فتزيدك ذنبا دون أن تحط من ذنوبك . « وكل ما تأتيك كراهة منه .. عندما تنظر إلى الحقيقة يكون رحمة » أو مثل ما قال المتنبى .

لعل عتبك محمود عواقبه ، فربما صحت الأجسام بالعلل .

١٨٠٩ - ١٨١٤ : لا يغنى حذر من قدر من الأقوال المأثورة ومن قائل إنه حديث نبوى شريف وللإمام على رضى الله عنه :

أى يومى من الموت أفر ، يوم لم يقدر أو يوم قدر .

يوم لم يقدر لا أرهبه ، ومن المقدور لا يغنى الحذر .

وينقل مولانا جلال الدين وأن دائما قولا مأثورا « إذا جاء القضا ضاق الفضا » (انظر الأبيات ٣٨٠ - ٣٩٠ وشروحها من الدفتر الثالث من مثنوى جلال الدين الترجمة العربية لكاتب هذه السطور » .. إن الله سبحانه وتعالى يضع تقديره فى الطريق دائما ليعلمك بفسخ الغرائم أن الارادة الالهية لك بالمرصاد .. إنك إذا استنمت إلى الصور التى تتراءى لخيالك وتبق عن الحقيقة يذكرك دائما بما أنت فيه .. فلماذا إذن تتألم من قضائه وقضاؤه هذا هو الذى ينبهك لحظة بعد لحظة .. وآهاتك مع قضائه هباء .. فلماذا يكون قلبك واثم الحزن مع قضائه ؟ إنك بهذا الأمر تغلب الأمور .. فالرضا بالقدر من شروط الإيمان .. وأنت وتدعى الإيمان لكنك لا تؤمن بالقضاء .. فكأنك تأكل من قفاك .. وأنت بهذا تشبه عزازيل (ابليس) الذى لم يمتثل لقضاء الله وأمره .. فهيا .. دعك هذا حتى يرفع الله عنك سبحانه وتعالى لعنته ويغفر لك .

١٨٢٤ - ١٨٣٢ : فى الأبيات يقدم سنائى وصفا لأولئك الراضين بأحكام لها ، المستسلمين لله ، الفرحين بقضائه وقدره ، الذين يتقبلون البلاء كما يتقبلون العطاء ، بل يكونون أشد فرحا واستبشارا ، حتى فقد المال وفقد العيال (انظر الدفتر الثالث من مثنوى جلال الدين الرومى - الترجمة العربية الحكاية التى تبدأ بالبيت ١٧٧٤ وشروحها وتعليقاتها) إنهم لا ينسون أنهم يعيشون فى عالم كئيب

شره أكثر من خيره .. وآفاته لا تزال تنصب على المؤمنين .. وأشدهم إيمانا أشدهم بلاء .. فمن ثم يتذوقون البلايا متلذذين بها ، فلولا أنهم من المخلصين لما إنصبت عليهم البلايا .. فالبلاء دليل على الولاء .

١٨٣٥ - ١٨٤٥ : لقد جعل هذا النمط من الناس قلبهم خاليا من أى أمل .. ذلك لأنهم يعلمون أن طول الأمل هو رأس كل خطيئة .. وهو السبب فى محبة الدنيا .. وهم يتجرعون المر كأنه الخمر .. ولذلك فهم أحياء وكن ماتوا .. قائمون بأمره وكأنهم القلم فى يده ، أنهم يعلمون أين ينفقون نقدهم .. ولمن يوجهون طاعتهم .. ولا يحملون ما يصلح للانفاق فى خوارزم إلى العراق .. ولا يبيعون الغالى بالرخيص .. وأنت أيضا .. كن كالكرة أمام صولجانه .. واعتبر بالآية الكريمة ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ (النور / ٥١) .

١٨٤٩ - ١٨٦٠ : هذه صورة أخرى لأولئك المخلصين الراضين .. ترى أحدهم ملتفا بخرقة أو كليم .. راضيا بحكم الله .. يرى فى مر الألم صفاء .. مثل هذا الرجل يرفرف معه جناح جبريل أينما ذهب .. وتكون مناقبه كموسى الكليم « فما للأنبياء يكون للأولياء .. ولقد أعطاك الله سبحانه وتعالى كثيرا من الرخص هدية لك وهو جل وعلا « يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه » فلماذا ترد عليه هديته .. ولماذا تشرع لنفسك هل تساوى بين نفسك وبين الله فتجادله .. ليكن هروبك من قضاء الله إلى الله .. والهم أن الروح نفسها هينة فى سبيله مهما كانت محيطة فى بالأكوان ، أليس هو فى النهاية التى أعطاها كل هذا التكريم .. وإياك وأن تكون عبادتك كلها قائمة على الجبر وأن تحس أنك مجبر عليها .. ولا تفسر الآية الكريمة ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (الأنفال ١٧) تفسير يوافق هواك .. فالله سبحانه وتعالى يقصد أن التأييد والنصر منه سبحانه وتعالى وإن كان الرمى من يد محمد ﷺ .

١٨٦١ - ١٨٦٤ : المقصود بالكرامة هنا التكريم الذى ناله الإنسان من لدن الله تعالى .. ويعددها سنائى بما هو مأثور فى كتب التراث الاسلامى الصوفى .. فالإنسان ناطق بلسانه مبين به .. وما هذا اللسان إلا نتيجة من نتائج الروح التى هى نفثة من روح الله فى جسد أبى البشر ومنه انتقلت إلى نسله .. وبهذه الروح يظهر ملكوت الدنيا .. والسر .. سر العشق نحو الملأ الأعلى الذى فى أثره تطير هذه الروح عاشقة فى أثر الملأ الأعلى .. والإنسان الذى يترك كل هذه الأمور : القلب والروح وما إليها يصبح ربانيا بحيث يتفى احساسه بوجوده وكيانه وينطق قائلا : أنا الحق مثلما فعل الحسين بن منصور الحلاج .

١٨٦٥ - ١٨٦٩ : لكن إياك أن تظن أن الدين باللسان وبالكلام وأنه مجرد فيهقة وشقشقة ليس الدين إلا أن تخرج عن كل شىء ، و إلا فإذا كان الأمر بالكلام والحديث فما أكثر البطارقة الذين يجيدون الكلام والحديث .. والحقيقة أن هذا الأمر أخذ من سنائى حيزا كبيرا من الفكر .. ومثل جلال الدين فيما بعد هاجم المدعين والمتفيهقين وباعة الكلام والمتفاصحين ويرى سنائى أن هذا الأمر ليس بتلوين الكلام .. وأن أى خسيس مدع لا يستطيع أن يصل فى هذا الطريق بالكلام .. بل ينبغى بتعبير سنائى « ألم محرق للعمر » .. وينبغى أن يكون المرء موفقا بلطف الله وهذه هى سنة الله فى خلقه إذ يلزم وقت حتى يتحول الحجر إلى عقيق وتتحول قبضة من الصوف إلى خرقة وتتحول نطفة فى صلب إنسان إلى صوفى أو عارف أو شاعر (ديوان سنائى ص٤٨٥) .. ليس مجرد الألم بل والفداء .. ومثلك فى هذا إبراهيم الخليل الذى لم تؤثر فيه النار ، وموسى الذى تحول من مجرد عبد أسير إلى محطم العروش الفراعين أمثال هؤلاء طيور تبدو لك ضئيلة .. لكنها بعون الله أصبحت من قبيل الطيور التى إن ظلت إنسانا حولته إلى ملك .. هؤلاء الملوك الحقيقيون .. لأنهم ملوك الآخرة .

١٨٧١ - ١٨٧٤ : وهكذا أيضا يكون العبد الذى يخلص لله ، يسفر له العقل الإيمانى عن وجهه ، « ومن أخلص لله أربعين صباحا أجرى على لسانه ينابيع الحكمة » ، ليس هذا فحسب بل يبسط الله عليه ظله يوم لا ظل إلا ظله .. وهذا تفسير جديد يقدمه سنائى للآية الكريمة ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ (الفرقان / ٤٥) .. وعندما تنعم روحه بهذا الظل .. تسفر له شمس الحقيقة عن وجهها فانظر إلى الشمس تكون فى الظل ، وإلى الحقيقة تسفر عن نفسها من بعد اللطف فهل رأيت ثم كرامة مثل هذه الكرامة لمخلوق من المخلوقات ؟!

١٨٧٥ - ١٨٧٨ : أن هذا هو شراب التائبين ، حيث لا يتبقى لأحدهم لون أو رائحة .. فالألوان والروائح (المذاهب والعقائد والاتجاهات وما إلى ذلك مما يميز بين البشر) خاصة فى هذا العالم المحسوس ، وبهذا الجسد المكون ، تكون مسيطرا على كل هذه الألوان والروائح .. إذا عرفت طريق « الواحد » وسلكت طريق « الواحد » ، وهو طريق مباشر وقريب .. ولا كفر فيه ولا دين ، بل لون العشق الواحد .. وإنما تجد الطريق طويلا .. لأنك تسير فى طرق متعددة تتفرق بك .. وتفضى بك إلى متاهات أنت فى غنى عنها .. فتتغير

عليك الألوان ، وتبدل الطريق ، ولا تبال فى وأى اد هلكت .. وكل هذه الطرق والألوان من قبيل المجاز .. والمجاز ليس فى كل الأحوال موصلا إلى الحقيقة أو قنطرة لها .. بل من الممكن أن يكون حجابا على الحقيقة مبعدا عنها .

١٨٧٩ - ١٨٨٤ السبيل الوحيد للخلاص من هذه الألوان هو « الاستغناء » ، والاستغناء بحر .. تكفيك شربة واحدة منه لكى تقضى على كل هـذه المتاهـات ، وسوف تعرف آنـذاك المعنى الحقيقى للتـوحيد ، سوف تفهـم حقيقة « وحده لا إلـه إلا الله » .. فما لك والألوان ؟ لقد خلقك جزءا منه فكن له ، والألوان خادعة ، حتى ولـو كان عيسى صباغها ، ألم يخرج من دن واحد ألوانا متعددة ؟! لقد كان يـريد أن يقول لك .. إذا كـان لك دن واحد وكنت مخلصا لله تعـالى فسوف تـستطيع أنت أيضا أن تكـون من هذا الدين الـواحد ذا ألوان متعددة أردت مالا فالمال من الله .. وأردت جاها ورئاسة فالرئاسـة والجاه من الله سبحانه وتعالى .. هذا هو الدن التوحيد .. الذى يجعل « الكل واحدا » فى اللون الالهى .. وحينذاك متى يكون الوصال صعبا وقد رق حبله فصار من خيط واحد ؟!!

١٨٨٥ - ١٨٩٠إذن فما دام الشرط هو العبودية المطلقة فلابد أنك سوف تسألنى عن العبودية ومعنـاها وشروطها أقول لك أن العبوديـة هى التجـرد من كل شىء وأن يكون المرء بأجمعـه لله تعالى .. وأن روبيتـه لا تتحقق لك إلا بعبوديتك .. وهـو مستغن عنك .. لكنك خلقت عبدا معقود الحزام للخدمة والعبودية كأنك النمل .. فالعبودية فى البداية هى إحساسك المطلق بأنك عبد .. قيد ربوبيته موجود على كل عضو منك .. وكل عضو منك قائم بالعبادة له .. ولكل عضو عبادة هى البعد عن الحرام الذى نهى عنه .

١٨٩١ - ١٨٩٤ : والعبوديـة ثانيـا هى التسليم لـه سبحانه وتعـالى .. والتسليم هـو تفويض الأمـر إلى الله تعالى فهـو البصـير بالعبـاد، وجعل همومك كلها هما واحـدا هو عبادتـه ومعرفته سبحـانه وتعالى ، وأقـرأ ﴿ يوم لا ينفع مـال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليـم ﴾ (الشعراء ٨٨و٨٩) وكيف تفـرط فى العبودية لله تعالى من أجل الطبع ومن أجل الشهوة ، تـراه منحك كل ما منحك إياه دون مقابل ودون أن تمنح أنت شيئا .. هيـا : قوم عطاياه ، إنك تقيس كل شىء بقوانين الـسـوق .. فهل حدث من قبل أن أعطيت كل شىء فى مقابل لا شىء ، وانظر واعتبر ، وإلا فإن عميت منك عين الاعتبار فإنك حتى لا تساوى الطيور والوحوش والدواب .. (الثور عندما يرى ثـورا يذبح أمامه يهيج ويقطـع عقاله وينطلق) وانظر بعين الحكمـة .. هذه الأفلاك تـدور ، والأيام تدور معها ، ويـوم يأتى ويوم يذهب ، ورضاك بالله ، يجعلك تعلم أنه الحى الباقى ، ويجعلك تفهم عقم حركة الأفلاك هذه .

١٨٩٥ - ١٨٩٨ : تـريد شروطـا أخـرى للعبوديـة : الاعتراف بعجـزك وضعفك وهوانك وذلك أمـام الله .. ومعـاناتك البـلاء واحـساسك به نوع من البعـد عن الله تعالى ، ذلك أنك إن نشأت كعبد فلا بد أن تحس أنك عبد ، وبعدك عن العبـودية هو بعد عن الله تعالى .. ومـا دام كل شىء قـد قدر منذ القـدم .. فأية فـرصة أمـامك للاختيـار ؟! ودرجات الـدين كثيرة تبلغ الف درجة ، وهـى أمام العـاشقين الف منزل ومنـزل حتى عتبة القلب (فى البيت الـسـابع من الحديقـة قال سنـائى أن اسماء الله الحسنى قد تبلغ الف وواحـد ولعلها تجليات المنازل أو الدرجات) .

١٨٩٩ - ١٩٠٢ : جسـد يشبه خليـة النحل أى جسدا ملىء بـالشهد والعسل ، والقـاء المجن أمام سهم القضـاء أى التسليم بالقضاء والإيمان خيره وشره « من لم يرض بقضـائى ويصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى وليبحث عن رب سواى » ، وأى مجن لا يـستطيع أن يقف أمام سهم القضاء ، ونجـاتك فى هذا البحر العباب إنما يتم إذا نسيت أن لك يـدا ولك قدما ، فاستخـدام اليد والقدم وأنت فى البحر من قبيل الفضول والهوج .

١٩٠٣ - ١٩٠٩ : صاحب القلب ، ذلك الذى صـار قلبه مرآة عاكسـة ، ونور بـالإيمان فأصبح يسع الحقيقة العليا .. لا يجادل كثيرا ولا يبحث عن أسباب الأمور وكيفياتها « استفت قلبك ولو أفتاك المفتون .. ومن ثم فإنه يظل ساكنا هادئا لا تقتلعه الأحداث ، ولا يطير عند هبة أية ريح .. لا يجزع عند المصائب .. فقد قرأ من قلبه الآيـة الكريمة ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ (التوبة / ٥١) وعرف مغزاها وذاتها .. إنها أمور كلها مكتوبة فى ليل العدم قبل أن يرش الله سبحانه وتعالى على الخلق من نوره ، وقبل أن تجرى عليك فى نهار الخليقة ، لكنك من جهلك لا تعرف قيمة الحكم ولا مغزاه ، ولا تدرى أن لله تعالى فى كل أمر حكمة خفية عليك لا تدرك مغزاها ، مع أن الظاهر غالبا ما ينبىء عن الباطن ، وأوائل الأمور تـدل على أواخرها فليس أمامك إلا التسليم فى هذا البحر العباب .. والله تعالى هـو الذى يهبك العلم بـالسباحـة (السير فى الطريق إليـه) فأى علم لك بـه .. أنه هـو الذى يهب الطـريق ويهب القدم ويهب النيـة والعزم.. وما عليك إلا أن تبدأ .

١٩١٠ - ١٩١٣ : إن أصحاب القلـوب يختبرون أيضا عند تلقى البلاء .. إن البـلاء عندهم شأنه تمامـا شأن العطاء .. فهم لا يتأوهون عنده بك يحمدون الله سبحـانه وتعالى ويشكرون فضله ، ذلك أن هذه الآهـة التى تنطقها من الألم تضلك عن الطريق وتجعلك

تتساءل : الهى لماذا فعلت بى هكذا ؟! ألم أكن عبدك ؟! ألم أطعك .. كن عبدا ولا تكن تاجرا ، إنها ليست صفقة .. طاعة بعطاء .. وعبودية برضا .. لا .. إنك بهذا تشق على نفسك كثيرا .. وتدمى كبدك بلا طائل .

١٩١٤ ١٩٢٦ : أى شىء ستأتى من يديك أيها المبدع .. ؟ زرعت أيكة سرو وأعجبتك هل هذه الورود الجميلة التى تتيه بها من غرسك .. أبدا .. إنها من المبدع الكلى وما أنت إلا مجرد وسيلة .. فكن وسيلة .. إن القيم (المرشد ، الولى ، العارف) هو الذى يستطيع أن يوجهك إلى طريق النفع ، وطائر لطفه ومجده الذى إذا أظل عبدا صار ملكا قريب منك فضع نفسك أمامه .. وكن شمعة تحترق فى سبيله ، ودعك من الأغيار (كل ما هو غير الله تعالى) .. وأدنى هذا الطريق هو بذل الروح .. فماذا تكون الروح فى سبيله وهى نفس من أنفاسه ، وناره ليست فى الحقيقة نار بل هى كالنار التى أشعلها النمرود لإبراهيم عليه السلام .. برد وسلام وروح وريحان وجنة نعيم .. فكن أمام الله سائلا .. ذلك أن الاله يكون الها إذا كنت له عبدا .. وإن لم تكن عبدا فماذا يكون ؟! فلتكن روحك هدفا لسهام حكمه ، وليكن ايمانك مجرد اطار توجد بداخله جوهرة العشق الأسمى فماذا قلت أن « العرش » فى مكان .. وعينت لله مكانا تعالى وتقدس عن المكان والزمان فأين تراك تبحث عن الشرع إذن ؟!

١٩٢٧ - ١٩٤٤ : الحكاية الواردة فى هذه الآية من الروايات المشهورة فى كتب التفاسير : روى أن إبراهيم عليه السلام عندما ألقى به فى النار أتت الملائكة قائلة : أطلب منا العون .. فقال : حسبى الله ، وعندما ألقى به فى المنجنيق ليلقى فى الأتون قال « اللهم أنت الواحد فى السماء والواحد فى الأرض ليس فى الأرض أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل » وعندما ألقى به فى النار أشرف عليه جبريل عليه السلام وقال « يا إبراهيم ألك حاجة ؟» فقال « أما إليك فلا » فقال جبريل « سل ربك » فقال « حسبى من سؤالى علمه بحالى » فأوحى الله سبحانه وتعالى ﴿ يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ (تاريخ الرسل والملوك للطبرى جـ١/ ص١٢٥ وقد نظم العطار هذه الحكاية فى « الهى نامه » .. (عن تعليقات رضوى ص٢٥٠ - ص٢٥١) ويضرب الصوفية بالحكاية الأمثال لمعان عديدة .. منها التسليم وتفويض الأمر إلى الله تعالى وحده والتوكل عليه وحده .. وعدم الدعاء برفع البلاء (وهو موضع خلاف بين الصوفية أنظر للتفصيلات الدفتر الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٨٨٠ - ١٨٨٥ وشروحها) .

١٩٤٥- ١٩٤٩ :خلاصة هذا الفصل الخاص بالتوحيد أن الإنسان فى هذه الدار الدنيا إنما هو يؤدى إمتحانا .. ومن ثم تسمى دار المحنة ودار الامتحان ودار البلاء .. وهى البوتقة التى تصهر فيها معادن البشر .. والبوتقة هى التى تبين الذهب النضار من الزيف .. والطاهر من الخبيث والطاهر يصل إلى الطاهر .. والخبيث يحترق .. فليكن الحك دليلك وموئلك وهدفك وملاذك .

١٩٥٠ - ١٩٦٠ : إن ما يسمى بالفلك والأركان والعوالم كلها ما هى إلا تسميات لأصل واحد وهو أن هذا الكون ما هو إلا مختبر الاله .. هو دار التجربة الخاصة بالاله لينظر فى أمورنا .. هل حافظنا على العهد ؟! هل كنا جديرين بالكرامة ؟! هل أدينا الأمانة ؟! هل استطاع أن يصفى نفسه فى بوتقة البلاء الذى رزق به فى الدنيا وأن يصل إلى الميزان والتقييم طاهرا كما أراده الله سبحانه وتعالى .. فيستحق المثوبة .. أو يصل ملوثا إلى الحضرة الطاهرة فيكون من الهالكين .

١٩٦١ - القلب السليم فى القلب المفكر فى آلاء تعالى الطامح إلى وصاله .. وقول سنائى فى الشطرة الأولى من البيت أن الوسيلة فى طريقه قد تكون حجابا فحطمها حتى ولو كانت هى القلب السليم « المتألم فى الفراق » . إذ لا طريق إليه إلا به .. والشطرة الثانية يختم بها الباب الأول من الحديقة الذى خصصته للتوحيد ولبعض المقامات والمشكلات الكلامية الخاصة بالذات والصفات كما رأينا .. والمتكلم المذكور فى الشطرة هو الله سبحانه تعالى .. أما الكلام فهو القرآن الكريم وهو الموضوع التالى من موضوعات الحديقة المنظومة على خطة معينة ومنهاج واضح كما سنرى .

- يلعب القرآن الكريم دورا كبيرا فى الفكر الصوفى فى مراحله المختلفة سواء كان طريقا أو سلوكا أو حالا أو عرفانا ومن نافلة القول أن التناول الصوفى للقرآن الكريم يحاول ارجاع كل المفاهيم التى تناولها الصوفية إلى القرآن الكريم .. ومن المشهور أيضا أن الصوفية تأولوا بعض آيات القرآن الكريم لكى يربطوا فيما بينها وبين مصطلحاتهم . وعند الصوفية الذين سبقوا سنائى نجد أمثلة عديدة ففى أسرار التوحيد أن الشيخ أبا سعيد سئل عن معنى « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » فقال « الليل ليل الاستتار والنهار نهار التجلى » (اسرار التوحيد ص٣٢٠) ومن روايات الهجويرى عن النساج فى تفسير الآية الكريمة ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ قال : أى أبصار الرؤوس عن المحارم وابصار القلوب عما سوى الله تعالى . (الهجويرى : كشف المحجوب ص١٩٦) كما يرد

معظم الصوفية مقاماتهم إلى أصول قرآنية (افتتاحيات الفصول عند الإمام الغزالى فى احياء علوم الدين وعند معظم من كتبوا عن التصوف) . وقد ذكر ابن الصلاح فى فتاويه بشانه تفسير ابن عبد الرحمن السلمى المسمى حقائق التفسير « لو اعتقد أحد أن هذا الكتاب تفسير قرآن فقد كفر » والعلة فى ذلك أن هؤلاء فى تفسيرهم قد أخضعوا المعنى القرآنى لميا دينهم كما فعل المتكلمون والفلاسفة . وقد بقى من تفسيرات الصوفية غير تفسير السلمى تفسير عبد الكريم القشيرى المسمى لطائف الاشارات وتفسير الأنصارى المسمى كشف الأسرار وعدة الأبرار ، وهناك تفسير لنجم الدين كبرى صوفى القرن السادس وأوائل السابع الهجريين الشهير وقد نقل عنه يوسف بن أحمد المولوى كثيرا فى شرحه على مثنوى مولانا جلال الدين الرومى .. وقد أطلق صاحب اللمع لفظ المستنبطات على تفاسير الصوفية (اللمع ص١٠٩ من طبعة ليدن) ولا جدال أن هذه المستنبطات تتراوح بين صوفى وآخر من تفسير قريب من النص .. إلى تفسير يبعد كلية عن النص .. اعتمادا على فكرة البطون السبعة للقرآن والتى سيأتى الحديث عنها فى حينه . كما أشار جولد تسيهر إلى منحى غالب فى تفاسير الصوفية فيقول « يجبب إلى متصوفة الإسلام أن يعملوا تحت شعار النظرة الفلسفية إلى التأثير المزدوج للرعاية الالهية الموحدة إلى القدرة والقهر من جانب واللطف من جانب آخر . وهم يسمون هذين الوصفين للتجلى الالهى تارة بالجلال وتارة بالجمال . وكثيرا ما يجعلون هذه المقابلة تنصب فى تحديد المقامات والأحوال الصوفية وينظر مفسرو القرآن من الصوفية دائما إلى أوصاف الألوهية الواردة فى القرآن بانتباه دقيق ليرتبوها فى واحد أو آخر من النوعين سالفى الذكر ، وعلى هذا النحو يبحث التفسير الصوفى عند كل مناسبة فى نص القرآن تارة عن مظهر العزة وتارة عن مظهر الرحمة الالهية « مذاهب المفسرين : ترجمة عبد الحليم النجار ص٢٣٣ - ص٢٣٦ - القاهرة ١٩٥٥ » ويكتفى سنائى أحيانا فى استخدامه لآيات القرآن الكريم بكلمة واحدة من الآية .. وينظر إلى القرآن على المستوى النصى كنص بديل أحيانا صالح للتعبير عما يريد أن يعبر عنه من معان ، ويراه بالطبع أقدر على التعبير عما يريد أن يعبر عنه ولا يجد الوسيلة إلى ذلك . كما أغرب بعض الأحيان فى تقديم بعض المستويات الجديدة لمعانى القرآن الكريم كاستخدامه الآية الكريمة ﴿ إن ربى بكيدهن عليم ﴾ لارجاع الضمير فى كيدهن إلى الذهب والفضة . لكن هذا على كل حال نادر فى شعر سنائى واستخدامه للقرآن الكريم فلم يترك لخياله مجالا للتوسع لأن الخيال فى القرآن الكريم قد يوقعه فى الخطأ .. وهو هنا يختلف عن كثير من الصوفية الذين تركوا لأنفسهم العنان فى القول بمعان غريبة لآيات القرآن مما كان سببا فى وقوعهم مع الفقهاء فى صراع مستمر .

- الشواهد الوارد فى صدر الفصل : ﴿ قل لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (الاسراء / ٨٨) - « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (الأنعام / ٥٩) - الحديث : القرآن غنى لا فقر بعده إلى آخره .. انظر الجامع الصغير ٢/ ٨٩) - الحديث : القرآن هو الدواء .. إلى آخره رواه السنجرى فى الإبانة والقضاعى عن على رضى الله عنه ..دون عبارة إلا الموت (الجامع الصغير ٢/ ٨٩) - أهل القرآن هم أهل الله وخاصته رواه أبو القاسم بن حيدر عن على رضى الله عنه (الجامع الصغير ٢ / ١١٠) - القول المنسوب إلى أحمد بن حنبل هنا عده كنوز الحقائق من الأحاديث النبوية (٢/ ٣٥) .

١٩٦٢ - ١٩٦٤ : إن لطف معانى القرآن ، والتدبر فى معانيه ، والاستمتاع بهذا الاعجاز ييسر للقارىء قراءته ، فلا يمل ، وليجرب من يقرأ بصوت مرتفع .. ويقرأ ما تيسر من القرآن .. ويقرأ من كتاب آخر بصوت مرتفع ، فإن النتيجة أن جمال القرآن سوف ينسى مشقة الحرف وتعب الصوت ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد يكون المقصود أن حروف القرآن محدثة لكن معانيه قديمة وهو ما يفسره البيت التالى .. وبالرغم من أن القرآن شكل أى محسوس والوهم يدرك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات إلا أن الاحساس هنا لا يستطيع أن يدرك حتى الشكل كما أن العقل يصاب بالوله من التدبر فيه .

١٩٦٨ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ (الاسراء/ ٨٢) ومن الحديث النبوى الشريف الذى يؤدى هذا المعنى .

١٩٧٣ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ﴾ (يونس / ٥٧) .

١٩٧٥ - ألقى بالعقل فى شدة : أى من حيرة العقل فيه .. وبالنفس فى عدة أى منع النفس عن شهواتها . ومن الممكن أن يكون المعنى أن العقل الكلى المحيط بالكائنات وأول فيض فاض عن الله تعالى حائر فى معانيه وإعجازه .. والنفس الكلية المحيطة بحياة الكائنات فى طريقة حائرة لا تستطيع أن تمارس مهامها .

١٩٧٦ - ١٩٧٩ : جلال اللفظ من جلال قائله .. وهو الدليل إلى قائله والدال عليه وإن كان فى نقاب من ألفاظ البشر ، وذلك لكى يكون واضح الحجة عليهم .. وحروفه هى درج الروح وهو برج ملك الدين .. منه تكون الهداية إلى الدين ، كما أنه الروضة التى يأتنس فيها قارؤه بالله تعالى ، ومن كان أنسه بالله تعالى ، كان عالما قائما بذاته ، أو عالما على قدمين بتعبير سنائى .

١٩٨٠ - ١٩٨٦ : أما الغافل الذى يقرأ القرآن بلسانه ولا يعيه بقلبه ، ولا يجاوز تراقيه ولا يعمل بأوامره ويجتنب نواهيه ، بل يظل سائرا فى عصيانه ، فإنه لا يتذوقه ، ولا يقرأه بذوق ولا يتدبر معانيه بل يظل وهناك قفل على قلبه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » والغافلون عن تدبره إنما يفرطون فى كنز الاسلام وهو فى أيديهم ، وهو الشمع للمنهاج الاسلامى بالنسبة لأولئك الذين يسلكون طريق الحق ، فيكون نعم الهادى ونعم المعين ، وليس القرآن للخواص فحسب بل هو أيضا الحارس للعقيدة عموما والحافظ لثغورها والحامى إياها من الانحراف ، فأنى كان هناك شك أو جدل .. فليعرض على القرآن الكريم فهو الفيصل فى كل الأمور ، ومن ثم فمن تدبر فيه أحس بحلاوته ، ومن قرأه بطرف لسانه .. ومر عليه بعين جسده ، كان نصيبه منه بقدر ما بذل فيه ، ومن قرأه بعين الروح .. انفتحت له آفاق الروح وذاق النعمة من مائدة الرحمن الممتدة إلى يوم القيامة .

١٩٨٨ - ١٩٩٢ : الام يتحدث الشعراء عن جمة الحبيب ؟! إليك النقاط الموجودة فى حروف القرآن .. هذا هو الجمال الخالص .. جمال التفضل وجمال الإحسان .. هو الدر وحروفه كالصدف .. وإن لم يسمح لك بهذا الجمال فذلك لأنه قد ستر عنك بحجب الجلال وإنك إن ملكت البصيرة .. بصيرة الروح التى تكشف لها حجب الغيب ، حينذاك تستطيع أن تميز الحجاب (الحرف) من الملك (المعانى) .

١٩٩٣ - ١٩٩٤ : إن القرآن عندما انفصل إلى خالقه ، وهبط إلى السماء الدنيا ، ونزل على البشر لم يفقد عنصره الالهى أو قوته الروحية ، بل إن قراءته بيقين وإيمان وبالشكل الذى ينبغى أن يقرأ به .. يستطيع أن يرتفع مرة ثانية إلى خالقه بنفس القوة « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

١٩٩٥ - ٢٠٠٥ : فكرة أن للقرآن مستويات عديدة مستويات للعوام ومستويات للخواص ومستويات لخواص الخواص من الأفكار السائدة فى الفكر العرفانى . وفى الأبيات يشبه سنائى مستويات القرآن بأنه كثمرة الجوز .. له قشر خارجى وقشر داخلى وقشور بين اللب ولب ثم لب اللب ، أما القشر الخارجى فهو حروف القرآن .. لا ينال من اللب شيئا من يقف عندها لا يريم ولا يحاول التدبر وبالطبع يكشف القرآن عن معانية لمن يراه اهلا لها ، وتستريح « روحه » إلى « روحك » إذا كانت روحك مهيأة لهذا الأمر ، والقشرة الأولى أو المرحلة الأولى صلبة صلة مرة الطعم ، والقشر الثانى وإن كان لينا إلا أنه كالقمر عندما يغرب ، يقل ضوؤه ويكاد ينعدم ، أما القشر الثالث فهو كالحرير الرقيق والقشرالرابع لامع مصقول سائغ ، ثم يأتى المنزل الخامس منزل لب اللب ، هذا هو المنزل الذى ينبغى أن تستريح إليه .. وهو منزل الأنبياء .. ولتكن سنتك سنة الأنبياء فى القلوب على هذا المنزل .. وإذا كان المنزل الخامس هو منزل الروح .. فلماذا تهبط بالروح إلى المنزل الأول الذى هو منزل الجسد ؟! لماذا تتناول المر ما دام فى يدك أن تتناول الشهد ؟! لماذا تحرم الروح من طعامها وتعكف على طعام الجسد ؟! وعند مولانا جلال الدين الرومى تفسير لحديث نبوى قريب من هذا المعنى (أن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن) وذلك حتى يكون لكل إنسان نصيبه منه فى رأى لمولانا جلال الدين (انظر البيت ١٨٩٩ وشرحه من الكتاب الثالث الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وانظر أيضا لتفضيل الفكرة نفس الكتاب الثالث الأبيات ٤٢٣٠ - ٤٢٤٦ وشروحها) وفى حديث آخر ورد فى شروح المثنوى « للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وفسرها ابن عربى بأنها التفسير والتأويل وما يصل إليه فهم الانسان وفسر الحد والمطلع بأنها المعانى والمدركات التى هى أعلى من التفسير والتأويل ولا يعلمها إلا الله تعالى (شرح استعلامى على المثنوى ، الكتاب الثالث ص٤٠٧) وعند الإمام الغزالى « بل أن الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن سعة لأرباب الفهم .. قال على رضى الله عنه : إلا أن يأتى الله عبد فهما فى القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ (احياء علوم الدين ١/ ٣٠٠) .

٢٠١٥ - ٢٠١٩ : ليس المقصود بسر القرآن أسرارا مخفية ، بل المقصود سر التلاوة الحقة التى عن طريقها تتكشف الأسرار الموجودة فى القرآن ، تلك التى لا تتكشف بالتلاوة السريعة أو تلاوة اللسان .. وقد عدد الإمام الغزالى أعمال الباطن فى التلاوة بعشرة أعمال : فهم أصل الكلام والتعظيم وحضور القلب والتفسير والتفهم والتخلى فى مواضع الفهم والتخصيص والتأثر والترقى والتبرى (احياء علوم الدين ١ / ٢٩١) كما تناول الإمام الغزالى نفس الموضوع فى كتابه « الأربعين فى أصول الدين » وهو قسم من كتابة المسمى جواهر القرآن وحدد الأسرار الباطنة بعدة أصول منها : الأول أن تستشعر عظمة الكلام فى أول قراءتك باستشعار تعظيم المتكلم

والثانى : أن تقرأ بتدبر معانية إن كنت من أهله وكل ما يجب لسـانك به فى غفلة فيجب عليك اعادته والثالث : أن تجتنى فى تدبرك ثمار المعرفـة من أغصانها ولا تطلب الترياق من حيث يطلب منه الجواهـر ولا الجواهر من حيث يطلب منه المسك والعـود والرابع أن تتخلى عن موانع الفهم وهى الأكنة (الغزالى : الأربعين فى أصول الدين ص٤٤ - ص٤٦ القاهرة ١٣٤٤ هـ) .

٢٠٢٠ - ٢٠٢٥ : المثال المذكور هنـا قد يكون حسيا وقد يكـون معنويا .. فالـذين تتفـرق بهم الأوديـة بعيـدا عن كتـاب الله لايبالـون فى أية أوردية هلكـوا من أودية تلك الأوطان التى (تبـدى العداوة) فى حين أن الطبيعى أن وطن المرء هو أول من يـؤويه ويحن عليه ، فإن حـدث العكس فلابـد أن فى الأمور مـا فيها .. وأنت إن كان الانـاء الذى فيـه الماء فيروزيا وشغلت أنت بجمال هـذا الاناء الفيروزى لحرمت من الماء البارد فى هـذا الهجير ، وهكذا القرآن : إن انشغلت بحروفه عـن معانيه فاتك الكثير من نعمـه وعدت محروما منـه .

٢٠٢٧ - ٢٠٣٢ : القلب الطاهر هـو الذى يسفر له القرآن عن أسراره ومعـانيه وهو خاص به مثلما كان يعقـوب عليه السلام مخصوصـا بريح يـوسف الذى فى القميص ولم يشم عـذا الريح ذلك الذى كـان يحمل القميص من مصر إى كنعان وقـد تناول مـولانا جلال الدين نفس هذه الفكرة بشكل مفصل (انظر الكتاب الثـالث من المثنوى الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٣٠٣١ - ٣٠٤٢ وشروحها) .. وهكذا حـروف القرآن ومعانيه إن كنت أهلا للمعانى سـوف تصل إليك مثلما وصلت رائحة القميص إلى يعقوب عليه السـلام .

٢٠٣٣ - ٢٠٣٩ : بـالرغم من أن هـذه الحروف جميلـة سلسة ، إلا أنها عظيمـة الوقـع على النفس ، إن الجبل نفسه لينـدك من سماعها ﴿لـو أنزلنا هذا القـرآن على جبل لرأيته خاشعـا متصدعا من خشية الله﴾ ، فـاستمع إليه كما استمع إليه موسى عليـه السـلام ، بالبـاطن ، تراك تظن أن الله تعالى حـدثه بغير القرآن ، وتـراك تظن أيضا أنه حـدثه هكذا بشكل مبـاشر ؟! هكذا يكون حـديث القرآن إليـك .. المهم أن تستخدم للفهم ما ينبغى استخـدامه ، إنك ترى شجرة الصفصاف بعين الجسـد .. تراك تـريد أن تبصر شجرة طوبى أيضا بعين الجسـد ، إن هذا محال .. وهكذا القرآن .. تريد أن تصل إلى معانيه .. إقرأه إذن بقلبك .

٢٠٤٠ - ٢٠٤٢ : إذن ماذا يكـون العقل ؟! العقل هنا قاصر .. ذلك أن مجالـه محدود ومن ثم فإنه يعجز عن إدراك معـانيه ، ذلك أن الكشف لا يتأتى من العقل ، فى رأى لمولانا جلال الـدين ، والمكلف مشتغل بالعقل بينما الصفى يمتطى عقل العقل ، أن عقل العقل هو بـالنسبة لك لب وعقلك قشر ، ومعدة الحيـوان غالبا ما تطلب القشر ، إن العقل يسـود الدفاتـر كلها ، لكن عقل العقل ذو آفاق مليئة بالأقمار (انظر الدفتر الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين - الترجمة العربية لكاتب هذه السـطور الأبيات ٢٢٢٦ - ٢٢٣٤ وشروحها) .

٢٠٤٣ - ٢٠٥٣ : من أجل أن يسفـر لك القـرآن عن أسراره ، ينبغى لك أيضـا نقـاء أخلاقـى فكيف تكون متصفـا بالحيـلة والكـيد ، غير محافظ على الذمار ، مشعلا للفتنة ، ثم ترى نفسك جـديرا بانكشاف حجب السر .. كيف تكون رجل هوى ثم تطلب ما هو خاص برجال الله .. ينبغى أن تقضى على هواك أولا .. فترسل شيطانك إلى جهنم الحاجة ، وتكون كسليمان بعد أن وجد خاتم الملك الذى ضـاع منه ، وجلس الشيطـان بدلا منه على العـرش (انظر تفصيـلات عن هذا الموضوع فى الكتـاب الرابع من المثنـوى الأبيـات ١٢٦٥ - ١٢٨٦ : وشروحها) حينذاك ينبثق فيك صبح الـدين .. فلا وهم بعدها ولا خيال ولا أخطـاء يوقع فيها الاعتماد على الحس .. حينذاك تصبح طاهرا ويـسمح لك بكل طاهر ومن بين ما يسمح لك به معانى القرآن .. فالطاهر للطاهر والتراب للتراب .

٢٠٥٤ - ٢٠٥٨ : إذا كان الشيطان عنـدما كان يستمع كان يتبعـه شهاب ثاقب ، وإذا لم يكن مـسموحـا للشيطان بأن يستمع إلى القرآن .. فكيف تريـد أن يسفر لك القرآن الكريم عن معانيـه وأنت تحمل فى رأسك شيطان الكبرياء ؟ اصمت إذن .. وأطلب من الله تعالى أن يرزقك فهم القرآن واجتلاء معانيه وحينذاك فحسب تصل إلى أسرار القرآن .

٢٠٥٩ - ٢٠٨٦ : الأفكار الموجودة فى هـذه الأبيات تكرار لما سلف تفصيله من أفكار عـن القرآن والبيت ٢٠٧٤ مثل فارسى ورد فى شعر الرودكى (تعليقات رضوى ص٢٥٦ / ص٢٥٧) .

٢٠٨٧ - ٢٠٩٣ : يدق سنائى هنا على فكرة أن القرآن هو حبل الله المتين الـذى يمتد للضالين فى آبار الغرور والكبرياء والحقد والحسد أو آبار الشهوات عموما فيتشبثون به .. أن العقل الـذى يهديك إلى هذه الفكرة بمثابة بشرى يوسف التى جاءت فى البئر ، حينما سمع يا بشرى هذا غلام » .. ولم تكن البشارة هنا يوسف بالعبوديـة لكن بالعبودية التى توصل إلى الملوكية .. ومن أراد أن يكون فى جاه يوسف فليتمسك بهذا الحبل المتين .

٢٠٩٤ - ٢١٠٠ : شتان بين عظماء الرجال من الأولياء والعارفين الذين يملكون هذا الحبل المتين من أجل أن يحصلوا على المعرفة التى هى بمثابة ماء الحياة الخالدة .. التى إن ذاقها أحد ظفر بالحياة الخالدة ، وبين أولئك الذين يتخذون من القرآن وسيلة للكسب المادى فى حين أنهم لا يتقنون منه حرفين ، ولا تزال تنظر أنت إلى القرآن بعقلك الذى يدور كالفلك الدوار وقلبك فى قيد من الجسد ومن الروح .. ولا زلت تريد التاج والعرش كيوسف عليه السلام مع أنك لا تزال مقيما فى قاع جب الشهوات .. فليكن حبلك من الآهات ودلوك من الألم وألق بهذا الدلو فى أعماقك لتخرج هذه النفس الكامنة فيك التى هى بمثابة يوسف الصديق من قاع الجب وذلك حتى تصل الى الملوكية .. هكذا أنت وهكذا نفسك ، وقد منحك الله الوسيلة ولكنك تلقى بها جانبا سفها منك وحمقا وعدم تقدير لهذا الحبل المتين الذى مده الله لك ومع ذلك لا تتمسك به ولا تحاول أن تستخدمه فى نجاة نفسك .

٢١٠١ - ٢١٠٤ : يتناول سنائى هنا أولئك الذين جعلوا همهم شكل القرآن دون مضمونة وصورته دون معانية ووضعوا لها علوما ، وهو هنا يرفض أن يقسم القرآن إلى أعشار وإلى أخماس .. فذلك إن جاز من أجل أن يسهل على الأطفال تعلم القرآن .. فليس يجوز من أجل الرجال الواصلين الذين يعرفون أن القرآن وحدة واحدة وكل لا يتجزأ ، فضلا عن أن التقسيم الشكلى قد يؤدى إلى تقسيم موضوعى ، وقد يأتى زمان - ولعله أتى بالفعل - يوجد فيه من يقول بأنه يفضل سورة كذا عن سورة كذا .. وهلم جرا ، ومن ثم « كان الحسن وابن سيرين ينكران الأخماس والعواشر والأجزاء » (احياء علوم الدين ١ / ٢٨٧) ، ولأنها كلها أمور من فعل النساخ ، والناسخ ما لم يكون راسخا فى علومه ، فسوف يكون القرآن شاهدا عليه وليس له ، مثلما صارت متشابهات القرآن عندك فى حكم محكمه .. وذلك أنك تقرأ دون أن تعرف المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، فى حين أنه حتى الذين يعولون على محكمه ويعتمدون عليه أصبحوا قلة الآن .

٢١٠٥ - ٢١١٤ : يعدد سنائى فى الأبيات الاستخدامات العديدة للقرآن وكلها فى غير ما نزل له أصلا .. لقد صار تكئة للخداع والارتزاق والاحتيال ، ويقدم صورا لا تزال موجودة بل تتفاقم بعد أن أزيح القرآن الكريم عن موضعه الأصلى كمصدر للتشريع والهداية ، وأصبح يستخدم كمصدر رزق ، يتغنى به المغنون ويبالغون فى أجورهم مبالغة شديدة .. معتمدين على الحديث « زينوا القرآن بالصوت الحسن » فى حين أن القرآن يزين بعد فهمه أولا ، وأحيانا ليضرب به أحدهم الأمثال .. يتفيهق ويظهر بلاغته ليس إلا عن طريق الاستشهاد بالقرآن الكريم فى موضع وفى غير موضع ، ثم يأتى أيضا شىء جديد لم نكن نظن أنه كان موجودا أيضا فى عصر سنائى ... احصاء القرآن واحصاء كلماته وحروفه والاشارة إلى دلالات لهذه الحروف والكلمات واستخدام الحاسب الآلى الآن فى هذا الأمر ، وأحيانا أخرى يبحث أحدهم عن الخيال فى القرآن والصور فى القرآن .. والشطرة الثانية من البيت لعلها تشير إلى طائفة ظهرت أخيرا تحاول أن تجد فى القرآن كل ما وصل إليه العلم الحديث وتتعسف الآيات والتفسيرات لكى تسد نقصا وإحساسا بالدونية أمام « الحضارة الحديثة » وتطوراتها المذهلة متناسية أن ما يثبته العلم الآن قد ينقض غدا فماذا يفعل هذا الذى يحتج بالقرآن على « المخترعات الحديثة » ويتناسى الذين يقومون بهذا النوع من التفسير المبهر للعوام ومن هم فى حكمهم .. إنه إن كانت هذه المخترعات قد ذكرت فى القرآن ولم نتوصل إليها « نحن » أصحاب القرآن .. فهذا يعنى أنه لم تعد لنا صلة بالقرآن بالفعل .. ومثلما وجد التأويل عند الفرق قديما كل فرقة تؤول آيات القرآن على ما يوافق هواها .. تقوم الفرق الحديثة أيضا بتأويل القرآن ليوافق الرأسمالية حينا والشيوعية حينا آخر والاشتراكية حينا ولا أدرى ماذا حينا .. وكلهم يجدون فيه من الآيات ما يلوون أعناقها ليا لكى توافق مقتضى الحال .. أما الفتوى فيه بغير علم فحدث ولا تسل بما له من آثار مدمرة تراها حولك وتحس بها يوما بعد يوم تتفاقم ، ذلك أن الحقيقة إن غابت لا ينوب عنها ولا يملأ مكانها ألف خيال ، ويصل الأمر ببعضهم أحيانا قديما وحديثا إلى اتخاذ آيات القرآن وسيلة للسحر والشعوذة وأمور الدجل محتجا بتفسيرك للآية الكريمة « وننزل من القرآن من ما هو شفاء » وتقرن هذا بأمور جاهلية سقطت إليك من العلوم القديمة كما تدعى وكلها سحر وشعوذة ، ولعل سنائى هنا نسى أمرا آخر - وربما لم يكن موجودا فى زمانه لكنه موجود فى زماننا - هو تحويل القرآن إلى تعويذة .. بحيث يضعه بعضهم فى أساس عتبة المنزل المبنى حديثا (ليدوس عليه فى الرواح والغدو) « ويصلبه » بعضهم على الجدار ويضعه بعضهم فوق رأسه فى المخدع .. ويضعه معظمهم فى مقدمة السيارة وبعضهن فى حلية من الذهب تراقص على « الصدر العارى » .. كلهم جعلوا منه « وسادة » بتعبير مولانا جلال الدين .. وهناك ظاهرة لا تقل غرابة وهى تسابق الحكومات فى إصدار « الطبعات الفاخرة » للمصحف الشريف .. نعم العناية بالشكل بعد أن غاب الجوهر وبالصورة بعد أن غاب المعنى .. وتظاهر بتقوى مفتعلة .. وفى الوقت نفسه « استحمار » العوام كالأنعام .. ومن ثم يلاحظ المفكر على شريعتى أن أعظم عصور نسخ القرآن وتصويره وتذهيبه وتجليده فى إيران هو العصر الذى تحى فيه القرآن جانبا وأصبح فى المرتبة الثانية « وربما الثالثة » بعد كتب من قبيل مفاتيح الجنان وروضة الشهداء وطوفان البكاء .. وما إليها .

٢١٢٠ – ٢١٣٨ : نعم سوف يكون القرآن بهذا الشكل حجة عليك وليس حجة لك ، سوف يشكو هذا « الماحل المصدق والشافع المشفع من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن تركه خلف ظهره ساقه إلى النار » (حديث نبوى لابن حبان فى الصحيح والبيهقى فى السنن وغيرهما الجامع الصغير ٢ / ٢٦٤) سوف يشكو من أسلوبك فى القراءة الذى لم يكن يجاوز تراقيك « يخرج أناس من أمتى من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم » لمسند أحمد ١١ / ٦٨٧١ (القاهرة ١٩٥٣) وسوف يقول .. أنه قرأنى يا إلهى على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة .. كان يدعينى كثيرا .. يستشهد بى بمناسبة وغير مناسبة دون أن يفهم حرفا واحدا منى .. لقد طوعنى لنفسه .. ولم يطوع نفسه لى .. لقد قرأت حتى فى مجالس الشراب .. قرأنى متغنيا بى .. وأثناء تغنية هذا فعل بى الأفاعيل .. فسكن ما لا يقبل التسكين .. وهو يتغنى ويتمايل ويبدى دلالا وغنجا لا يليق أثناء تغنيه بى حينا فى السوق وحينا على رؤوس المآذن .. هذه شهادتى يا رب أضعها فى حقه .. فخذ بحقى منه يا رب العالمين .

٢١٤٢ – ٢١٤٤: ﴿ ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ و « إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » وليس القرآن عند سنائى مجرد حديقة للشريعة يتنزه فيها المتدبر فى القرآن وفى معانيه .. بل هو فى المقام الأول كتاب أحكام ، ومن ثم يكون الحاصل من القرآن ليس مجرد المتعة الروحية .. بل المعرفة بالأحكام .

٢١٥٢ – الألف هى الوحدة ، والباء والتاء هى كلمة بُت معناها فى الفارسية صنم .

٢١٥٣ – المقصود برقم الثمانية عشرة هنا تلميحا إلى الآية الكريمة « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » (يوسف / ٢٠) وقد اختلف العلماء فى مقدار هذه الدراهم المعدودة فقالت جماعة منها عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود هى عشرون درهم وقال مجاهد بل اثنان وعشرون وقال عكرمه : أربعون وقال آخرون : بل ثمانى عشرة درهم . والمقصود بيع صورة القرآن الحسنة بالعوالم الثمانى عشرة السيئة .

٢١٥٧ – إشارة إلى الآية الكريمة ﴿فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ﴾ (الواقعة ٧٩) .

٢١٦٥ – ٢١٧٤ : ليس المقصود بعدم الاهتمام بالصورة أو بتزيين القرآن بالصوت أن تقدم القرآن هكذا مجردا من أية حلية .. بل المقصود أن يكون التزيين كله نابعا من القلب وقائما على المعانى .. ذلك أن العارف عندما يستمع إليه فكأنه يستمع إلى الحق ، ومن ثم لا يمكن أن يأتيه النوم وهو يستمع إليه ، فهو محرك الشوق .. وهل ينام المشتاق ؟! إن القارىء كأنما يهمس بالسر إلى ذوى الخيالات اللطيفة .. الصوت فحسب هو الذى يحتوى على التثنى والرقة والالتواء ، ذلك أن المنشد غالبا ما يكون رقيقا بطبعه ، وهكذا القارىء .. وقد يكون الدافع إلى هذا الترقيق هو العشق وهو دافع خارجى يسيطر على كل الأشياء الخارجية من صوت وموسيقى وخلافه وكلها أمور تجمل وتحسن إذا كانت مقرونة بمعرفة المعانى .. معرفة المعنى وتذوقه هى التى تمنح الصوت جمالا فوق جمال .. وإن لم يكن القارىء واقفا على معانى القرآن .. فلا قيمة لجمال صوته حتى وإن كان صوته فى جمال صوت البلبل ، وهذه المعانى محلها القلب فاطلبها من القلب لا من موضع آخر .. فلكل عضو وظيفته التى لا يقوم بها عضوا آخر (دق مولانا جلال الدين على هذه الفكرة كثيرا انظر المثنوى الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨٤ – ٢٣٩٤ وشروحها فى الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) إن هذا كله خاص بالحواس ولا علاقة للروح به ، فمجلس سماع الروح لمن عطلوا آذان الجسد وفتحوا آذان الروح ، وجعلوا العشق عدتهم ووسيلتهم إلى هذا العالم الروحى .

٢١٧٥ – ٢١٨٧ : يناقش سنائى هنا مسألة السماع كمقدمة لنقاش مشكلة الوجد .. ومن الواضح بالطبع أن سنائى لم يكن ليبيح السماع ، وكان يرى أنه من الأمور التى تؤدى إلى الفساد ، وبخاصة إن لم يكن من يزاول السماع من المتمكنين الكمل ، والأصل عند سنائى عدم الاباحة ، وهو فى هذا يتابع عددا كبيرا من كبار الصوفية .. الذين رأوا أن الابتعاد عن السماع أولى (لتفصيلات عن الموضوع انظر كشف المحجوب للهجويرى .. الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين – وكتاب السماع لاسعاد قنديل) .. ويرى سنائى أنه من الأولى لهذا الحبيب الذى يأتى (ويشارك فى السماع) أن يغرق فى الماء أو يدفن فى التراب ويكفى الله أنسا .. وكلها صور بعيدة عن الحقيقة فدعك منها .. وأولى بك أن تنوح من القلب على ذنوبك التى قدمت ومصيرك الذى تعرفه ، والحساب الذى ينتظرك ، والصراط الذى ينبغى عليك أن تعبره ، أى نواح لك من الغناء والسماع ،إنما تنوح أثناء السماع وقلبك سعيد ، وباطنك مستريح ، وهذا النواح الذى يخرج من قلب مستريح إنما هو فى الحقيقة يجر إلى الجحيم ، والسماع فى الحقيقة يولد شيطان النفس .. وقليل من هم الذين يقومون بالسماع على وجه التحقيق فمن سمع على وجه التحقيق تحقق ، ومن سمع على هوى النفس تزندق .. والأولى أن تبتعد .. ولا تقول لى أن الأمر هو مجرد مجاز واستعاره ، فلا مجاز ولا استعاره فى طريق القلوب .. هو شديد الوضوح إن الأمر كله بلبلة منك ، وقراءة للكلمات بشكل مقلوب .. وفى النهاية فإن القرآن لم يبق منه إلا الاسم ، ولا شروع ولا أحكام .

٢١٨٨ - ٢٢٠٢ : نعم .. ومن قبيل السماع الوجد ، فأى صياح وتواجد تقوم به بيله وحمق والمفروض أنك تسمع بالروح .. والذى يسمع بالروح لا يحس ، ولا يقوى على الصياح أو الصراخ والرقص والمفروض أنه مسلوب الحس ، فأى شىء هذا الذى يقوم به ، إن الأمور كلها تؤدى إلى فساد ما بعده فساد .. فأى تماد وأى رقص يقوم به الشيخ مع المريد الشاب .. وأى شبق هذا .. أيصح أن يكون المصاب بالسل عاشقا .. أن الأمر كله نفاق فى نفاق .. وتظاهر شبيه بنفاق فرعون عندما أدركه الغرق « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين » (يونس / ٩٠) .. وكلها أمور من أجل النفع المادى ومن أجل اذكاء اوار الشهوة ، وهذه الأهات فحيح حيات مستعدة للدغ ، وإذ كاء اوار الشهوة أشبه بالأفاعى التى تنهض من مكانها .. وتضرم النار فى الجسد (النفس أفعى وتنين عن مولانا جلال الدين .. انظر الكتاب الثالث من المثنوى .. الترجمة العربية لكاتب هذه السطور حكاية صياد الحيات وشروحها) .. أن هذا التواجد مثل امتزاج الماء بالزيت .. لابد أن يطفو عنصر الزيت فوق عنصر الماء .. ولابد أن يغلب عنصر على عنصر .. فإذا كان طريقك واضحا كالمرآة المضيئة فلماذ تجعل هذه المرآة مسودة بآهاتك المفتعلة التى تطلقها برعونة .. انظرفى شريعتك فهى الجديرة بالنظر ، ودعك من كل ما هو محل نقاش وموضع شك .

٢٢٠٣ - ٢٢٠٨ : يبدأ سنائى فى هذا البيت الحديث عن الدور البشرى فى الطريق فبعد أن تحدث عن التوحيد ومن القرآن .. بدأ الحديث عن آدم وعيسى عليهما السلام تمهيدا للحديث عن النبى ﷺ فى الفصل الثالث من فصول الحديقة . والحديث عن آدم على أساس أنه أبو البشر ، والنموذج الأول الذى خلق عليه البشره ، ففيه الجسد من الحمأ المسنون والروح من النفس الالهى ، فهو جامع النقيضين أكثر العناصر رفعة (النفس الالهى) وأدناها (الحمأ المسنون) وهو متأرجح بينهما ، والإنسان الحقيقى الذى لا يكون مجرد صورة أو جوال طين هو الذى يفهم سر هذا النفس الالهى .. ولا يسرع فى أثر نفسه الأمارة بالسوء ، وهكذا فإن آدم عليه السلام عندما فهم هذا قال « تبت إليك » .. وأنت أيضا أيها المخاطب بهذه الأبيات .. إذا أردت أن تكون شيئا فكن له أى كن لله .. فمن كان لله كان الله له كن لى كما لم تكن فأكون لك كما لم أزل .. تجرد من نفسك .. وكن لى .. تكن ربانيا .

٢٢٠٩ - ٢٢١٥ : أما عيسى عليه السلام ففيه أيضا جزء من هذا النفس الالهى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . وعيسى عليه السلام هو المثال على غلبة الجانب الروحى فى الخلق بالرغم من بوجود الجانب الجسدى أو الجانب البشرى .. فقد استطاع عيسى عليه السلام أن يتخلص من الجانب الناسوتى ويصبح روحا خالصا .. ذلك أنه استطاع أن يدرك قيمة هذه الدنيا على حقيقتها ويتخلص منها ، وأنت أيضا تحسن صنعا أن فعلت ذلك ، ولا تقل أن هذا لا يوافق العقل ، فهناك عقلان : عقل لهذه الدنيا وهو الذى يقول لك هذا ، لكن العقل الايمانى الذى يدلك دائما على الآخرة هو الذى ينبغى عليك أن تتبعه .. فهو المرشد الذى يجعل العالمين كليهما لك .

٢٢١٦ - ٢٢٢٣ : وسعيد ذلك الذى لم ينظر إلى صورته ، واعتزل الناس ، لا يبحث عن أحد ، ولا يبحث عنه أحد .. ولا تقل عن نفسك أن فعلت هذا « أنا واحد » فالواحد الأحد هو الله وليس كمثله شىء ، نعم .. حتى عندما تكون وحيدا منفصلا عن الآخرين فأنت واحد لكنك داخل العدد .. أنت اسم لكنك زائد .. يوم أن تعرف الواحد وتصل إلى الواحد .. فكل حديث من قبيل حديث الدلالة وحاملة الأخبار بعد وصول المحبوب إلى محبوبه عبث لا طائل من ورائه « طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول محال » (انظر مثنوى مولانا جلال الدين الكتاب الثالث الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٤٠٧ - ١٤١٩ وشروحها) .. وهذا بالنسبة للسالك فى مقام هزيمتين يقابلها ثلاثة إنتصارات .. أى بعد وجود هزيمتين وقتيتين وهما : الفناء أى عدم شعور السالك بما سوى الله وفناء الفناء وهى فقدان الشعور بعدم الشعور هناك فى مقابلها ثلاثة إنتصارات : الانتصار على النفس والغلبة على الشيطان الرجيم والوصول إلى المطلوب الحقيقى .. ومن ثم أيها الفضولى المهذار الأحمق .. أنت على هذا النهر (الدنيا) على جسر وغار وكلاهما مكان خطر ولا تترك هذا الوجود الوهمى الذى لا يعد أكثر من دلالة . (تعليقات مدرس رضوى ٢٦٢ - ٢٦٣) .

٢٢٢٤ - ٢٢٦٠ : يمهد سنائى للحديث عن الرسول ﷺ بالحديث عن فترة الجهالة والظلمة قبل أن يتحدث عن مشرق النور ، ظلمة الشرك التى محاها نور الإسلام ، عبادة الصليب وعبادة الأوثان .. والمشعوذون والدجالون ومدعو النبوة ومدعو الولاية والسحرة .. لقد اختفى الدين الحقيقى .. وأصبح على شبه الدين أن يطرح نفسه فى الساحة .. وعلى الدين المزور والموجه والمزيف أن يحل محل الدين الحقيقى .. والعوام وجدوا الخواص على هذا النسق فتبعوهم وتبعوا هزلهم وخداعهم وأصبح الشيطان هاديا .. الخواص منصرفون إلى أموالهم وأولادهم وشهواتهم ونزواتهم .. والعامة يهزلون ويتبعون كل ما هو غث وتافه يقضون فيه أوقاتهم .. وأصبح الصادقون مختفين خشية أن يتخطفهم الناس من سلطان جائر وعامى مخدوع .. وهؤلاء الخواص عندما انعزلوا واختفوا ولم يجدوا آية

فائدة من الهداية .. أصبح العامة يتبعون الأديان على المجاز لا على الحقيقة فحرفت الأديان فلا الذى يقول أنه على دين موسى هو على دين موسى حقيقة ولا الذى يقول أنه على دين عيسى يتبع عيسى فى الحقيقة .. وظهر زرد شت .. لكى يصبح حجاب الرحمة ممزقا .. فتنكح المحارم ويرث الإبن أمه عن أبيه .. ويتناكح الاخوة مع الأخوات .. والعمات والخالات مع أولاد الأخ وأولاد الأخت هذا لكى يخرب النسب بعد أن خرب كل شىء .. وعندما لم يصبح هناك وازع .. خرجت أسوأ ما فى النفس البشرية من شهوات .. وانتهى التكالب والتعاظم والتعالى إلى الحروب ، فها هى إيران تدخل فى سلسلة حروب مع بيزنطة من ناحية ومع الهياطلة والهون فى التركستان من ناحية أخرى ومع العرب من ناحية ثالثة .. لكى يتم الخراب .. ويصبح العالم كله ساحة حرب بما يتبعها من أسرى وقتلى ومستبعدين ومشردين وخراب بشرى واقتصادى ، وتجرأت الحبشة وهجمت على الكعبة (يثرب وهنا خطأ شديد) ، أما الكعبة فقد تحولت إلى بيت أصنام وينظر عليها جماعة من الأفدام من أمثال عتبة بن ربيعة وشيبه واللعين أبى جهل .. وهكذا امتلأت الدنيا بالأخساء والأنذال .. وأصبح أفسد من فى قوم ما على رؤوس هؤلاء القوم .. وانقلبت الدنيا إلى غابة حقيقية .. فلم يكن هؤلاء بالبشر وأن كانت صورهم صور بشر .. هم وحوش وشياطين ودواب .. غيلان من يمين ويسار وأصبحت العقارب أكثر عددا من الذباب .. كانت الدنيا فى حاجة إلى شرطى يعيد إليها النظام شرطى نبى مقاتل لكى يستطيع أن يتصدى لكل هذا الشر .

وهكذا يا سنائى : لقد نظمت أولا در التوحيد فى سلكه وتحدثت أولا عن الحق وآن لك أن تتحدث عن خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ .

– يخصص سنائى الباب الثالث من الحديقة لنعت خاتم الأنبياء محمد المصطفى وتفضيله على كافة الرسل وبالطبع يتناول سنائى الرسول ﷺ بالحديث تناولا صوفيا ذلك أن الصوفية يسندون إلى الرسول ﷺ بعض الصفات الخاصة ويسميها صاحب اللمع بالمستنبطات . وقد اعتمدوا كثيرا على أحاديث نبوية أسندوها إلى الرسول لبيان هذه الصفات الخاصة وعلى سبيل المثال الحديث النبوى « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات ولما تقاررتم على الفرش » يعتمد عليه الصوفية فى القول بعلم خاص للرسول عليه السلام أى أن الرسول أشار إلى معنى من معانى تخصيصه إشارة لا تدركها العقول ولا تصل إليها الفهوم وتعجز عنها علوم الخلق (اللمع ص ١١٤) وقد جد الصوفية فى البحث عن أصول لمقاماتهم وأحوالهم من الأحاديث النبوية .. وكانت الفرصة مهيأة من خلالها لأسباب لا تخفى .. فعلى سبيل المثال عند البحث فى الورع قال قائل .. هل تجد لهذا أصلا يتعلق به من العلم فقال : نعم قول الرسول « استفت قلبك ولو أفتاك المفتون » (لمع ٤٥) كما اسندوا مقامى الخوف والرجاء إلى حديث الرسول « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » (لمع ص٦٢) وإلى جوار ذلك فقد كان الصوفية يرون أن من أخص صفات الصوفى الاقتداء أو التأسى برسول الله ﷺ فى جميع ما صح عنه من أخلاقه وأفعاله وأوامره ونواهيه وندبه وترغيبه وترهيبه إلا ما قام الدليل على خلافه (لمع ٩٤ – ٩٥) ومن الطبيعى والأمر هكذا أن تسند التقاليد الصوفية وسلسلة الخرقة الصوفية فى سلم بشرى يصل إلى الرسول ﷺ (لمع ٩٦ – ٩٧) وهناك أحاديث بعينها قامت عليها الطريقة مثل حديث « الفقر فخرى » وحديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » ومن هذا الفقر تتأتى قوتان : قوة الإيمان وقوة الصدق فى العبادة ، ومن قوة الإيمان يأتى التوكل وقد استندوا فيه على الحديث النبوى « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » ومن الصدق ينتج الرضا وبه يأتى الحب استنادا على الحديث النبوى « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت بصره الذى يبصر به وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها وقدمه التى يسعى بها » والحب للمؤمن الذى وصفه الحديث الشريف : « ما وسعتنى أرضى وسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » ، وهذا المؤمن هو الذى يعرف ربه حق المعرفة مصداقا للحديث النبوى « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .. (انظر Arberry : Sufism PP. 25-28) ولم يقف الصوفية بالطبع فى بعض الأحاديث عند ظواهرها وبخاصة عندما كانت تصادفهم بعض التناقضات اللفظية فى بعض الأحاديث ، ومن أمثلة ذلك ما قيل للجنيد عن معنى قول رسول الله : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .. فقال لسائله : إيش وقع لكك من ذلك فقال : معنى قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر .. هذا عطاؤه وأنا لا أفخر بالعطاء لكن أفخر بالمعطى فقال له : أحسنت يا أبا محمد (لمع ١١٥) وسئل السبكى رحمة الله عن معنى قول الرسول « جعل رزقى تحت ظل سيفى .. فقال : كان سيفه التوكل على الله تعالى وأما ذو الفقار فهو قطعة من الحديد (لمع ١١٦) وسئل الجنيد رحمة الله عن معنى قول الرسول عليه السلام « لو توكلتم على الله حق تو كله .. إلى آخره » وها هو الطير يطير فى سبيل الرزق فقال الجنيد .. قال الله تعالى : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها وإنما طير الطيران من قبيل الزينة » (لمع ١١٧) .. وكل هذه الأنظار استوعبها سنائى فى هذا الفصل الذى بين أيدينا وزاد عليها بما يعد كما سنرى – ارهاصا لفكرة النور المحمدى الذى ترى أن محمدا ﷺ هو كلمة الله أو نور الله كان له

وجود قبل الخلق « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » .. بل كـان وجود الخلق من أجله « لولاك لما خلقت الأفلاك » ، وتظهـر هذه الكلمة الالهية فى كل دورة من الـزمان فى صورة الأنبياء والأوليـاء وهؤلاء هم الكاملون بالفعـل وغيرهم كاملون بالقـوة (نيكلسـون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه : ترجمة أبو العلا عفيفى ص٨٧) .

– شواهد مقدمة الفصل :﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبـى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (الأحزاب / ٥٦) – ﴿ إنـا أرسلناك شـاهدا ومبشرا ونـذيـرا وداعيا إلى الله بإذنـه وسراجـا منيرا ﴾ (الأحزاب / ٤٥) – ﴿ ومـا أرسلنـاك إلا رحمـة للعـالمين ﴾ (الأنبياء / ١٠٧) .

– « أنا خاتم الأنبياء ولا نبى بعدى » (الجامع الصغير ١/ ١٠٧) .

– « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » فى رواية الجامع الصغير ٢/ ٩٧ « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد .

– « لولاك لما خلقت الأفلاك » لم أجد له أصلا .

– « أنا سيد ولد آدم ولا فخر وآدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر » جامع صغير ١/ ١٠٧ .

٢٢٦٢ – ٢٢٦٨ : روح الأرواح هو الروح الأعظم وهو ذات البارى يقال ، يقول : أن روح كـل إنسـان تظهرفى الدنيا بوجوده .. لكن الروح الأعظم ظهر بواسطة وجود محمد عليه السـلام لأن الحقيقة المحمدية هى مبدأ ظهور الموجودات كلها التى هى التعين الأول ومرتبـة الوحـدة وبرزخ البرازخ .. هذه الشـمس أى الحقيقـة المحمدية .. أو النـور المحمدى .. أو التجلى الأول فلكهـا هو حظيرة الأزل والشمس .. أى أرفع الكواكب فى هذا الكون هى الوجود المبـارك لأحمد المرسل ﷺ .. والأنبياء كلهم ضيوف عليه فيما يروى عن المعراج أنه قاد الأنبيـاء .. وقد سلم له الشرع فلكه ولهذا الشرع منزل فوق الفلك الأعظـم فيه اللوح المحفوظ ، لأن فيه ما كـان وما يكون ، لكن الأحكام الشرعية قد نزلت إلى الأرض بـالتدريج لما فيه مصلحة العالم .. وعندما دخل الرسول حظيرة الأزل لم يـدخلها تابعا لأحد .. بل دخلها رئيسـا لكل الأنبيـاء وقائدا لهم .. ومن ثم فقد سجدت هذه الدنيـا له ، فأحياها وكأنها بطن الحوت الذى مكث فى جـوفه يونس عليه السـلام أربعين يوما مشغولا بالطاعة والعبادة ، فهو عليـه الصلاة والسلام مسجود العالم السفلى كله .. بل إن الملائكة عندما أمرت بالسـجـود لآدم وسجدت له .. إنما فعلت ذلك بشرف النـور المحمدى ، ومن تـسجد له الملائكـة أولى بأن تسجد له كل الأكـوان .. وقد انبعث العالم حيا به ﷺ مثلما كان بطن الحوت حياة ليونس عليه السلام « عن تعليقات رضوى ٢٦٤ – ٢٦٥ » .

٢٢٧٠ – ٢٢٧٨ : بمثله ﷺ تستنير عين آدم .. وتقر بمثله ابنا ، نعم ومعانى الآيات المحكمات إنما فسرت من بصيرته هو عليه الصلاة السلام .. والـروح العاقلة .. الروح الايمانية .. أو الإيمان العـاقل المحيط بالأكوان إنما كان مجرد فيض معنوى ونـزل إلى العالم به عليه السـلام .. وكل فيض أتى به الأنبيـاء إنما هو فى فيضه ، وكل ما وصل إليه – عليه السـلام – منهم ، إنما هو فى الحقيقة من جودة ، ذلك أنه سيدهم وأمامهم .. وهو منهم بمثابـة العقل من الجسـد ، والجنة التى هى قصر لادريس ، هى مجرد فناء لداره .. ذلك أن سقف داره أعلى منها .. بل إن عتبة داره هى البستان الذى كان يتنزه فيه الروح القدس .

٢٢٨٠ – ٢٢٨٦ : هذا هو محمد .. أول الأنبياء خلقا آخرهم بعثا .. موجود منذ الأزل ، كان نبيا وآدم بين الماء والطين .. وروحه قرأت الأبجدية الأزليـة من قبل أن يخلق جسده وتعاهد ووفى ، وصفى القلب با لمقـدرة الالهية ، وفاق بمناقبه ، وعلا بمـرتبته ، وبه عليه السـلام تحقق لهذا العالم الفـوضوى المجهول النظام ، ولما كان غـرض النفس الكلية من تدبير عالم الأجسام هـو حصول الكمال .. فقد تم هذا أيضـا للعالم بوجوده .. كـان قبل الأزل ولم تتعب قدمه من السير فى هـذا الأزل لأنها سابقة عليه .. وهـو أيضا أبدى آثاره الكـريمه وآثار هديه وآثار نبوته لا تتناهى ولا تنتهى .. لأنه المشرف على العالم ، الناظر فى اللوح والقلم .

٢٢١٧ – ٢٢٩٢ : إن رئاسة العلم له ﷺ ، « وعلمك ما لم تكن تعلـم ، وكان فضل الله عليك عظيما » .. وأعطاه الشرع أيضا ، وبهذا الشرع يتم للعالم النظام ، فكأن هذا الشرع شرطى على هذا العالم .. نعم .. عندما جـاء محمد عليه السلام بالرسالة ، أصبحت عين ماء الحيـاة متعلقة به ، منوطـة بشفتيه ، فكلامه حيـاة لموتى الجهل والجاهلية ، وبابه مفتـوح لطالبى نعمة الرحمة « ومـا أرسلناك إلا رحمة للعا لمين » .. ومن فيضه فاض كل هـؤلاء الرجال .. قابل للدعوة كالعتيق أبى بكر رضى الله عنـه .. ومقاتل عظيم كالإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وما أعظمه ظلا أنه أعظم من ظل ذلك الطائر المسمى « بالهُما » التى تقول الأساطير أن كل من أظله صار ملكا ، فكل من تفيأ ظلال النبى ﷺ صار أعظم من ملك ، ذلك أن الله تعالى رباه بفيضه وأدبه فأحسن تأديبه .

٢٢٩٣ – ٢٢٩٧ : « أول ما خلق الله نورى » فإذا كان النور المحمدى هو أول الخليقة وهو الفيض الأول .. فهو قبل آدم إذن .. وهو أيضا قبل العقل ، ورأى نـوره منذ الأزل خلق آدم وخلق العقل .. والدليل على أنه كـان عا لما بالوحى من قبل أن ينـزل عليه .. أنه

كان يسبق جبريل أحيانا بما يوحى إليه عليه السلام ربه .. والدليل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴾ (طه/ ١١٤) ويقول سنائى .. وكانت حوادث الغيب أمامه « الرسول ﷺ نفسه ورد على لسانه فى القرآن الكريم : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ولم يدع الرسول ﷺ معرفة الغيب .. وكثيرا ما كان يسأل وينتظر الإجابة من الوحى.. أما أن الأزل يشرق من قلبه ويضرب فيه .. فلعلها إشارة إلى الحديث القدسى « لا تسعنى أرضى وسمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » والحديث الآخر « قلب المؤمن عرش الله » ، وفيما بعد أنكر سنائى نفسه فى لبيت رقم ٢٣٠٥ أن الرسول ﷺ يعلم الغيب وتخلص من هذا المأزق الذى وضع نفسه فيه بأنه معرفة الغيب فى قلبه لكنها مخفية عن ناظره عليه السلام .. أى أنه يعرف الغيب (بالقوة) ولا يعرفه (بالفعل) .

٢٢٩٨ - ٢٣٠٤ : لقد كان آدم تابعا له .. وآدم نفسه فخور به إبنا ، فهو نوره ومصباحه لأن آدم ولد من أم العدم .. والرسول نفسه كان يطوف بالعرش عند نومه ، كان الجسد نائما فى ديار الرب والروح تطوف بالعرش الأعظم ، وكل ما كان يراه من الأزل إلى الأبد كان يراه بنور الحق سبحانه وتعالى .. كما كان عليه السلام - معلما للرجال ومربيا للرجال ، وانظر إلى من حوله من الصحابة .. فكيف كانوا قبل الإسلام وكيف أصبحوا بعده .. كان منهم وائد ابنته ، وكان منهم قاطع الطريق ، وكان منهم عابد الوثن ، وكان منهم قاطع الرحم .. كيف أصبحوا فى سماء الإسلام نجوما زاهرة .. وما ذلك إلا لتربيته - ﷺ - إياهم فى مدرسة الرجولة .

٢٣٠٥ - ٢٣٠٨ : يبدو أن سنائى أحس بتسرعه فى الحديث عن معرفة الرسول الغيب فهو يعود إلى هذه القضية مفصلا إياها ، فيقول أنه يعلم الأمور بقلبه لكنها مخفية عن عينيه عليه السلام ، وعالم الغيب هو الله سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات أو الأرض ولم يكن وقت أن قال ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا ﴾ أكثر من الحق هو الذى ينطق على لسانه وهو الذى أظهر الرموز لروحه وقلبه .. والقضية كلها لا تستحق كل هذا النقاش فمن ناحية قد يفسر الحديث (الذى ورد فى الجامع الصغير عن مسند أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى) على أساس أن الرسول عليه السلام يعلم من أحوال الحساب والنار والعقاب مالا يعلمه غيره من المسلمين ولو علموا ما علم ما ضحكوا ، ومن ناحية ثانية أن الرسول عليه السلام « لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحى يوحى » .

٢٣١٣ - ٢٣١٩ : « قد تبين الرشد من الغى » فبعثة محمد المصطفى ﷺ هى الفيصل بين عهدين وعصرين من تاريخ البشرية : عصر الجاهلية والضلالة واستعباد البشر ، وعصر الرشد والحرية ومن ثم فلا حجة من بعده .. أما ذكر انوشيروان فى البيت التالى فخطأ شائع .. لأن خطاب الرسول كان إلى كسرى ابرويز أما البعثة فقد كانت فى عهد كسرى انوشيروان كما ورد فى حديث شائع وذكر انوشيروان هو من أجل التلاعب اللفظى بين سم وعسل وهو من معانى نوشين الموجودة فى اسم انوشيروان « أو نوشين روان » .. وما هو مذكور فى الأبيات التالية من انقلاب الوثن « يعوق » وتهدم الطاق ، وانقلاب اللات وهبل كلها من علامات الميلاد النبوى الشريف .. وكل ما تهدم إنما هو من ملك الجسد ، أما ملك الروح فقد قوى واشتد .

٢٣٢١ - ٢٣٢٦ : الياقوت والمرجان كناية عن فمه ولسانه الشريفين ﷺ ، والآذان مثل الصدف أى متقبله لجواهر الكلام ، وهو يطعم من بين شفتيه أفراخ البشر المشتاقة إلى طعام الروح .. ولأنه سابق فى خلقة على العقل الكلى والنفس الكلية .. تتلمذ العقل الكلى على يديه ، وتربت النفس الكلية ، وهو وإن كان عرضا بجسده إلا أنه جوهر هذا العالم بروحه ورسالته ونبوته ، وكم كان وجهه عند الناس طاردا للشيطان وكأنه المعوذتين .

٢٣٢٧ - تشير الشطرة الأولى من البيت إلى انقلاب عزازيل وكان من أكثر الملائكة عبادة إلى الشيطان « إبليس » بعد أن رفض السجود لآدم عليه السلام .. والشطرة الثانية إشارة إلى حديث يتكرر كثيرا فى كتب الصوفية ، وقد ورد الحديث عند مسلم وأحمد ين حنبل « ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا : وأنت يا رسول الله ، قال : نعم .. ولكنه الله أعاننى عليه وأسلم » وورد الخبر فى أحياء علوم الدين فى الجامع الصغير « فضلت على آدم بخصلتين .. كان شيطانى كافرا فأعاننى الله عليه حتى أسلم وكان أزواجى عونا لى وكان شيطان آدم كافرا وكانت زوجه عونا على خطيئته .. (عن تعليقات رضوى ص٢٦٩ - ٢٧٠) وتكرر المعنى كثيرا عند مولانا جلال الدين الرومى سواء فى المثنوى أو فى ديوان شمس تبريز فى أكثر من موضع .

٢٣٢٨- ما أشبه هذا البيت بما قاله البوصيرى رضى الله عنه .

ما قال « لا » قط إلا فى تشهده .. لولا التشهد كانت لاؤه نعم .

٢٣٢٩ - « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » هو ﷺ النور الذى أنزل والنور الذى كان يبحث عنه السائرون فى بيداء انظلم

والتائهون فى بحار الظلمات ، هو الناطق بالدر ، وكان منتهى أمل الخطباء والفصحاء والشعراء أن يصلوا إلى هذه الدر ولكن هيهات .

٢٣٣٠ - أشهد الكفر على شعره: أى شهد الكفر - برغم سواده - لشعره الشريف ﷺ بأنه أشد سوادا .. أما تسول العقل فى حيه .. لأنه أعقل من العقل .. وأكثر تربية للمخلوقات من النفس .

٢٣٣١ - ناثرو التراب على الفلك هم البشر المخلوقون من تراب ، فهو زينتهم وشرفهم ومجدهم ، وتمام العمل منه عليه السلام.. لأنه جاء بالرسالة وبآخر ما يطمح إليه البشر .. وهناك حديث يشير إلى هذا المعنى يقول ﷺ « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى .. كمثل من بنى بيتا على أتم ما يكون البناء .. إلى آخره « صحيح البخارى ٤/ ٢٢٦ ط . دار الحديث بالقاهرة » .

٢٣٣٤ - ٢٣٤٦ : جعل الظل مادة للشمس : أى ظلل الخلق من هجير العالم ومصائب الحياة بشريعة فيها الحياة وخلق فيه الهداية .. والبيت التالى إشارة إلى ما روى عنه ﷺ من أن « جبريل كان يتجسد له فى صورة « دحية الكلبى » وهو أحد الصحابة .. وكرامة لمحمد ﷺ جعلت جبريل رئيسا على كل الملائكة .. بل أن آدم نفسه فخور به ابنا .. بل صار أبا حقيقيا من وجود ابن مثله «لاتتحقق الأبوة إلا بنجابة الأبناء وليس بمجرد الميلاد » وآية كرامة لنبينا ﷺ أكبر من ارتفاعه عن متطلبات الجسد ورؤية للحبيب .. وعبوره للزمان والمكان) لكى يشرق الأزل ويغرب فى هذا القلب الذى حوى حب العالمين ، وفاض على كل العالمين بالعز والشرف .

٢٣٤٧ - ٢٣٥٤: لقد سماه الله سبحانه وتعالى رحمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فهو الرحمة للمشقة التى تكبدها الماء والطين « الجسد ، الإنسان » فى هذا العالم ، بل أن ليلة القدر التى شرفت على كل الليالى وجدت شرفها منه .. والنور الذى سوف يسطع يوم القيامة « وأشرقت الأرض بنور ربها » سوف يكون صادرا من قلبه .. إنه الغرض من خلق هذا العالم وإن ظهر بعد الأنبياء مثلما تكون الثمرة ه المقصودة بزراعة الشجرة وهى آخر ما يظهر منها .. وهذا مصداق أول الفكر آخر العمل ، والعبارة نسبت إلى أكثر من قائل : نسبت إلى ابن قتيبة ونسبت إلى ابن رشد وآخرين .

٢٣٦٥ - ٢٣٦٦ : إن الدليل على أن محمدا ﷺ قديم بخلقه وإن كان حديثا بظهوره ومعجزته التى تجمع كل هذه المعانى هى معراجه عليه السلم ، وانظر إلى همة المصطفى .. كان العالمان أمامه ، ولم يساويا عنده شروى نقير ، فقد كان هدفه أعلى منها ، ولم ير نفسه غريق منه أن يبدو العالمان أمامه دفعة واحدة .. وكان من علو الهمة بحيث « ما زاغ البصر وما طغى » أى كما فسرها شارح التعرف « ما زاغ فى الدنيا وما طغى فى الآخرة أى أنه لم يطلب سوى الله فى الدنيا ولم ينظر إلى ما سوى الله فى العقبى » (شرح التعرف ج١ / ص٨٤) .

٢٣٧٣ - ٢٣٧٧ : الاشارة إلى الرواية القائلة بأن جبريل حمله ﷺ إلى الصخرة وكانت قاعدة البراق .. والرفرف هو ما وضع الرسول عليه السلام عليه ليصل إلى العرش فيما تقول الروايات « وقاب قوسين » إشارة إلى الآية ٨ ، ٩ من سورة النجم « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .. ويرى بعض المفسرين أن القرب بمعنى الرحمة والتمكين وعلو المرتبة لا قرب المسافة على الحقيقة .. « ولعمرك » إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾ (الحجر / ٧٢) وموضع الاستشهاد هنا أن الله سبحانه وتعالى لم يقسم بحياة أحد إلا بحياة المصطفى ﷺ .. وأى حزن يصيب من يقسم الله سبحانه وتعالى بحياته .. وأى قلق لمن يخاطبه الله بقوله ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (الضحى / ٥) .

٢٣٩٦ - إشارة إلى بحيرا الراهب الذى رأى فيه ﷺ أمارات النبوة عندما كان صبيا فى رحلة الشام وأعلن أنه إن ظهر سوف يتبعه .

٢٤٠٣ - ٢٤٠٦ : البيتان فيما نقل رضوى عن عبد اللطيف العباسى إشارة إلى رسم كان موجودا قديما أن أى مسافر كان يحمل معه قدرا من تراب وطنه وفى كل مدينة يصل إليها كان يمزج قليلا من هذا التراب بماء تلك المدينة ويشربه حتى يصبح آمنا من تغير الجو .. (تعليقات رضوى ٢٧٥) وفضلا عن أن هذا التفسير ليس مقنعا ، لم تكن العادة من عادات العرب ، والبيت واضح الترجمة فى أنه « أحضر تراب المكان » ولم يأخذ تراب الوطن معه إلى ذلك المكان .. والأصوب أن سنائى يشير إلى أنه حمل بعض آثار ذلك المكان الذى عرج به إليه ، فأصبح آمنا بعد أن نزل مرة ثانية إلى العالم الأرضى .. وبخاصة أن سنائى يفسر التراب بعد ذلك بأنه ماء التجربة .. أى عدم الارتباط بالمكان .. ومن ثم لم تصبه الغربة بأى سوء ، فالعظيم لا يحس بالغربة .. لأنه وحده عالم على قدمين .

٢٤١٢ - ٢٤١٥ : الشريعة المصطفوية كأنها السيل قاطعة لجذور الكفر وجذور الفساد ، وهى الكلمة الأخيرة من الخالق للمخلوق، وهو الطائر الكاسر لكل الأقفاص فى الجاهلية : العرق والنسب والتفاخر بالأموال والأولاد والقبيلة .. وهمته دائما تطلب

الرفيق الأعلى « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .. ويكفيه عزة ﷺ أنه خاتم الأنبياء .. ومع ذلك جلس على الأرض وأكل على الأرض « أجلس كما يجلس العبيد وآكل كما يأكل العبيد » أما الشطرة الثانية فهى إشارة إلى الحديث النبوى « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا» (الجامع الصغير ١/ ١٤٤) .

٢٤٢١ - جعل رزقى تحت ظل سيفى » و « الجنة تحت ظلال السيوف » و « نصرت بالرعب على مسيرة شهر » أحاديث مسندة إلى النبى ﷺ .

٢٤٢٢ - الأحاديث الخاصة بعلى رضى الله عنه سوف ترد فى صدر الفصل الخاص بالحديث عنه .

٢٤٢٤ - أنه يبدى كرمه ﷺ جودا لا حاجة بأحد ، وهو أكثر جودا من الكعبة التى يجود الله سبحانه وتعالى على كل زائر لها بما يريد ويرغب .

٢٤٢٦ - ٢٤٣٤ : إذا كانت الحروف تسود الأوراق فإن حروفه ﷺ كالقمر المنير تبدد ظلمات الجهل والشرك .. فمتى أمسكت بقلم تلك البنان الكريمة وهى التى تشق القمر « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون » (العنكبوت/ ٤٨) لقد جعلت بنانه ﷺ لشق القمر وليس للإمساك بالقلم والكتابة ، أن حروفه نابعة من قلبه وليس من القلم .. وهو مالا يرى بعين الجسد ولكنه لابد أن يرى بعين الروح فليست الزجاجية والجليدية بالتى ترى هذا النور .

٢٤٣٦ - ٢٤٤١ : بداية عهد النبوة نهاية للعصر القديم كله ، فذلك النور الذى سطع على البشرية أطفأ نار زرد شت ، وصار جبريل فى خدمته ، وإذا كان موسى قد سيطر على النيل ، فإن النيل قد خضع لمحمد ﷺ طائعا مختارا ، وأبدى بطميه علامة العبودية له، ذلك أن المصلحة كانت للعالم منه ﷺ ، وهو جوهر الخليقة ، كانت تبحث عنه ، فلما ظهر على الأرض فاقت الأرض السماء شرفا وأصبحت السماء هى التى تأخذ منها الجوهر .

٢٤٥١ - ٢٤٥٧ : إن العلماء كلهم عيال على علمه ﷺ ، منه العلم ومنه العمل ، ومنه رونق الدين .. لقد ظهر فى جماعة متفرقة عبدة للمال والذهب فأصبحوا من أهل اليمين ، وطالما لم يبدأ حديثه الذى يبدد الظلم فإن الأسماع لا تنير الطريق للأرواح ، وعندما كانت عينه تندى بالبكاء من خشية الله .. كان كوكب الزهرة « وهو كوكب السرور » ينوح مصاحبة له .. وعندما كان يعتزل الناس ، كان وجهه فى منزله يفوح بالعنبر والعبير كالبستان .

٢٤٥٨ - ٢٤٦٠ : لقد كان يهرع إلى الصلاة ، عندما كانت تثقل عليه هموم الخلق ، كانت الصلاة بستانه ومنتزهه وقرة عينيه فكان ينادى « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها » أى أرح قلوبنا من إنتظارها والالتفات نحوها ، فكان إشتغاله بها راحة له فكان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا وكان يستريح بها لما فيها من مناجاة ربه « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

٢٤٦٤ - « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وآدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة » حديث منسوب إلى النبى ﷺ ، وفى حديث آخر « عرض على ربى ليجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يا ربى ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » (الجامع الصغير ٢/ ٥٩) .

٢٤٧١ - إشارة إلى واقعة شق صدره ﷺ التى أجمع كتاب السيرة والمؤرخون على روايتها .. وروى مسلم عن أنس بن مالك « أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب ثم لأمه ثم أعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا : إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع اللون قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره » (صحيح مسلم ج٢ ص٢١٦ وانظر دلائل النبوه للبيهقى وسيرة ابن هشام) وقد تناول مولانا جلال الدين الرومي الحكاية بشكل مفصل فى الكتاب الرابع من المثنوى (انظر الأبيات ٩٨٢ وما بعده من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وشروحها) .

٢٤٧٦ - لم أجد خبرا عن أشكال هند الواردة فى البيت . ولعله يقصد بها الأشكال والنيرنجات التى يقوم بها الهنود . والله أعلم.

٢٤٨٣ - المقصود الكيمياء القديمة وهى صنعة تحويل المعادن الخبيثة إلى معادن نفيسة .

٢٤٨٧ - الندماء السبعة كناية عن الأعضاء السبعة الرئيسية فى البدن وهى فى رأى : الرأس والصدر واليدان والقدمان وفى رأى آخر : الرأس ، الجنبان ، اليدان ، القدمان . وكناية أيضا عن أعضاء البدن كلها .

٢٥٠٩ - « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » (ص/ ٢٤) والاشارة إلى الآية الكريمة إلى ما روى فى كتب التفاسير وقصص الأنبياء عن داود عليه السلام أنه كان فى المحراب ذات يوم فطار طائر وحط أمام داود ، وكان طائرا جميل اللون فنظر

إليه داود برهة ومد يده ليمسك به لكن الطائر طار وحط على سطح الدار ، فصعد داود عليه السلام وراءه ، فرأى فى منزل آخر امرأة متجردة تستحم ، فافتتن بها حتى بات لا يستطيع إنجاز عمل ، ودبر من أجل أن يحصل عليها فى حلال ، واستدعى زوجها ويدعى « أوريا » وطلب منه تطليقها ، ولم يقبل ، فسيرة على رأس جيش لقتال الأعداء وقتل أوريا ، وتزوج المرأة ، وأولدها سليمان علية السلام .. وذات يوم فلا جلس داود فى المحراب يتحدث عن عدل الله سبحانه وتعالى ، ودخل ملكان فى صورة البشر المحراب وخاف داودد ، فقالا له : لا تخف .. نحن خصمان بغى أحدنا على الآخر ونريد حكمك وقال أحدهم : هذا أخى وله تسع وتسعون نعجة (أى زوجة) وليس لى إلا واحدة ويقول له أعطنها وأخذها منى .. فقال داود : أنه يظلمك لا يقنع بها لديه ويطمع فى الواحدة التى لديك .. وكثير من الخلطاء يبغى بعضهم على بعض .. فابتسم هذان الملكان واختفيا ففكر داود أنهما إنما يقصد أنه .. فخر ساجدا.. وظل أربعين يوما ساجدا يبكى ، حتى إخضرت الأرض من دموعه .. فغفر الله له ، وواضح بالطبع أن القصة من وضع القصاص تأثرا بالاسرائيليات وروايات التوراة المنسوخة ، فالرسل عليهم السلام معصومون ، وهناك رواية أخرى للقصة أن أوريا وداود تقدما لخطبة إمرأة واحدة ، وأن هلها رغبوا فى داود وكانت تريد أوريا ، وكان على داود أن يتركها له وكان بكاؤه من أجل أنه لم يفعل . والله أعلم (عن تعليقات رضوى ٢٨٥ - ٢٨٦) .

٢٥١٠ - ٢٥٢١ : مراتب المعرفة كلها أمام محمد بن عبد الله ﷺ لا قيمة لها ، قد يكون العقل مشرفا على حياة الجسد مسيطرا عليها ، لكن الله سبحانه وتعالى هو فى النهاية الذى يبدى الطريق ، والعقل والأمر هما شيئان بالجذب والتوفيق ، أما العشق والإيمان فهما ذوق ، وكلاهما لا علاقة لا للعقل ولا للروح به .. والعقل أمام الشرع عديم القيمة .. فالشرع هو الذى يضع الضوابط التى يسير عليها العقل ، ولا يمكن للعقل أن يتصرف وحده دون دليل من الشرع .. وإذا العقل هو الذى يسيطر على عملية الرأى وعملية القياس فإن هاتين العمليتين لا لزوم لهما أمام صراحة الشرع فالشرع هو الذى يقضى على النفس ووساوسها .. وإن كان العقل هو الذى يوقد الشعلة فى البداية . ومن هنا يمكن أن يعتبر سنائى شاعر الشرع .. ذلك أنه اعتبر أن وظيفة الشعر أن يكون شرحا للشرع .. يقول « شعرى هو شرح للشرع والدين .. وهكذا يكون الشاعر الصادق (حديقة ص ٧٢٥) وفى بعض الأحيان يفصل الشرع عن الشاعر يقول « الشرع غريب جدا عن الشعر وإن كانا معا فى منزل واحد الآن - وأمام الشرع من الأفضل التخلص من الشعر .. وينبغى أن يكسر البيت كما يكسر الصنم (حديقة ص ٤١٦) ، ويلمح سنائى كثيرا إلى هذه الفكرة فيسخر من الشعر والشاعرية إلى جوار الشرع: « يا سنائى ما دام الشرع قد أعطاك من ثمره - فارفع اليد إذن عن الشاعرية والشعر .. وقد رأيت الشرع فخلص القلب من الشعر .. فهو يرسم الكدية فى القلب .. والشعر نابع من الطبع وانسجام الروح .. وحينما يصل إلى الشرع يكون مضحكا (حديقة ص ٧٤٤) .

٢٥٣٠ - ٢٥٣٤ : إنك إذا اعتمدت على الوهم والحس والخيال فسوف تظل واقفا على الباب ، ودعك من الشهوة واجمع همتك واعتبر نفسك من الأمة .. لأنك لست نبيا ، ومن هو من الأمة لابد وأن يتبع النبى (أخذها مولانا جلال الدين وعلق عليها فى المثنوى. انظر الكتاب الرابع من المثنوى - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٣٣٤٨ وما بعده وشروحها) إنك مجرد خرزة لا قيمة لها لكنك إذا اتبعت شرعه سوف تتحول إلى جوهرة .. وما دمت لا تمتلك حق الاعتراض عليه .. فتابعه إذن ، تابعه بكل روحك وبكل قواك.

٢٥٣٥ - ٢٥٤٠ : أن ركاب المصطفى هو الذى يسرع بك ، ومهما كان إسراعك وحدك فلا سبيل .. ولابد أن تكون عزيزا .. لقد أعزك الله تعالى بنعمة الإسلام فليكن قدمك بهذا على رأس الفلك .. ولتكن بعد ذلك فى معيته ، فهو لا يكون صديقا للخانع ، بل المؤمنون أعزة على الكافرين رحماء بينهم .. وكل ما قاله الرسول هو السر المطلق .. وكل ما فعله إنما فعله من وحى الحق ، وكل ما قاله إنما نقله عن الحق « وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحى يوحى » وهو - ﷺ - دواء القلوب المكلومة .. وملاذ من لا حول لهم ولا قوة .. وشرابه هو الشرع والدين .. وهما أيضا ساقيا هذا الشراب .. وإن كان الخفاش لا يرى هذا فهذا من عمى بصره .. ومتى تختفى الشمس من عمى عين الخفاش (كرر مولانا جلال الدين هذا المثال كثيرا من المثنوى : على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الكتاب الثالث البيت ٣٦٢٥) .

٢٥٤٧ - « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » (محمد / ١١) .

٢٥٤٩ - ٢٥٥٧ : أى كبرياء هذا الذى تعتمد عليه .. الكبرياء فى صدرك وتبحث عن الصدر ، أن الصدر هنا لمن تخلوا عن

الكبرياء ، وللصدور التى تزينت بالسنة وابتعدت عن البدعة وهناك فرق بين صدر تزين بالسنة ، وصدر ملىء بالغى يكون منزلا للشيطان والخمر وأدوات اللهو .. إنك دائما تشكو .. وما شكواك هذه إلا جحيما فى جسدك وجهنما فى قلبك ، لكنك تقوم بإخماد هذا الشغب بما يفضى بك إلى الجحيم ، وتعطى شهوتك دائما شرابا من حميم ، وتسيطر عليك الشهوات الحيوانية : أسد الكبرياء وخنزير الحاجة ، وحية الحقد ، وعقرب الحرص ، ومن أجل أن تدخل كل حيواناتك هذه معك إلى الجحيم أوسع من أجلك أبواب الجحيم ، لتدخلها بغشك وغلك .

٢٥٥٨ - ٢٥٦١ : فانظر إلى الرحمة النبوية الشريفة .. إن المصطفى ينتظرك ويعلق رداءه على باب جهنم حتى ينجيك من لفح النار .. وبعدها يوصلك إلى بستان الجنة .. فتعلق إذن بالرداء المحمدى ففيه نجاتك .. أتدرى ما هو هذا الرداء ؟! تريد أن تبحث عنه وهو فى يدك .. إنها المحجة البيضاء .. سنة ﷺ .

٢٥٦٢ - ٢٥٦٦ : انظر إلى محمد بن عبد الله ﷺ : أنه كالسماء فى نفعه ، وفى تربية للأرض وفى فيض على كل البشر عاقلهم ومجنونهم مسلمهم وكافرهم ، وأمته فى فيضها ومنفعتها وحدبها ورحمتها كقطرات المطر « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » (صحيح الترمذى ١٠ / ٣١٦ » عن تعليقات رضوى ص ٢٨٧) .. فهو قبل الروح العاقلة وهو مربيها وهو الدفتر الذى سجلت فيه الأسرار الالهية .. وفى الدنيا الفانية .. كانت له بضاعتان ومثونتان : الفقر والجهاد « الفقر فخرى » و « جعل رزقى تحت ظل سيفى .. نعم أنه المقصود بالآية الكريمة « ذلكم خير لكم أن كنتم مؤمنين » (الأعراف/ ٨٥) وعن المحال أن تكون الآية الكريمة ﴿ مالم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ﴾ (نوح ١٤) قد وجهت إليه هو .

٢٥٧٢ - ٢٥٨٠ : إن كل الثناء الذى ترد أن تلهج به أيها القلب يمكن أن تقوله إذا ذكرت لفظا واحدا هو « المصطفى » .. فإسم أحمد هو اسم كل الأنبياء كما قال مولانا جلال الدين الرومى .. وإذا كانوا مائه .. فهو بمثابة تسعين منهم .. لكن شرط تغنيك باسم المصطفى هو عدم تعلقك بالدنيا .. وجهنم تهلع من هذا الاسم مثلما يهلع الشيطان من عبارة « لا حول ولا قوة إلا بالله » .. والروح لا تجد شرفها إلا بشوقها إليه .. ومن لم يكن ترابا على بابه لم يكن شيئا حتى ولو كان ملكا .

٢٥٨٩ - ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ (المزمل ١/ ٢) .

٢٥٩١ - النوبات الخمسة كناية هنا بالطبع عن الصلوات الخمسة وهى فى الأصل أوقات النهار الخمسة الأصلية ، أو النوبات الخمسة التى تدق فيها الطبول والكوسات أمام أبواب الملوك والعظماء أو آلات الايقاع الخمسة التى كانت تدق فى الحروب .

٢٦٨٣ - ٢٦٨٦ : « الأذنان من الرأس » حديث نبوى (الجامع الصغير ١/ ١٢٢) ورواه أحمد فى مسنده والترمذى فى صحيحه .. أى أن الأذن جزء من الرأس والماء الذى يتبقى من مسح الرأس من الممكن أن تسمح به الأذن ، وأشار مولانا جلال الدين إلى نفس الحديث من قوله أنه هو المستمع وهو القائل أيضا بلا احتجاب فإن الأذنين من الرأس أيها المثاب (عن تعليقات رضوى ٣٠٥) .. والمنزل ذو الخمسة أبواب هو الجسد والحواس الخمسة وضع الوسم على فخذ الأشهب والأدهم أى أعدخيلك من أجل القتال .

٢٦٩٦ - عن أبى مريم عن على رضى الله عنه قال : انطلقت أنا والنبى السلام حتى أتينا الكعبة فقال لى رسول الله ﷺ : اجلس وصعد على منكبى فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفا فنزل وجلس لى نبى الله وقال لى : اصعد على منكبى فصعدت على منكبيه فقال : فنهض بى فإنه يخيل إلى أنى لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استمكنت منه فقال لى رسول الله : اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس . رواه أحمد عن صفة الضعف جـ١ ص١٣٠» .

٢٧١٣ - ٢٧١٤ : من أسماء الرسول ﷺ : محمد وأحمد والحاشر والماحى والخاتم والعاقب (ابن سعد : طبقات : جـ١ : ص١٠٤ بيروت ١٩٥٧) .

٢٧١٧ - أى لولا هذه الحروف ما أمكن التعبير عن العشق أو عن الصدق ، ولولا وجود محمد عليه الصلاة السلام بجسده ما عرف معنى الصدق أو معنى العشق .

٢٧٢١ - المقصود بحاجب قصر حجب السر جبريل عليه السلام الذى قال للرسول ليلة المعراج عنه موضع ما : تقدم فلو تقدمت انملة لاحترقت .

٢٧٣٦ - من سجد له الملكوت قال « أجوع يوما وأشبع يوما » .

٢٧٣٧ - أى أن قلبه - ﷺ - الحى بنور المعرفة اللدنية ، ولسانه - عليه السلام - الذى استطاع أن يعبر عن هذه المعارف أصدق تعبير ، استطاع أن يجعل من كل واحد من صحابته قوة روحية لا تقل عن قوة المسيح عليه السلام .

٢٧٤٧ - فسر رضوى (ص٣٠٨ تعليقات) البيت بأن المعبد والكنيسة عرفا الأمن منه عندما تحولا بفضله إلى مساجد .. فى حين أن المقصود فيما أرى - أنه منح الحرية فى العبادة لمن لم يكن مسلما ، واحترامه لله وعبادته إياه جعلاه - ﷺ - يحترم كل بيت يذكر فيه الله سبحانه وتعالى .

٢٧٥٤ - وقفت طويلا أمام هذا البيت ، وبخاصته وأنه لا يحتمل ترجمة أخرى .. ولا أرى له معنى إلا أنه ﷺ يأخذ من « الأحمق » الذى لا يعطى نزولا على أمر الله تعالى وشريعته والذى يضن بمال الدنيا من جمعه ويحتاج إلى الأخذ منه عنوة .

٢٧٦٠ - التوزى نوع من القماش منسوب إلى توز وهى بلدة فى إيران .. وهو نوع من الكتان كان من الشهير أنه يذوب فى ضوء القمر . انظر وهخدا لغت نامه مادة توزى .

٢٧٦٣ - المقصود بالملك النجس هو ملك الدنيا بالطبع ، ومن المروى عن الرسول ﷺ أنه عرض عليه ملك الدنيا فأبى قائلا «بل أجوع يوما وأشبع يوما » .

٢٧٦٤ - لمثال بازى الصيد واغماض عينيه وتدريبه على الصيد انظر شروح الأبيات ١٧٥٧ وما بعدها من حديقة الحقيقة .

٢٧٧٢ - ٢٧٧٥ : إن قعود الروح الحيوانية يكون من الكسل فى العبادات والطاعات أما الدم نفسه فيتحول إلى عبد بالتسامى إلى أعلى ، وتحول الدم إلى لبن من الأفكار التى أخذها مولانا جلال الدين الرومى، وافتتح بها الكتاب الثانى من المثنوى على أساس أن حسن حسام الدين كان يتعجله فى نظم الكتاب الثانى وهو يستمهله ويعتذر عن تأخيرة بأن فترة من الوقت ينبغى أن تمر حتى يتحول الدم إلى لبن ، أما سيد قاب المذكورة فى البيت التالى فالمعنى بها محمد ﷺ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أوأدنى ﴾ ، أما « دعد » فهى من عرائس الشعر العربى ، وكثيرا ما يتذكر عرائس الشعر العربى فى الشعر الفارسى كناية عن المعانى البكر الجميلة .. ومن ثم فإنى كل مؤمن بنبوة محمد هو أسد فى غابة الدين .. وإنما يستمد سنائى « أسديته » من ذلك القلب الذى يموج بالأفكار .. والقلب الذى يخلو من الفكر إنما يحرم من العلو والتسامى .. مثلما تخلو أجمة الدين من أسد الشر إذ قام على حراستها أسد الدين .

٢٧٧٦ - ٢٧٧٧ : إن الهدية التى جاء بها محمد ﷺ من حظيرة الصمد هى التفكر « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله».. تمعن النظر فيما حولك وتفكر فى آلاء الله ولا يصرفنك بعض ما تراه - فى رأيك - قبيحا عن الفكر والنظر .. حتى وإن كان فى شكل العجل .. فهذا التفكر هو أفضل من الذكر .

٢٧٨١ - يفسر مدرس الرضوى البيت (تعليقات ٣٠٩) لا بأنه يشير إلى خاتم النبوة فى ساعديه ﷺ فى حين أن فى البيت إشارة إلى حديث نبوى « نصرت بالرعب على مسيرة شهر » ، أما منهج الصدق فى حاجبيه .. أى نور النبوة الذى هو منهج الصدق على الرسالة .

٢٧٨٤ - ٢٧٨٥ : الإشارة فى البيتين إلى المعراج النبوى الشريف .. ويقدم سنائى تفسيرا طريفا قائما على أساس أن على من لايصدق بعقله حديث المعراج .. عليه أن يتبع فكره هو .. وكيف يعمل القلب فى الفكر .. وكيف يعبر بحارا وأنهارا وينتقل من مكان إلى مكان بعيد وصاحبه لا يزال فى مكانه .. والقادر - جل وعلا - على أن يجعل القلب موضعا لهذا العروج الفكرى المستمر .. كيف لايقدر على العروج بخير خلقه جسدا وروحا متجاوزا كل العوالم والأفلاك ؟!

٢٧٩٠ - ٢٧٩٢ : إشارة إلى أن جبريل عليه السلام كان يتمثل للرسول ﷺ فى صورة دحية الكلبى ، أى أن كرامة الرسول جعلت الملاك ينزل إليه فى صورة بدوى حتى يأتنس به ، وأنه كان تابعا له ، يؤمن على دعائه ومد رفع إصبع الشهادة وأحنى رأسه .

٢٧٩٤ - فى البيت إشارة إلى الآية الكريمة « والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » (الحاقة / ١٧) ، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى فى محفل المعراج جعل السبعة والملائكة الذين يحملون العرش نثارا له ﷺ .

٢٨٠٥ - ٢٨٠٦ : أى أنه ﷺ بسبب تفرده عن كل الصحاب جرد كل من أراده بسوء من سلاحه ، وأن تلك الروح السمحة هى التى كانت تجذب إليه الصحاب وكأنهم ينضمون إلى مجلس طرب ، لكن بصيرته النافذة إلى ما وراء المظاهر والتى عبر عنها القرآن الكريم فى الآية الكريمة ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ كانت ترد كل من تسول له نفسه عدم الأدب إلى وعمين ، فليست سماحة الرسول باعثه على الوقح فى حضرته . « عن عقل الزاغ وعقل ما زاغ انظر الكتاب الرابع من مثنوى جلال الدين .. الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٣٠٥ . ١٣١٥ وشروحها » .

٢٨٢٢ – فى الأبيات إشارة إلى موقعة أحـد ، وفيها سقط الرسول ﷺ فى حفرة وكسرت أسنانه المباركة ، لكنه لم يدع على الكفار بل كان دعاؤه لهم « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » وبقية الأبيات على ما ذكر فى كتب السيرة وكتب التاريخ .

٢٨٣٠ – المقصود أبى بن خلف لحق برسول الله ﷺ فى أحد يريد قتله فطعنه فى ترقوته فكر منهزما فقال له المشركون : ما بك من بأس فقال : والله لو كان مـا بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين فمات بسرف : سيرة ابن هشام (جـ٣ ص ٨٤) وذكـر صخر وشيبه وعتبه وأبو جهل هنا لا يوافق السيـاق فالثلاثة الأخيرين قتلى بدر من الكفار وصخر هو أبـو سفيان . والمقصود بسعد فى البيت ٢٨٣٨ سعد بن عبادة أو سعد بن معاذ رضى الله عنهما . وسعد بن عبادة هو المذكور فى الحديث الشريف « إن سعدا لغيور وأنا أغير منه والله أغير منا ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهـر منها وما بطن » وقيل بل فى سعد بن معاذ حين نزلت آية الشهود الأربعة على الـزنا قال : ألو شهدت امرأة ورجل يزنيان هل أصبر حتى آتى بأربعة شهود .. والله قبل أن آتى بالشهود لأشطرهما بالسيف شطرا فقال ﷺ الحديث المذكور .

٢٨٤٥ – ٢٨٥١ : إن هذا الذى ينظر إليه بعضهم نظرة إزدراء تكاد تنطبق عليهم الآية الكريمة « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » (الـزخرف / ٥٢) بحار الدين نفسه فى يقينه وإيمانه ، إنه هو الـذى فطم العصاة عن العصيان عندمـا أبدى لهم ثدى الطبيعة أسود منفرا ، ولقد أثبت للعصاة والمطيعين على السـواء بالمنطق النبوى أن الموت ليس هو ذلك العدو بل هو بوابة إلى حياة أفضل ، أنه ﷺ روحة تجمع بين اللطف والطراوة به يستظل البشر ، أنه مثل ذلك الطائر المذكور فى الأساطير أن كل من ظلله صار ملكا فى حين أن هذا الطائر نفسـه يحترق من أجل أن تتـولد منه صغاره فكأن الرسول ﷺ وهو يعـانى من أجل نشر الدين المبين والحيلولة بين البشر وبين النار مثل ذلك الطائر المبارك سعادته لغيره وألمه لنفسه .

٢٨٥٢ – هذا البستان المقصود به بستان الشريعة ، وبلابله هم كل الذيـن آمنوا برسالة محمد بن عبد الله وعذروه ووقروه وأتبعوا النور الذى جاء به .

٢٨٥٧ – أى أن تعبد الرسول عليه السـلام فى حراء كان تعبدا بالقلب وكانت آهاته من القلب فارغة من الحروف والألفاظ .

٢٨٥٨ – يمين الحق بحياة الرسول ﷺ : « لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون » .

٢٨٥٩ – إن بشارات الرسـول ﷺ تجعل الضاحك لهوا وعدم خشية واعتبار يبكى بينما تجعل الباكى من خشيـة الله ضاحكا من حسـن المآل وحسـن العاقبة .

٢٨٦٥ – ٢٨٧٠ : إن عبادتـه ﷺ كانت تغمر الكونين بـاحساس العبادة وشعور العبـادة ، والعرش نفسه كان يحس بـالخشوع أمام هـذه العبادة التى منهـا لم تكن الجبال العـادية فحسب تنـدك ، بل جبل قـاف نفسه ، لقـد كانت شرعـه جودا على الخلق وسـلاما للكونين ، من مجرد نطق « سين » هذه اللكلمة يعم السـلام البشـر .. ومع هذه القـوة فى العبادة ، كان محرابه دائما غارقا فى الدمع ، لا .. لم يكن دمعا ، كـانت نار العشق الخالـد الذى لا يـزال هى ماء هـذا البحر ، تضرم فى كل الـوجود لكى لا يبقى بعـدها سوى المعشوق الأوحد .

٢٨٧٧ – ٢٨٨٠ : أتـراهم مهما حاربـوا هذا الشرع يمكن أن يهلـع الشرع أو يخاف حتى ولو أطلقـوا عليه « قـوس الفلك » لا الأقواس العاديـة ، بل أن خيل الفلك نفـسها تقعد عن الحرب حتى لا تثير الغبار على هذا الشرع .. أن مجرد نفس واحـد يعتمد على هذا العشق لا يمكن أن يكون لأحد من الخلق طاقة عليه .. أن هذا النفس ليحول موج البحر إلى نار مستعرة كأنها نار النمرود .

٢٨٨٢ – لم أجد أصلا لهذا الخبر .

٢٨٨٣ – إن الكلام مهما طـال فهو لا يستطيع إلا أن يخجل إذا وصل إلى وصف سيـد الكونين والثقلين . وتعبير إختفـاء الظفر فى الإصبع كناية عن الخجل والحيرة ..

٢٨٨٤ – البيت والأبيات التاليـة تتناول حادث حدثت ليلـة المعراج ويستدل بها الصوفية على أفضليـة محمد ﷺ على الملائكة جميعا . والـرواية باختصار أن جبريـلا عليه السـلام عندمـا وصل مع الرسول ﷺ إلى سـدرة المنتهى .. توقف ولم يتقدم وقال : لـو دنوت أنملة لاحترقت . ويقدم سنائى هنا تفسيرا جديدا أن جبريل عليه السلام فسر الأمر للملائكة .. أنه لم يتقدم لأنه ليس للحديث طريق إلى القديم .. والقديم هو الذى يجد طريقه إلى القديم .. إشـارة إلى أسبقية خلق محمد ﷺ على الملائكة والأنبياء والبشر جميعا وقد تقدم الحديث عن هذا الموضوع وشرح الأحاديث القدسية والنبوية التى تدل عليه وانظر أيضا مثنوى مولانا جلال الدين ١/ ١٠٦٦ .

٢٩٠٢ – ورد فى جامع الترمذى « إن الله سبحانه وتعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما السـلام فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين » جامع الترمذى ١/ ٢٢٣ .

٢٩١٠ – الرفيق الأعلى هى العبـارة التى كان محمد ﷺ يرددهـا عند احتضاره روى عن عـائشة رضى الله عنها أن الرسـول كان

يقول عند رحيله « اللهم إغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الأعلى » (الجامع الصغير ١/ ٥٦) وروى الميبدى فى كشف الأسرار عن عبد الله بن مسعود أنه قال عندما عاده جمع من المهاجرين والأنصار « قددنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وجنة المأوى والعرش الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى » وفى رواية أخرى أنه كان يقول « لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول . « بل الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده « عن تعليقات ٣٢٢ - ٣٢٣ » ﷺ تسليما كثيرا .

٢٩١٤ - مقابلة بين طريقين : طريق الجسم وطريق الاسم .. المادة والروح والمحسوس والمعنى .. ومهما كافح الجسم فإنما يكافح فى طريق هلاكه ويسعى إلى نهايته وكلما إكتمل نقص .. وكلما دنا بعد .. أما الاسم فهو الكفاح من أجل الخلود ومن أجل البقاء.

٢٩١٧ - ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ (التوبة / ٤٠) .

مدح أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

- المنفق لرسول الله أربعين ألف دينار : روى السيوطى فى تارخ الخلفاء عن ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها وعروة بن الزبير « أن أبا بكر أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفى لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على رسول الله » وفى موضع آخر يروى عن ابن عمر « أسلم أبو بكر يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة فى الهجرة وما له غير خمس آلاف .. كل ذلك ينفقه فى الرقاب والعون على الإسلام » عن تعليقات رضوى ص٣٣٤ - ص٣٣٥ .

- هذا سيد كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين : روى السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ٦) عن الترمذى ومسند أحمد بن حنبل الخبر على هذه الصورة « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلى النبيين والمرسلين » .. ويروى رضوى نقلا عن كتاب نور الأبصار أن الخبر روى عن على رضى الله عنه أيضا « كنت عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال يا على هذان سيدا كهول أهل الجنة .. إلى آخر الخبر » ويزيدها « ولا تخبزها يا على فما أخبرتها حتى ماتا » .

- أنت عتيق من النار : ورد فى كنوز الحقائق للمنادى (١/ ٧) : أبو بكر عتيق الله من النار كما روى أبو بكر عتيق فى السماء عتيق فى الأرض .. كما وردت فى سيرة ابن هشام : أنت عتيق من النار .

- لو وزن ايان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح : أقدم ورود هذا الخبر عند أبى حامد الغزالى (٣/ ١٩) على النسق التالى « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح » كما ورد فى ص١٢١ باختلاف يسير فى العبارة .

- لا تبك أبا بكر .. إلى آخره : أورد ابن الأثير الخبر فى أسد الغابة (٣/ ٢١٧) باختلاف يسير فى العبارة .. كما ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم وتاريخ الخلفاء للسيوطى والجامع الصغير ونور الأبصار وسنن ابن ماجه واللؤلؤ والمرجان باختلاف فى العبارة (عن رضوى : تعليقات ٣٢٥) .

- الأبيات المنسوبة إلى حسان بن ثابت يذكرها رضوى فى التعليقات على النحو التالى :

ثلاثة برزوا بسبقهم ، نصرهم ربهم إذا نشروا .

عاشوا بلا فرقة حياتهم ، واجتمعوا فى الممات إذ قبروا .

فليس من مسلم له بصر ، ينكر من فضلهم إذا ذكروا .

والأبيات فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والشيخين رضى الله عنهما ، ووردت فى عيون الأخبار للدينورى .. ولم يرد فيما يرى رضوى فى أية نسخة من نسخ دواوين حسان المحققة .. ولم يرد أيضا فى كتاب آخر من كتب الأدب وإن نسبت الأبيات فى كتاب أسد الغابة إلى حسان .

- أنا مدينة الصدق وأبو بكر بابها : فيما يبدو من الأحاديث الموضوعة ...وروى السيوطى فى اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة عن ابن عساكر نظير هذا الحديث « أنا مدينة العلم وأبو بكر وعمر وعثمان سورها وعلى بابها ممن أراد العلم فليأت إلى الباب كما روى حديثا آخر « أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلى بابها » . وزاد ابن عساكر « منكر جدا اسنادا ومتنا » .

- من أحب أبا بكر فقد أقام الدين : لم أجدله أصلا .

٢٩٢٢ - الاشارة إلى الآية الكريمة الواردة فى البيت - ونضيف هنا أن السيوطى روى فى تاريخ الخلفاء أن ابن سعيد الزهرى روى أن رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت : هل نظمت شعرا فى أبى بكر فقال : نعم يا رسول الله قال : اتله على فقال :

والثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ، طاف العدو به إذ أصعد الجبلا .

كان حب رسول الله قد علموا ، من البرية لم يعدل به رجلا « ؟ » .

كما نضيف أن كلمة « يا رغار » أى صديق الغار تعبر فى الفارسية سواء فى شعرها الكلاسى أو استخدامها اليومى عن الصديق اللصيق الحميم .

٢٩٢٣ - لكلمة عتيق عدة معانى .. وكما هو معلوم من أسماء الكعبة المشرفة البيت العتيق ، يقول ابن هشام أن السبب فى تسميته رضى الله عنه عتيقا أن أمه نذرت ولم يكن يعيش لها أبناء تسمية ما فى بطنها عبد الكعبة فلما ولد أبو بكر سمته عبد الكعبة ثم غلب الله اللقب عتيق على أساس أنه نجا من الموت مثلما نجت الكعبة من تملك البشر . وظل اسمه عبد الكعبة حتى سماه الرسول ﷺ عبد الله .. وقيل سمى عتيقا لأنه عندما أسلم قال له الرسول ﷺ أنت عتيق من النار . وقال ابن الأثير فى أسد الغابة (٣/ ٣٠٥) هناك إختلاف فى إسم أبى بكر فقال بعضهم إسمه عبد الكعبة ثم سماه الرسول عبد الله وقال بعضهم بل سماه أبواه عبد الله .. وقالت جماعة : بل اسمه عتيق ، كما يقول ابن الأثير : هناك إختلاف بسبب تسميته عتيقا .. فقال بعضهم : لجمال صورته ، وقال بعضهم : لأنه لا يوجد فى نسبه ما يشين وفى تصحيح الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنه سمى عتيقا لقول الرسول ﷺ : أنت عتيق الله من النار .

٢٩٢٤ - لم أجد أصلا لهذا الخبر إلا ما روى من أن أبا بكر رضى الله عنه سد كل الفجوات الموجودة فى الغار بملابسه فلما بقيت فجوة ولم يجد لها خرقة من ملابسه وضع - رضى الله عنه - إصبعه فيها .

٢٩٢٥ - ٢٩٣٠ : أى يذل نفسه وكل وجوده من أجل الإسلام ، وكرس كل وجوده من أجل النظر إلى الرسول ﷺ والاقتداء به. ونفس المعنى كرره فى البيت التالى ٢٩٢٦ فكأنه تربى مع ذات العشق .. وذات العشق هو محمد بن عبد الله ﷺ .. فهو الصاحب وهو الرفيق فى الطريق .. وهو المتفهم لشخصية الرسول ﷺ .. وهو أيضا المتفاهم معه .. ومن ثم فقد كان أبو بكر رضى الله عنه يصل إلى المقصود من كلام الرسول ﷺ .. فارغا من الحروف .. خاليا من الجلد .. كانت بذور هذا الكلام الذى نزل على محمد مغروسة فى روحه.. وكانت روحه كالبستان بالنسبة له .. وفى هذا البستان نبتت هذه الثمار وأستوت على سوقها ومدت فروعها وأغصانها .. وأثمرت هذه الأغصان مجدا هذا المجد هو ما عبرت عنه الآية الكريمة التى أجمع المعزون أنها نزلت فى شأن أبى بكر رضى الله ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ (الزمر/ ٣٣) .

٢٩٣١ - ٢٩٣٢ : لم أجد أصلا لهذا الخبر ولا تفصيلا له .

٢٩٣٣ - ٢٩٣٥ : المضمون الوارد فى الأبيات يستند على خبر قاله الرسول ﷺ بشأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه « ما صب الله تعالى شيئا فى صدرى إلا وصببته فى صدر أبى بكر » ويرى مدرس رضوى أن الخبر لم يرد فى أى من كتب الأحاديث المعتمدة لكن بعض الصوفية ذكره ومن بينهم الميبدى فى كشف الأسرار (٨/ ٢١٦) وعين القضاة الهمدانى فى كتاب التمهيدات « فى موضعين ص٣٤ و ص٩١ » .

٢٩٣٦ - ٢٩٣٩ : أى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان عالما بروح الإسلام فى حياته وفى تجارته وفى لزومه لمحمد ﷺ قبل نزول الرسالة ، كان تابعا بالروح للنبوة قبل أن يعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام ليكون أول من أسلم من الرجال ، كما كان له من العقل ما يجعله عالما بالسحرة مميزا للكهانة قاضيا عليها ، وكل ذلك كان صدقه وتصديقه دليلين عليه ، وما العقل ؟! لقد كان عشقه غالبا على العقل وبهذا العشق استطاع أن يكون الواسطة بين الخلق والنبوة كما كان الرسول ﷺ هو الواسطة بين الحق والخلق .

٢٩٤٦ - يعتمد البيت على خبر أسند إلى الرسول ﷺ فى شأن أبى بكر « لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر » .. وقال جماعة من أهل السنة .. وكل الإمامية أن الخبر ورد فى شأن على رضى الله عنه .. وقال سبط بن الجوزى فى تذكرة خواص الأمه : أورد أحمد بن حنبل فى كتاب الفضائل والترمذى فى سننه هذا الحديث وروى أحمد عن زيد بن الأرقم أن عددا من الصحابة فتحوا أبوابا من المسجد إلى بيوتهم ، فقال الرسول ﷺ « سدوا هذه الأبواب إلا باب على بن أبى طالب » ولما تساءل الناس عن السبب قال : « ما سددت شيئا ولا فتحته ولكنى أمرت بشىء فاتبعته » وروى الترمذى عن ابن عباس قال « أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلا باب على .. قال الترمذى : يعنى أبواب الشارعة فى المسجد » وذكر السيوطى فى اللآلىء المصنوعة عن كتاب معانى الأخبار لأبى بكر الكلاباذى أنه لا تعارض بين هذين الخبرين بشأن أبى بكر وعلى رضى الله عنهما ذلك أن باب أبى بكر من بين الخوخات التى كانت تفتح على المسجد وأمر عليه السلام بسدها كلها إلا خوخة أبى بكر لكن باب على كان بابا داخل المسجد يخرج منه ومنه أيضا يدخل بيته . (عن تعليقات رضوى ٣٣١ - ٣٣٢) .

٢٩٤٧ - ٢٩٤٩ : إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه هو مثال العطاء فهو المنفق فى الدين كل ثروته ولم يكن هناك من حب فى قلبه إلا حب الله ورسوله ومن ذكر فى قلبه إلا ذكر الله ورسوله .. وكل هذه دلائل الإيمان المطلق .. ذلك الإيمان الذى تأتى من أمة لم تر الهها .. لكنها بذلت كل شىء فى سبيله : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

٢٩٦٠ - انظر إلى تفسير الحديث فى صدر الفصل الخاص بالرسول ﷺ (قبل شروح البيت ٢٢٦٢ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

٢٩٦٤ - ٢٩٦٩ : انظر تفسير الحادثة الواردة فى الأبيات فى شروح البيت ٣٠٧ من هذا الكتاب .

٢٩٩٨ - يرى مدرس رضوى فى تعليقاته أن البيت فى نسخته (II) أى النسخة التى حققها هو نفسه خطأ وأنه بدلا من « أبو الفضل » ينبغى أن يذكر أولو الفضل ! وفى ذلك إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (النور / ٢٢) ولعل الأمر هكذا بالفعل لأنه أبا الفضل لم تردفى أبى بكر .

٢٩٧٩ - ٢٩٨٠ : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ (البقرة ٢٤٥) وانظر أيضا شرح البيت ١٢٠٣ من هذا الكتاب .

٢٩٨١ - انظر شروح الشواهد فى صدر هذا الفصل من الكتاب .

٢٩٨٥ - يستند البيت على رواية رويت عن ابن عباس أنه عندما نزلت الآية الكريمة ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ بذل كل واحد من الصحابة ما فى وسعه ، وخرج أبو بكر الصديق عن كل أمواله ولبس خرقة صوفية واعتزل الناس (!!) وبعد برهة نزل جبريل على الرسول ﷺ فى خرقة صوفية فسأله الرسول : ما هذا اللباس ؟! فأجاب أن أبا بكر عندما لبس خرقة صوفية واعتزل الناس أمر الله تعالى الملائكة بأن يتشبهوا بأبى بكر .. (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٣٩) وبعد أن ذكر السيوطى هذا الخبر فى اللآلىء المصنوعة علق عليه قائلا : موضوع ومن إختلاق الأشنانى (عن تعليقات رضوى ٢٣٥) .

٢٩٨٩ - البيت مستند على خبر نبوى قيل فى حق أبى بكر « خصال الخير ثلاثمائة وستون فقال أبو بكر : يا رسول الله لى منها شىء فقال كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر » وقد ذكر السيوطى هذا الحديث فى تاريخ الخلفاء ص٥٨ عن ابن عساكر عن صدقة القرشى عن أحدهم . وفى نفس الكتاب ذكر الحديث عن ابن عساكر عن سليمان من يسار « قال رسول الله ﷺ : خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة إذا أراد بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة قال أبو بكر : يا رسول الله أفى شىء منها .. اقل : نعم جمعها من كل » .

٢٩٩٠ - أى أن قلب أبى بكر الصديق رضى الله عنه عندما حلق فى طول الشرع طلب سعته وعرضه وبحث عن أسرار الشرع وخواصه ومزاياه .. وبينها وأظهرها .

٢٩٩٨ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وعدا الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ (النور / ٥٥) . وهنا إشارة من سنائى إلى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

٣٠٠٥ - يناقش هنا حروب الردة من منطلق إسلامى بالطبع . ولم يكن سنائى يعلم أنه سوف يوجد بعد عدة قرون من يتهم أبا بكر بأنه أول من جعل مسلمين يقاتلون مسلمين .. وهو قول غريب لأن المسلم أن أسقط ركنا من أركان الإسلام انتقت عنه صفة الإسلام .. كان الدين فى أوله ومن ثم فإن ما قام به أبو بكر رضى الله عنه كان عين الصواب .. ولم تكن هيبة الدين وحدها فى الميزان .. ولا هيبة الحكم كما يلذ لبعضهم التشدق بالقول بل كان الإسلام نفسه هو الذى وضع موضع الخطر ولنا أن نتصور مجرد تصور - لو أن كل قبيلة ذهبت بركن من أركان الإسلام وهو لا يزال فى أوله ما الذى كان يتبقى منه الآن .. إن العزاء الآن والإسلام - كدولة - تتداعى عليه الأمم .. أنه لا يزال يحتفظ بأصوله نقيا .. إن كان ثمة ما يقال عن أبى بكر الصديق فى حروب الردة فهو ما يقوله أبو المجد سنائى فى هذه الأبيات : لقد اقتلع جذور إرادة الردة ، وقام بالنبوة فى دوره « فالشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » .

٣٠١٢ - من هذا البيت يمهد أبو المجد سنائى لمناقشة إحدى القضايا المهمة التى كانت وراء نظم الحديقة وهى قضية الخلاف بين السنة والشيعة حول الخلافة وكيف كان جهل العامة خلال القرون سببا فى إذكاء أوارها .. وهذا الخلاف النكد كان يبدأ بمجالس الجدل اليت يعقدها الأمراء فى قصورهم وتنتهى باشتباكات العامة فى الطرق وتخريبهم للمتاجر وحرقهم للأسواق أو ضربهم لمخالفيهم من الوعاظ والأئمة فى المساجد . وكتبت كثرة من الكتب التى تذكر هذه الخلافات وشاعت كلمة فضائح على أغلفة الكتب فألف شهاب الدين الشافعى كتاب بعض فضائح الروافض فى نقد المذهب الشيعى ولم يلبث أن رد عليه عبد الجليل الرازى بكتاب « بعض مثالب النواصب » وكان القصاص بدورهم يوجهون العامة إلى الجهة التى يشاءون فقد كان هناك قصاص المناقب « مناقب خوانان » يتحدثون عن مناقب أئمة الشيعة وكان يقابلهم قصاص الفضائل « فضائل خوانان » يتحدثون عن فضائل الخلفاء .. وعلى

مستوى أرفع شاعت الاتهامات بالتشيع فى دولة كانت شديدة التمسك بالمذهب السنى .. وبالنسبة لسنائى الذى اعترف مباشرا بأنه مسلم سنى شديد التمسك بسنيته وقال صراحة :

كن متدينا سنيا ما دمت حيا ذلك أنه ، كل ما هوى سوى الدين موت وكل ما هو سوى السنة حزن (ديوان سنائى ص٤٨٩) إلا أنه لم يسلم من بعض الاتهامات وذلك لموافقة من بعض من يعتبرون من أقطاب السنة مثل معاوية ويزيد .. والواقع أن سنائى اختط طريقا يعتبر متقدما على عصره بمراحل فقد مدح الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم ومدح آل البيت رضوان الله عليهم ومدح الإمام السابع من أئمة الشيعة الامامية على بن موسى الرضا رضى الله عنه فى قصيدة طويلة .. ومدح أبا حنيفة والشافعى رضوان الله عليهما .. وكأنه كان يرى تبنى نظرة إسلامية تزن الشخصية بخدمتها للإسلام وتقدمها فيه .. وهذه الروح التى كانت سابقة على عصره .. كانت السبب أيضا فى بعض المتاعب التى تعرض لها مما دفعه إلى إرسال نص الحديقة إلى بغداد مما سنفصله فيما بعد . وكان مصدر متاعب سنائى أولئك الذين قسموا الإسلام إلى قسمين من البداية .. وصنفوا الناس والكتاب والعلماء .. ووضعوا فصاما نكدا لم يكن موجودا بين أقطاب الإسلام .. وأعادوا كتابة التاريخ وفق هواهم .. ولعبوا بلعبة التكفير .. والغريب أن يظل الأمر ساريا فى عصر تكاتفت كل الأديان والمذاهب المتصارعة ضد الإسلام الذى لولا أنه موعود بحفظ الله سبحانه وتعالى للقى من المنتسبين إليه من العنت أضعاف ما يلقاه من أعدائه .

٣٠٢٠ - ٣٠٢٤ : يرد سنائى فى الأبيات على بعض المآخذ التى يأخذها الروافض « الشيعة » على أبى بكر رضى الله عنه ، فهو يستبعد على رافضى عامى أن يقيم أبا بكر فأين هو من أبى بكر حتى يقوم بتقييمه ، إنما يقيم أبا بكر من تكون روحه فى قوة روح أبى بكر ، إن الرافضى لا ينتقد أبا بكر ولا يهاجمه إلا من قبيل المكر والحقد وضيق الأفق .. ثم كيف نقيم أبا بكر ونحن لم نعاشر أبا بكر ولم نره ولم نعش فى عصره ولم نعرف ظروف ذلك العصر .. إنه مجرد هوى .. وعين إبليسيه تنظر به إلى أبى بكر وتقول « أنا خير منه » .. فإبليس لم ير من آدم إلا أنه بضعة من الطين .. ووقف عند حدود علمه بهذا الجسد المحدود .. فمن أين له العلم بقوة الروح .. ومن أين ذلك الرافضى إذن أن يحيط بعوالم أبو بكر تلك العوالم التى كانت تقتبس مباشرة من نور النبوة ؟!

٣٠٢٥ - ٣٠٤٢ : يقول الرافضى أنه يهاجم أبا بكر لأن أبا بكر قد « اغتصب » حق على ، ثم يعود فيحتج بعلى والعباس فأى علم له بعلى والعباس رضى الله عنهما .. تراك كيف صدقت أن أبا بكر يغتصب حقا يعلم أنه لعلى .. وكيف ينسجم هذا الظن السىء مع ما لأبى بكر من أسبقية فى الدين .. وتضحية بالروح من أجل آل البيت ؟! وهل يمكن أن يبغض عليا وهو يعلم أن بغض آل البيت يكب فى النار ؟! يا سبحان الله العظيم .. هل يطمع من خرج على كل ما له فى سبيل الإسلام فى واحة فدك ويسلبها فاطمة الزهراء رضى الله عنها لكى يأخذها لنفسه .. أم أن الأمر عقيدة ودين ؟! تراك فعلا تتهم عليا بأنه سكت عن حقه .. فلماذا سكت .. محال أن يكون ذلك جبنا وهو سالب الأرواح من صناديد العرب ؟! أم تراك تتهمه بالمداهنة والمماراة ؟! أمن الممكن أن يكون هذا رأيك فى امامك الذى تدعى الولاية له والمطالبة بحقه ؟! .. لو كان على مداهنا إذن فهو لا يليق بالخلافة .. ولو كان يعلم أنه أحق ويسكت فهو إذن منافق فى رأيك .. لو نظرت لوجدت أن عليا توخى مصلحة المسلمين ونزل على رأيهم فلماذا تظل أنت فى جدل طوال هذه السنين (وليته كان قد قال طوال هذه القرون) .. فهيا تخلص من المكر والخداع والعرض .. حتى تستطيع أن تفهم روح أبى بكر وأن تسبر أغوارها وتعرف أبعادها .. ذلك أنه حيثما يكون على فإنه التعويذة التى تجعل الشيطان يغادر المكان .. فكيف إذن تجمع بين وساوسك الشيطانية هذه وبين ادعائك الولاية لعلى ؟! كفاك هذا الهزل .. إذ ما يستفيد على الآن من هزلك هذا ومن ترهاتك اللهم إلا أن يأتى جاهل مثلك ويحاول أن يطعن فى على رضى الله عنه .. ما دمت قد بادرت بالطعن فى أئمته .. ومالك أنت بهذا .. لقد كان أبو بكر وعلى رضى الله عنهما رفيقين فما شأنك أنت الآن بالتفضيل بينهما ؟! .

- « عمر سراج أهل الجنة .. ولو كان بعدى نبى لكان عمر » : روى أبو نعيم فى الحلية هذا الحديث عن البزاز عن ابن عمر - وقال الإمام الصاغاتى أنه حديث موضوع . لكن الترمذى روى فى الحديث (١٤٥/١٢) عن عقبة بن عامر « لو كان بعدى نبى لكان عمر » وهذا حديث آخر روى فى نفس المعنى هو « لو لم أبعث لبعثت يا عمر » وروى الحديث بعبارات مختلفة فى كتاب نور الأبصار عن الديلمى ومسفر الإمام أحمد . وقال الإمام الصاغاتى أيضا أن هذا الخبر أيضا من الأحاديث الموضوعة ولا أصل لها . كما أنكره السيوطى أيضا فى اللآلىء المصنوعة (يرجع إلى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص١١٧ ومسند أحمد بن حنبل ج٤/ ٥٤ ومفتاح كنوز السنة ص٣٧٥ والجامع الصغير ٢/ ٦ وصفة الصفوة ١/ ١٠٥) .

- من أحب عمر أمن من الخطر من أحب عمر فقد أوضح الطريق : يقول مدرس رضوى فى التعليقات (ص ٣٤٠) أنه لم يعثر له على أصل - ولم أعثر له أيضا على الأصل .

- إن الشيطان يفر من ظل عمر : ورد فى الجامع الصغير للسيوطى (١/ ٨٢) وكنوز الحقايق للمناوى (١/ ٦٤) : إن الشيطان ليفرق منك يا عمر .

- أنا مدينة العدل وعمر بابها : لم يرد الحديث فى كتب السنة المعتمدة .

٣٠٥٥ - العيوق اسم نجم المجره يطلع بعد طلوع الثريا وسمى بالعيوق لأنه (يعوق) الأذى عن الثريا .. والفاروق هو لقب لعمر لقب به لأن الله فرق بـه بين الحق والباطل .. (اسد الغابة ٤/ ٥٧) وقال الشيخ الشبلنجى فى نور الأبصار « وسماه رسول الله ﷺ بالفاروق يوم أسلم فى دار الأرقم وبـه تم المسلمون أربعين فخرجوا وأظهروا الإسلام ففرق الله بعمر الحق من الباطل (عن تعليقات رضوى ص٣٤١) .

٣٠٥٦ - ٣٠٦٤ : فى البيت الطفاوة وهى الهالة حول الشمس وحول القمر وترجمتها بالقوم العظام لأن سنائى يقصد بالطفاوة أولئك العظام الذين هم بمثابة الهالة حول الشمس وحول القمر ، وفى الأبيات التالية يشتق سنائى المعانى من « طه » ومن حرفى الطاء والهاء .. وطه هو إسم من أسماء الرسول على الصلاة والسلام ، وكان يدعو الله « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » وفى رواية ابن هشام « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب » والاشارة هنا إلى قصة إسلام عمر بن الخطاب .. وهى مشهورة .. وخلاصتها أنه سمع أن أخته وزوجها أسلما ، وحرضه أبو جهل على المسلمين الذين يجتمعون فى دار الأرقم ووعده بمكافأة كبيرة أن قام بقتل محمد (عليه السلام) .. فخرج عمر وانطلق محتدا ومندفعا إلى دار الأرقم ، ووجدهم يتلون القرآن ، فأخذه ليمزقه ، فوقع بصره على مطلع الآية « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » ففاض دمعه وخشع قلبه وأسلم .. رضى الله عنه وأرضاه . ومن هنا يقول سنائى أن الله سبحانه وتعالى أراد هدايته فنصب له شبكة من الطاء والهاء .

٣٠٦٦ - لم أعثر لهذا الخبر على أثر .

والشطرة الثانية إشارة إلى الحديث النبوى « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به » « السيوطى / تاريخ الخلفاء ص١١٧ » وذكره الترمذى فى صحيحه (١٢ / ١٤٣) وابن الأثير فى اسد الغابة (٤/ ٦٣) عن ابن عمر « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » (ينظر أيضا مفتاح كنوز السنه / ٣٥٧ وسنن ابن ماجه ١/ ٤٠) .

٣٠٦٩ - انظر حديث « إن الشيطان يفر من ظل عمر » فى تعليقات مقدمة هذا الفصل . كما أورد مولانا الخبر فى البيت .

ينبغى أن يكون هناك عمر حتى يفر منه الشيطان ، وينبغى أن يكون هناك أحد حتى يأخذ الطريق على الصليب .

وأورده الميبدى فى كشف الأسرار : الشيطان يفرق من جيش عمر .

٣٠٧٤ - الإشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الانتقال / ٦٤ ويرى بعض المفسرين أنها نزلت فى شأن عمر ابن الخطاب وأنها نزلت عند إسلامه وقال الزمخشرى فى تفسير الكشاف رواية عن ابن عباس أنه نزلت فى شأن إسلام عملا وورد فى نفس الكتاب وفى تفسير كشف الأسرار عن سعيد بن جبير « كانوا ثلاثة وثلاثون رجلا من المسلمين وست من نساء اجتمعوا فى دار الأرقم أنزل فيه رب العزة .. يا أيها النبى حسبك الله » ويرى بعض مفسرى الشيعة أنها نزلت فى شأن على رضى الله عنه محتجين بأن المراد من الآية النصرة وأن النصرة كانت من على رضى الله عنه لا من أحد سواه (!!) (عن تعليقات رضوى / ٣٤٥) .

٣٠٧٦ - الاشارة إلى ما روى أنـه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعد فتح مصر كتب إليه عمر بن العاص أن النيل لم يفض كعادته على أساس أن « العروس » التى كانت تلقى إليه لم تلق هذا العام فكتب عمر رضى الله عنه فطابا وأمره أن يلقيه فى النيل وكان فحوى الخطاب إن كنت تجرى بأمرك فلا تجرى وأنت كنت تجرى بأمر الله فاجر .. فألقى عمرو بالخطاب فى النيل فجرى لساعته .

٣٠٨١ - انظر مقدمة الفصل وشروح البيت ٣٠٦٩ من هذا الكتاب .

٣٠٨٣ - إشارة إلى قصة تروى عن عمر بن الخطاب أنه كان جالسا ذات يوم يرقع خرقته الثقيلة من كثرة ما فيها من رقع فآذت الشمس كتفه العارى .. فنظر إلى الشمس نظرة غاضبة فوقع عليها الكسوف من فورها . وقد عبر مولانا جلال الدين عن نفس الواقعة فى البيت :

كان كسوف الشمس من توقحها ، ومن التجرؤ رد عزازيل عن الباب (مثنوى دفتر ١ / بيت ٩٢) .

٣٠٨٥ - أورد مدرس رضوى حادثة يستند عليها هذا البيت دون ذكر لمصدرها وفحواها أن رسول الروم عندما وصل إلى محضر

عمر وجده يلبس رداءا خلقا وقد عقد « الدرة » على وسطه وكان يزور القبور فى البقيع ، فتذكر ما لقيصر من جلال وعظمة وحشمة وحاشية وقارن بينها وبين ما يراه على خليفة رسول الله ، وأدرك عمر بفراسته ما يجول بخاطره فقال لرسول قيصر : إنى أستطيع بقدرة الله أن أقلب قيصر من فوق عرشه بإشارة من هذه الدرة وشد الدرة من منطقته وحركها ناحية الروم فظهرت قطرة من الدم فى طرف الدرة وفى نفس الوقت انقلب قيصر الروم من فوق عرضه وأسلم الروح . وسجل الناس تاريخ ذلك اليوم فتبين أن قيصر انقلب من على عرشه وأسلم الروح فى نفس الوقت الذى حرك فيه عمر رضى الله عنه درته (تعليقات رضوى ٣٤٦ - ٣٤٧) .

٣٠٨٩ - أى أنه فى شدة سيدنا عمر فى الدين وهيبته بقى الورد فى وقت الربيع حقيرا ملقيا به على التراب ، وأسرعت الحير راكبة للفرار من سيدنا عمر رضى الله عنه .

٣٠٩٥ - قصة سارية والجبل من كرامات عمر رضى الله عنه المشهورة أنه بينما كان يخطب الجمعة فى مسجد المدينة قطع الخطبة فجأة وصاح من فوق المنبر « يا سارية الجبل » وكررها ثلاث مرات ثم عاد إلى خطبته .. وأخذ الناس يتناقلون الأمر متعجبين وهم يظنون بعمر رضى الله الظنون ونقل عبد الرحمن بن عوف ما يتداوله الناس إلى عمر فقال : رأيت فى ذلك الوقت من فوق المنبر أن سارية قائد المسلمين فى قتال الفرس وصحبه يقاتلون العدو بالقرب من جبل والعدو يحيط با المسلمين فصحت به ليحتمى بالجبل .. ومرت عدة أيام فإذا بخطاب يصل من سارية بأنه بينما كانوا يقاتلون العدو والعدد غالب عليهم إذ سمع صوتا ينادى يا سارية الجبل وتكرر الصوت مرتين .. فلجأنا إلى الجبل وأصلحنا من أمورنا وشددنا على العدو فكتب الله لنا النصر (شرح التعرف ٣/ ٦) وإلى نفس هذه القصة أشار مولانا جلال الدين فى الكتاب الثالث (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث من المثنوى لكاتب هذه السطور البيت ٥١٦ وشروحه) .

٣٠٩٦ - إشارة إلى قيام سيدنا عمر رضى الله عنه بإقامة الحد على ولده (أبى شحمة) وفحوى الرواية أن أبا شحمة كان يشكو مرضا .. فأعطاه يهودى خمرا على أنها دواء ، فشربها وسكر وخرج من بيت اليهودى فدخل بستانا فوقعت أنظاره على فتاة حسناء فوقع عليها وجامعها وحملت الفتاة وبعد أن وضعت حملها حملة وذهبت به إلى عمر رضى الله عنه . واستجوب عمر ولده فاعترف بما ارتكب .. وأمسك عمر بولده من يده وجاء به إلى المسجد ليقيم عليه الحد الشرعى وحاول الصحابة الشفاعة وعرض عثمان رضى الله عنه ألفا من النوق الحمر عوضا وتعهد كل من الصحابة بأن يقدم عشرة جمال .. ولم يقبل عمر الشفاعة فى حد من حدود الله على ولده .. وأقام الحد وفى خلال اقامته له أسلم أبو شحمة الروح وعليه عشرة جلدات أقامها عمر رضى الله عنه على جثة ولده .. (تعليقات ٣٤٩ - ٣٥٠) .

٣١١٨ - لمعلومات أكثر عن سعد بن أبى وقاص وعمرو بن معد يكرب رضى الله عنهما انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة (٢/ ٢٩ و ٤/ ١٣٢) .

٣١٢٠ - ٣١٢٩ : انظر شروح البيت ٣٠٩٥ .

٣١٣٨ - أبو عمرو كنية عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يكن بها قبل الإسلام ولما انجب ولده عبد الله من رقية بنت الرسول رضى الله عنها تكنى به .

- « أمن هو قانت آناء الليل وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » .
- عين الإيمان عثمان بن عفان مجهز جيش العسرة : سيرد الخبر فى شرح الأبيات .
- استحييت من عثمان بن عفان : فى مسند أحمد (١/ ١١) : إنما استحيى ممن تستحى منه الملائكة .
- الحياء من الإيمان وعثمان عين الحياء : ورد فى الجامع الصغير ١/ ١٢٨ .
- أنا مدينة الحياء وعثمان بابها : انظر تحقيق الأحاديث الواردة فى صدر الفصل الخاص بأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

٣١٣٩ - لا تزال مشكلة الخلافة وما جرى فيها من خلاف بين السنة والشيعة وظلت تلقى بظلالها عبر عصور التاريخ الإسلامى الممتدة ، لا تزال المشكلة تسيطر على سنائى ، فإذا به يقدم لتناول شخصية عثمان بن عفان رضى الله عنه بهذا البيت الذى يعتذر فيه عن عدم تولى على رضى الله عنه الخلافة بعد عمر بأن عليا رضى الله عنه لم يكن فيه « نقص » ما يمنعه من الخلافة اللهم إلا قضية السن .

٣١٤٠ - ٣١٤٧ : الإشارة هنا فى الشطرة الأولى إلى جلوس عثمان بن عفان رضى الله عنه على الدرجة التى كان يجلس عليها الرسول عليه السلام من درجات المنبر وكان أبو بكر قد نزل درجة ونزل عمر درجتين .. وعند مولانا جلال الدين تفسير شيق لهذا

التصرف (انظر مثنوى مولانا جلال الدين - الكتاب الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٤٨٧ - ٤٩٥ وشروحها أما الشطرة الثانية ففيها تفسير آخر من مولانا جلال الدين انظر الأبيات ٤٩٦ - ٥٠٠ وشروحها من نفس الكتاب الرابع) والرواية الواردة فى هذا المجال أنه صعد - رضى الله عنه - على المنبر وظل ساكتا طويلا ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى نطقا وإنكم إلى امام فعال أحوج منكم إلى امام قوال .. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » وفى رواية ثانية أنه صعد إلى المنبر رضى الله عنه وقال « الحمد لله » ولم يرد وفى رواية ثالثة أنه قال « أول كل مركب صعب وأن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم إلى امام عادل أحوج منكم إلى امام قائل وأن أعش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى وفى البيت ٣١٤٢ يفسر سنائى سكوت عثمان رضى الله عنه وذلك تهيبا من الوقوف موقف الرسول عليه السلام وفوق منبره .. فأى عقل يمكن أن يتحمل أن يطلب منه أن يكون فى موضع عقل الرسول عليه السلام ؟! وأية روح تتحمل أن يطلب منها أن تكون فى موضع روح الرسول .. ثم إن عثمان رضى الله عنه - فى تفسير لأبى المجد سنائى - أحس وهو يجلس على نفس الدرجة التى كان الرسول عليه السلام يجلس عليها بافتقاده للرسول ﷺ .. وأحس - ربما لأول مرة - أن هذا الهادى الذى كانوا جميعا يلقون بأحمالهم عليه قد غاب .. ويواصل سنائى : أى خطيب هذا الذى يستطيع أن يجلس مجلس الرسول ويتحدث مثله .. أليس من المعقول بالفعل أن كل هذه الأفكار كانت تدور فى خلد عثمان رضى الله عنه وهو يقف على منبر الرسول ﷺ ، والمسلمون ينتظرون منه الخطبة والموعظة ؟!!

٣١٤٨ - ورد عن السيوطى فى تاريخ الخلفاء (ص١٥٣) : إن الملائكة تستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله » وأورد السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٨) : عثمان حيى تستحى منه الملائكة (ورد أيضا فى كنوز الحقائق ٢/ ١٠ وكنوز الأبصار ٩٦) وهناك أحاديث أخرى فى هذا المعنى وردت فى صحيح مسلم ومسند أحمد ١/ ٧ ومفتاح كنوز السنة ص٣٣٧) .

٣١٤٩ - ٣١٥٠ : خصال عثمان الثلاثة هى أصول الدين وهى : الحياء والحلم والسخاء والشطرة الثانية إشارة إلى ابتداء عثمان رضى الله عنه بالزواج من رقية بنت الرسول رضى الله عنها فلما توفيت تزوج أختها أم كلثوم .. يقول السيوطى (تاريخ الخلفاء ١٤٨) : « قال العلماء : ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذلك سمى ذا النورين » .

٣١٥١ - ٣١٥٧ : يلخص سنائى تلخيصا معجزا فى هذا البيت السبب فى مأساة عثمان بن عفان رضى الله عنه .. وهو ما أجمع عليه المؤرخون .. كان عثمان رضى الله عنه شيخا جليلا حليما به رقة كانت ضرورية بعد الشدة التى أخذ بها عمر رضى الله عنه نفسه والمسلمين ، لكنها كانت خطرة إذ تلقفها بنو أمية أقارب عثمان واعتبروا الخلافة فيئا مستباحا لهم .. فما كان عثمان يستطيع أن يمنعهم وهو يراهم عدته وعزوته .. واستغلوا هم إلى أبعد الحدود هذا الموقف لتحقيق المكاسب من ورائه .. ووضع عامة المسلمين الذين لم يكونوا قد نسوا مواقف بنى أمية بعد موضع المواجهة وهكذا تضافرت هذه الظروف .. لكى يوضع المسلمون فى فتنه من أشد فتن تاريخهم حساسية .. ولعل فيما رواه ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة (١/ ٣٥- ٣٦) ما يدل على هذا فقد كتب تحت عنوان ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله أن جماعة من المسلمين اجتمعوا وكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وأنهم ساروا إلى عثمان رضى الله عنه بهذا الكتاب ، وفى الطريق تراجعوا جميعا ما عدا عمار بن ياسر رضى الله عنه ، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أميه فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : نعم قال : ومن كان معك ؟ قال كان معى نفر تفرقوا فرقا منك .. فقال مروان : يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود يعنى عمارا قد جرأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان إضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم .

٣١٦١ - مضمون الشطرة الأولى مأخوذ من الحديث النبوى « الحياء من الإيمان وعثمان عين الإيمان » وورد عن أبى هريرة فى الجامع الصغير (١/ ١٥٣) كما ورد الحياء من الإيمان فى كنوز الحقائق (١/ ١٢٢) وروى ابن عساكر فى تاريخه حديثا عن أبى هريرة رضى الله عنه بنفس هذا المعنى « الحياء من الإيمان واحيى امتى عثمان » وفى صحيح مسلم « الحياء شعبة من الإيمان » وهناك أخبار كثيرة حول حياء عثمان رضى الله عنه ومنها حكاية عن الله سبحانه وتعالى « استحييت من عثمان بن عفان » وهناك خبر آخر هو « انا مدينة الحياء وعثمان بابها » ومن الواضح أن الحديث الأخير من الأحاديث الموضوعة .

٣١٦٥ - جيش العسرة هو الجيش الذى أعده النبى ﷺ لغزوة تبوك وسمى بهذا الإسم لأنه جيش فى سنة قحط وعسر . وانفق فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه الكثير وورد « وجهز - رضى الله عنه - جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا باحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسا » وروى الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب أنه قال « شهدت النبى عليه السلام وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها واقتابها » أى بما يوضع تحت سروجها ، وقيل اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين مع الخلق حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة « حليه الأولياء ١/ ٥٨ - ٥٩ » .

٣١٧٧ - ٣١٩٠ : لست أجد تلخيصا عميقا لنظرة شاملة للتاريخ الإسلامى بقدر ما هو موجود فى هذا البيت بل وفى شطرته الثانية بالذات « وحياؤه سبب الدولة الأموية » .. فهو الذى ثبت معاوية على الشام حياء ، وسمع أن معاوية يعد الشام مركزا للوثوب على كل الدولة .. وسكت حياء وتجمع الأمويون حوله يتفعون من خلافته ويؤذونه بتصرفاتهم وهو ساكت حياء (انظر أيضا شروح البيت ٣١٥١ . وفى البيت ٣١٩٠ يحاول سنائى جاهدا أن يمحو عن عثمان رضى الله عنه أى دور إيجابى فى الوصول بالفتنة إلى ذروتها ... لقد كان حييا يواجه جماعة من المتوقحين الذين يورطونه بأفعالهم التى تحسب عليه ، ويشيرون عليه فيسيئون المشورة .. وكان الشهيد الشيخ يعلم أين يوجد الخطأ وأين يوجد الصواب ، فقد كان ذا عقل يميز الخير من الشر ، وكانت مرآة قلبه مجلوة .. لكنه كان يتقبل الشر لقضاء محتوم كما يتقبل الخير .. كان الشياطين يتحلقون حوله .. وكان الباطل يحيط به .. ولم يكن منه ، وكان مستقها يحيط به المعوجون وهم أقوى منه ..ولا يستطيع لهم دفعا .. ومن ثم يخلص بعد كل هذا الدفاع المجيد : لم تكن منه الفتنة .. ولم يكن منه الحقد .. بل كان من أولى قرباه ومن عصبته .. وليست المرة الأولى أو الأخيرة فى التاريخ الذى تكون فيه الخيانه من الحاشية ومن الأتباع ومن الأقارب الذين يتظاهرون بالخوف على الحاكم وهم فى الحقيقة يخافون على أنفسهم وعلى مصالحهم وعلى ما يحققونه من مكاسب .. وفى النهاية يدفع الحاكم الثمن .. ويرثونه .. أو على الأقل يفرون بالغنيمة هى طبيعة الحكم وطبيعة الساسة .. لا دخل للإسلام هنا .. بحيث يجد أعداء الإسلام الموضوع تكئه للهجوم على الإسلام والهجوم على الخليفة الثالث .. والهجوم على شخصية من أعظم شخصيات الإسلام طرا .. كان يخرج عن كل ماله مرات عديدة من أجل الإسلام ومن أجل المسلمين ومن أجل فقراء المسلمين .. ومع ذلك لم ينج فى زمننا الأسود من هجوم من يتاجرون بدفاعهم المزعوم عن الإسلام فى كل محفل .. وخروج « المليم » من جيب أحدهم فى سبيل الإسلام أهون منه نزع الروح .. ولا يزال الكثيرون يتساءلون : أما كان من الأوفق أن يتنازل عثمان عن الخلافة حقنا لدمه وحقنا لدماء المسلمين ؟! ولست أظن أن عثمانا رضى الله عنه لم يسأل نفسه هذا السؤال لكنه كان يواجه موقفا لم يواجهه أحد من قبله ، ولم تتعرض له الشريعة ، وكان شأنه شأن كل الصحابة الذين عايشوا الرسول عليه السلام يخشى أن يضع فى الإسلام ما ليس فيه ، ولا شك أن الأمر لم يكن يهمه هو بشخصه .. فقد كان شيخا فانيا لن يستقل من عمر أكثر مما استدبر ، وما قوله « لا أخرج عن قميص قمصنيه الله » إلا مرادفا لقوله أنه لا يتزل عن نعمة أنعمها الله عليه .. وكان يخشى لو أنه فعل أن يتعرض كل حاكم من بعده لأقل هفوة لمن يخرج عليه طالبا منه التنزول عن الحكم .. فضلا عن أن المؤامرات من حوله لم تكن تترك له فرصته التفكير ولم يكن حوله مستشارون .. ووجوه الأمه وعقلاؤها قبعوا فى البيوت نائين بأنفسهم عن « الفتنة » .. وكانت الأيدى والعقول المستفيدة .. والتى وصلت بالفتنه إلى قمتها تقوم بيا يدفعها إلى نهاية الطريق .. ذلك أنها كانت فى انتظار سقوط الثمرة .. ترى هل كان الأمر سيتغير أو كانت النتائج ستتبدل لو أن عثمانا رضى الله عنه استقال أو تنازل عن الخلافة (نزولا على إرادة الجماهير وتحقيقا لمبادىء الديمقراطية !!) ؟! لست أظن .

٣١٩٧ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة ١٣٧) والاشارة هنا إلى أن الدم الشريف عندما سفك كان عثمان رضى الله عنه يقرأ القرآن الكريم .. وسال دمه على موضع هذه الآية من المصحف .

٣٢٠٣ - ٣٢٠٦ : لما بلغ على بن أبى طالب رضى الله عنه وثوب أهل مصر على محمد بن أبى بكر واعتمادهم إياه قال : ما لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذى عزلنا عنها يعنى قيسا أو مالك بن الحارث يعنى الأشتر . وخرج الأشتر من عند على فأتى رحله وتهيأ للخروج إلى مصر وعلم معاوية بولاية الأشتر - ودس له السم فى الطعام وهو فى القلزم فقضى عليه . وعلم معاوية فخطب قائلا : أما بعد فإنه كان لعلى بن أبى طالب يدان يمينان قطعت احداهما يوم صفين يعنى عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعنى الأشتر .. ووجد محمد بن أبى بكر على على رضى الله عنه توليته للأشتر .. وكان معاوية يجد فى الاستيلاء على مصر لعلمه بأن ولاءها لعلى رضى الله عنه فسير إليها عمرو بن العاص فى جيش لجب .. وكان يطمع فى ولايتها مدى عمره .. وهزم محمد بن أبى بكر ولجأ إلى خرابة . فقتل فيها صبرا وأدخل فى جوف حمار ثم أحرق بالنار . (تاريخ الطبرى مجلد جـ٥ ص ٤٩ - ص ٥٥ من طبعة مؤسسه عز الدين ط ٢ ١٩٨٧ م) .

٣٢١٢ - ٣٢١٣ : هذان البيتان من أكثر أبيات الحديقة اثارة للجدل وبخاصة البيت الثانى الذى يقول فيه أن مدح الإمام على رضوان الله عليه هو المدح على الاطلاق الذى لا يوجد فيه شرط ولا قيد .. ومن ثم فكأنه يرى أن كل المدائح التى مرت انا هى مدائح « مقيدة » ، وأنها الباطل الذى زهق ، وأن عليا رضى الله عنه هو الحق الذى جاء بعد أن زهق الباطل وعلى هذا المعنى فسره نور الله الشوشترى وسلك سنائى بها فى سلك الشيعة متناسيا حديثه عن الشيعة فى أكثر من موضع من الحديقة مهاجما اياهم ، متحدثا عنهم باللقب الذى يكرهونه وهو « الروافض » .. ويرى عبد اللطيف العباسى شارح الحديقة أنه إذا جاز لنا أن نعتبر مديح عثمان وعمرو

وأبى بكر رضى الله عنهم - بناء على هـذا البيت من قبل الباطل الذى زهق ، جاز لنا بالتالى أن تعتبر كل ما سبق من تحميد لله سبحانه وتعالى وتمجيد للرسول ﷺ وتناول للقرآن من قبيل الباطل وهو مـالا يعقل هذا من ناحية .. ومن ناحيـة أخرى يمكن اعتبار البيت من قبيل المبالغـات الشعرية وقد استخـدم نفس المعنى فى مدحه لدولتشـاه بن بهرا مشاه فتراه كان يرى أن مـدحه لدولتشاه وهـو قبيل آخر الحديقة هو الحق وأن ما قدم به هو الباطل ؟! (عن تعليقات رضوى ٣٥٧) .

- من أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى :

- إنما وليكم الله ورسوله والذيـن آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الـزكاة وهم راكعون « المائدة / ٥٥ » قيل فى على رضى الله عنه وقال ابن كثير بل فى عبادة بن الصامت الذى تبرأ من حلف اليهود ١/ ٥٢٨ مختصر تفسير ابن كثير .

- ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا « الإنسـان ٨ » قال ابن كثير عن البيهقى عن نافع أاه عبد الله بن عمر اشتهى العنب وهو مريض واشتراه ثلاث مرات وتصدق به ٣/ ٥٨٢ من مختصر تفسير ابن كثير .

- يا على أنـت منى بمنزلة هـرون من موسى إلا أنـه لا نبى بعدى : روى أبـو نعيم فى حلية الأوليـاء (٤/ ٣٤٥) من حبشى بن جنادة وفى نفس الكتاب (٧/ ١٩٦) بطرق عدة عن سعيد بن المسيب الذى روى عن سعد أن الرسول عليه السلام أناب عنه عليا على المدينة فى غـزوة تبوك .. ولم يكن على راضيـا بهذا الأمر وسـاءه أن يتخلف عن ركب رسول الله فقـال له على رضى الله عنـه « اتخلفنى فى النسـاء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » .

- اللهم وال من والاه وعاد من عاداه : فقرة من خطبة غدير خم الشهيرة التى يعتبرها الشيعة تعيينا صريحا ونصبا لعلى رضى الله عنه فى خلافـة الرسول ﷺ ، بينما ينقلها أهل السنة ويعترفون بها .. إلا أنهم يستبعـدون تماما أن تكون توصية بـالخلافة ، ويرونها قسما من أحاديث المناقب التى لم يخص بها الرسول عليه السلام أحدا من صحابته ، كما يرون أن أمر الخلافة كان أهم من أن يعبر عنه فى عبارات لا يستوحى منها التوصية بالخلافة إلا بمقدار ضئيل جـدا .. وتطول حجج الفريقين بحيث يصعب عرضها فى هذا المجال الضيق وفيها مطولات فى التراث الشيعى فهى حجر الزاوية فى التشيع أى حادثة الغديـر .. والواقع أن الأمر لو صح كما يتصوره الشيعة لما وثق بعدها مسلم فى شىء .. إذ لم يكد يمر على خطبة الغدير فترة قصيرة من الزمن تقل عن العام الواحد حتى انتقل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ، ثم كان ما كان من أمـر السقيفة على ما هو مشهور ومعروف ولنا أن نتسـاءل هذا السـؤال أو هذه الأسئلة بمعنى أصح : كم كان مع الرسـول عليه السـلام فى غديـر خم من الصحابة واستمعوا إلى هـذه الخطبة ؟ ومن كـان مع الرسـول عليه السـلام ؟! وأليسـوا هم أنفسهم الذين كـانوا حـاضرين فى السقيفة ؟! وهل يجوز لنـا أن نفترض فيهم جميعا - وفيهم كبار الصحـابة والمبشرين بـالجنة - كتمان شهـادة سمعوهـا وسكوتهم على حق عـاينوه ؟! وهل يجب أن نفترض فيهم جميعـا ترك الحق والميل إلى البـاطل ؟! وكيف نتصور مجـرد تصـور .. أنه لا يوجـد من بين كل هؤلاء العظماء واحد .. واحد فقط يخرج على المجتمعين فى السقيفة ليقول لهم : فيم تتنـافسون يا قوم وقد حسـم الرسول عليـه السـلام الأمر فى غدير خم ؟! كيف نتصور أن يسكت على رضى الله عنـه عن حق يعلم أنه له بالنص ولا يخرج على الناس مطالبا اياهم أو مذكرا اياهم بغدير خم على الأقل ؟! وهب أنه كان مشغولا بتجهيز الجسـد الطاهر للدفن فهل استغرق هذا التجهيز كل ما استغـرقه اجتماع سقيفة بنى ساعدة ؟! وكيف لم يـؤثر عن على رضى الله عنه أى قول يفهـم فيه أنـه سلب حقا أو أن حقه أنكر عليه اللهم إلا فى خطبه ضـد الخوارج وضد بنى أمية فى فترة خلافته ؟! لو أن مسلـما صدق الشيعـة فى مزاعمهم فما الذى يتبقى له لكن يثق فيـه أو أن يطمئن إليه وهـو يـرى أن كل من وصله الإسلام عن طـريقهم .. وكل من قـاتلوا فى سبيل الإسـلام وآووا أو نصروا وضحوا بأموالهم وأرواحهم سكتوا عـن الحق وباعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ؟! وإذا كانت خطبـة غدير خم تكفى وتفيض من أجل النص على ولاية على .. فلماذا يدعون هم أنفسهم في ما يسمونه برزية (أى مصيبـة) يوم الخميـس أن الرسول عليه السـلام عند احتضاره طلب قرطاسا وقلما ليكتب للناس ما لا يضلون من بعده أبدا .. وأن عمر رضى الله عنـه تجاهل الطلب وأغلظ عليـه ﷺ فى القـــول .. وقـــال « هجر رسـول الله » حتى ضـاق بهم جميعا الرسـول وقال لهم إليكم عنـى أو انصرفوا عنى .. ويقـول الشيعة : أن رسـول الله كان يـريد القرطـاس والقلم ليكتب بولاية على رضى الله عنه .. ودعك من كـان يريد » و « كـان فى نيته » فالشيعة يقيمـون كثيرا من أفكارهم على النوايا » التى لم تثبت .. إذا كان يريد القرطاس والقلم لهذا الأمر .. فماذا كانت فائدة غدير خم اذن ؟!

- من كنت مولاه فعلى مولاه : فقرة من خطبة غدير خم السالفة الذكر .

- ورد البيتان - « مع تغير فى بعض المصادر فى الشطرة الأولى من البيت الثانى : وبان الزيف والـذهب المصفى - فى الفصول المهمـة لابن الصباغ المالكى الفصل الخامس والكنـز المدفـون والفلك المشحـون للسيـوطى ص٩٤ ونـور الأبصـار للشبلنجى ص١٢٩ وكتاب النص ص٤١٢ وتفسير أبى الفتوح الرازى ج/ ١ ص٤٢٩ . (عن تعليقات رضوى ٣٦١) .

– أنا مدينة العلم وعلى بابها : سترد فيما بعد .

٣٢١٨ – يقترب هنا من قضيـة اسلام أبى طالب (والشيعـة يعتبرونه مسلما) فى حين يرى سنائى أن مـوقف على رضى الله عنه من أبيه يشبـه موقف ابراهيم عليه السـلام من أبيه « فلما تبين له أنـه عدو لله تبرأ منه » وهـو موقف أهل السنة عمومـا .. أما التسليم فى الابن فيقترب كثيرا من رأى الشيعة الـذين يروون الروايـات الطوال حول أن عليا رضى الله كـان يعلم قبل وفاته بمصير ولـديه رضى الله عنهما جميعا . وفى الشطرة الأولى من البيت ٣٢١٨ كرر نفس المعنى .

٣٢١٩ – فى البيت هنا اشارة إلى قضيـة أخرى من قضايا الخلاف : وهى هل علم الـرسول عليه السلام عليـا رضوان الله عليه علما خص به على سـائر المسلمين ؟! يرى الشيعة أن الرسـول علم عليا تأويل القرآن .. ولهم رواية مشهـورة عن « خاصف النعل » أى على الذى يقاتل المسلمين على تأويل القرآن كما قاتل الرسول عليه السلام الكفـار على تنزيله .. وسنائى هنا ينكر تماما أن يكون الرسول ﷺ قد خص أحدا .. أو خص عليا بعلم التأويل .. لكنه تفقهه وعلمه انكشف التنزيل على قلبه .

٣٢٢١ – الحديث أى العلم والحديد أى القتال والبأس .

٣٢٢٣ – لمولانا جلال الـدين الرومى حكاية فى المثنوى تتنـاول هذا المعنى عن القاء سيدنا على السيف من يـده عند تمكنه من خصم كان قد بصق فى وجهه مخافة أن يتهم بأنه قتله غضبا « انظر مثنوى مولانا جلال الدين الرومى .. الكتاب الأول .. الترجمة العربية لمحمد عبد السـلام كفافى الأبيات ٣٧٢١ – ٣٧٢٥ والأبيات ٢٧٧٣ وما بعده وشروحها » .

٣٢٢٦ – « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (الأنفـال / ١٧) والمقصود بالطبع أن الفاعل هـو الله على العموم .. وأن عليا على الخصوص مـا كان يضرب إلا خضـوعا لأمر الله وقـد تكرر هذا المعنى بتفصيـلات طريفـة فى مثنوى جلال الـدين خلال الحكـاية المذكورة فى شرح البيت ٣٢٢٣ .

٣٢٢٩ – آل صخر هم آل ابى سفيان أو بنو أمية .

٣٢٣٠ – هنا خلط بين تاريخ الإمام على الثابت وبين الخوارق التى نسبت إليه رضى الله عنه بين أبطال اسطورين كمرة وعنتر .

٣٢٣١ – ٣٢٣٤: الأبيات إشارة إلى اقتلاع الإمام على رضى الله عنه لبـاب خيبر قلعة اليهود فى رواية شهيرة . وردت تفصيلاته فى شرح البيت ٣٣٢٩ من هـذا الكتاب وانظـر أيضا سيرة ابن هشـام القسـم الثانى ص ٣٣٥ من ط . البـابى الحلبى بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابيـارى . القاهـرة ١٩٥٥ .

٣٢٣٩ – ذو الفقار هو اسـم سيف الإمام على رضى الله عنه كان لمنبـه بن حجاج فى بدر وحارب بـه ابنه العاص المسلمين فلما قتله على رضى الله عنه أحضر سيفه إلى الرسول عليه السـلام فمنحه عليه . وفى رواية أنه ظل مع النبى ﷺ، وأنه أعطاه لأبى دجانة بعد أن طلبه أبـو بكر وعمر وعلى رضـوان اللهم عليهم ولم يعطه أحـدا منهم . وقيل أن وسط هذا السيف كـان يشبه فقرات الظهـر ولذلك سمى ذو الفقار . واستخدمه الرسول عليه السـلام فى كل حروبه . وقيل أن أصلـه قطعة من الحديد كانت مدفونة تحت الكعبة . قال ابن اسحق : وفى يوم أحد هبت ريح شديدة وسمع هاتف يقول :

لا سيف إلا ذو الفقار ، ولافتى إلا على

فإذا نديتم هالكا ، فابكوا الولى بن الولى

(تعليقات رضوى ٣١٧ عن تـاريخ ابن الاثير جـ٢ ص١٢٠ ونور الأبصار فى منـاقب آل بيت النبى المختار للشيخ الشبلنجى ص٦٨ وكتابـه استيعان الراغبين فى سيرة المصطفى وفضايل أهل بيتـه الطاهرين للشيخ محمد الصبـان ص١١٢ والجامع الصغير جـ٢ ص١٢ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص٦٦) .

٣٢٤٤ – يرجع الصـوفية كثيرا من مـواجيدهم ومقـاماتهم وأحـوالهم إلى الإمام على رضى الله عنه ، بل ويضيـف معظمهم إليه وضع كثير من أصول الطريق وليـس الخوف والرجاء المذكورين فى البيت تحسب وينقل صاحب اللمـع عن الجنيد فى شأن الإمام على : لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا فى علمنا ، كما يرى أنه من أقواله يـستنبط الصوفية كثيرا من اشارات التوحيد والمعرفة والإيمان والعلم كما يستشهد كثيرا بقوله رضوان الله عليه « عرفت الله ببطن جائع وجسد عار » (اللمع للسـراج الطوسى ص١٢٩ ى ص١٣١) .

٣٢٤٩ – ورد فى مسند أحمد بن حنبل وفى الصحـاح السته ومناقب الخوارزمى والفصول المهمـة لابن الجوزى أن عليا رضى الله عنه كان من القلة القليلة التى صمدت مع الرسول عليه السـلام فى أحد تذود عنه عليه السـلام عندما دارت الدائرة على المسلمين (وقبل بل على وحده رضى الله عنـه) دفع إليه الرسـول عليه السـلام بـذى الفقار وتمضى الروايـة فتقول : إن جبريل عليه السـلام نزل فى ذلك

الوقت قائلا : أن الملائكة تعجب من فعل على معك اليوم فقال الرسول عليه السلام « على منى وأنا منه » وفى ذلك اليوم تردد من الضحى إلى العصر صوت بين السماء والأرض يقول « لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار » وتتعدد الروايات فى هذا المجال فمن قائل أن قائل العبارة هو رضوان ، ومن قائل أن قائلها هو جبريل عليه السلام فى عروجه إلى السماء .. وبالرغم من أن كبار أئمة السنة والجماعة رووا هذا الخبر بطرق مختلفة إلا أن صاحب اللؤلؤ المرصوع قال أن الحديث كله موضوع وهناك رواية أخرى فريده فى تفسير كشف الأسرار أن العبارة قيلت تعليقا على بذل على رضى الله عنه سائلا مالا وطعاما (عن تعليقات ٣٦٣ - ٣٦٥) .

٣٢٥٠ - انظر شرح البيت ٣٢٣٩ فى هذا الكتاب .

٣٢٦٠ - فى رواية للأبشيهى فى المستطرف « كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه ، وكانت درعه صدرا لا ظهر له فقيل له : اما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك ؟ فقال : إذا مكنت عدوى من ظهرى فلاأبقى الله عليه إن أبقى على » (عن تعليقات رضوى ٣٦٨) ودارت حكاية أخرى فى الحديقة حول هذا الموضوع (انظر الأبيات ٥٦٩٣ وما بعده) .

٣٢٦٢ - هذا تفسير جديد تماما لرواية يوم الغدير (انظر المناقشة كاملة فى صدر هذا الفصل) فالنيابة التى أولاها الرسول عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه يوم الغدير هى ولاية علمية وهى نيابة على الشرع (لا على الحكم) .

٣٢٦٩ - « أنا مدينة العلم وعلى بابها حديث نبوى شريف روى بطرق مختلفة « أنا دار العلم وعلى بابها » « أنا دار الحكمة وعلى بابها » « أنا مدينة الفقة وعلى بابها » « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه » أو « من أراد المدينة فليأتها من بابها » واعتبر السيوطى الحديث حديثا موضوعا .

٣٢٨٧ - اشارة إلى قول نسب على إلى على رضى الله عنه هو « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » .

٣٢٩٣ - قنبر هو اسم غلام الإمام على رضى الله عنه .

٣٢٩٤ - « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل إليك وما أنزل من قبلك (النساء / ١٦٢) و « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » (آل عمران / ٧) والمقصود فى البيت هو الآية الواردة فى سورة آل عمران .. وفى رواية عن ابى عبد الله رضى الله عنه « نحن الراسخون فى العلم ونحن نعلم تأويله » (عن تعليقات ٣٧٤) .

٣٢٩٩ - اشارة إلى حكاية سترد فيما بعد .

٣٣٠٧ - ابو تراب من أسماء الإمام على رضى الله عنه . روى أن الرسول عليه السلام دخل المسجد فوجده نائما على الأرض وقد لحق التراب بثوبه فأيقظه عليه السلام وهو ينفض عنه التراب قائلا « قم أبا تراب » .

٣٣٠٨ - اشارة إلى قول منسوب إلى الإمام على رضى الله عنه « لم اعبد ربا لم أره » (تعليقات ٣٨٥) .

٣٣١٤ - اشارة إلى تآخى الرسول عليه السلام وعلى رضى الله عنه بعد الهجرة إلى المدنية عند مؤخاة المهاجرين والأنصار .

٣٣٢١ - اشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ (الإنسان / ٧ - ٨) ويتفق المفسرون على أن الآيتين نزلتا فى شأن أمير المؤمنين على رضى الله عنه وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم والجارية التى كانت لديهم وفحواها أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا وزارهما الرسول عليه السلام وقال لعلى رضى الله عنه « يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا » ونذر على رضى الله عنه للرحمن صوما ثلاثة أيام وهكذا نذرت فاطمة رضى الله عنها ونذرت الجارية .. وعند توفية النذر لم يكن عندهم من القوت شيء فاقترض على رضى الله عنها ثلاث صاعات من الشعير من يهودى وطحنتها فاطمة وصنعت منها فاطمة خمسة اقراص من الشعير للافطار .. وفى اليوم الأول طرق عليهم عند الافطار مسكين الباب فاعطوه الطعام وفى اليوم التالى طرق عليهم يتيم الباب فاعطوه الطعام وفى اليوم الثالث طرق عليهم أسير الباب فأعطوه بدوره الطعام وطووا (واصلوا الصيام) ثلاثة أيام متالية فنزلت الآية الكريمة . ومع اجماع المفسرين على الخبر فى تفسير الآيات إلا أن السيوطى انكره فى اللآلى المصنوعه واعتبره موضوعا .

٣٣٢٩ - خيبر موضع مشهور على بعد ٩٦ ميل من المدينة فى طريق الشام . وهى ولاية كانت تحتوى على سبعة حصون استولى عليها الرسول عليه السلام من اليهود . وفحوى الرواية أن الرسول ﷺ حاصر الحصن وكان أقوى حصون اليهود عشرة أيام .. وذات يوم أعطى الراية لأبى بكر رضى الله عنه وكر المسلمون على الحصن لكنه لم يفتح .. وفى اليوم التالى أعطاه لعمر رضى الله عنه وجاهد كثيرا لكن الحصن لم يفتح فقال الرسول « والله لأعطين اللواء غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه ليس بفرار » وفى اليوم التالى استدعى عليه السلام عليا رضى الله عنه ، وكان مرمدا ، فنفخ فى عينيه ، واعطاه اللواء قائلا : خذه يفتح الله به عليك ذهب على ودق

اللواء على باب حصن خيبر . قال أبو رافع : جاهدت مع سبعة من صناديد العرب على تحريك الباب من مكانه فلم نستطع إلا أن عليا مديده على الباب فاقتلعه والقى به بعيدا .. وكانت حلقة الباب وحدها تزن أربعمائة من .. وبعدها جادل على أن يحرك الحلقة من الباب المخلوع فيم يستطع فقال « ما قلعتها بقوة جسمانية بل قلعتها بقوة ربانية » (سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٤) .

٣٣٣١ - اشارة إلى رواية رد الشمس لعلى رضى الله عنه حتى لا يتحسر على فوت الصلاة لوقتها وهو حديث ذكره الدولابى عن الحسين بن على قال : كان رسول الله ﷺ فى حجر على وهو يوحى إليه فلما سرى عنه قال : يا على صليت العصر قال لا : قال اللهم أنه كان فى حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس فردها عليه فصلى وغابت » وقال علماء الحديث : بل موضوع ولا أصل إليه فإن الشمس لم ترد لأحد بل توقفت عن الغروب من أجل يوشع بن نون فحسب . وذكر جلال الدين السيوطى فى اللآلى المصنوعة الحديث مرويا عن ابن منده عن فاطمة بنت الحسن عن أسماء بنت عميس كشاهده على الحادث كما ورد فى كتاب شواهد النبوة أن الله سبحانه وتعالى رد الشمس من أجل على رضى الله عنه مرتين إذ روى عن أم سلمه وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله الأنصارى وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كانت ذات يوم فى منزل على ونزل عليه الوحى فاتكأ على فخذ على .. إلى آخره .. أما المرة الثانية فبعد وفاة الرسول عليه السلام .. كان على رضى الله عنه متوجها إلى بابل فى جمع من أصحابه وكان يريد عبور الفرات ، وفى ذلك الوقت غابت الشمس ، وفاتتهم صلاة العصر وعادت الشمس بدعاء على رضى الله عنه فصلوا ثم غابت (!!) وقيل أن الشمس عادت لأكثر من شخص منهم سليمان عليه السلام (عن تعليقات ص ٣٨٠) .

٣٣٣٩ - « أما بعد . يا ابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان . وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو .. فانظر إلى ما تقضمه » (الهادى إلى موضوعات نهج البلاغة لعلى المشكينى ص ٣٢٧ - ص ٣٢٨ شهران ٣٦٣ هـ . ش) .

٣٣٤٠ - ٣٣٤٥ : لم أجد لهذه الحكاية أصلا فى الكتب المعتمدة .

٣٣٥٠ - ٣٣٥٢ : لم أجد لها أصلا .

٣٣٥٣ - العبارة واردة فى حديث ضرار بن ضمرة رضى الله عنه إلى معاوية فى وصف على رضى الله عنه « فاشهد ، لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرضى الليل سدوله وهو قائم فى المحراب قابض علي لحيته يتململ تململ التسليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا إليك عنى أبى تعرضت أم إلى تشوقت ، لا حان حينك ، هيهات : غرى غيرى لا حاجة لى فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة منها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير .. آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظم المورد » (نهج البلاغة باب المواعظ) كما ورد يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى » فى معظم كتب الصوفية » .

٣٣٦٣ - روى الزمخشرى فى ربيع الأبرار « جاء سائل إلى رسول الله ﷺ فقال له : هل سألت أحدا من أصحابى .. قال : لا قال فأتى المسجد فأسألهم فلم يعطوه شيئا فمر بعلى رضى الله عنه فسأله وهو راكع فناوله يده فأخذ خاتمه » (عن تعليقات رضوى ٣٨٤) .

٣٣٨٠ - ذو الخمار بكسر الخاء كنية عوف بن الربيع بن ذى الرمحين « لأنه قاتل فى خمار امرأته وطعن كثيرين فإذا سئل واحد من طعنك قال ذو الخمار » وكان كاهنا مشعوذا يبدى كثيرا من المخاريق . (تعليقات ٣٨٥) .

٣٣٩٥ - أى أن الإمام على رضى الله عنه ظل مقيما على أمور الشرع وتفسير القرآن والتبحر فى الفقه ووضع الأمور فى نصابها والعدالة بين المسلمين بحيث أن الأمر شق على أهله ومنهم عقيل بن أبى طالب أخيه الذى لجأ إليه فأعطاه سهما مثل سائر المسلمين ، فخرج إلى معاوية الذى اجزل له العطاء .

٣٣٩٨ - يلخص سنائى فى هذا البيت تلخيصا معجزا لا مأساة على بن طالب وآل البيت فحسب بل مأساة كل من يتمسك بما تمليه العدالة والشهامة والدين فى قتاله لخصم يعرف المداخل إلى الناس ويعلم من أين تؤكل الكتف ، ويمسك بنبض العالم .. وهى فكرة بنى عليها كثير من الباحثين المعاصرين فلسفة الصراع بين على ومعاوية وبين الحسين ويزيد .. فإذا كان الخلاف حول ملك الدنيا ، فلا تلبث الدنيا أن تنضم إلى طالبها .. ولا محيص لطالب الآخرة من مغادرتها .. وهذا هو معنى ما يذهب إليه سنائى من أن الدنيا كانت ضيقة وكان الرجل عظيما .

٣٣٩٩ - ٣٤١٢ : الحديث عنا عن موقعة الجمل التى حدثت سنة ٣٦ للهجرة فى أوائل خلافة على رضى الله عنه وكانت بين رضى الله عنه وطلحه والزبير اللذين نقضا بيعة على وسارا مع عائشة رضى الله عنها إلى البصرة فسار إليهما على وهزمهم وكان أتباع طلحة والزبير يقاتلون حول جمل عائشة رضى الله عنها حتى كاد المسلمون أن يهلكوا فأمر على بعقر الجمل . وسيرت عائشة إلى مكة فى

صحبة أخيها محمد بن أبى بكر وخفارته وخفارة عدد من النساء المتنكرات فى ملابس الرجال ، وكانت عائشة رضى الله عنها ساخطة طوال الطريق على على رضى الله عنه أنه « هتك سترها » بترحيلها فى حراسة رجال فلما وصلوا مكة كشف الحرس عن أنفسهم فإذا بهم نساء فى ملابس رجال .. وهنا خطآن فى رواية سنائى الخطأ الأول ذكره لبغداد فلم تكن بغداد قد بنيت بعد والخطأ الثانى ذكر معاوية فلم يكن معاوية طرفا فى الموقعة . ومن ثم فهناك شك فى أن هذه الأبيات ليست من نظم سنائى . وألحقت من النساخ فى الحديقة . لكن أمثال هذه الأخطاء موجودة بكثرة عند معظم شعراء الصوفية الذين كانوا يهتمون بمعانيهم أكثر من اهتمامهم بتأصيل الأماكن أو ما إليها . وهناك روايات حول مقتل طلحة والزبير رضى الله عنهما فى الموقعة أن عليا رضى الله عنه لم يكن له دخل فى مصرعهما . فقد صلى به على رضى الله عنه صباح المعركة وذكره بقول رسول الله ﷺ ونبوءته بشأن هذه المعركة وأنها أى طلحة والزبير يقاتلان عليا وهما على الباطل وهو على الحق أو مقولته للزبير « إنك تقاتل عليا وأنت ظالم له » وتنحى طلحة عن ميدان المعركة ووقف فى آخر صفوف الجند .. قال بعض الرواة أن مروان بن الحكم نظر إلى طلحة يوم الجمل وقال : لا أطلب ثأرى بعد اليوم وأطلق سهما على طلحة وقتله (الاصابة ٢/ ٢٢٠) وأسد الغابة ٣/ ٥٩ وتذكرة خواص الأمة لبسط ابن الجوزى » كما روى أن الزبير عندما ذكره على بقول رسول الله ﷺ خرج من ميدان القتال ونزل بوادى السباع وانهمك فى الصلاة فحمل عليه عمرو بن جرموز وقتله وحمل سيفه إلى على طالبا الانضمام إليه ولما رأى على سيف الزبير وعرفه وعلم بخبر قتله لم يسمح لحامل السيف بمقابلته وقال لحارسه « بشر قاتل ابن صفية بالنار » . وكان الزبير رضى الله عنه قد قتل يوم الخميس العاشر من جمادى الأول سنة ٣٦ للهجرة وهو فى السابعة والستين من عمره (الاصابة ج١ ص ٢٥٦ أسد الغابة ج٢ / ١٩٦) .

٣٤١٤ – فى البيت اشارة إلى أن عائشة رضى الله عنها قد قتلت على يد معاوية والأشهر أنها توفيت فى أواخر خلافة معاوية فى السابع عشر من رمضان سنة ٥٨ للهجرة وذكر بعضهم بل فى سنة ٥٧ للهجرة ودفنت فى البقيع وصلى عليها رضى الله عنها – أبو هريرة نائبا عن مروان بن الحكم والى المدنية وتولى دفنها ابنا أختها عبد الله وعروة ابنا الزبير . أما رواية قتلها على يد معاوية فقد وردت فى كتاب كامل بهائى لعماد الدين الطبرى وملخص روايته أن معاوية عندما وصل إلى مكة لأخذ البيعة لولده يزيد أرسلت إليه عائشة مهددة متهمة اياه بقتل أخيها محمد بن أبى بكر لأخذ البيعة ليزيد . وأوصاه عمرو بن العاص بأن يتدارك الأمر خوفا من أن تؤلب عليه عائشة رضى الله عنه العامة فأرسل إليها أبا هريرة وشرحبيل بهدايا ونفائس وتحدث فى الصلح ووعدها بتولية أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم أرسل يدعوها إلى داره ، وحفر بئرا ملأه بالجير وغطاه بسجادة نفيسه وضع عليها كرسيا وذهبت عائشة رضى الله عنها فأشار إلى الكرسى فجلست عليه وسقطت فى البئر فسد عليها معاوية (!!) وقد التقط بعض مؤرخى الفرس هذه الرواية الغريبة فذكرها رشيد الدين فضل الله (مؤرخ القرن الثامن البحرى) فى جامع التواريخ ، كما ذكر رضوى أن الزمخشرى ذكر الرواية فى كتاب كامل السقيفة ، وذكرها حافظ ابرو فى مجمع التواريخ نقلا عن ربيع الأبرار وكامل السقيفة للزمخشرى . ومن ثم قد يكون البيت ناظرا إلى هذه الروايات . (عن تعليقات ٣٨٩ – ٣٩٢) .

٣٤٢٤ – لم يذكر فى أى من كتب التاريخ أن عمر عمار بن ياسر رضى الله عنه كان قد تجاوز المائة .. بل ذكر باختلاف الروايات سبع وسبعون واحدى وتسعون واثنان وتسعون وأربع وتسعون يقول سبط بن الجوزى فى كتاب تذكرة خواص الأمة (ص٥٢) « وفى يوم التاسع من صفر وهو يوم الخميس قتل عمار بن ياسر وكان يوما مشهودا .. وفى رواية فحمل عمار وهو شيخ ويده ترتعش على الحربة من الكبر . قال ابن سعد قتل عمار وهو ابن سبع وسبعين سنه » وذكر ابن الجوزى فى كتاب صفة الصفوة (١/ ١٧٦) « قال أهل السير قتل عمار مع على بن ابى طالب رضى الله عنه قتله أبو الغادية ودفن هناك فى سنة وثلاثين وهو ابن ثلاث وقيل اربع وتسعين سنة » (عن تعليقات ٣٩٣ – ٣٩٤) .

٣٤٣٠ – ٣٤٣٧ : قال ﷺ فى شأن عمار رضى الله عنه « تقتله الفئة الباغية » كان خزيمة بن ثابت الملقب بذى الشهادتين من الصحابة وكان فى الجمل وصفين فى ركاب على رضى الله عنه لكنه لم يكن يقاتل ويقول : لا أقاتل حتى يقتل عمار وأعرف الفئة الباغية فلما قتل عمار سل سيفه وهجم على جيش الشام وقاتل حتى قتل . ويروى ابن سعد فى كتاب الطبقات أنه بعد قتل عمار قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه : قتلتم عمارا وسمعنا رسول الله يقول لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ولما بلغ هذا القول مسامع معاوية قال : من قال أننا قتلنا عمارا انما قتله من جاء به إلى الحرب وقيل أن عليا قال عندما سمع هذا القول : فنحن إذن قتلة حمزة فى أحد لأننا نحن الذين أتينا به إلى أحد .

٣٤٥٠ – القاتل عبد الرحمن بن ملجم .. والمرأة المذكورة فى الأبيات هى قطام بنت الأحصر . طلب مهرها من ابن ملجم رأس على مثلما طلبت سالومى رأس يحيى بن زكريا . فضرب المثل بمهر قطام فى غلو المهر . وقيل بل كانت قطام سببا ثانيا والسبب الأول ابن ملجم واثنين آخرين من الخوارج هما البرك بن عبد الله وعمرو بن بكر اتفقوا على قتل على رضى الله عنه ومعاوية وعمرو بن العاص على أن يتكفل كل واحد منهم بواحد .. فكمن عمرو بن بكر لعمرو بن العاص ، وفى تلك الليلة كان عمرو بن العاص قد أناب صاحب شرطة خارجه فضربه عمرو قتله .. فقال عمرو بن العاص : أرادنى وأراد الله خارجه أما البرك فقد ضرب معاوية ضربة على إليته فلم يكن يصلح لها إلا الكى أو دواء يمنع الانجاب وفصل معاوية الدواء لأنه كان يخاف من الكى .. وكان الوحيد الذى أفلح منهم هو ابن ملجم (انظر أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى : مقاتل الطالبيين ص ٢٠ النجف ١٣٥٣ هـ) .

٣٤٧٨ – لم يمثل بابن ملجم بل نهى الإمام على رضى الله عنه قبل أن يلفظ انفاسه الأخيرة عن التمثيل به « ولكن القوم كانوا ينهشونه كأنهم سباع » (ص٢٤ من مقاتل الطالبيين) .

٣٤٨٠ – المقصود بالخال هنا معاوية وذلك من ناحية أم حبيبة رمله بنت أبى سفيان رضى الله عنها زوج رسول الله واحدى أمهات المؤمنين ومن ثم يكون معاوية أحد أخوال المؤمنين ، وكامنخطباء معاوية وأساطين دعايته يركزون فى أحاديثهم على أنه « خال المؤمنين » .

٣٤٨٨ – عطايا معاوية لتأليف القلوب ومن بيت مال المسلمين مشهورة .

٣٥٠٠ – قلعة آلموت هى من كبار قلاع الاسماعيلية النزارية فى ايران والمشهورين بالحشاشين أتباع الحسن بن الصباح .. وكانت القلعة مركز تهديد لكل المناطق المحيطة بها وظلت حوالى قرنين من الزمان تمارس الارهاب والاغتيال ضد اعداء الاسماعيلية والذين يقفون فى وجوههم بقول أو فعل حتى قضى عليها هولاكو تماما وهو فى طريق حملته على بغداد (انظر السيد محمد العزوى : الفرقة النزارية وبرناد لويس الحشاشون ترجمة محمد العزب موسى).

٣٥٠٥ – حديث الثقلين : « تركت فيكم ما لو تمسكتم به لم تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى » ويتمسك الشيعة بما رواه أيضا بعض كبار أهل السنة « كتاب الله وعترتى » وقد رواه أحمد بن حنبل فى مسنده « انى تارك فيكم خليفتين كتاب حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » (الجامع الصغير ١/ ١٠٤) .

٣٥١٣ – اشارة إلى آية البيعة تحت الشجرة « إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (الفتح / ١٠) .

٣٥١٩ – سيأتى شرح هذا البيت بالتفصيل .

٣٥٢٥ – لا يليق مثل هذا الطعن فى أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان التى أسلمت قبل أسرتها ولحقت بالرسول ﷺ ، وعندما زارها أبو سفيان وهى فى منزل الرسول وقبل أن يسلم .. طوت فراش الرسول ضنا به من أن يجلس عليه كافر .

– الحديث : أولادنا أكبادنا .. إلى آخره لم أجد له أصلا . نظمه السيد الحميرى شعرا .

٣٥٤٦ – تذكر السيدة خديجة رضى الله عنها بلقب خديجة الكبرى مع عدم وجود خديجه صغرى تكريما وتعظيما لها كأول المؤمنات وأول زوجات الرسول عليه السلام ، والتى امتدت عن طريقها الدوحة النبوية إذ رزق الرسول عليه السلام منها بالخلف دون غيرها من نسائه وقال عنها ﷺ ردا على عائشة رضى الله عنها عند ذكرتها بسوء « لا والله ما أبدلنى خيرا منها : صدقتنى إذ كذبنى الناس وآمنت بى إذ كفر بى الناس وأعاننى بها لها إذ حرمنى الناس ورزقت منها بالخلف دون غيرها من النساء » .

٣٥٦٢ – عن أنس بن مالك رضى الله عنه : كان الحسن بن على رضى الله عنهما أشبههم وجها برسول الله ﷺ « صفة الصفوة ١/ ٧٦٠ » كما ورد فى مناقب الرسول فى صحيح البخارى .

٣٥٧٥ – ٣٥٨٠ : « قال له الحسين : من سقاكه ؟! فقال : وماذا تريد منه ؟ أتريد قتله ؟! أن يكون هو فالله أشد نقمة منك ، وأن لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بى برىء » (مقاتل الطالبيين ٥١/ ٥٢) .

٣٦١٨ – خاتم حمشيد فى الأساطير الفارسية مثل خاتم سليمان .. طلسم الحكم والقوة كامن فيه ، فكأن الحسين وعليا رضى الله عنهما لا يفترقان ولا غنى لأحدهما عن الأخر مثل الخاتم وحمشيد .

٣٦٢٢ – « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » (ابراهيم / ٢٤) .

٣٦٤٢ – المعروف أن يزيد بن معاوية وعمرو بن العاص لم يشتركا بشخصيهما فى الموقعة كل اشترك فيها عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد (أبو مخنف مقاتل ٨٦ – ٨٨) .

٣٦٤٩ – ليس البيت من انشاده ، وهما بيتان أنشدهما عبد الله بن الزبعرى بعد هزيمة المسلمين فى أحد :

ليت أشياخى ببدر شهدوا ، جزع الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراس من ساكنه ، بعد أبدان وهام كالحجمل

(المبرد : الكامل جـ٢ ص ٢٥٧ المكتبة التجارية بمصر ١٣٥٥ هـ) .

٣٦٥٢ – وردت حنين هنا لحبك القافية ، فقد اشترك أبو سفيان فى حنين إلى جوار المسلمين بعد اسلامه وفقد فيها إحدى عينيه .

٣٦٥٤ – ٣٦٦٠ : عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت على قالت : لما أجلسنا بين يدى يزيد بن معاوية رق لنا وأمر لنا بشيء والطفنا : ثم إن رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هذه يعنينى وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت وظنت أن ذلك جاز لهم وأخذت بثياب أختى زينب قالت : وكانت أختى زينب أكبر منى وأعقل وكانت تعلم أن ذلك لايكون فقالت: كذبت والله ولؤمت ماذلك لك وله فغضب يزيد وقال : كذبت والله أن ذلك لى ولو شئت أن أفعله لفعلت .. فقالت كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : اياى تستقبلين بهذا ما خرج من الدين إلا أبوك وأخوك فقالت زينب بدين الله ودين أبى ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك .. قال : كذبت يا عدوة الله ، قالت أنت أمير مسلط تشتم ظالما وتقهر بسلطانك » (تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٣٢ – ص ٢٣٣) .

٣٦٧٨ – يشير سنائى إلى بعض التفسيرات حول أحداث التاريخ الإسلامى ومن العجيب أن بعض الباحثين المعاصرين قدموا أمثال هذه التفسيرات أن الصراع بين بيت النبوة وبيت أبى سفيان هو حلقة من سلسلة الصراع الممتدة منذ فترة قبل الإسلام بين بن هاشم وبنى امية .. وأن نهوض معسكر يزيد للفتك بالحسين ليس إلا انتقاما مما فعله معهم على رضى الله عنه عندما كانوا فى معسكر الكفر . وهناك أيضا تفسير بأن الإمام على رضى الله عنه حرم من خلافة الرسول مباشرة .. لأن صدور القوم كانت موغرة منه لما أحدثه فى قومهم من مقاتل فى حروب الإسلام (!!) .

٣٦٨٢ – لم أعثر على أصل لهذه الحكاية .

٣٦٩٤ – روى أبو نعيم الأصفهانى الحديث « قال رسول الله ﷺ : إن ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى .. إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وعن حذيفة عن رسول الله « أن آخر ما تعلق به من فى الجاهلية من كلام النبوة الأولى .. إذا لم تستح فافعل ما شئت .. كما روى عن أبى مسعود الأنصارى (٤ / ٣٧١ – ٨ / ١٢٤ ص١٤٦) كما أورده السيوطى فى الجامع الصغير « آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى .. إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (١/ ٤) وقال الطريحى أنه ليس حديثا نبويا لكنه من كلام الأنبياء السابقين .

٣٧٠٩ – أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن طاووس بن هرمز وقيل كان هرمز ملكا من ملوك العرب من بنى شيبان وأسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن ثم قيل أنه من الموالى . وكاد جده هو الذى أرسل هدية من الفالوذج إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى النوروز . قال بعضهم أن أصله من ترمز . ولد فى الكوفة سنة ٨٠ للهجرة وانتقل إلى جوار ربه فى سن السبعين سنة ١٥٠ هـ فى بغداد ودفن فى مقبرة الخرازين فى بغداد .

٣٧٣٩ – هناك حديث يروى فى مناقب أبى حنيفه نصه « أبو حنيفه سراج امتى » وروى العطار فى كتاب تذكرة الأولياء « روى أنس عن الرسول ﷺ « يأتى رجل من أمتى يسمى النعمان بن ثابت وكنيته أبو حنيفه هو سراج امتى » واعتبر الإمام الصاغانى هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة كما قال أبو المحاسن القاوقجي فى « اللؤلؤ المرصوع » أن هذا الخبر موضوع والمتبره ابن الجوزى من الموضوعات أيضا .

٣٧٥٣ – اشارة إلى قول الإمام الشافعى « الفقهاء كلهم عيال « على أبى حنيفة » كما ورد هذا القول « الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان فى التفسير وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر وعلى أبى حنيفة فى الفقه » .

٣٧٥٤ – أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى يتصل نسبه مع الرسول ﷺ عند عبد مناف . ولد فى عزة فى الشام سنة وفاة ابى حنيفة سنة ١٥٠ هـ وانتقل إلى مكة وهو فى الثانية من عمره حيث نشأ وترعرع وحفظ القرآن وقرأ الحديث على مالك وفى سنة ١٩٥ انتقل إلى بغداد وبعد عامين عاد إلى مكة ثم عاد سنة ١٩٨ إلى بغداد ومكث فيها شهرا واحدا ثم انتقل إلى مصر وظل فيها حتى وفاته آخر رجب سنة ٢٠٤ هـ . قال عنه أحمد بن حنبل « ما من أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعى فى رقبته منة » وله شعر كثير .

٣٧٧٤ - « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعد منها إلى البدعة . للطبرانى فى الكبير ولأبى نعيم فى الحليه عن الجامع الصغير للسيوطى ٢/ ١٣٧ من طبعة دار الفكر .

٣٧٨١ - « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » (البقرة / ٢٤٨) أما قصة التابوت كما يرويها صاحب قصص الأنبياء أن موسى عليه السلام دعا ربه فى أخريات أيامه : الهى إن بنى إسرائيل عبيدك ولهم أعداء كثيرون فأعطيهم شيئا يكون حجة لهم ونصرة وقهر للأعداء . فأمر الحق تعالى موسى فصنع تابوتا من الذهب والفضة والنحاس والرصاص وذو مقابض من ذهب ووضع فيه الحجر الذى جرت عليه المعجزة والألواح . وعندما أقترب أجل موسى أن يوضع عصاه أيضا فى التابوت . ولما حان حين هرون عليه السلام أمر بوضع عمامته فيه وسدد التابوت بالقار . وكلما حزبهم أمر كانوا يخرجون التابوت فيحقق الله تعالى لهم ما يدعونه به ، وعندما كان عدو يقاتلهم كانوا يقدمون التابوت فيهزم العدو وكان ذلك التابوت فى خزائن الملوك وأحيانا عند الأنبياء حتى هزم جالوت بنى اسرائيل وأغار عليه واستولى على التابوت .. ثم أن الملائكة احضرته فى عهد طالوت وظل حتى أيام بنوخذ نصر فهزم بنى إسرائيل وشتتهم واغرق التابوت فى البحر .

٣٧٩٣ - الأبيات التالية محاولة توفيقية بين شيخى السنة ابى حنيفة والشافعى (اا) وهجوم على العوام الذين كانوا يشتبكون خلافا على الشيخين . ذلك أن عصر سنائى كان عصر إذ كاء اوار الخلاف المذهبى ليس بين السنة والشيعة فحسب .. بل وبين فرق السنة بالرغم من أنه لا توجد خلافات تذكر فيما بينها . هذا بالرغم من سيادة المذهبت كل شرق ايران « الذين كانوا جميعا سنته طاهرى المذهب اما حنفية أو شافعية » (نظام الملك : سياست نامه ص٧٧ نشرها شارل شيفر باريس ١٨٩٥) ولم يكن الأمر يقف عند حدود الجدل اللفظى ، فقد كان الجدل اللفظى غالبا ما ينتهى بهياج عام تتحطم فيه الأسواق وتحترق ومن ثم ليس عجيبا أن يحاول سنائى فى موسوعته أن يرضى جميع الأطراف وأن يقدم تصوره للقدوة فى الإسلام فبعد الفصل الذى عقده عن الرسول ﷺ خصص فصلا ككل خليفة من الخلفاء الأربعة ، ثم تحدث عن السبطين لما لها فى الوجدان الإسلامى على الخصوص من مكانة ، ثم عاد وتحدث عن امامى السنة الكبيرين أبى حنيفة والشافعى .. ويعقد الفصول من ألج التوفيق وتوعية العوام ومحاولة تقديم نظرة اسلامية مؤخذة جديدة حقا بدين التوحيد .

٣٨٣٧ - عانى سنائى نفسه أشد العناء من ذلك الجو الذى كان يسود غزنة والذى كان قائما على التعصب الشديد .. ومن هنا نستطيع أن ندرك لماذا حاول أن يقدم فى الحديقة رؤية شاملة ومتوازنة إلى حد كبير وان كان يغلب عليها الطابع السنى وبالرغم من ذلك إلا أنه تعرض لبعض المتاعب من قبل عوامة غزنة وبعض الوعاظ فأنفذ نسخة من الكتاب إلى شيخه برهان الدين على الغزنوى الواعظ المقيم فى بغداد ، ويستحلفه بما كان بينهما من أخوة أن يقول رأيا ينجية من العنت الذى يلاقيه فى غزنة :

فلو أنك قبلت هذا الكلام ، لنجت روحى من الأذى .

ولو لم يقبل لديك هذا المقال ، فعده كأن لم يكن وكأنك لم تره .

وأنت تعلم أنه ليس هزلا أو محالا ، لكن فى هذه الحاله تجرعه سريعا واصمت .

وقد بقيت منتظرا فى هذا الهم ، ومن حزن الأيام هناك جبل على القلب .

فتفضل إذن بمطالعة هذا الكلام ، وتحدث فى جوابك عن طيبه ورديئه .

(الأبيات ١١٧٧٧ - ١١٧٨١ من الحديقة)

٣٣٨٧٩ - لعله ناظر إلى قول ذى النون المصرى « من نظر إلى عيوب الناس عمى عن عيوب نفسه ومن نظر فى عيوبه عمى عن عيوب الناس » وقد نظمه الفردوسى شعر .

عندما يرى انسان عيب نفسه فإنه لا يتحدث كثيرا عن عيوب الآخرين (تعليقات رضوى ٤١١) ولعلها كلها ناظرة إلى الحديث النبوى الشريف « طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس » . انظر شروح ٣٧٧٤ من هذا الكتاب .

٣٩٠٨ -٣٩١١ : يدق سنائى هنا على فكرة دق عليها جلال الدين من بعده كثيرا وهى أن كل إنسان ميسر لما خلق له .. وله عمله الذى يصلح له ، وإنما تبدأ الفوضى فى الدنيا إذا ظن كل إنسان أنه يستطيع أن يخوض فى أى شىء ، وهكذا تعرض العوام للعلماء والمريدين للمرشدين .. وعلى هذا كثيرا ما يقول سنائى ومن بعده نقل جلال الدين نفس التعبير « ما دمت لست بالنبى فكن من الأمة » (انظر الأبيات ٧١٠ -٧٢٠ من الكتاب الثالث من المثنوى الترجمة العربية) وانظر أيضا الأبيات ٢٧٦ - ٢٨٠ من نفس هذا الكتاب).

٣٩١٥ - ٣٩٢٢ : يعلن سنائى عن موقفه النهائى ويعلن أنه مهما عاش طويلا فلن يحيد عن ايمانه بالشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما فهما فى رأيه من أئمة الدين ذلك أن علمه كله منهم وقيمته بهم فلن يتغير رأيه فيهم مهما تغيرت أحواله ، والاغتسال فى البيت رقم ٣٩٢١ كناية عن التطهر للبدء فى الطريق .. وهو ليس فى حاجة إلى البحث عن طريق فقد عرفه ولزمه والحيض فى البيت رقم ٣٩٢٢ كناية عن النجاسة .. فأحدهم من النجاسة كأنه الحائض وآخر من حيرته كأنه سمكه تتقلب فى الطاس ومصيرها فى النهاية إلى الهلاك .

٣٩٢٣ - يريد سنائى أن يفرغ من هذه القضية فيسوق فصلا فى الزهد والحكمة والموعظة والنصيحة .. لكنه لا يستطيع أن ينجو من مشكلة حياته كلية فيفتتح هذا الفصل بهذا البيت القائل أنه ما دام العزم ينبع من محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه .. فما وجه الخلاف هنا ما دام مصدر الدين واحدا ومصدر الشريعة واحدا ؟!

٣٩٢٤ - الأطفال هم الذين لم يدخلوا الطريق ، وهم فى رأى لمولانا جلال الدين أولئك الذين يلعبون بالتراب والخزف « زخارف الدنيا ويظنونها ذهبا .. ورأس الطريق عند سنائى هو الجهاد .. وهو ذو الفقار المصقول « لكى لا يترك فرصته لأحد ليفسر الجهاد بأنه جهاد النفس » هذا هو طريق الرجال الحقيقيين .

٣٩٢٦ - ٣٩٣٠ : إن الجهاد يتطلب من البداية متجردا عن كل ما فى الخليقة .. إن المجاهد خارج إلى الله ورسوله فكيف ينظر وراءه إلى حطام من حطام الدنيا .. لا يكون أمام المجاهد سوى الله ومن ثم فالتجريد هو قرين التوحيد .. فمن عرف الله سبحانه وتعالى هانت الدنيا كلها فى ناظريه و تجلت له عروس الصدق فى أبهى زينته .

٣٩٣١ - ٣٩٣٤ : كما يضرم العاشق النار فى كل شىء إلا المعشوق ، انبذ أنت أيضا الدنيا وكأنك تضرم فيها النار .. أن هذا هو طريق الرجولة الحقة والبطولة الحقة ومن هذا يصير المنهار المريض أصفر الوجه بطلا منطلقا فصيحا وأترك اعتمادك على طباعك الأربعة وحواسك الخمسة وكبر عليها تكبيرات صلاة الجنازة مثلما فعل خير الناس محمد ﷺ .

٣٩٣٥ - ٣٩٣٩ : أتعلم ماذا تعنى شهادة « لا إله إلا الله » إن لا الموجودة فى أول الشهادة بمثابة المكنسة التى يكنس بها الوجود كله فلا يبقى إلا وجه الله ولا يبقى إلا وجود الله .. إنك لا زلت تسلط الطبع على نفسك .. ثم تكرر الحوقلة من الشيطان الرجيم..وتظن أنك تطرد الشيطان بهذه الحوقلة .. وهذا خطأ .. فما معنى أن تعطى للشيطان سبيلا إلى نفسك ثم تظل تحوقل .. إنما يبتعد الشيطان عنك عندما لا يجذبه إليك نتن المعصية .. فتتخلص أولا من نتن المعصية تتخلص من الشيطان .. لا أن تكون غارقا فى الاثم إلى أذنيك ثم تحوقل .

٣٩٤٠ - ٣٩٤٤ : تريد أن تتخلص من وجودك النتن أو من نتن وجودك .. فالزم صاحب نَفَس والزم صاحب ادراك .. ذلك أن هناك فتنه من الناس تظل الآمال معقودة عليهم مهما امتلأت الأرض بالفساد .. هؤلاء هم ملح الأرض .. بالرغم مما هم فيه من مرارة ظاهرة وبالرغم من أن أقوالهم قد تبدو لك سما .. فلا تخف من هذه الأقوال المرة التى تظنها سما ذلك أن ديارهم مليئة بالترياق .. هؤلاء هم الدعاة إلى الله .. وبالطبع لابد وأن يختلفوا عن الداعين إلى الجاه .

٣٩٤٥ - ٣٩٤٩ : أليست الدنيا قائمة على الماء .. تراها إذن طرية نضرة .. لكنها كمعى يخلو من الطعام ويمتلىء بالريح .. هى بالنسبة للروح كوخز النحل (شبه مولانا جلال الدين زخارف الدنيا بأنها وكر الزنابير تخز عاريا لا يستطيع أن ينجو منها إلا بالهروب إلى ماء المعرفة وماء الذكر مثنوى ٤ / ٤٣٧ وما بعدها) وهكذا طالب الدنيا أيضا أنه يبذل قصارى جهده من أجل الحصول على شروحى نقير من مالها .

٣٩٥١ - مثل هذا القول منسوب إلى محمد بن واسع فيما رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٢/ ٣٤٩) قال محمد بن واسع : لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا منى من نتن ريحى » كما ورد الخبر فى عيون الأخبار للدينورى (٢/ ٣٦٥) .. قال محمد بن واسع لو كان للذنوب ريح ما جلس إلى منكم اثنان .. ونقل الزمخشرى فى ربيع الأبرار عن الربيع بن خيثم فى نفس المعنى « لو كانت الذنوب تفوح لما جلس أحد إلى » وارجع أيضا إلى صفة الصفوة ٣/ ١٩٠ (عن تعليقات مدرس رضوى ٤١٣) .

٣٩٥٥ - « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (الحجرات / ١٢) .

٣٩٥٩ - يدق سنائى كثيرا على قيمة العمل ، وأنه القيمة الحقيقية ، وليس الطريق فى رأيه بالتغنى بالأقوال .. وهو القائل « لا تقل سأفعل بل قل فعلت (بيت ٣٩٧٥) وهو القائل فى قصيدة شهيرة :

انك لا تملك القدرة على الاستغناء ، فلا تهزل بأحاديث الدراويش

وليس لك وجوه العيارين ، فلا تقتلع روحك عبثا كالأخساد
فأما أن تمضى كالنساء ، وتشغل نفسك كالنساء بالاصباغ والعطور
وأما فأقبل كالرجال وألق بالكرة فى الميدان . (ديوان سنائى ٤٥٢) .

٣٩٦٠ - حذار من قياس أحوال نفسك على آيات القرآن .. فلا تستسلم وتلقى بالمجن عندما نستمع إلى الآية الكريمة ﴿ أفأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرين ﴾ وكسر القفص كناية عن خلع العذار .. فإذا سمعت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ (الزمر / ٥٤) لا يكون هذا دافعا إياك إلى الامعان فى الاثم اعتمادا على أن الله سوف يعفو عنك وسوف يغفر ذنوبك .

٣٩٦١ - ٣٩٦٥ : الرجال هم الذين يعولون على أعمالهم لا على أقوالهم ، وكرامة الرجال غاسلة لألواح الكلام ، والسيف اصدق إنباءً من الكتب ، ودعك من هذا العلم الذى يصور الجسد ، وإياك أن يجعلك صبره عليك متماديا .. فهذا الماء الذى تراه سرعان ما ينقلب نار ، وهذه الريح التى تظنها ممطرة إياك سرعان ما تسفر عن تراب ، ولا تكن معتمدا على الجاه ، فإن دفتر الجاه غير محمود العاقبه ، بياضه بياض على العين ، وسواده إنما يسود كتابك .

٣٩٦٥ - ٣٩٦٩ : ما زلت مصرا على أن هذا الطريق لا يقوم على الحديث بقدر ما يقوم على العمل .. ذلك أن من كثر لغطه كثر غلطه ، وانا يكب الناس فى النار حصائد السنتهم ، فمن كثرة الحديث يتولد الألم .. وليكن لك مثال فى الأسد .. لقد صار ملكا للوحوش لأنه لا يكلف أحدا بأن يقوم له بعمله .. وقد كان يستطيع .. لكنه هو الذى يقوم بالصيد .. ويترك ما تبقى من صيده للوحوش ومن هنا صار ملكا .. فليكن تفكيرك كله منصبا إذن على العمل وعلى التفكير فى الطريق الذى عليك أن تقطعه .. اقطعه إذن بالتخلى عن ذاتك .. وإن تخليت عن ذاتك تصير ربانيا .

٣٩٧٠ - ٣٩٧٥ : لست دابة ، ولست شيطانا ، ولست وحشا ، فما لك إذن مستكين إلى هذه الدارمتشبث بها وهى دار قائمة على التسول وعلى الكدية بتسول الضعاف حياتهم من الجبارين والفقراء قوتهم من الأغنياء ، أتظنها إذن دار العدة والعتاد ؟! أبدا .. إنما هى كثمرة البصل نتن فوق نتن وهباء فوق هباء .. وإذا لم تكن منسوبا إلى الفلك فلماذا تحاول إذن الارتفاع .. وإذا كنت كذلك فلماذا تركن إذن إلى التراب .. أنك إن علمت من تكون وإلى أى العوالم تنتسب .. سوف تعلم أنك بهذا الهوى وهذا الهوس لن تصل إلى شىء ، وأن عيشك بالهوى سوف يوصلك سريعا إلى الموت .. موت النفس .. وموت العقل .. وموت الروح ثم الموت النهائى فدعك من كل هذا الهوى والهوس واعمل .. اعمل ولا تتحدث عن عملك إلا بعد أن يتم .. ولا تقل سأفعل بل قلت فعلت .

٣٩٧٦ - ٣٩٨٤ : المريد يسأل الشيخ أنه لا جدال فى أن هذا الطريق قائم على الجهاد والجهد .. لكن هذا الجهاد والجهد لا يكفيان وحدهما .. فلا بد من توفيق من الله فما هو شرط الحصول على هذا التوفيق ؟! وها هو الشيخ يجيبه : إن الشرط الأول للحصول على توفيق الله هو القيام بما أمر الله والإقلاع عما نهى عنه أو مراعاة الشرع ، وأن يعتبر المرء نفسه عبدا عليه أن يفنى قدمه فى طريق الشرع.. وما دام الجهد من العبد فمن الله سبحانه وتعالى التوفيق .. والتوفيق قرين للجهد ما دام فى خير وفيما يرضى الله (انظر الكتاب الثالث من المثنوى عن الجهد الذى لا توفيق فيه .. جهد فرعون .. وكل فرعون الأبيات ٨٤٠ وما بعده) المعشوق يطلب العاشق كما يطلب العاشق المعشوق والماء الظامىء كما يطلب الظامىء الماء .. فإن الجهد والتوفيق مرتبطان ارتباطا كليا عند مولانا جلال الدين هذا يعتمد على ذاك وذاك يعتمد على هذا .. فالطالب يظفر فى النهاية بطلب المطلوب له (انظر الكتاب الخامس من المثنوى الأبيات ١٧٣٣ - ١٧٣٦ وشروحها) .

٣٩٩٠ - ٤٠٠٠ : الاشارة هنا إلى الآية الكريمة ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ (مريم / ٧١) والرواية هنا عند سنائى حدث فيها بعض التصرف إذ قعد ابن رواحة رضى الله عنه عن الغزو لا عن الزارعة ، كما أن لوم الزوجة غير وارد فى رواية ابى نعيم (عن تعليقات رضوى ٤١٦ - ٤١٧) والبيت رقم ٤٠٠٠ اشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (مريم / ٧٢) « انظر أيضا حلية الأولياء ولأبى نعيم الأصفهانى ١/ ١١٨ - ١١٩» .

٤٠٠٧ هـ : الدعاة المقصودون هنا هم أولئك الذين يدعون إلى الدين عن غير اخلاص ويقومون بهذه الدعوة رءاء الناس .. فما بالك إذن لبعض دعاة زماننا الذين يقومون بكل حيلة للصد عن سبيل الله والترغيب عن طريقه .. والحاق عقول الأمة كرها بما يسمح لها به اعداؤها من فتات فكرهم ومتروك ثقافتهم ؟!

٤٠٢٠ - أبو مره هو ابليس .. وكم من عالم نحرير قالها لمن هو اسوأ من أبى مرة .

٤٠٢١ - هاروت هو أحد الملكين ببابل (انظر لتفصيلات عنها الكتاب الأول من مثنوى مولاى جلال الدين ٣٣٣١ وما بعدها و الكتاب الثالث من الأبيات ٨٠٠ وما بعده والكتاب الرابع الأبيات ٢٦٧٣ وما بعده وشروحها والكتاب الخامس

الأبيات ٦٣٠ وما بعده وشروحها والضحاك هو أحد ملوك ايران فى العهد الأسطورى يضرب به المثل فى الشر والتعطش إلى الدم والظلم (انظر شاهنامة البندارى تحقيق عزام - مقدمة عزام من الطبعة الثانية دار سعاد الصباح ١٩٩٣ ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٤٠٣٥ - وردت هذه الحكاية أيضا فى مثنوى جلال الدين وفى بحث بديع الزمان فروز انفر عن أصولها وأرجعها إلى كتاب نثر الدر « وجد أعرابى مرآة وكان قبيحا فنظر فيها ورأى وجهه فاستقبحه فرمى بها وقال « لشر ما تركك أهلك » (مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى ص٧٤ » وورد نظير هذه الحكاية فى ذيل زهر الآداب للحصرى « ومر أعرابى بمرآة ملقاة فى مزبلة فنظر وجهه فيها فإذا هو سمج بغيض فرمى بها وقال ما طرحك أهلك من خير » (تعليقات رضوى ٤٢٢) .

٤٠٥٠ - ٤٠٥١ : مثل علماء السوء الذين يظنون أنفسهم علماء كمن يبهظ معدته بالطعام فيرى حمار عيسى فى النوم .. لكنه لا يرى أن هناك فرقا يذكر بين حماره هذا وحمار عيسى الذى كان مطية لنبى .. إنك تظن عز العلم فيما تبديه من كبرياء .. وتظن أن الكبر هو غضبك والعجب هو رضاك .. وليس الأمر كله معقودا عليك غضبا ورضا وكبرياء ونخوة .

٤٠٥٥ - ٤٠٥٧ : من الواضح أن سنائى يأخذ على علماء عصره مأخذا رئيسيا وهو أنهم يستخدمون علمهم فى بيان مذهب هذا والتقصى عن مذهب ذاك وفى تكفير هذا وتفسيق ذاك وتأثيم ذياك .. دون أن يفكر فيما يهمه هو شخصيا وفيما ينجيه هو شخصيا.. وكل علمه مكرس لأذى خلق الله تعالى والايقاع بهم .

٤٠٦٠ - ٤٠٧٠ : لا علم بلا عمل ، ولا علم بلا خلق ، ولا علم بلا استقامه ، فالعلم يستمد بهاءه من الاستقامة مثلما يستمد القمر بهاءه من الشمس ، وذلك الذى يطلب العامة بعلمه ، يقول ما يرضيهم ، ويتحدث بما يوافق هواهم ، ويسف من أجلهم ، ويستطع من أجل أن يصفقوا له إنما تكون قيمته بقدر همته .. وسعى العالم فى سبيل الجاه والدولة والحكومة (والوزارة) متناسيا الحق وممالئا الظلمة والطواغيت ومتنكرا أحيانا لأصوله .. إنما هو دليل جهل وليس دليل علم .. وعندما يكون العالم حينا رجلا (بمعنى الرجولة .. رجولة الطريق) وحينا امرأة (مستسلما خانعا مركوبا) .. فاخش أن يريق الله يقال ماء علمك واخشن أن يمحوه من صدرك وسرعان ما يكتشف الناس رداء حيلتك ويمزقونه من فوق جسدك .. فما بالك إذن تجعل علمك متوجها إلى حيث يتوجه سكان حيك.. فتقلب الأصدقاء إلى أعداء ؟!

٤٠٧٢ - ٤٠٨٠ : الأبيات هنا تتناول ما كان سنائى يشكو منه شخصيا : أن علماء عصره كانوا يشكون فى دينه ومذهبه (!!).. فكيف يشك فى دينه وهو بلسم بأشعاره لقلوب الحزانى والمكلومين ؟ وكيف يشك فى دينه وهو صاحب كل هذه الأشعار فى الشرع الشريف ؟! لا .. أنه ثابت مكين مهما ضرب على رأسه .. والعالم وإن جلس مزهوا فلا ينبغى عليه أن يزهو فالفتنة من الأوفق أن تظل قاعدة .. ثم انظر إلى الصورة الساخرة التى يصور بها علماء عصره الجالسين على مقاعد الفتيا مقطبى الوجوه دون أن يسألهم أحد عن شىء أو يستفتيهم فى مشكلة .. فلماذا يعبسون ويقطبون .. فلتفق أيها العالم : فليس كل من جلس على كرسى العلم وجد من يسأله عن شىء ، وليس كل من امتلك دنا ينام فيه ويعيش اصبح كسقراط ، سقراط لم يصبح سقراط بدنه .. بل بعلمه .. والأمر هنا خلط بين ديوجين وسقراط فديوجين هو الذى كان يعيش فى الذن وليس سقراط بينما ينسب موضوعه الاقامة فى الدن الفارغ حينا لسقراط كما فعل سنائى وحينا لأفلاطون كما فعل حافظ . (تعليقات ٤٢٦) .

٤٠٨٢ - ٤٠٨٤ : المراد بالسقف والمنزل الإتجاه .. إذا كنت ذا اتجاه واحد استطعت أن تتطلع إلى الأفق وأن تسمع وأن تخلو إلى نفسك .. وأن تتلقى الأفكار اما إذا كنت صاحب أكثر من منزل (اتجاه) فلا شىء إلا الضوضاء .. وأنت إن كنت صاحب منزل واحد وطفقت تفكر فى أكثر من منزل .. لخربت المنزل الذى تملكه بالفعل .. وهكذا يدمر المرء ما يملك فى سبيل ما لا يملك .. ويصارع من أجل أن ينقسم خاطره فى الجهات الست ، ويجاهد من أجل التفرقة فى حين أن الجمع رحمة .

٤٠٨٤ - ٤٠٩٤ : ربما صرت عالما وجالسا عن كرسى لا لشىء إلا لأن خصمك الذى ربما كان أولى بملك بهذا الكرسى قد أساء التدبير ولم يحسنه جيدا .. فما بالك متكبرا هكذا والكبرياء حمق .. والخلق ينفرون من الكبرياء الأجوف ، يكون على قلوبهم أثقل من جبل قاف .. أن هذا العالم الأجوف المتكبر هو مجنون مصرع خصم ومجن من الماء .. هو الغول الذى يظهر لك فى الصحراء ويفتيك حينما تظن أنه الخضر عليه السلام خرج من أجل أن يهديك سواء السبيل .. والخضر (الإنسان المتقى) لا ينتظر من الغول أن يهديه والهدايه موجودة فى باطن الخضر .. وما لم يحل أحد بينك وبين الطريق فاخط دون أن تتكلم .

٤٠٩٥ - تمهيد للباب التالى الذى خصصه سنائى للحديث عن العقل والمادة هى الهيولى والمدة هى الزمان أى مقدار حركة

الفلك الأعظم أى أن المعنى المنقوش على الهيولى والزمان أن الباء والتاء (بت بالفارسية أى صنم) هى العقل والروح أما الألف فهى التوحيد .

٤٠٩٩ - بهذا البيت يبدأ الحديث عن العقل بعد أن انتهى الحديث عن التوحيد والنبوة والقدوة أى النقل . ويرى مدرس رضوى (تعليقات ٤٢٨) أن الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ « أول ما خلق الله العقل » حديث غير وارد فى كتب أهل السنة ، كما اختلفت الأحاديث حول أول مخلوق فقيل « أول ما خلق الله نورى » أى النور المحمدى و « أول ما خلق الله درة بيضاء » و « أول ما خلق الله الروح » و « أولى ما خلق الله العلم الأعلى » و « أول ما خلق الله القلم » وينقل مدرس رضوى عن الكافى فى كتاب العقل والجهل أن عددا من أصحابنا « أى الشيعة » رووا عن أبى عبد الله رضى الله عنه « إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين » كما أورد حلا محسن فيض فى كتابيه « قرة العيون » و « المحجة البيضاء هذا الحديث « أول ما خلق الله العقل » ويبدو أن مدرس رضوى لم ير الحديث مرويا عند الإمام الغزالى « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر .. فقال : بعزتى وجلالى لم أخلق ما هو خيرا منك بك أثيب وبك أعاقب » .. كما روى الإمام الغزالى حديث آخر عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » (أحياء علوم الدين جـ١ من ٩٠ - ٩١) والواقع أن تناول سنائى لموضوع العقل يستند على مصادر عديدة أخرى غير الإمام الغزالى .. والمقصود بالطبع ليس العقل كقوة من قوى الادراك الفردية عند الإنسان والمعتمد على الحواس والذى غالبا ما يذم عند الصوفية وبخاصة عند مولانا جلال الدين (انظر على سبيل المثال لا الحصر عما يسميه بالعقل الجزئى المثنوى١/ ٢٢١٤ و ٣/ ١٥٥٨ و٥/ ٢٤٦٢ و ٦/ ١٢٥٨) هو عند الصوفية قوة قدسية يقول ابن سينا « والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم درن مقارنة البدن وانفكوا عن الشواغل خلصوا إلى عالم القدس والسعادة وانتعشوا بالكمال الأعلى وحصلت لهم اللذة العليا » (الاشارات والتنبيهات : القسم الرابع : تحقيق سليمان دنيا : ص٧٦٨ دار المعارف) وإذا قارنا بين تناول سنائى (ومن بعده الصوفية مع وجود فوارق لا تكاد تذكر) لتصور العالم والقوى المسيطرة عليه وجدناه معتمدا فى هذا المجال على اخوان الصفا إلى حد كبير إذ يرى اخوان الصفا فى ترتيب الكون وصدوره عن العلة الأولى التى هى الله عز وجل أن الله تعالى أول شخص اخترعه وأوجده جوهرا شريفا بسيطا روحانيا يسمى العقل الفعال (الروح القدس - العقل القدسى - العقل الكلى - من بعدها عند مولانا جلال الدين العقل الايمانى والعقل العرشى) فيبدو العقل الكلى كأنه روح سارية فى العالم كله (تحولت فى بعض المعالجات إلى الرمز له بالنبى ﷺ) .. وفى الكتاب الخامس من المثنوى يسوق مولانا أحد العناوين على النسق التالى « بيان أن مجموع العالم هو صورة العقل الكلى ، وعندما تسير سيرا معوجا مع العقل الكلى فقد جفوت ، وتزيدك صورة العالم حزنا فى أغلب الأحوال ، مثلما إذا غضبت على أبيك زادتك صورة الأب حزنا بحيث لا تستطيع أن تنظر فى وجهه بالرغم من أنه كان من قبل نورا للبصر وراحة للروح .. وهكذا يتصور العقل الأول فى صورة « الأب » بينما تتصور النفس الكلية فى صورة « الأم » حيث ينتج من هذا الزواج بين الأم والأب « المواليد » فالله سبحانه وتعالى أبدع هذا الجوهر الأول ، ثم أبدع جوهرا آخر دونه فى الشرف يسمى النفس الكلية . ثم بدأت النفس الكلية بتوسط العقل الفعال فحركت الهيولى (المادة) الأولى طولا وعرضا وعمقا وكان منها الجسم المطلق ثم ركب من الجسم عالم الأفلاك والكواكب والأركان الأربعة جميعا ، ثم أدار الأفلاك واختلطت بعضها ببعض وكان منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوان (رسائل اخوان الصفا ٤/ ٤) والنفس الكلية رتبتها فوق الفلك المحيط وقواها سارية فى جميع أجزاء الفلك وأشخاصه للتدبير والصنائع والحكم (٣/ ١٩٢ اخوان الصفا) وهى نفس العالم بأسرها (اخوان الصفا ٣/ ٢٠١) ومن هذه النفس الكلية تنبثق النفس الجزئية وهى على ثلاثة أنواع : نباتية وحيوانية وناطقة (رسائل ٣/ ٢٠٣) وفى رأى اخوان اصفا أن الباعث للنفس الكلية على ادارة الفلك وتسيير الكواكب هو الاشتياق منها إلى اظهار تلك المحاسن والفضائل والملاذ والسرور التى فى عالم الأرواح والتى تقصر ألسن الوصف عنها إلا مختصرا كما قال الله تعالى « فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين » (رسائل ٣/ ٢٧٤) ويرى اخوان الصفا ما يراه الفشيا غوريون من ترتيب الموجودات الصادرة عن العلة الأولى ترتيبا عدديا فالواحد أصل العدد ومنشؤه « وأعلم يا أخى أن صور الموجودات كلها تتلو بعضها بعضا فى الحدوث والبقاء عن العلة الأولى التى هى البارى عز وجل كما سيتلو العدد ازواجه افراده بعضها بعضا فى الحدوث والنظام عن الواحد الذى قبل الاثنين » (رسائل ٣/ ٢٣٠) ويضرب اخوان الصفا الأمثال : فالله واحد والعقل اثنان والنفس ثلاثة والطبائع والأركان والأخلاط والجهات والأوتاد كلها مقسمة إلى أربعة والحواس خمسة .. إلى آخره (رسائل ٣ / ١٨٣ - ١٨٥) وكلها تتصرف فيها طبيعة الكون والفساد وهى قوة مختصة سارية فى جميع الأقسام (رسائل ٣/ ١٩٣) والنفس الجزئية المنبثقة عن النفس تكمل بالرياضة وتخرج ما فى

جوهرها من الحكمة والصنائع والفضائل من حد القوة إلى حد الفعل لتتم الهيولى الجزئية (رسائل ٣/ ٥٨) وهذه النفس الجزئية شريفة وشريف جوهرها ولكنها متبلاة بالجسد وفساد هيولاه تحت الكون والفساد (رسائل ٣/ ٦٦ - ٦٧) وهناك فرق بين قوتى العقل والعقل الفعال الصادر عن العلة الأولى العقل المررك لحقائق الأشياء وهو موجود روحانى بسيط ، كما أن هناك فرقا بين النفس الكلية والنفس الجزئية البشرية التى هى جوهر بسيط (رسائل ٣/ ٢٣٢) .

هذا التصور الموجود عند اخوان الصفا كان حاضرا عند سنائى حضورا واضحا (انظر مقدمة الحديقة مثلا حيث تحدث عن هذا الترتيب) . وبالرغم من هذا فإن سنائى يضيف بعدا آخر هو البعد العرفانى كما يتبين لنا من تعليقاتنا على أبيات هذا الباب الرابع والباب الخامس الذى يليه المختص بالنفس الكلية .

٤١٠٠ - إنه موجود منذ الأزل .. وهو المخلوق الأول « الفيض الأول عند الفلاسفة » وهو لسان الله الناطق ومن ثم يصح به العلم ويصح به العمل « فى بعض التفسيرات الاسماعيليه . هو القلم الذى يكتب فى اللوح المحفوظ « (انظر جامع الحكمتين لناصر خسرو حيث يوجد تصور اسمعيلى لهذه العوالم - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور - دار نشر الثقافة ١٩٧٥ » .

٤١٠١ - الاشارة هنا إلى وصف العقل الفعال بأنه « الأمر » أى الأمر الذى به خلق الخلق « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

٤١٠٢ - ٤١٠٥ : أن يكون العقل الفعال هو أصل الخير والشر أمر واضح فهو الروح السارية فى كل الوجود وبه يحدث التفكير ومن فيضه يكون التوافق ويكون الاختلاف أيضا .. ولعل هذا هو السبب فى وصف سنائى له بأنه ظل الشر .. وأول العقل آخر الشرع .. أى أن دوره يأتى بعد دور الشرائع .. على أساس أن الشرائع موجودة منذ أزل الآزال وبه يكون الصلاح للدين .. ذلك أنه بالرغم من أنه « الأول » إلا أنه ناظر للآخر وناظر للعاقبة .. و زمن له فهو شرف على كل الأزمان .. ما مضى وما هو موجودوما هو آت .

٤١٠٦ - ٤١١٠ : ليس كلام العقل الفعال من قبيل كلام البشر ، فكلام البشر ناتج عن الجسد ، وليس العقل الفعال بجسد ، ولا تسرى فيه ظلمة الحرف .. فهذا مالا يليق بعظمته ، ذلك أن نطق العقل الفعال إن ظهر فإن الحروف والأصوات كلها تختفى ، فلا حروفه من قبيل الحروف ولا أصواته من قبيل الأصوات .. فهو الجوهر نفسه .. وهو المنجم الذى يحتوى على هذا الجوهر وهو الرسول إلى كل الخلق ، وهو الحارس على مراتب جميع الموجودات .. ولماذا تستبعد الصمت عليه .. إن العالم غالبا ما يكون صامتا ، وهو مع صمته هذا معلوم « أنه فصيح شديد الفصاحة لا يوجد من هو أفصح منه ، وكيف لا يكون عالما والعلم الالهى منعكس فيه .. وكيف لا يكون فصيحا والأسماء كلها مرسومة فيه ؟! كما أن هذا العقل يهب الجسد قوته (من العناصر والأمهات) كما أنه أيضا (يفيض بعلمه على النفس) .

٤١١١ - ٤١٢٠ : تسألنى أين يوجد .. وأين يكمن .. أقول لك أننى لا أستطيع أن أحدد لك جوابا على هذا السؤال .. فلا شرق له ولا غرب .. ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار .. ولا أول ولا آخر ، فإذا كان الأزل أوله .. فلا يمكن أن يكون له مغرب سوى الله عز وجل ، منه صدر وإليه يعود .. وهو ليس دانيا منك تطوله يداك .. إن الدانى منك دائما هو الجهل لكن العقل هنا فى هذه الدنيا من أجل أن يكسر القيود عنك .. أن يحررك من السجون التى تحيط بك وتتغلغل فى داخلك .. ولأنه من ينزل الأزل ، ولأنه يعود إلى منزل الأزل . فهو ظهير الدين وهو حاميه .. وهو فى هذا المنزل من أجل سرور البشر ، هو ستر العارى ، وهو سبب الفهم ، وعلة الذكاء ، وأداة التصور ، وأحيانا يبدى لك التعب وأحيانا يستره عنك .

٤١٢٠ - ٤١٢٨ : أن الأمر لا يدعو إلى الريب أو إلى الشك .. فالعقل والعاقل والمعقول فى وحدة واحدة .. فالعاقل يستخدم عقله ليدرك المعقول فى برهة واحدة .. لا تقدم ولا تأخر بينهما .. ومن فضل الله عليك أنه سار فى الكون وساكن معك .. فتثبت به حتى تنجو انه ان يقول لك افعل هذا ولا تفعل هذا من الأمر الالهى .. وبعدها يسيطر على الروح أيضا ، أنه كما يسميه العرب المدبر الأقرب ، أنه أمير الحواس والطباع ، والنفس الكلية له بمثابة الوزير .. وإن فاض على جاف هذبه ، لكنه يفيض أكثر على النفوس الصافية .

٤١٣١ - ٤١٣٦ : انظر إلى من يأنس العقل وتكون صلته بهم صلة مباشرة : الحاكم العدل والعالم العامل .. وذلك أنا أساس الملك وأساس الدين وحينما وجد العقل وجد الملك ووجد الدين .. كما أن العقل يأنس أيضا إلى الزهاد ، فإن الزهد فيما هو زائل من عين العقل ومن حقيقته .. فالعقل عدو للحرص وماح له .

٤١٣٩ - ٤١٤٦ : ليس موضع هذا العقل من جسدك هو الرأس ، فالرأس موضع المخ (العقل الجزئى الإنسانى) . أما العقل الكلى والفعال فموضعه الروح التى تتلقى الحكمة مباشرة من لدن الحكيم الخبير فتحررك من الجهالة .. وتصبح النفس منك متلقية

رسائل العقل .. فإن تحدثت تحدثت دائما بالنكات الدقيقة .. وتتمتع بالقوة الحقيقية ، فلا أنت ذابل أو مغتم كالجاهل .. بل تكون فى سرور العقل وفى متعه دائما .. متخلصا من الحرص الذى يتحول إلى أفعى تأكل داخلك .

٤١٥٠ - ٤١٥٤ : إن السلطان الذى يقال عليه ظل الله ، ليس ذلك الإنسان الذى تبوأ منصب السلطة وادعى مشاركة الله فى ملكه ، لكنه العقل .. العقل هو ظل الله وليس الإنسان الحاكم هو ظل الله .. والظل يكون عارفا بالذات التى يكون ظلالها.. لأنه يتبعها فى حلها وترحالها ... فالظل تابع .. إنه يظل منتظرا « للأمر » ومن هنا يعد كلامه قرينا للقرآن ،فهو كناية عن العرش الأعظم عن جبريل وكناية عن النور المحمدى .

٤١٥٥ - ٤١٦٠ : كما أن القرآن شفاء .. فالعقل أيضا شفاء وكل ما لا يكون شفاء لك يكون داء وألما ولا يكون دواء .. والوهم والحس والقياس كلها فى إطار سيطرة العقل ومن ثم يكون العقل أعلى منهـا .. مثلما يكون المنجم أعلى من الأفلاك التى يرصدها ويعلم عنها كل شىء ومن ثم فهو مدبر الروح .. وهو كاتب الله فى الخليقة ... وما عليك إلا أن تميز بين هذا العقل .. وبين ما تظنه عقلا وهو عقيلة لك يحد من أفق رؤيتك ، ويمنعك من الانطلاق ويجعلك محدودا بما يمليه عليك .. فالعقل الكلى رحمة لك من الله (رحمة للعالمين محمد ﷺ .. شفاء ورحمة : القرآن الكريم) .

٤١٦٢ - أول ما خلق الله العقل .. فقال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر .. إلى آخره .. حديث نبوى .

٤١٧٤ - ٤١٧٩ : إن العقل هو معلم الفضائل .. والعقل أن أصاب بدويا جعل منه لوحا تنقش فيه الأسرار الأزلية .. والمرء بما لـه من فضل .. وموطن الفضل الروح .. والروح الخالية من الفضل ميتة .. والصبور الحمول هو الذى يتذوق شربة العقل فهى لاتتأتى لكل إنسان .. فهو جدير بها .. أما الحمار فهو جدير بحمل الأثقال وما لم يكن المرء أهلا للعقل .. فلا فائدة له من حلمه .. ولا فائدة لـه من علمه .. وهكذا أيضا ذلك الذى يسقط فى حبائل الألفاظ .. والقيل والقال .. فإن العقل المتوجه إليه يلتقى بالعقائل والعقبات .

٤١٨٠ - ٤١٨٦ : إذا خلا المرء من العقل فقد أصبح مهيأ لسكنى الشيطان ، وخير معرفة هى المعرفة التى تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق التنجم لأن العقل هو اللب بينما الكواكب غثاء وثفل .. والعقل حاضنة للمجتهد .. يوحى إليه حلو الكلم وهو فى مهاد الظن مثلما تعلم الحاضنة الطفل الكلام وهو فى المهد .. لكن ليكن توكلك على الله وسعيك إلى الله .. فكما يكون العقل قادرا فهو مقدور من الله .. وكما يكون آمرا فهو مأمور من الله .. ومهما كان العقل ملكا .. فإنما أخذ هذه الملوكية من الله .. وكله عزه وشرفه من الله سبحانه وتعالى .. وكل قوته أنه فاض مباشرة عن الله تعالى .

٤١٩٠ - ٤١٩٤ : إن الذى يفضل العقل هو العشق (ستأتى حيثيات هذه المفاضلة فيما بعد) ، وفرق بين العقل والعقلانية .. فالعقلانية أى الاعتماد المطلق على العقل « الجزئى » جديرة بأبى على بن سينا وليست جديرة بالعارفين الذين يتلقون عن رب العقل لا عن العقل فلا تتثبت هكذا به .. فهو إما يكون عليك سلاما أو يكون حربا عليك .. أنه يبسط النور على الحواس من أجل صلاح هذا العدو أى الجسد .. ويرشدها كى تقوم بتدبيره .. لكن الذى يقف فحسب على هذا النور الذى فاض من العقل على الحواس فقد قتل نفسه مثلما تقتل الفراشة نفسها عندما تحوم حول نور المصباح .

٤١٩٥ - ٤١٩٩ : فليكن تعاملك مع العقل بنوايا الخير .. وإلا فإن اعتمادك عليه فى الشر لن يعود على أحد بالضرر إلا عليك أنت .. هنا يتحول العقل إلى مشنقة تقوم بشنقك وكم من انسان قضى عليه عقله ، وكم من إنسان تحول عقله إلى عقيلة له .. على كل حال إن ضاعت منك القوى التى تعتمد عليها « الرخ والحصان » فاعتمد على الملك (العقل) وخذ فيه دليلا لك .. وشيخا لك .. ولكن لـه بمثابة المريد من الشيخ .. والمريد لابد وأن يصمت فى حضرة الشيخ .. حتى يتعلم الكلام من الشيخ .. وحينذاك يتبقى شيطانه المرَيد على باب وجوده ولا يجرؤ على الدخول والسكن فى هذا الوجود .

٤٢٠٠ - ٤٢٠٢ : يضرب المثل هنا بسلمان الفارسى رضى الله عنه .. « وأسلم شيطانى » حديث منسوب إلى النبى ﷺ .. ومسألة قطع الصحارى الثلاث فسرها مدرس رضوى بعوالم الناسوت والجبروت واللاهوت أو الشباب والكهولة والشيخوخة .. أو النفوس البهيمية والسبيعية والملكية التى يعبر عنها بالأمارة واللوامة والمطمئنة لكن ترك رقم السنين الثلاثمائة دون تفسير .. ولم يذكر رقم الثلاثمائة فى سيرة سلمان رضى الله عنه إلا إشارة إلى صفة يشرب كما قالها له الراهب الذى خدمه عن الثلاثمائة نخلة الموجودة فى مدخل يثرب .. وقد تكون الصحارى الثلاثة هى علامات النبوة الثلاثة : أنه لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وخاتم النبوة موجود بين كتفيه . « صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٥٣٠ - ٥٣١ » . (تعليقات ص ٤٣٤) .

٤٢٠٤ - ٤٢٢٢ : يبدأ مولانا سنائى فى الحديث عما يخالف العقل ويرتكب فى سراى الغرور من شرب للخمر وتضييع لقوى العقل فى لعب النرد والشطرنج أو سماع آلات اللهو والطرب .. أو استخدام المهارة العقلية فى ألعاب القمار أو حتى مزاولة الملوكية والسلطة بعيدا عن الدين .. إن هذا العقل الذى يستخدم من أجل كسب الدنيا .. ليس عقلا صالحا إنه كالعطار الذى يبيع الزيف .. والعقل لا يستخدم فى الاحتيال والسرقة .. ولا يستخدم فى كتابة أشياء فاضحة .. إن العقل سيد محقق ... لا هو بالمتنطع ولا « بالصوفى » الذى لا يملك من التصوف إلا الفيهقة والتلاعب بالألفاظ .. وليس العقل تافها مرتزقا ليس ناشئا فجامحتلا .. إنه ليس من أجل الشعوذة وليس من أجل النميمة وليس من أجل الاحتيال .. إن كل هذا الذى يظنه الناس ذكاء ودهاء ليس من العقل فى شىء .. إن العقل هو ميزان الله .. وميزان الله طيب لا يدل إلا على طيب .. إن هذه الأعمال كلها أعمال الأحاسيس .. والأحاسيس هى التى تدل عليها وهى التى تقوم بها بقبس (تسرقه) من العقل .

٤٢٣٣ - ٤٢٣٧ : فى الأبيات إشارة إلى ما جرى بين عقيل بن أبى طالب « الأخ الأكبر لعلى وجعفر رضى الله عنهما » وبين أخيه إبان خلافته وكان قد وفد عليه يستعطيه فلم يجزل العطاء من بيت مال المسلمين الذى كان الأرامل والأيتام أحق منه ، فلما استقل عطاء أخيه خرج من عنده واتجه إلى الشام ولحق بمعاوية فأجزل له الأخير العطاء وثمة رواية أن عقيلا استضاف الإمام على ذات يوم فى منزله وطلب منه أن يزيد سهمه من بيت المال فسأله أمير المؤمنين من أين ينفق على هذه الوليمة إن كانت به حاجة بالفعل إلى المال فأجاب بأنه صام أياما ثلاثة فوفر نفقات الوليمة ، فقلل على رضى الله عنه من سهمه فوسط عقيل عبد الله بن عباس بأن يعيد القدر الذى انقص ما دام لا يزيد الزيادة .. وبعد أن عرض عبد الله بن عباس الأمر حمى أمير المؤمنين على درهما فى النار دون أن يراه عقيل ووضعه على يده وقيل على كتفه .. فتألم عقيل فقال على رضى الله عنه : إنك لم تستطع أن تتحمل هذا القدر .. وتجيز أن يعذب أخوك بما هو أفظع منه . والمراد بالأبيات أن الإمام على كان يعطى المرء بقدر حاجة وبقدر عقله .. وأن نظر الإمام على رضى الله عنه بالقلب .. جعله يدرك أن عقيلا لا يستحق أكثر مما أخذه .

٤٢٤٠ - ٤٢٤٥ : إن هؤلاء الذين يستخدمون العقل فى الاحتيال كأنهم الديدان يتلوون حول أنفسهم .. إنهم خدام إبليس .. لا يتركونك حتى توارى التراب وينبت الزهر من لحدك .. إنهم فى الباطن عقارب وأن كانوا يبدون لك أصدقاء .. لكن كل سعيهم وصلتهم هذه تكون بلا نتيجة إن كنت أنت من أصحاب العقول فإن عقلك هو الذى يحميك منهم جميعا .

٤٢٤٦ - ٤٢٥٦ : تريد أن تستفيد من عقلك .. إجعله متحررا منطلقا ولا تجعل له المكان سجنا .. أنه لا يبدى لك نفسه ، حتى و إن كان فى إبدائه لنفسه لك نفع وخير .. وعقول النساء والرجال لا تكون على هذا النسق .. كما أن عقول الشياطين التى كانت تسترق السمع ليست على هذا النسق أيضا .. إنها أذهان المحتالين والكهنة والسحرة .. وآراء اللصوص والمشعوذين وشعراء السوء .. كلها من قبيل الفطنة والدهاء والحيل .. كلها ليست من العقل الفعال الصادر عن الله سبحانه وتعالى بل هى من عطايا الأفلاك .. وإذا كان العقل طاهرا فلماذا تمارس المكر ؟! إن هذه الكواكب التى تظنها عقلا تقتلك فى نهاية الأمر .. إنها سهام قاتله فحذار منها .. والشيطان .. ابليس .. كان لديه عقل من هذا القبيل .. كان ذكيا مجادلا يطلق الحجة تلو الحجة .. لكنه لم ينل سوى اللعنة .. نعم إن عقله هو عقل الخداع والتلبيس .. وهكذا فإن طاووس الملائكة والذى كان يسمى عزازيل .. قد لعن .. ذلك أن العقل الذى كان يسيره كان عقل الدهاء وعقل الحيلة .. ولم يكن « عقل الدين » .

٤٢٦٠ - ٤٢٦٤ : إنه هو عقل الدين الذى يجعلك أميرا على كل المخلوقات ، فهو لا يعطيك سوى الهدى ، ولا يتركك إلا عندما يوصلك إلى الحق .. وإن لم يكن ثم عقل .. فالنفس حمقاء .. وإن لم يكن ثمة رسالة لدى نوح عليه السلام فهو مجرد بحار .. إن عقول الرجال الحقيقين قد انطلقت حتى وصلت إلى باب الاله .. لم تعد تفكر فى خير أو فى شر .. فالعاقل هو الذى يبغى وجه الله ولا يفكر فى نفع أو فى ضر .

٤٢٦٥ - ٤٢٦٩ : العقلاء لا يبغون لعقلهم الوصول إلى نفع من الكواكب السبعة والأفلاك التسعة .. أنهم لا يفعلون إلا الخير ذلك أن الشرير لا يكون وليا على الخير (العقل) ، العقل هو الولى على الفلك لأنه هو العالم بالشرع والعدل .. لكن الكنوز الموجودة على هذه الأرض « مقام الراحة والتعب » دائما ما هى محروسة بحية مؤذية .. لكن وجودك كله محروس بهذه الهدية التى ولدت معك .. إنها العقل .

٤٢٧٠ - ٤٢٧٧ : ومن ثم فليس من اللائق أن يكون اهتمامك كله منصبا على نقد الخلق وعلى تصنيفهم .. إنك حين تفعل ذلك فإنك تجعل من ذلك الملك الموكل بالروح (العقل الكلى) جنديا عسسا يراقب هذا ويراقب ذاك .. وهذا كله عبث فاقلع عنه .. ذلك أن هذا الطريق هو طريق الباطل .. انك تعتبر العقل عطية الله - كاذبا .

٤٢٨٠ - ٤٢٨٤ : إن العقل دواء من كل داء .. لا يتردد المرء فى اختباره حتى إن وجده فى عمر متأخر ، بل أن العاقلين فى هذه الدنيا يجعلون كل قديم جديدا أمام مصباح العقل وأمام نور العقل ، وإن كان دين الجهلاء واحدا منذ أوائل أعمارهم وحتى نهايتها .. أن كيسته العقل عادة ما هى مليئة بالعدل .. وينبغى أن تملأ الكؤس أيضا بهذا العدل حتى يكتسب المعاد .. ذلك أن العدل من بضاعة العقل.. والعقل هو الذى يوصل إلى باب الغيب وهو السلطان على الروح التى هى سلطانة على الجسد .

٤٢٨٥ - ٤٢٨٨ : إن العقل لا يستخدم من أجل الهوى ، ومن يفعل ذلك يبقى سائرا على قدمه وإن كان تملك حمارين .. ومن لا عقل له إن كان له فضل وأدب كانا شرا عليه مثلما يكون الهلاك للنمل من أجنحته « إذا أراد الله هلاك النمله أثبت لها جناحين .. مثلما يكون من أجنحته .. ولا تظن أن تصديه للأمور خير له .. ذلك أن الحية عندما يحين أجلها.. تتصدى لرأس الطريق و « إذا جاء أجل البعير حام حول البير » (مجمع الأمثال / ٧٧) الأمثال العربية رياض مراد ١/ ١٨١ الرياض ١٩٨٦ .

٤٢٨٩ - ٤٢٩٢ : يقول عبد الرءوف المناوى فى شرح كتاب الجامع الصغير عند تعرضه للحديث « قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له » أن جزاء المرء رهن بعقله » ويضيف أن البيهقى روى عن جابر « أن رجلا تعبد فى صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأت حمارا يرعى فقال : يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى فهميه نبيهم فأوحى الله إليه: دعه فإننا أجازى العباد على قدر عقولهم» وهناك خبر آخر « يحاسب الناس على قدر عقولهم » (تعليقات رضوى ٤٣٧ - ٤٣٨) وقد نظم مولانا جلال الدين الرومى قصة العابد صاحب الحمار بأسلوبه الفذ فى المثنوى المعنوى الدفتر الثانى - الترجمة العربية للمرحوم الدكتور محمد كفافى الأبيات ١٧٢٠ - ١٨٠٠ وشروحها) والمقصود بقراءة « ويل للمرسلات » قراءة الآيات التى تبدأ بكلمة « ويل » فى سورة المرسلات وهى عشرة تعد المكذبين بالويل .

٤٢٩٤ - ٤٣٠٢ : الآباء العلويون : اعتبر الفلاسفة العقل العقال بمثابة الأب للخليقة والنفس الناطقة بمثابة الأم للخليقة «اعتبر مولانا جلال الدين السماء أبا والأرض أما انظر الكتاب الثالث من المثنوى الترجمة العربية الأبيات ٤٤٠٤ - ٤٤١١ وشروحها » وهما أى العقل والنفس آباء عالم الروح .. ومادة الفلك .. ومن ثم فهما بالنسبة للإنسان أكثر شرفا من الوالدين الحقيقيين اللذين وهبا الجسد ويجب توقيرهما أكثر من توقير الوالدين الحقيقين .

٤٣٠٧ - دودة القز ناسجة الحرير .. يضرب بها المثل فى التضحية .. أنها تموت من أجل أن تصبح شرنقة .. ثم تولد من جديد من الشرنقة .. فكأن العقل منذ أن سمع حديث الأمر منذ الأزل وهو حتى الأبد مثل دودة القز .

٤٣١٥ - عن العقل والعاقل ونصيحة العاقل انظر مثنوى جلال الدين الكتاب الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٥٠٠ وما بعده وشروحها » .

٤٣١٨ - الحكاية الواردة منسوبة هنا إلى معن« ولعله معن بن زائدة الشيبانى » المتوفى سنة ١٥١ للهجرة قتيلا على يد الخوارج بينما كان واليا للمنصور فى سجستان (تعليقات رضوى ص٤٤٠) وهى منسوبة فى الرسالة القشيرية (ص١٣٢) لعبد الله بن جعفر : «قيل لعبد الله بن جعفر أنك تبذل الكثير إذا سئلت وتضن بالقليل إذا نوجزت .. فقال أننى أبذل مالى وأضن بعقلى » ووردت بنفس النسبة فى كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى وبنفس النص (عن تعليقات رضوى ص٤٤٠) . وواضح من الأبيات التى يتعلق بها على الحكاية أنه ترك الحديث عن العقل الفعال أو العقل الكلى وتحدث عن « ما يطلق عليه العقل » سواء كان عقلا كليا أو عقلا جزئيا أو عقلا فعالا .

٤٣٣٤ - كان من المعتقد أن الأحجار الكريمة هى فى الأصل أحجار عادية ، لكنها تتحول إلى احجار كريمة بفعل عوامل طبيعية من أهمها تعرضها لضوء الشمس فترة طويلة ولسنائى فى قصيدة طويلة :

تنبغى سنون حتى يصير حجر أصلى من تأثير الشمس ياقوتا فى بدخشان أو عفيفا فى اليمن « ديوان سنائى ص٤٨٦ » .

٤٣٣٥ - هو دفتر النفس باعتبار أن النفس أنها أخذت علمها الأربى من دفتر العقل لتوصلها إلى ما دونها من مراتب المخلوقات ، وهو قلم الأمر على أساس أنه فاض مباشرة وبلا واسطة ليقتبس الأنوار من العلة الأولى .

٤٣٣٦ - ٤٣٥٠ : المعنى هنا اقتباس من الآيات الشريفات « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور » « الطور ١ - ٤ » والمراد من والمراد بالكتاب المسطور : القرآن الكريم .. ويحاول سنائى هنا الباس فكرة النفس الكلية رداء إسلاميا .. فهى الرق المنشور بما يمليه العقل .. وهى البيت المعمور « الذى يقابل فى السماء الكعبة المشرفة » والتفسيرات هنا أقرب إلى تفسيرات الاسماعيلية منها إلى تفسيرات الصوفية « لمعلومات أوسع انظر جامع الحكمتين لناصر خسرو ترجمة كاتب هذه السطور .. المقدمة الوافية عليه أو

انظر بحثنا بالفارسية تأثير انديشه هاى اسمعيل ناصر خسرو در انديشه هاى عرفانى سنائى غزنوى .. فى العدد الثانى من مجلة المنتدى التى كان يصدرها المركز الثقافى الايرانى بالقاهرة - ١٩٧٨ » ، ويزاوج سنائى مزاوجة واضحة التعسف بين الفكرة من مظانها الفلسفية الأولى وبين حرصه الشديد على ألا يبتعد عن « الشريعة والنقل » ومن ثم .. فالنفس الكلية قيمة النبى المرسل .. والعقل الأول كالمصطفى وهى كالصديق .. وهى المقتبسة لنور العقل .. لتوصله إلى بقية المخلوقات .. هى متوسطة بين كونها جوهرا روحانيا وبين كونها مرتبطة ببقية المخلوقات فهى أذن من حيث علاقتها بالعقل .. وهى لسان من حيث علاقتها ببقية المخلوقات .. هذه النفس الكلية هى موضع صراع الإنسان من حيث شوقه إلى الملأ الأعلى .. فإن الشوق إلى الله سبحانه وتعالى مركب فيها .. وهى بشوقها هذا إلى العلة الأولى لا تصبح بها حاجة إلى العقل ، لأن الشوق يجعلها ذات صلة مباشرة بالله أو بالعلة الأولى .. وهى بشوقها هذا تفضل العقل نفسه .. ويصبح العقل قابسا للنور منها .. وعن ما تكون ميالة للأصل « أى العقل » يتم كما لها .. وتتوحد بالعلة الأولى . (انظر أيضا شروح البيت ٤٠٩٩ من هذا الكتاب) .

٤٣٥١ - ٤٣٥٨ : ناول فى هذه الأبيات الروح الحيوانية (من الحياة وليست من الحيوان) السارية فى الوجود وأنها من بركات النفس الكلية .. والعقل باحث عنه من هذه الوجهة .. فهى السبيل إلى معرفة العقل ... وهى التى تجليه فى مظاهر الحياة« الربيع والشباب والسرور» .. لكن سنائى لا ينسى أنه « شاعر الشرع » لحظة واحدة .. فهى - أى النفس الكلية - على رأس شارع الإسلام .. أى هى الدليل إلى معرفة هبة الخالق لعبيده .. وشكر العبيد له وعبادتهم اياه .. وهذا أصل من أصول الإسلام والواقع أن قيام سنائى بربط كثير من الأفكار الفلسفية والعرفانية بمظاهر الطبيعة أمر غير مفهوم .. اللهم إلا إذا كان يدعو إلى مشاهدة الصنعة والقدرة فى الطبيعة .. وهو فى هذا المجال يختلف عن جلال الدين الرومى الذى كان يرى أن « آثار قدرة الله هى القلب أما الطبيعة فهى آثار الآثار » (لتفضيلات لنظر مثنوى مولانا جلال الدين الرومى - الكتاب الرابع - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور - الأبيات ١٣٦٠ وما بعده وشروحهامدبولى / ١٩٩٣) .

٤٣٥٩ - ٤٣٦٣ : العقل هنا يكاد يكون العقل الجزئى .. وهو القوة المسيطرة على البدن فهو سيد الطباع الأربعه .والحواس العشرة (الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة) ولوحة الحرص هى النفس الحيوانية وهى لا تغسل ولا تطهر إلا بماء الذل والاحتياج والتضرع إلى الله تعالى .. أما القوى الثلاثة فهى الغضبية والسبعية والشهوانية وهى عماد حياة الجسد والأربعة الملونة هى الطباع الأربعة.. والروح فارغة من كل هذه الألوان التى عليها عماد حياة الجسد لأنها خلقت بعد الجسد .. وهى تحس بالعار من كل هذه الألوان .

٤٣٦٤ - ٤٣٧١ : نق الروح عن كل هذه الأدران .. وأنأ بها عن هذا البحر الهائج بحر الجسد بما فيه من شهوات ورغبات .. فأنت مقيد القدم فى هذه الدار .. ولا يمكن أن تكون لك سباحة فى بحر القدم (بحر الروح) ما لم تتعلم السباحة فى هذا البحر من مرشد .. لكنك لا تستطيع أن تخوض هذا البحر على ثمرة يقطين أو بسفينة محطمة .

٤٣٧٢ - إن لم يكن ثم كمال للعقل .. فمتى كان يمكن أن يشترى الإنسان ثلاثة أذرع من الأطلس هى وجوده بتسع دراهم .. أى بالأفلاك التسعة (تعليقات ٤٤٣) أو بتعبير آخر متى كان الإنسان يضحى بملك الأفلاك فى سبيل وجوده الجسدى ؟!!

٤٣٧٦ - ٤٣٨٢ : إن عزة العقل أن حسبته بالنسبة للنفس .. إن كنت ذا ضمير مستنير ونفس طاهرة .. فإن النفس هى بالنسبة لدرجتها جوهر لطيف .. لكنها بالقياس إلى العقل ليست كذلك .. والنفس بالنسبة للعقل أول وآخر .. وهى وراء المراتب الروحية .. وهى قابلة للتجسد وليس العقل كذلك .. وإن لم يكن العقل موجودا لما أمكن اطلاق اسم على أى شىء كما أن العقل هو علة مراتب الجسم وكل الممكنات معلولة له إما بواسطة أو بغير واسطة (تعليقات رضوى ص٤٤٤) .

٤٣٩٧ - ٤٣٩٩ : من هذه الأبيات انطلاقة مولانا جلال الدين نحو فكرة من أهم الأفكار التى تكررت فى المثنوى بالطبع بتفصيل أكثر وهى فكرة أن كل ما فى الكون آكل ومأكول .. وأن مسيرة الخليقة إلى تكامل .. وقد طبق مولانا جلال الدين الفكرة على الخليقة ككل فى صدر الدفتر الثالث من المثنوى .. وعلى الإنسان مما حدا ببعض الباحثين بالقول أن مولانا جلال الدين قال بنظرية النشوء والارتقاء وهو تزيد .. ذلك أن الأصل الأول فى النظرة الإسلامية .. هو أن الحياة الدنيا موصولة بالحياة الآخرة « الدنيا مزرعة الآخرة » وهذه النظرة هى التى تحمى المسلم من التكاثر والاستزادة من مال الدنيا ، فمال الدنيا ينبغى أن يستغل فيها فيما ينفع المرحلة الثانية من الحياة وهى الحياة الآخرة .. (انظر لتفصيلات حول أفكار مولانا جلال الدين .. الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الترجمة العربية لكاتب هذه السطور .. المقدمة تحت عنوان البقاء فى الفناء .. والأبيات ١٥ - ٦٠ وشروحها والأبيات ٣٩٠١ - ٣٩٠٦ وشروحها) .

٤٤٠٠ - ٤٤٠٤ : الأبيات الأربعة مستوحاة من بيت شعر عربى :

وإن لم تصب فى القول فاسكت فإنما

سكوتك عن غير الصواب صواب

٤٤٠٥ - ٤٤١٥ : المثال كله وارد فى احياء علوم الدين ٣/ ٢١٤ .

٤٤١٦ - ٤٤١٩ : يبين فى هذه الأبيات القوى الثلاثة والنفوس الثلاثة ففى البيت الأول يشير إلى النفس الناطقة التى هى حافظة ومدبرة للبدن وفى البيت الثانى الأنواع الخمسة من الشرطة هى الحواس الخمسة الظاهرة البصر والسمع والشم والذوق واللمس.. والوكلاء الثلاثة كناية عن النفوس الثلاثة النباتية والحيوانية والإنسانية وفى البيت الثالث إشارة إلى القوة الهاضمة وهى خادمة القوة الغاذية وهى من القوى الثلاثة النباتية . الغاذية والمنمية وتوليد المثل والذى يقسم إشارة إلى الكبد وهو آلة التغذية والمحلل للمواد الغذائية .. والذى يحمل الثقل هو القوة الدافعة .. وهذا يعطى النعمة كناية عن القوة الجاذبة وفى البيت الرابع ذاك يبدى إشارة إلى القوة الحيوانية وهى مرشدة وتنبعث من القلب ومختصة بالحياة لأن حركة القلب والنبض والقوة التى تحفظ الحياة وهى القوة التى تحمى البدن من التعفن والغضب والشهوة والفرح من عوارضها . وهذا يدبر اشارة إلى النفس الإنسانية وهى عبارة عن النفس الناطقة والنفس الناطقة فى مصطلح الحكماء هى الروح وهذا يصير حافظا اشارة إلى القوة الماسكة وهى خارقة القوة الغاذية وذاك يغير : اشارة إلى القوة المغيرة وهى تعين القوة المنمية . (مدرس رضوى : تعليقات حديقة الحقيقة ٤٤٤ - ٤٤٥) .

٤٤٢٥ - ٤٤٣٠ : يجمع سنائى بين هنا بين العقل والشرع .. وهو لا ينسى الشرع أينما توجه بحكمته ، فإذا كان العقل عين فالنبوة هى النور وعين بلا نور عمياء لا تبصر فكأن بصر العقل موكول بالنبوة .. وفى البيت ٤٤٣٠ يجمع بين الشرع والعقل والروح والدماغ .. هى القوى التى توجه الخلق فى هذا العالم .

٤٤٤٢ - شرح مدرس رضوى هذا البيت قائلا :

مراتب العقل النظرية أربعة : أولها العقل الهيولانى ثم العقل بالملكة ثم العقل بالفعل .. ثم العقل المستفاد .. والعقل الهيولانى فى مصطلح الحكماء عبارة عن الاستعداد المحض للنفس الناطقة فى مبدأ الفطرة كما يكون الأطفال فى مبدأ الخلق لا يحصلون علما لكنهم مستعدون لتعلم الضروريات . والعقل بالملكة عبارة عن علم النفس الناطقة بالضروريات بحيثيتها المستعدة لاكتساب النظريات . والعقل بالفعل عبارة عن ملكة اكتساب النظريات من الضروريات والعقل المستفاد عبارة عن استحضار النفس الناطقة للنظريات المكتسبة .. لأن غيابها عن النفس الناطقة محال .

٤٤٥٠ - بهذا البيت يبدأ باب العلم فى الحديقة . وأغلب الظن أن هذا الباب مقدم على باب النفس الكلية ومن المفروض أن يتحدث عن النفس الكلية بعد الحديث عن العقل الفعال ، ولعل هذا من خلط النساخ . والأحاديث الواردة فى مقدمة الباب من الأحاديث الصحيحة .

- حديث العلماء ورثة الأنبياء : ابن النجار عن أنس ضعيف الجامع الصغير ٢/ ١٩١ .

- أطلبوا العلم ولو فى الصين . للعقيلى فى الضعفاء ولابن عدى فى الكامل وللبهيقى فى الشعب ضعيف الجامع الصغير ١٦٨/١ .

- نوم العلماء خير من عبادة الجهلاء . لا يبدو حديثا نبويا .

- حديث : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان . وهو منسوب إلى الإمام الشافعى رضى الله عنه ،ويرى سنائى أن العلم هو الذى يوصل إلى الله . فقيمة العلم بقدر هدفه أولا .

وفرق كما يرى مولانا بين علم تحمله وعلم يحملك . فالعلم الذى يعد محمولا هو العلم الذى يعبر عنه سنائى بأنه الذى يحمل إلى المال والنفس والجاه .. أما العلم الذى يحمل المرء فهو العلم الالهى هذا من ناحية ، :

٤٤٥١ - ٤٤٥٢ : ثم إن العلم يقاس أيضا بالعمل ،وطالما هاجم سنائى العلماء الذى لا يعملون بما علموا .. وله قصائد كاملة فى الديوان فى هذا الباب.. وكان يرى أن من الطبيعى جدا أن يحمل السكير من الحان إلى جهنم .. أما الكارثة الحقيقية فهى أن يحمل العالم من « المنبر » إلى جهنم فكأن هناك علما لا ينجى صاحبه بل يرديه .. وهو العلم الذى لا يعمل به صاحبه ويتخذ منه وسيلة إلى خداع الخلق .

٤٤٦٦ – الحكاية الواردة هنا ليست حكاية بالمعنى المفهوم .. وأغلب الظن أنها مجرد مثال على من يطلب الشىء من غير موضعه .. فالمرء لا يطلب شيئا مما لا يحسنه .

٤٤٦٩ – ٤٤٧١ : مضمون الأبيات مأخوذ من كلام العرب « خذ ما صفا ودع ما كدر » كما اقتبس الشاعر سعدى الشيرازى الجزء الأول من هذا المثال . (تعليقات ٤٤٧) .

٤٤٧١ – المعنى هنا ناظر إلى حديث نبوى « العلم علمان : علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك هو العلم النافع » الجامع الصغير ٢/ ٧٠ .

٤٤٨٥ – البيت ناظر إلى الحديث النبوى « العلماء أمناء الله على خلقه » رواه القضاعى وابن عساكر عن أنس (الجامع الصغير ٦٩/٢) .

٤٤٨٦ – عرق القيفال يفصد من أجل أعضاء البدن ولا يفصد من أجل القدم فطلب العلم من السفيه بمثابه فصد عرق القيفال من أجل القدم أى لا فائدة منه بل إن هناك ضرر منه .

٤٤٩٢ – الحكاية وردت مع بعض التصرف فى محاضرات الراغب الأصفهانى كما وردت فى أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى (ص١٥٠ من طبعة دمشق)وبالطبع تدل الحكاية على الصراعات المذهبية التى كانت موجودة فى عصر سنائى وفى مستويات مختلفة ابتداء من مجالس العلماء حتى اشتباكات العامة وكانت هذه الخلافات المذهبية من خلفيات نظم الحديقة .. وألقت بظلالها عليها فى أكثر من موضع .

٤٥٠٣ – المقصود بخطة الخط والحرف أن العلم المكتوب الذى يقرأ فى الكتب ، فالعلم هو الذى تعيه الصدور .. هو العلم اللدنى الذى يقذفه الله تعالى فى قلب العبد . ولذلك يقول أحد الصوفية « أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت » .

٤٥١٤ – ٤٥١٧ : هذا المثال ورد عند أبى نعيم الأصفهانى (حليه ٣/ ٢٤٥) : « مثل العالم والجاهل مثل البناء والرقاص ، تجد البناء على الشاهق والقصر معه حديدته جالسا ، والرقاص يحمل اللبن والطين على عاتقه على خشبة تحته مهواة لو زل ذهبت نفسه ، ثم يتكلف الصعود بها على هول ما تحته حتى يأتى بها إلى البناء فلا يزال البناء على أن يعد لها بحديدته ورأيه وتقديره . فإذا سلما أخذ البناء تسعة أعشار الأجرة وأخذ الرقاص عشرا . وأن هلك ذهبت نفسه فهكذا العالم يأخذ أضعاف الأجرة بعلمه » .

٤٥٤٠ – المثل الموجود هنا لم أجد له أصلا ولعله من تأليف سنائى وإن كان صاحب التعليقات ذكر أنه ورد فى تفسير أبى الفتوح الرازى أن فأرا جاء وأمسك بخطام بعيروأخذ يسحبه والجمل يمضى فى أثره حتى دخل الفأر جحره .. والعشق والألم هما اللذان يجعلانه « الأقوى » يتابع « الأضعف » وينقاد له .. فالجمل غير ناظر إلى من يقوده لكنه ناظر إلى المهار والحبل .

٤٥٤٦ – ٤٥٤٨ : المستفاد من هذا أن الألم هو دليل المقصد ، وأن الألم هو الموصل إلى الآخرة .. وهكذا يكون ألم العشق عند الرجال ، وناره لا تحرق الكبد بل تكون مؤنسة له .. وبالعلم بالمناسك لا يصبح المرء حاجا ، بل إن قيامه بتطبيق ما علم هو الذى يجعل الطريق مضيئا أمامه .

٤٥٤٩ – فسر صاحب التعليقات هذا البيت بأنه مأخوذ من حديث ضعيف الإسناد هو « لحوم العلماء مسمومة » (ص٤٥١) والواقع أن الفكرة هنا قريبة جدا من فكرة فسرها جلال الدين الرومى فى المثنوى (انظر الدفتر الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٠٠ وما بعدها) وفحواها أن هذا العبوس الموجود على وجود العلماء والأصفياء إنما يكون لكى يبتعد عنهم العوام .

٤٥٦٧ – « إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا » .

٤٥٨٥ – وردت الحكاية التى تبدأ بهذا البيت فى كشف المحجوب للهجويرى « الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ص٤٢٩ – النص ص ٤٦٤ » وروى عن الشبلى رضى الله عنه أنه نهض فى مجلس الجنيد على قدميه وصاح بصوت عال : يا مرادى مشيرا إلى الحق فقال له الجنيد : يا أبا بكر .. إذا كان مرادك الحق .. فكيف قمت بهذه الإشارة وهو مستغنى عنها .. وإن لم يكن مرادك الحق .. فلماذا تحدثت بما يخالف ضميرك والحق عليم بقوله . فاستغفر الشبلى على قوله » .

٤٥٩٨ – فى البيت اشارة إلى القصة الشهيرة الواردة فى كليلة ودمنه « ص٦ من طبقة دار الشعب » عن اللص الذى سطا على منزل فأدهمه صاحب المنزل خلال حديث مع زوجته أنه المكن أن يتخذ من ضوء القمر وسيلة للهبوط من سطح الدار إلى صحنها .

٤٦٠٩ – قد تكون الحكاية التى تبدأ بهذا البيت مبنية على قـول للجنيد ورد فى كشف المحجوب للهجويرى « من عرف الله كل لسانه » (هجويرى : متن ٤٦٤ الترجمة العربية ص٤٢٩) أو على الآية الكريمة ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ .

٤٦٣٥ – ٤٦٣٧ : الأبيات اشارة إلى الحسين بن منصور الحلاج شهيد العشق فى رأى الصوفية .

٤٦٦٠ – اشارة إلى حـديث نبوى « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظـافة كـريم يحب الكرم جـواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » « الجامع الصغير ١/ ٥٩ » .

٤٦٧٠ – الحكايـة المروية هنا ليسـت حكاية بـا لمعنى المفهوم ولكنها مجرد « تقـرير » إن كل من يمـوت فى سبيل العشق يموت سعيدا ويموت ضاحكا . وقد ورد كثير مما يشبه هذه الحكاية فى الرسالة القشيرية (ص١٣٧ وما بعدها) وفى كثير من كتب الصوفية .

٤٦٨٧ – أى أن عابد الصورة كـافر يظن نفسه مسلما ،فعمامته (موضع شرفه) فى حزائم وفراسـه الذى سيظن أنه الحزام الذى يتمنطق به الصوفيه « حزام الوحدة » هو مجرد زنار .

٤٦٨٩ – اشاره إلى حديث يرويـه الصوفية « لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسـل » واعتبر صاحب اللؤلؤ المرصوع هذا الحديث من الأحاديث المصنوعة .

٤٧٠١ – اشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وقلنـا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكـم مـنى هدى فمـن تبـع هـداى فـلا خـوف عليهـم ولا هم يحـزنون ﴾ (البقرة / ٣٨) . وومن الواضح أن سنائى يفسر سيرة سيدنا آدم تفسيرا صوفيا .

٤٧٢٠ – ٤٧٢١ : البيتان نـاظران إلى حديث يـرويه الصـوفية عن النبى ﷺ « من مات بـالعشق لم يمت أبدا وقـد نظم حافظ نفس المعنى : لا يموت أبدا من حيا قلبه بالعشق

إن خلودنا مسجل على جريدة العالم

(ديوان حافظ ص١٢ من ط ١٩١١) .

٤٧٣٠ – الشطرة الثانية من البيت مأخوذه من قول مشهور لـدى الصوفية « من لم يذق لم يدر » وقول آخر : من ذاق عرف ومن حرم اختلف . وقد نظم جلال الدين الرومى القول الأول « البيت ٢٩٤٣ من الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى » .

٤٧٣٦ – الحكايـة التى تبدأ بهذا البيت وردت فى كتاب السـوانح للشيخ أحمد الغزالى « مثل ذلك الـرجل السـاكن فى نهر المعلى وكان يحب تلك المرأة فى الكرخ .. وكان كل ليلة يذهب إليها سباحة وعندما رأى ذات ليلة خالا على وجهها فقال لها : من أين جاء هذا الخال فقالت : هـذا الخال عندى منـذ أن ولدت : لكن لا تبق الليلة فى الماء . وعنـدما بقى . هلك من البرد . ذلك أنـه كان قـد عاد إلى وعيه وهذا أسر عظيم يشير إليه هذا البيت :

لست واعيا بالعشق ، ولا واعيا بنفس ولا بالحبيب » .

وقد نظم سنائى نفس الحكاية فى منظومته « عشق نامه » ونقل الميدى فى كشف الأسرار حكاية شبيهة عن ذى النون المصرى .. سئل ذو النو : مع من نجلس ومع من نعاشر فقال « من لا يملك ولا ينكر عليك حالا من أحوالك ولا يتغير بتغيرك » ويروى عن امرأة ان هناك بياض على عينها وكان محجوبها من فرط محبتـه لا يرى هذا العيب حتى أبصره ذات يوم فـسألها متى ظهر هذا البياض فى عينيك فقـال :من نقص كمال عشقك » ونفس هذه الحكـايـة التى اوردها الميـدى روى فريـد الـدين العطار نظيرا لها فى منطق الطير « انظـر الترجمة العربيّة لبديع جمعة » .

٤٧٥٩ – وردت القصة التى تبـدأ بهذا البيت فى كتاب شرح التعرف (٢/ ١٥٤) عن الأصمعى « رأيت امرأة حسـنـاء فاشتغل قلبى بها ، فقلت لها كلى بكلك شغول فقـال : لو كان كلك بكلى مشـغـولا فكلى لكلك مبذول ولكن لى أختا لـو رأيت حسنها وجمالها لم تذكر حسنى وجمالى . فقلت أين هى فقالت : وراؤك فالتفت فلطمتنى لطمة وقالت : يا بطال : لو كان كلك بكلى مشغولا لم تلتفت إلى غيرى » وذكرها الميدى فى تفسير كشف الأسرار « ١/ ٤٤٧ وذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١/ ٣٤٤) عند حديثه عن أبى المعالى العزيزى شيخ وعاظ العراق ومؤلف كتاب مصارع العشاق « ومن كلامه فى المحبه انما قيل لموسى عليه السلام لن ترانى لأنه عندما قيل له انظر إلى الجبل نظرا إليه فقيل : يا طالب النظر إلينا لم تنظر إلى سـوانا » ورد اليافعى فى مرآة الجنان على قول ابن خلكان « وكلامه هذا الذى حكاه ابن خلكـان لا يليق بالكليم والوجيه ابن عمران انما يليـق بمن فى محبته نقصان كما فى حكايته الجاريـة المشهورة التى قالت لمدعى محبتها ورأى من هو أحسن منى فلما التفت قالت :

لو كنت صادقا فى هوانا ، لما التفت إلى سوانا .

وأما الأنبيـاء فلا يحسن هذا فى حقهم بل لا يجوز فإن منصب الأنبياء أرفع من أن ينالـه شين ولا ملام وإنما يحسن فى غيرهم إذا ادعى الحب والغرام » وقيل « النـاظر إلى الشيء دون الحق فهـو محجوب عن الحق » (عن تعليقات رضـوى ٤٦٤ - ٤٦٦) وقد وردت مثيلتها عند القشيرى « وقيل ادعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص فقال له الشاب : كيف هذا وهذا أخى أحسـن منى وجها وأتم حبى جمالا فرفع الرجل رأسه وتلفت وكان على سطح فألقاه من السطح وقال : هذا أجر من يـدعى هوانا وينظر إلى سوانا (الرسالة القشيرية ص١٧٤) .

٤٧٦٣ - الإشارة هنـا إلى وامق وعذرا وهما من أبطـال قصص الحب التى نظمت فى الأدب الفارسى . وتـرجع إلى عصر ما قبل إسلام إيران .

٤٧٨٦ - هنا مزاوجة بين العشق والعقل .. فالعقل معنى من المعانى ولكن العشق هو الترجمة العملية له .

٤٧٩٢ - الخوذه كناية عن الجاه .. والعاشق لا يفكر فى الجاه .. بل يكون كالشمع محترقا نارى الخوذة .

٤٧٩٩ - الموائد الثمانية كناية عن الجنان والموائد السبعة كناية عن الأفلاك والكون .

٤٨٠١ - العشق المجازى « غير الحقيقى » هو عشق الله طمعا فى جنته أو خوفا من نار . أما العشـق الحقيقى فهو عبادته - جل شأنه - لوجهه الكريم . أما أكلها دائم فاشارة إلى الآية الكريمة ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ (الرعد/ ٣٥) .

٤٨٢٠ - خاضعا لزمان القديم أى تعيش فى الدنيا التى تخضع لدورة الزمن .

٤٨٢٥ - هذا الخبر لم أعثر له على أصل .

٤٨٣٣ - اشارة إلى ما اشتهر عن بعض مشايخ الصوفية الورعين أن أيديهم لم تكن تمتد إلى حرام .. حتى لو أرادوا الأكل منه .. كانت أيديهم تمتنع تلقائيـا وكان أولهم أبا بكر رضى الله عنه . كان دائما يسأل عن مصـدر طعامه . فلما نسى أن يسأل ذات يوم ثم سأل غلامه وأخبره بمصدر لم يرتح إليه مديده فى فمه وقاء ما أكل . « انظر صفة الصفوة ١/ ٢٣٤ » .

٤٨٣٤ - القصارون فى البيت كنايـة عن المرشدين الذين يغسلون القلب من أدران الدنيـا والمعنى : ما دمت لم تمح الباطل من القلب فكيف تدعى أنك حضرت على المرشدين .

٤٨٣٨ - ٤٨٤٢ : الكلب المذكور فى الأبيات كناية عن النفس الكلبية الشهوانية الأمارة بالسـوء .

٤٨٥٠ - ٤٨٥٥ : يفرق بين قلبين : تلك القطعـة الصنـوبريـة من اللحم الموجـودة فى تجاويف الصـدر وهى مجرد عضـو من الأعضاء .. وتلك اللطيفة النوازية المسيطرة على حياة الإنسان وموضع يسع الله « يسعنى قلب عبدى المؤمن » ومرآة الحقائق .

٤٨٥٧ - « إن فى الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسـد كله وإذا فسدت فسد الجسد كلـه ألا وهى القلب » حديث نبوى . مسند أحمد ٤/ ٢٧٠ .

٤٨٦٩ - ٤٨٧٠ : صاحب الخوذة كنايـة عن صاحب الكبرياء والأنانية والسلطان والمقصـود أن مثل هذا الشخص بينه وبين القلب (بمعناه الصـوفى) بون شاسـع .. وطريق يقطع فى مائة الف سنـة . لكنه للسائلين سهل وقـريب كعبور مـوسى البحر .. مع أن فرعون كان يتبعه وجنوده .

٤٨٧٢ - ٤٨٧٩ : إن الطريق من اهتمامات الجسد إلى اهتمامات القلب طريق صعب ومتعرج لكنه لا يكون صعبا ومتعرجا إلا على من يريده كذلك .. والفتـوح من الله .. إنك تظن أنه طريق يقطع بالقدم .. وفى كل لحظة تصرخ من طـول الطريق ومن صعوبته .. مثل ذلك المعدوم الهمة الذى يود الذهاب حاجا إلى مكة .. لكنـه فى كل لحظة يصرخ : آه يا مكة أنت بعيده جدا لكنه إن ترك أموره لله ، وحسـن من نيته .. فسوف يكون الطريق أمامه سهلا ميسورا ولن يكون الطريق سهلا إلا إذا حث مطيته الشوق .

٤٨٨٢ - ٤٨٩٢ : ليكن لك نصيب أولا من لب القلب حتى يصبح عنـدك دين فالقلب هـو أساس الديـن ..وإياك أن تظن أنك تعرف القلب .. فهذا القلب الـذى لك هو قلب يجعل الوحوش تتـواءم معك .. لأنه لا يختلف عن قلوبها فى قليل أو كثير .. ومن أين لك أن تعرف القلب الذى هو طريق الآخرة .. والقلب الـذى لك لا يختلف عن الذيل فى كثير أو قليل فهو يجعلك حيوانا والقلب يجعل المرء إنسانا .. وأنت لست أقل من نبـات انظر إلى النخلة عندما يستخرجـون قلبها .. لا يصبح لها نفع .. تصبح هشيا يلقى به فى الطين .. إن القلب هو الذى يحتوى على الله .. هو شمس .. شمس حـارقة للأنجم .. لكن مصباحك الذى معك لا يقلب الليل حتى إلى نهار .

٤٨٩٦ - ٤٨٩٩ : إن لهذا القلب معراجا .. آلاف المنازل يقطعها هذا القلب الخواص يعـرفون أسماء هذه المنازل التى تبلغ ألفا ومائة لكن العوام لا يفكرون إلا فى صعوبتها .. وأصحاب القلوب هم السابقون .

٤٩٠٨ - ٤٩٢٠ : إجعل قلبك قويا على الطريق بالتسليم .. وبالتمسك بأهداب الدين .. وبالزهد وعدم الترفة فى المأكل أو الملبس .. والحزن وعدم الفرح والبكاء على المصير .. والانطلاق إلى الهدف دون الدوران حول النفس .

٤٩٢٥ - يبدأ سنائى هنا فى وصف الليل .. تمهيدا للحديث عن ذلك الشيخ الذى سيظهر له .. ويصوره بأنه النفس الكلية . والليل هنا هو ليل الفترة وليل التوقف .. وليل التحير .. حتى تسطع شمس المرشد .

٤٩٣١ - اهريمن إله الشر واله الظلمة فى الديانة الزروشية القديمة . ويستخدم بمعنى الشيطان عموما فى المأثور الإسلامى .

٤٩٧٣ - النفس الكلية هنا شيخ مرشد وقور .. جاء بعد ظلمة ليل الفترة وليل الجهالة ليقود الشاعر .. يحل له ما غمض عليه من أسرار الكون .. فكأنه يتخذ هنا دور المرشد بالنسبة للمريد كما سيتضح من الحوار .. وإذا كان سنائى قد وصف النفس الكلية من قبل بأنها قيمة النبى المرسل ، ووصفها من ثانية بما يشبه النبوة ، فعله أضاف إليها الآن صفة المرشد الولى .. على أساس أن ما للنبى يكون للولى وأن الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته .

٤٩٨٠ - ٤٩٨٦ : الابن بالتبنى هنا لأنه ابن العقل وابن الروح .. وواضح أن المرشد يود أن أخذ بيد المريد ليخرجه من سجن النفس ، ويخرجه من هذه الدار التى هى سجن له ونفى له ليعود به إلى حيث ينبغى أن يكون .. وهذا مرهون بخلع رداء الجسد .. والتحرر من نقص الجسد وترك طائر الروح يحلق حتى سدرة المنتهى .. فالإنسان - أى إنسان - هو ابن الخليفة وجدير بابن الخليفة أن يعود إلى قصره وإلى موطنه الأصلى وهو الجنة .

٤٩٩٠ - ٥٠٠٥ : يتخذ سنائى هنا دور المريد ويخاطب الشيخ - الذى هو فى الحقيقة كائن نورانى فى سماوى لا يشبه الكائنات الأرضية وليس هذا بعيدا عن وصف الشيخ فقد وصف مولانا جلال الدين شيخه شمس الدين التبريزى بما هو أعلى من ذلك ووصف أبا يزيد البسطامى بأنه روح خالصة وانظر الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٠ وما بعدها وشروحها ووصف كل من تعرض لهم من الصوفية خلال المثنوى بأوصاف لا تزيد عن هذه الأوصاف التجريدية التى يصف بها سنائى شيخه « النفس الكلية » .. ولعل سنائى لم يستطع أن يسبغ كل هذه الأوصاف على شخص أو على إنسان للحالة التى كانت سائدة فى عصره وتخوفه المسيطر من العلماء .. ومع ذلك فعندما يصفه بأوصاف تجريدية يعود فيصفه بأنه شيخ (٥٠٠٣) .. وهو متجرد .. وهو أيضا معتزل الناس يوجد فى الخرابات .. إلى آخره .. ثم يخشى سنائى أن « ينكشف » فيعود فيصف شيخه بهذه الأوصاف التجريدية .

٥٠١١ - ٥٠١٤ : نقل مولانا جلال الدين الفكرة الواردة فى الأبيات فى الكتاب الثالث من المثنوى « انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ١٣٨٧ - ١٣٩٢ وشروحها » .

٥٠١٦ - ٥٠٤٠ : من هنا يبدأ الشيخ فى الجواب .. ويقدم صورة عالم من العوالم الخيالية التى كان الصوفية يصفونها فى معاريجهم فى أحيان كثيرة « انظر مثلا مشاهدات الدقوقى فى الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الرومى » فالشيخ هنا ذو جانبين .. جانب ربانى « لاهوت » وجانب انسانى « ناسوت » .. وهكذا يكون المشايخ الكبار .. ومهما يحاول سنائى أن يثبت أن حديثه عن النفس الكلية كأول خلق فى الدنيا إلا أنه يعود فيصف عالما خياليا مثاليا أشبه ما يكون بمدينة فاضلة صوفية على خير ما يتصور البشر من مدن ..أن من يعيشون فيها من أمثال المسيح .. لكن أرضها لا تقبل أمثال قارون يعيشون فيها وسكانها كما ينبغى أن يكون سكان هذا المكان المثالى .. مثاليون .. يسود بينهم العدل .. يعيشون فيها بينهم فى سلام حتى وحوشهم لا تستطيع الايذاء .. وجوها .. ياله من جو مثالى .. ربيع دائم وخضرة دائمة حية .. حتى الحشرات التى تعيش فيها فى عظمة ملوك الفرس القدماء « خسرو كى » . وأبهتهم وبهائهم .. هذا العالم لا يمكن أن يكون له مكان .. إنه عالم تولد فى الخيال .. عالم المثال الذى يسعى إليه كل الصوفية .. حيث يتوحد عالم الناسوت بعالم اللاهوت عن طريق هذه الواسطة التى رآها مولانا جلال الدين فى معظم مشايخ الصوفية .. سماها سنائى « النفس الكلية » لأن عصر كتابة الحديقة والظروف التى كانت تسوده لم يكن ليسمح أن يصور شيخا فى هذه الصورة المثالية .. فهذه الأرض التى جاء منها الشيخ أو النفس الكلية ليست أرضا بالمعنى المفهوم أنها أعلى من المكان وأعلى من الزمان أنها موضع « الروح » والروح لا توجد فى مكان .. فهل كان سنائى يستطيع أن يصور شيخا صوفيا بهذا الجمال .. وأرضا صوفيه بهذا الجمال .. وينجو من مشايخ عصره الذين كانوا له بالمرصاد .. وهل كان يستطيع أن يصرح بأن شيخا قادما من « مدينة الله » قابله .. وقاده وسط هذا الخضم الهائل من الصراع المذهبى وتضارب الآراء والأفكار والتكفير إلى بر الأمان الفكرى ؟!

٥٠٥٠ - ٥٠٦٠ : هذا هو الشيخ الذى انطلق سنائى فى وصفه .. إن العين التى لم تشاهد جماله أولى بها أن تصاب بالعمى والمركب الذى يمتطيه .. له اسطبل من المجرة وحالة فوق أن يدركها أى إنسان .. إنها العشق فى عالم الغيب .. مثلما يكون مقاله الصدق

فى عالم الدين .. وإياك أن تحاول أن تدركه بالعقل فمثله لا يدرك بالعقل وهو ليس فى مكان .. فقف مكانك ولا تسع إليه .. أنه أمير .. أمير هدفه عز الشرع وبذل العدل .. لكنه بلا حرس ولا جند .. إنه هو الذى يعيد لك الاحساس بالنبى « الذى لم يعد أمامك سوى صورة » والإحساس بالقرآن « الذى لم يعد أمامك سوى خط » ويجعلك تعلم أن جبريل عليه السلام ليس دحية الكلبى « وإن تشابها فى الشكل .. قال عليه السلام .. كان جبريل يتمثل لى فى صورة دحية الكلبى » .

٥٠٦٥ - ٥٠٧٣ : أتدرى ما هو تأثير صحبة هذا الشيخ ؟! أنه ينهض بك من أسفل سافلين ويأخذك إلى أعلى عليين .. الطفل الذى يصحبه يصبح رجلا .. والبذر الذى ينميه هو يستوى على سوقه .. أنحن أمام مولانا جلال الدين يصف شمس الدين التبريزى أما سنائى يصف « النفس الكلية » .. أتراه يصف النفس الكلية ويقول أنه لا يمل الحديث عنها .. كالظمآن الذى لا يرتوى من الماء الملح .. إن هذا الوصف لا يمكن أن يوصف به إلا شيخ .. الروح تربى من رؤية الحبيب .. الصحبة كأكل الشهد وسكر الورد .. الأيام تصبح جميلة مع هذه الصحبة .. العز بهذا الشيخ والمرء لا يزال فى سن الشباب .. ترى هل كان سنائى يطلب الصحبة من « النفس الكلية » أو من شيخ حالت ظروف عصره .. عصر التعصب الأسود دون أن نعرفه .

٥٠٧٥ - ٥٠٧٤ : ها هو سنائى يطلب منه أن يكون مريدا له .. أن لحظة فى الحديث عن الغم معه لا يعد لها عمر كامل .. وهذا العمر الذى يمضى بلا أحبة عمر غمر .. القلب المقيد فى قيد هذا الشيخ سعيد بالعذاب مثلما يكون الشواء حلوا بالملح .. والصحراء ترتدى وشاحا من الحرير .. والغائب عن وعيه يعود إليه الوعى .. ولا مليك من بعده فى مقعد الصدق أهذه هى صفة المريد كما جاءت فى العنوان .. أم ترى سنائى لا يزال يريد أن يتحدث عن شيخه ولو حتى تحت عناوين أخرى ؟

٥٠٨٦ - ٥١٠٠ : كل ما مر من حديث عن « النفس الكلية » ومعها يعتبره سنائى من جراء البسط .. وما أكثر المهالك التى يلقى فيها الصوفى حين يعتريه البسيط وتملكه الجرأة ويتفوه بها لا ينبغى أن يقال .. وها هو سنائى يقدم لنا نفس العذر : إنه البسط الذى أدى إلى كل هذه الأحاديث .. وماذا فيه ؟! أيستطيع أحد أن يحيد عن المرآة خاصة إذا كانت موجودة فى يد العقل ؟! هل يندم حتى ولو بكى دما وهو يضحك أمام الشيخ .. أو إذا دق كآلة الصنج وهو يعزف لحن هذا الشيخ الذى وضعه فى هذا العالم الذى قص عنه وقاده فى معراج كان أكثر الأشياء فيه إيلاما أنه كان يضطر إلى الاعتذار عنه بين لحظة وأخرى .. ألم يفعل الحسين بن منصور نفس الشىء .. ألم يقل « أنا الحق » وهو على المشنقة فما بالك تقف أنت حائرا ولا تضع قدمك ويدك على المشنقه .. لقد كان كل كلامه وصالا للحق .. لكنك لست وذاك ولا تستطيع أن تفعله لأنك حى فحسب لأن الأجل لم يطلك .. أنت من مخلفات الأجل .. أنت تحيا من أجل الخبز والماء .. وتبذر بذور الحرص والطمع والحاجة .

٥١٠٢ - ٥١٠٨ : هيا فليعترك الخوف مما تفوهت به .. ومما حلمت به .. ماذا تلت حتى تنسى نفسك .. كل ما نلته من هذا الوجود الثرى العريض الثراء حبتا سمسم لكنك أسرعت وربطت قربة على مؤخرتك .. تريد أن يستخرج من حبتى سمسم منين من الزيت .. يا لك من طامع .. حذار من السير وراء قلبك - يا سنائى - سوف يسلب منك هذا القلب الدين والروح قهرا وغضبا .. عد إلى مواعظك وانس هذا الشيخ النورانى الذى سطع فى أفق حياتك برهة من الزمن .. فلست أهلا له .. لا .. بل ليس العصر مما يسمع بهذه الأحلام وهذا المعراج !!

٥١٠٩ - من الواضح أن سنائى قطع الفصل الخاص بالشيخ أو النفس الكلية .. ودخل إلى الحديث فى موضوعات أخلاقية وسلوكية .. مما يقطع بما أذهب إليه دائما من أن الحديقة لم ترتب ترتيبا جيدا .

٥١١٠ - جاء فى مجمع الأمثال للميدانى « نعم حاجب الشهوات غض البصر » .

٥١١١ - « أول العشق النظر وأول الحريق الشر » وردت فى ربيع الابرار للزمخشرى فى باب العشق كما جاء فى معارف بهاء ولد « إذا وقع نظرك على ما لا يجوز فجأة .. لا تؤخذ بها « النظرة الأولى لك والثانية عليك » لكنك إن داومت النظر .. فهو من فعلك وتؤاخذ به . (عن تعليقات رضوى ٤٧٥) .

٥١١٣ - الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى (باب الذم والهجو والاغتياب) كان بنو إسرائيل إذا أصاب جسدهم بول قطعوا ذلك العضو ولم يجزهم الغسل وإذا نظر أحدهم إلى حرام أدخل أصبعه فى عينيه فنزعها . أصابهم قحط فخرجوا إلى الاستسقاء فأوحى الله تعالى لعيسى عليه السلام أن قل لقومك من كان منكم مذنبا فليرجع فرجعوا غير رجل أعور فقال له عيسى : ألم تصب ذنبا قط فقال : لا غير أنى كنت رجلا حمالا فحملت يوما فأعييت فاسترحت ساعة فنظرت إحدى عينى إلى امرأة

فقلت : لا تصحبينى وفيك طلبة فنزعها فقال له عيسى : أدع الله أنت وأؤمن انا ففعل فرفع الله عنهم القحط . (عن تعليقات رضوى ٤٧٥ - ٤٧٦) .

٥١٣٨ - « النظر سهم مسموم من سهام الشيطان » حديث نبوى شريف .

٥١٥٠ - يبدو أن سنائى يريد أن يبتعد تماما عن حديث الشيخ وحديث النفس الكلية فعلى مدى حوال مائة بيت وبداية من هذا البيت وحتى البيت ٥٢٢٧ يحدثنا سنائى واصفا عديدا من مستويات الجهال .. ومقدما رأيا فى المرأة يتفق تماما مع تطيره ووقاره .. وإن كان ما وراء الأبيات يوحى بأنه كان ذواقة للجهال قوى الشهوة يريد بوصفه لمستويات عديدة من النساء والغلمان أن يوحى لنا أنه شديد الحذر منهى « ومنهم » لكن الأوصاف التى يقدمها لتجسيد مستويات الجهال توحى لنا بل تكاد تجزم أن الرجل كان يحاول أن يقنع نفسه أولا بهذه التحذيرات التى يقدمها من النساء .. وموقف سنائى فى المرأة لا توجد أخبار عنه .. اللهم إلا قصيدة وردت فى ديوانه « يهجو » فيها زوجة له كانت سليطة .. وفيما عدا ذلك لا نعلم عن علاقاته بالمرأة شيئا « نعلم عن مولانا جلال الدين مثلا من سيرته المفصلة الواردة فى مناقب العارفين للأفلاكى أنه تزوج أكثر من مرة » .. وهكذا ففى خلال هذه الأبيات الطويلة يحذر سنائى من المرأة ومن الشهوة والانصياع إلى هذه الشهوة « كان مولانا جلال الدين لا ينكرها ويراها لازمة تماما ما لكى تبدو العفة .. على أساس أن الحرب هى التى تبين الشجاعة » .. ومع ذلك فأثناء هذا التحذير يقدم سنائى كل ما ورد فى الأدب الفارسى من أوصاف المرأة .. هذا ولا يمنع أنه من خلال هذه الأوصاف يصف الأنثى بأنها « حية » وهو موقف الزهاد عموما من المرأة .. وهى حية وطاووس ومن الحية والطاووس كان ضلال آدم وحواء وكان طردهما من الجنة (ابن هذا من موقف حافظ الشيرازى الذى يقول بأنه لم يرث من والده الأكبر ميراثا غيره وأنه يستحق التضحية بالجنة) . على كل حال من الممكن أن تعتبر هذه الأبيات مجرد « تمرين شعرى » حتى يبين أنه قدير فى الوصف كما أنه قدير فى الحكمة ومن هنا نجد أبيات عديدة فى الحديقة تحفل بالوصف وإن حذفت فإنها لا تضر بالسياق ولا تضر بموضوع حديقة الحقيقة .

٥٢٢٧ - الحكاية هنا لم أجد لها أصلا .

٥٢٣٤ - أن شرهها ينقص فى حساب الجمل خمسة .. لأن حساب الجمل لكلمة شره هو ٥٠٠ وإن تقصد الماء تنقص خمسة فيصير شر . (تعليقات رضوى ٤٧٩) .

٥٢٣٥ - « حب الدنيا رأس كل خطيئة » حديث نبوى شريف « الجامع الصغير ١/ ٢٤٦ عن شعب الإيمان للبيهقى » .

٥٢٤٥ - ٥٢٤٨ : من كلام الإمام على رضى الله عنه « متى خدعتك الدنيا ؟ ام بهاذا استذمت إليك بمرقد آبائك فى البلى أو بمضجع أخواتك فى الثرى ؟!! انظر : الهادى إلى موضوعات منهج البلاغة للإمام على رضى الله عنه - مشكينى ص٢٦٣ .

٥٢٦٥ - اشارة إلى الآية الكريمة ﴿ حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهَاتُكُم وَبَنَاتُكُم وَأَخَوَاتُكُم ﴾ (النساء / ٢٣) .

٥٢٦٦ - ٥٢٦٧ : اشارة إلى نكاح الأمهات وزواج المحارم فى الديانة الزردشنيه . انظر كريستنن : ايران فى عهد الساسانيين - الترجمة العربية ليحيى الخشاب .

٥٢٦٨ - اشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ ﴾ (البقرة/ ٢٠٠) .

٥٢٧٠ - « الدنيا جيفة وطلابها كلاب » حديث نبوى . ومنسوب فى محاضرات الراغب الأصفهانى ١/ ٢١٥ إلى على بن الحسين رضى الله عنهما .

٥٢٧٥ - فى البيت اشارة إلى الحديث النبوى الشريف « إن سعدا لغيور وأنا أغير منه والله أغير منا ومن غيرته ، حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وهناك فى كتب الحديث أحاديث كثيرة تدور حول هذا المعنى .. مثل « الحق غيور » و «أنا غيور والله أغير منا » جاء فى شرح التعرف ٤/ ١٨٧ ومعنى غيرة الحق سبحانه وتعالى المحبة والمحبة لا تكون بلا غيرة فلا محالة أن محبته حقيقة ومحبة المخلوقين مجاز ولما كانت محبة المجاز توجب الغيرة فمحبة الحقيقة أولى بها ولا شك أن الحقيقة أقوى من المجاز والله غيور أى لا يود من محبة أن تنظر إلى غيره أو أن يرتبط بغيره ، وتفسير غيرة الحق إذن أنه لما كان يحب عبده فإنه يحفظه بحيث لا يقوم بفعل ما يلوثه . وكلما أحب إنسانا أكثر كانت غيرته عليه أشد .. والحديث المذكور وارد أيضا فى صحيح مسلم ٤/ ٢١١ واحياء علوم الدين ٢/ ٣٠ وكنوز الحقائق ١/ ٨٠ .

٥٢٧٢ - الشطرة الأولى من الآية الكريمة ﴿ لن ينال الله لحومها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ (والشطرة الثانية من الآية الكريمة ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ .

٥٢٧٧ – حيدر هو لقب الإمام على رضى الله عنه .

٥٢٨٦ – رد القطن على بائع القطن ورد الملابس إلى القصار .. أى عليك بالتجرد عن نعم الدنيا .

٥٢٨٨ – ٥٢٩٢ : القلنسوه والتاج فى مصطلح سنائى كناية عن التكبر والرئاسة والفظاظة والتظاهر والفخر الأجوف بزخارف الدنيا .

٥٢٩٦ – ٥٣٠٠ : ظاهر الأبيات تناقض .. فإذا كان هؤلاء الذين يملكون المال والجاه (القلنسوه) يصلون إلى كل شىء النساء والمؤن والذهب والقوة وغاية ما يأمله المرء أن يكون زوجا ورب بيت .. ومع ذلك فالمتأهل فى رأى سنائى قد حطم رأسه بيديه وقيد قدميه بنفسه .. (إنه بالطبع يدعو إلى التجرد الكامل) وذلك المتأهل يظل دائما غير مستقر « أثاثه وحاجياته تحت الشجرة » وكذلك أيضا ذلك يرتدى الخرق من أجل إقبال العامة لا من أجل الله فهو جدير بعقول العامه .. لكن البيت التالى (٥٣٠٠) ليس فى السياق .. ويكاد يكون تحذيرا من سنائى : إياك أن تفعل ما ينكره عليك العامة وإلا ذهب عمرك أدراج الرياح .. وذهب سعيك كله هباء .. دارهم .. وقد يكون لتجربة سنائى الشخصية دخل فى هذا الاتجاه .

٥٣٠١ – ٥٣٠٨ : الحديث موجه إلى إنسان قد يرد على سنائى بقوله « قل من حرم زينة الله » .. فزينة الله ليست فى الخيل ولا فى السروج ، وزينة الله هى جمال الدين .. وزينة الدنيا ليست زينة صافية بلا كدر .. إنها خادعه .. إنها كما يوضع الثوم داخل ثمار اللوز .. وديدن المرء فيها أن يقلب الأمور .. ومن يقلب الأمور سوف يبعث مقلوبا يوم القيامة .

٥٣٢٦ – يلعب تلاعبا لفظيا بكلمة شراب .. أو له شر وآخر ماء لأن ماء بالفارسية آب .

٥٣٣١ – النار الملونة هى الخمر .. ومستندة على الماء مثل فرعون لأن فرعون هو القائل « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟ » .

٥٣٣٦ – يبدو أنه مأخوذ من المثل العربى : الخمر تعطى من البخيل وقد تخرج الخمر من الضنين « معجم الأمثال العربية : رياض عبد الحميد : جـ٢ ص٦٣ » .

٥٣٣٩ – أصل الحكاية التى تبدأ بهذا البيت فيما ذكر صاحب التعليقات ورد فى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة : « قيل لمزيد : أيسرك أن هذه الجبة لك قال : وأضرب عشرين سوطا .. قالوا : ولم تقول هذا .. قال : لأنه لا يكون شىء إلا بشىء » (تعليقات ص٢٨٤) ووردت أيضا عند أبى اسحق الحصرى فى جمع الجواهر ص١ وفى أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى ص٢٨ ى ص٢٩ .وبهلول شخصية حقيقية مغلفة ببعض الخرافة . يقال أنه كان أخا لهرون الرشيد . وتنسب حكايات كثيرة وقوع بعض المناقشات بينهما على أساس أن هرون الرشيد كان يمثل الدنيا وكان بهلول يمثل الآخرة .

٥٣٤٥ – ٥٣٤٩ : إن واهب الجبة لا يبحث بها على رضا الله بل يبحث بها عن الاسم .. والبحث بالصدقة عن الاسم مما لا يرضى الله .. فكيف يعينه على ما يغضب الله أنه رجل يبحث عن الصيت .. وكأنه ذلك النحوى الذى يدرس « علم مات يموت » ولا يبحث فى علوم الآخرة « لمولانا جلال الدين قصة شهيرة جعل النحوى منها مثالا على المتفيهق المتكبر بعلمه .. الذى يكتشف فى النهاية أنه لا ينفعه بشى .. انظر المثنوى المعنوى الكتاب الأول من ترجمة محمد كفافى الأبيات ٢٨٣٥ – ٢٨٤١ وشرحها » .

٥٣٦٢ – الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ورد أصلها فى حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى جـ٣ ص١٩٤ (قاهرة ١٩٣٣) سئل جعفر بن محمد رضى الله عنه لم حرم الله الربا فأجاب : لئلا يتمانع الناس بالمعروف » .

٥٣٦٧ – « يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » (البقرة / ٢٧٦) وفى تفسير لآية الله الطالقانى على الآية قال – رحمة الله عليه – : إن الناظر إلى حركة السوق القائم على الربا والبنوك الربوية يلاحظ تماما كيف تصدق الآية الكريمة عليها..فما أن يصل السوق إلى ذروته حتى تحدث حركة كساد عامة وانهيار كلى وهو المحق الوارد فى الآية الكريمة .

٥٣٧٢ – « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة / ٣٥) .

٥٣٨١ – الشطرة الثانية من هذا البيت مأخوذة من قول يسند إلى الإمام على رضى الله عنه « بشر مال البخيل بحادث أو وارث» كما استند نصير الدين الطوسى على نفس القول فى كتابة أخلاق محتشمى « إن لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث فإن أحببت ألا تكون أحسن الشركاء فتصدق » وقد نسب الميدانى ما أورده صاحب أخلاق محتشمى منسوبا إلى أبى ذر رضى الله عنه « فإن قدرت أن

لا تكون أحسن الشركاء حظا فأفعل » (عن تعليقات رضوى ٤٨٦ - ٤٨٧) وورد فى معجم الأمثال العربية (٤/ ٢١٦) نقلا عن الميدانى : بشر مال الشحيح بحادث أو وارث .

٥٣٨٢ - ما أشبه هذا البيت أيضا بالمثل العربى « خير مالك ما نفعك » (معجم الأمثال العربية ٤/ ٢١٥) و « لم يضع من مالك ما وعظك » » و « ما نقص من مالك ما زاد فى عقلك » (معجم الأمثال العربية ٤/ ٢١٦) .

٥٣٨٣ - « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » (النحل / ٩٦) وفى السيرة النبوية الشريفة خبر عن شاة ذبحها رسول الله ﷺ وتصدق بها . فلما سأل عائشة رضى الله عنها ماذا تبقى منها .. قالت : كتفها .. فقال : كلها بقيت إلا كتفها .

٥٣٨٧ - معنى البيت مأخوذ من هذا الخبر « الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيان مختلفان فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها وهى بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر .. وهما ضرتان » وعن الإمام على فى نهج البلاغة يقول عيسى عليه السلام « لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم النار والماء فى إناء واحد » ويقول أيضا « الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى أحديهما تسخط الأخرى » ونقل الميبدى فى كشف الأسرار عن الرسول ﷺ « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » كما نقل أبو حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة : منسوبا أيضا إلى السيد المسيح .. ونسب الزمخشرى الجزء الأول من الخبر إلى الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه .. وأورد فى نفس كتابه ربيع الأبرار « قيل طلاق الدنيا مهر الآخرة وطلاق الآخرة مهر الدنيا » . (عن تعليقات رضوى ٤٨٧ - ٤٨٩) .

٥٣٩٤ - نقل صاحب التعليقات عن عبد اللطيف العباسى شارح الحديقة : « إن إقامة الصوفية عيدين يعنى ذكره جل شأنه والتوجه إليه . والصوفية الذين تميزوا بالصفاء فى كل نفس يتنفسونه شهيق وزفير وفى كل منهما يذكرون الله فهم يذكرون الله مرتين .. ولا يكون ثمة نفس واحد دون ذكر الله .. ومن ثم فإن الصوفية يقيمونه فى كل نفس عيدين وهذا هو نفس ما عناه فيما بعد الشيخ سعدى الشيرازى الشاعر والحكيم الفارسى الشهير حين قال فى صدر كتابه كلستان « كل نفس يدخل يمد المرء بالحياة وعندما يخرج يفرج عن الذات إذن ففى كل نفس نعمتان والشكر على كل نعمة منهما واجب » وجاء فى كتاب الرشحات أنه ذات يوم قرأ السيد على راميتنى هذا البيت فى جمع من المريدين ثم قال : أنهم يقيمون ثلاثة أعياد وهى ذكر الله وتوفيق العبد على ذكر الله وقبول هذا الذكر من الله أى أن الأعياد الثلاثة هى التوفيق والذكر والقول . وأولئك الذين ينسجون كالعنكبوت حول أنفسهم وأمثالهم غافلون عن ذكر الله كأنهم يقددون الذباب أى أنهم مشغولون بأمور الدنيا التى هى بمثابة الذباب فى انعدام قيمتها وحقارتها وهذا البيت من بين الأبيات التى لفتت أنظار أهل هذا الفن وألفوا فيها الرسائل العديدة ومن بينها رسالة محمد رضا الهمدانى التى يصعب نقلها لما فيها من الأخطاء العديدة وهناك أيضا رسالة محمود اللاهيجى النور بخشى يقول فيها « اعلم نور الله بصيرتك بنور العيان أن العالم فى نظر أهل الكشف والشهود بحسب اقتضاء ذاته لا يقطع نظره عن خالقه عندما يتغير فى كل لحظة بمدد من النفس الرحمانى ومن سرعة الانقضاء والتجدد لا يدرك المحجوب عن الزمان والمكان هذا المعنى :

فى كل لحظة تتجدد الدنيا ونحن ، فى بقائنا غافلون عن التجدد

والعاشق هو ذلك الذى حرق الحجب الظلمانية والنورانية بنار المحبة والعشق ووصل إلى حقائق الأمور .. والعيدان هما عبارة عن العدم والوجود اللذان يقعان فى كل لحظة فى نظر العاشق العارف لأن العيد فى الاصطلاح هو ما يعود على القلب وبعض الموجودات الموهومة تعتبر العالم باقيا وثابتا ومتحققا وهى غافلة عن حقيقة الحال أنه ليس للأشياء وجود حقيقى وموجودية الأشياء عبارة عن نسبتها لوجود الحق وعندما تقطع هذه النسبة تنعدم الأشياء لأن « التوحيد اسقاط الاضافات » وقال قطب الدين أشكورى فى كتابة محبوب القلوب فى معنى هذا البيت « لا يخفى أن العالم عن أهل الكشف والشهود يفنى فى كل لحظة بحسب اقتضاء ذاتيته وبعون من الجود الالهى الذى يسمى فى مصطلحهم بالنفس الرحمانى يوجد فى اللحظة التالية ومن هنا ففى رأيهم أن حال الجواهر كحال الأعراض فى أنه لا تبقى فى زمانين ومن ثم فمقتضى ذلك لكل عارف فى كل لحظة عيدان يجب ما يراه وبعين بصيرته من هلالى العدم والوجود المتتاليين ومن هنا يقول العارف الكامل الشيخ سنائى .

الصوفية يقيمون فى كل نفس عيدين ، والعناكب تقدد الذباب

(عن تعليقات ٤٨٩ - ٤٩٢) .

٥٣٩٩ - « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة »

حديث نبوى .. صحيح البخارى ٢/ ١٥١ .

٥٤١٦ – إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنهُم زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُم فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه / ١٣١ وفى تفسير أبى الفتوح الرازى أن الخطاب للرسول ﷺ ولكل المكلفين . وهنـاك حديث نبوى فى نفس المعنى « لا تنظروا إلى من هو فوقكم وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » عن تعليقات ٤٩٢ – ٤٩٣ .

٥٤١٧ – ٥٤٢٠ : النظر يربى القلب .. كما أن النظر أيضا إلى الصالحين نـوع من العبادة .. فمن النظر يكون التأسى والاقتداء ومن ثم يرى سنائى أنـه من الأولى أن ينظر الإنسان إلى وجوه أمثال أبى ذر وسلمان .. ذلك أن النظر يجلب النظـر ..وإن نظرت إلى أحد وأمعنت النظر فلا به أن ينظـر هو إليك .. وإذا نظرت إلى وجوه الصالحين .. نظر الرسول إليك .. ونظـرة الرسـول رحمة .. وويـل لمن لا ينظر الرسول إليه فعلى أى شىء يكون بحيث لم ينظر الرسول إليه ؟!

٥٤٢٤ – ٥٤٣١ : النظرة الصوفية إلى الحياة نظرة تسليم .. فكل ما فى الحيـاة خير والكون كله فى أحسن تقويم .. والله سبحانه وتعالى خلق الشر وخلق الخير .. وقد يكون الخير والشر فى مـوضع واحد .. وما يكون لأحد خيرا قد يكون لـلآخر شرا : انظر إلى العقرب إنها تلدغ .. ولكن عندها أيضا الترياق .. والكلاب ما تهاجمك هناك الحجارة لكى تردها عن نفسك .. فلا تقم بإيذاء أحد .. لأنك إن قمت حتى بإيذاء نملة .. فسوف تعتاد على الأذى .. نعم سوف تقابل الكثير من الأخساء فى هذه الدنيا .. فإياك حتى أن تسىء إليهم.. و إذا كان لابد لك من معـاشرتهم فتعود على هذه المعاشرة .. الوجود خير محض .. والنقص فى الـدنيا يعنى النقص فى البشر وفى أخلاق البشر « انظر لتفسير هذه الفكره . الكتاب الرابع من مثنوى مولانا جـلال الدين الأبيات ٢٣٦٨ وما بعدها وشروحها والكتاب الخامس الأبيات ٤٢٥ – ٤٤٠ وشروحها » .

٥٤٣٦ – ما دمت قد وصلت إلى رتبة فى الطريق بحيث صار الشـهد والوخز يستويان لديك أى الراحة والتعب . فاخلط شهد التوحيد ببعض الوخز من تحمل بلايا الحياة وأخسائها .

٥٤٣٨ : هنا تلاعب لفظى بين لفظ بلندى أى رفعة بليدى أى دنس .

٥٤٤٥ – ٥٤٤٩ : الفكرة هنا أخذها مولانا جلال والـدين أيضا وحولها إلى الفكرة بأن الجدول الذى يمد المرء بالماء من داخله لا ينقطع مثلما تنقطع الجداول الذى تأتيه من خارجه..(انظر الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى الأبيات ٣١٥٠ – ٣١٥٥ وشروحها) .

وما دام المرء يملك أشجـار فاكهة المعـرفة فمن العيب أيضا أن يقطف فـاكهة الآخرين ينـادى سنائى هنا بإستقـلال شخصية الإنسان واعتماده على داخله وباطنه كما يتناول فكرة دق عليها مولانا كثيرا من بعده متأثرا به .. فكرة الادعاء والعمل .. إن الادعاء سهل ولكن العمل صعب وسرعان ما يفتضح المدعـى (انظر المثنوى المعنوى الكتاب الثـالث الأبيات ٧٢١ وما بعده من نهاية قصـة فرعون وموسى وشروحها) فها أنت تدعى أنك أصبحت مثل موسى .. هيـا أخرج يدك من جيبك لتنظر هل هى بيضاء أو فى سواد أعمالك .. وكيف تدعى أنـك أصبحت مثل موسى وأنت لم تـذهب إلى مدين عند شعيب ، ولم تقـم له برعى القطيع .. كيف تـدعى أنك وصلت وأنت لم تحضر على شيخ .. ما كل هذا الادعاء .. وسرعان ما تفتضح من ادعائك الكاذب هذا .

٥٤٥٠ – ٥٤٥٣ : فكرة أخرى من الأفكار التـى اقتبسها مولانا جلال الدين من سنـائى .. فكرة أن الإنسان مشمول بنعم الله تعالى ظـاهرة وباطنـة .. لكن فأرا خبيثا يسطو على هـذه النعم ويلتهمها ولا يجد المرء مما ادخره شيئا .. ولا يجد من آثار نعمـة الله عليه شيئـا .. هذا الفأر الخبيث هو النفس الأمارة بالسوء التى تسطو على نعم الله داخل المرء وتبددها فى ما لا يفيد .. ويظل المرء محروما وهو يمتلك كل هذه النعم ظامئـا كطير البلطيق على شاطىء النيل .. قانعا بـزهد ليس نابعا من داخله لكنـه يقلد فيـه الآخـــرين (انظر الكتاب الأول من المثنوى المعنوى ترجمة محمد كفافى الأبيات ٣٧٧ – ٣٨٤ وشروحها) .

٥٤٥٩ –مهد سنـائى بهذا البيت للحديث عن قيمة الإنسـان ومركـزه بين مخلوقات هـذا الكون .. كما يدلى بـرأى فى قضية من أخطر القضايا التى تعرض فى الفكر الإسلامى .. وهى الجبر والاختيار .. فالإنسان فى رأى سنائى مختار .. وأن كان ثمة جبر فهذا الجبر موجود فى الخليفة خـارج الإنسـان .. وقد قمت بشرح القضية شرحا مفصلا فى صدر ترجمتى على الجزء الخامس من مثنـوى مولانا جلال الدين .. لأنه خاض فيها بشكل أكثـر تفصيلا مما خاض فيه سنائى .. وإن كان سنائى يعد بـالطبع التمهيد لمولانا جلال الدين فى كثير من القضـايا التى تنسب الـريادة فيهـا إلى جلال الـدين .. ومن هذه القضـايا أيضـا قيمة الإنسـان وتمجيده وكـرامته ورفعتـه على كل المخلوقات ولأنها من الموضوعات والقضـايا البارزة عند مولانا جلال الدين خصصت لها مقدمـة ترجمتى على الكتاب الرابع من مثنوى مولانا جلال الدين تحت عنوان « الإنسان ذلك العالم الكبير » .

٥٤٦٠ - الإنسان هـو سيد المخلوقـات .. وهو ابن الخليفـة « آدم » ، وبالطبع فإن كونـه ابن خليفة لا يعطيـه حقوقا بقـدر ما يستلزم منه فى البـداية واجبات .. وهى واجبات ثقيلـه أيسرها ألا يطأطىء رأسه وهو ابـن الخليفة أمام أحد المخلوقـات ولا يركع إلا لله سبحانه وتعالى ومن هذا الأصل تتفرع فروع كثيرة .

٥٤٦١ - ٥٤٦٤ : الشطرة الأولى فى هذا البيت مأخوذة من الحديث النبوى « إن الله ركب فى الملائكة عقلا بلا شهوة وركب فى بنى آدم كليهما . فمن غلب عقله شهـوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهـوته عقله فهو شر من البهـائم » وقد تناول مولانـا جلال الدين هذا الموضوع أيضـا بتفصيل شديد (الكتاب الرابع .. الترجمة العربية الأبيات ١٤٩٧ - ١٥٢٦ وشروحهـا) وقد ذكر فروزانفر أن الحديث مروى فى كتـاب وسائل الشيعة للشيخ الحر العـاملى « عن عبد الله بن سنان قال : سألـت ابا عبد الله جعفر بن محمـد الصادق فقلت : الملائكة أفضل أم بنـو آدم .. قال .. قـال أمير المؤمنين على بن أبى طالب .. وذكر الحديث » وقـد ذكر الغـزالى هذا الحديث فى إحياء علوم الـدين « ١ / ١٦٩ » دون أن ينسبه إلى أحد . ونظير هذا المعنى مـا ذكره صاحب كشف المحجوب عن أبى القـاسم إبراهيم النصرآبادى « أنت بين نسبتين نسبة إلى آدم ونسبـة إلى الحق فإذا انتسبت إلى آدم دخلت فى ميادين الشهوات ومـواضع الآفات والزلات وهى نسبة تحقق البشرية .. وإذا انتسبت إلى الحق فأنت فى مواضع الكشف والبرهان والعصمة وهى نسبة تحقق العبودية » .. والواقع أن الجدليـة الصوفيـة كلها قـائمة على هـذا التناقض الموجـود فى خلقة الإنسـان بين أعلى عليين النفس الالهى والنفخة الالهيـة وبين أسفل سافلين أى الحمأ المسنون وبقدر ما يقترب المرء من أيهما يكون .. وقد عبر سنائى عن هذه الجدلية .

ماذا أفعل مع الروح وأنا فى من الطين .

وماذا أفعل مع الجسد وأنا من أعلى عليين .

أمـا « كـرمنـا » فهى إشـارة إلى الآيـة الكريمـة ﴿ وَلَقَـدْ كَـرَّمْنَـا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُم فِى الْبَرِّ وَالْبَحـرِ وَرَزَقْنَـاهُم مِنَ الطَّيِّبَـاتِ ﴾ (الاسراء/ ٧٠) هذا التكـريم يرتبط أيضا بـالأمانة التى عرضت على الأرض والسماء والجبـال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسـان .. هذه الامانـة فى رأى هى التكليف .. لكن سنـائى يعتبر الأمانـة هى الاختيار بين أن يكـون ملاكـا أو وحشـا أو بهيمـة .. هو الوحيـد من بين المخلوقات الذى يكون حيث يضع نفسه .. ويخلص سنائى إلى فكرة أن الإنسـان الذى كرمه الله تعالى لا ينبغى أن يذل أو أن يحقر فضلا بالطبع عن قطع الرزق والمطاردة من الجبـارين الذين ينازعون الله رداء كبريائه .. والذى يدعوا إلى عـدم إيذاء نملة لا يدرى أن الإنسـان الذى كرمه الله يموت قهرا وجـوعا ونفيا لمجرد خلاف فى الرأى ومن بعده قال مولانا جلال الدين .. إيـاك أن تحتقر إنسانا حتى ولو كان كافرا فـربما مات مسلما .. وهذا هو مـوقف اثنين من الصوفية المفكريـن أحدهما فى الـقرن الخامس الهجرى والآخـر فى القـرن السـابـع الهجـرى .. ولا يزالون يقولـون لنا أن الإسلام لم يعرف ما هى حقوق الإنسان !! .. وقد كان فى ذلك الـزمان مكرما .. لأن الله تعالى وضع فيه جوهرا .. حقيقة أن هذا وسط سلك من العيوب .. لكن هل تـستطيع عيوب العالم كله أن تحجب الجوهر الالهى ؟!

٥٤٦٥ - ٥٤٧٠ : نعم أن لم يستطع الإنسـان أن يبرز هذا الجوهـر فى ذاته .. فهو سواء مع الدواب والشيـاطين والوحوش .. ولم لا .. أليست الدواب والوحوش والشياطين متـساوية فى خلقتها برغم اختلافها .. لها رأس ورقبة ويدان وقدمان .. وهكذا الإنسان الذى لا يغلب جانب النفخة الالهية داخل ذاتـه .. بل أنه إن لم يفعل سوف تـسكن الوحوش داخله وتحتلـه .. فيكون فى داخله كلب عقور .. وجواد جـامح عاص .. فإن لم تعلم الكلب وتـروض الجواد فلا حق لك فى أن تتحـدث كإنسان .. وإذا كنت قـد قضيت كل عمرك فى المكر والشهـوة والزور فما الفـرق بينك إذن - يا من تـدعى أنك إنسان - وبين الـوحوش .. وقـد قامت تلك الشيـاطين الثلاثـة بتقييد قدميك ومنعك عن الانطلاق إلى الآفاق العليا الجديرة بك وبخلقتك .. إذن فلو أن فيك من أبيك آدم شيئا .. إنتقم له من ابليس ومن الشياطين الناتجة عن ابليس .. خذ بثأر أبيك .. وانج أنت أيضا .

٥٤٧١ - ٥٤٧٣ : لقد وضعت هذه الشياطين فى جبلتك .. ركبت فيك .. عجنـت بطينتك .. لكى تثبت انسانيتك بمقاتلتها والتغلب عليها .. لكى تبين شجاعتك فى الحرب .. هنا يعتبر سنـائى أيضا رائدا لمولانا جلال الدين فى هذه الفكـرة أنه لابد من القتال والحرب .. لا عفة بـلا شهوة .. لا نفقـة بلا كـسب .. لا شجـاعة يا فتـى قبل الحروب .. ولا صبر بلا ميل (انظر الكتـاب الخامس من مثنوى مولانـا جلال الدين الرومى الأبيـات ٥٧٤ - ٥٨٥ وشروحها) بهذا القتال وبهذا الجهاد تتحقق البشريـة .. فداعى الخير وداعى الشر داخلك .. ومـوسى وفرعـون موجودان بـداخل كل إنسـان .. وإيـاك تظن أنك مـوسى .. ما لم تقم بقتـال فرعون الموجـود داخلك والموجود فى كل جبلة (انظر الكتـاب الثالث من المثنوى المعنوى حيث يفصل هذه الفكرة فى الأبيـات : ٩٧١ - ٩٧٥ فانظر إليها وإلى شروحها فى الترجمة العربية) .

٥٤٧٥ - ٥٤٨٨ : هذه هى سعة عالم الإنسان الرحيب .. هناك مئات الآلاف من السموات والأرضين داخله :
أتزعم أنك جرم صغير ، وفيك انطوى العالم الأكبر .
وأنت الكتاب المبين الذى ، بأحرفه يظهر المضمر .
هذه الشموس كلها تسطع عليك .. تزيد روحك بهاء .. وتنادى جسدك للسوء .. ولا محيص لك عن الاختيار ذلك أنك لا تستطيع أن تنفى جسدك كلية .. فالغضب والشهوة .. قوى موجودة فيك من أجل أن يقوم هذا السوق .. وهما أيضا أساس الخير والكرم .. والعقل والروح قيهان .. لكن الطباع أيضا لابد وأن توجد .. فهى المركب .. وهل يوجد فيم بلا مركب .. لابد للقيم من مطية .. ولابد أن تعامل المطية بالحسنى وإلا بقى القيم ماشيا وهذا لا يصح .. هذا هو جانب التصوف العملى الذى يربط سنائى بجلال الدين ربطا محكما .. لا زهد افتعالى .. ولا رهبانية .. ولا عزلة .. ولا نفى لعالم الجسد واحتقار له وتعذيب له .. بل أن الصوفى المرائى والزاهد المتنطع كليهما لم ينجوا من سخريتهما المرة فى مواضع كثيرة من الحديقة والمثنوى التى تتضح الصله بينهما أكثر وأكثر .

٥٤٩٢ - ٥٥٠٠ : شرف للإنسان أن يكون ملجأه معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾ أى ليعرفون .. وما دام الإنسان يلجأ للمعرفة .. تكون ذنوبه دائما قوتا للمغفرة .. وأهل العقل لابد وأن يكونوا محزونين هم محزونون لأنهم بعيدون عن أصولهم فى غربتهم الممتدة الطويلة .. محزونون لأنهم قلة قليلة بين كثرة غالبة من أهل الهوى .. محزونون لأنهم يرون الناس يعتبرون راحة الجسد .. على حساب الروح سرورا فى حين أنه حزن .. وقهر موجود داخل اللطف .. وجنة مادية محسوسة ظاهرة لكنها تفضى إلى نار الأبد .. محزونون لأنهم آمنون .. والآمن من مكر الله غير محمود العاقبة .. فكما أن المغفرة قوتها الذنوب .. فالحزن قوته من الرجال العقلاء .. الذين يرون الدنيا عقوبة وضعت على رؤوسهم ، وحربا مفروضة عليهم معاناتها وبلائها يوما بعد يوم .. والحزن كما عبر عن مولانا جلال الدين هو شراك اللقاء .. وهو دليل على أن الفرح يكون به وحده سبحانه وتعالى .. والسرور لهو .. لأنه يلهى المرء .. (انظر لتفصيلات الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الترجمة العربية الأبيات ٥٠٥ - ٥١٠) .

٥٥٠٧ - هكذا البيت .. لكن مدرس رضوى (ناشر نسخة الحديقة) عاد فى التعليقات وقدم رواية أخرى للبيت .. فذكر الشطرة الثانية « أغلق الباب ومع ذلك لا تكن آمنا من اللص ص٥٠٢ » واللص هنا هو النفس الأمارة بالسوء والمنزل هو القلب .. ومهما طردت الشيطان .. والنفس الأمارة بالسوء من القلب لا تكن آمنا وداوم على الجهاد .. لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم .. ولذا تبدو هذه الرواية أصح .

٥٥٠٩ - كر مصطلح الروح العقلية هنا للجمع بين الروح والعقل . والواقع أن مشكلة الروح والعقل حيرت الصوفية كثيرا خصوصا أولئك الذين عبروا عن تجربتهم فى موسوعات كالحديقة والمثنوى فجمع سنائى ومولانا جلال الدين بين العقل والروح فى مصطلحات من قبيل العقل القدسى .. وعقل العشق والعقل الجبرئيلى والعقل الدراك والعقل المحيط .

٥٥١٢ - ٥٥٣١ : كن قويا غنيا مقاتلا بطلا أمام هذه الروح .. لقد شرفك الله بالروح فكن أهلا لهذا التشريف .. ولا تكن أمام الروح متهافتا ضعيفا متظاهرا بالفقر والفاقة .. إنك عالم من الغنى والثروة . والروح نزلت عليك ضيفا ليومين فاكرم هذا الضيف .. وكن عاملا ولا تضع بالكلام فإنما قيمة كل امرىء ما كان يحسنه ، إعمل من أجل أن تسمو كما تريدك الروح أن تسمو .. وإلا فأنت بالجسد مجرد كومة من التراب .. وجوال من الطين .. غذ هذه الروح .. وغذاء الروح المعرفة .. والعدل .. والعدل هو وضع الشىء فى موضعه .. هذا هو غذاؤها الطاهر .. فلا تجعل منها حية تتغذى على التراب بل غذها بالدين .. وافطمها على اليقين .. والعقل هو حاضنة الروح .. فكلاهما قديم .. ومن ثم فالمقياس موجود : إن كان ثم عبث فهو ليس من العقل وليس من الروح فالعقل والروح قديمان .. ولذلك فهما متآلفان .. والعبث والجسد حدثان ولذا فهما متآلفان وحين يوجد القديم .. لا شأن للحديث به .

٥٥٣٢ - ٥٥٣٦ : كل ما فى تكوين الإنسان يعود إلى أصله .. والجسد من التراب ومن صنعة الأفلاك ومن ثم يعود إلى أصله .. والروح هبة الخالق ونفخة الخلاق .. ومن ثم فهى خالدة فمتى استرد الله عطيته أعطاك إياها ما دمت قد قمت لهذه العطية بما يستحق .. لقد سواك .. فلن يجعلك ترابا .. بل تعود جسدا لكى تجد الروح معطيتها .. إن الله سبحانه وتعالى فى كل ما خلق خلقه بحكمة واقتضاه .. فتراه يضيع ما خلق .. بل وعد بحفظه (انظر لفكرة الحفظ مثنوى مولانا جلال الدين الكتاب الثالث الأبيات ٣٣٣ - ٣٣٨ وشروحها ولفكرة أن كل ما خلق من شىء يعود إلى أصله انظر نفس الكتاب الأبيات ٤٤٢١ - ٤٤٣٠ وشروحها) .

٥٥٦١ - ٥٥٦٢ : ليس المقصود هنا بالنساء النساء فى مقابل الرجال ، بل أولئك الرجال الذين لا يستطيعون كبح جماح شهواتهم والسيطرة عليها فهم أقل من النساء لأن المفروض أن الرجل رجل لأنه يستطيع أن يسيطر على نفسه وعندما يضرب المثل به

الطريق يقال : فلان فى الطريق - أى الطريق الصوفى - رجل كامل الرجولية أما الذى لا يستطيع أن يسيطر على هواه ويتحمل مصاعب الطريق .. فأولى به أن يقبع فى داره ويشغل لما تشغل به النساء من عمل كالغزل وما يشبهه .

٥٥٦٣ - ٥٥٧٨ : الحديث الموجود فى العنوان .. يتردد فى كتب الصوفية وورد فى معارف بهاء ولد ص١٠٥ لكنه لم يرد فى كتب الحديث .. إلا أن هناك حديثا أيضا روى فى كتب الصوفية يؤدى نفس المعنى قال النبى ﷺ « يموت الرجل على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه » (كشف الأسرار للأنصارى (١/ ٥٨٦) .. والفكرة قائمة على أن القيامة والحشر هى المحك الحقيقى للمرء .. لأن كل إنسان يظهر ويبدو على حقيقة .. فالله سبحانه وتعالى مسخ بنى إسرائيل فى الدنيا وجعل فى الدنيا منهم القردة والخنازير لخيانتهم لعهد الله وميثاقه .. لكن من رحمته على المسلمين جعل المسخ لمن لا يحافظ على عهد الله خاصا بقلبه .. وفى الحشر الأصغر بتعبير مولانا جلال الدين (٥/ ١٧٨٨) أى الموت يبدأ مصير الإنسان فى الظهور .. وفى الحشر الأكبر يبدو مسخ القلوب مسخا فى الخلقة والعياذ بالله (لفكرة أن الإنسان يكون فى الحشر على حقيقته التى كان عليها فى الدنيا لا كما كان يتظاهر به انظر مثنوى مولانا جلال الدين .. الكتاب الخامس الأبيات ١٧٧٢ - ١٨٤٠ وشروحها) والأصل كما هو واضح موجود فى هذه الأبيات ٥٥٦٣ - ٥٥٧٨ لسنائى .. فهو يقدم الصور العديدة لنماذج نرى ظاهرها فى الحياة والله أعلم ببواطنها فالملوك الظلمة - من أمثال قباد ويرويز - وهما من ملوك ايران قبل الإسلام .. سوف يبعثون من الطين على تلك الصورة التى كانوا عليها فى الحقيقة ويبعثون كلابا .. والأمير المتكبر لماله هو مجرد نملة يوم القيامة والفقيه المثير للفتنة الذى بحكم على الناس يكفر هذا ويفسق ذاك ويكون دوره فى المجتمع بذر بذور الفتنة والتفرقة بين الناس .. يبعث يوم القيامة شيطانا والزاهد المرائى حطب جهنم .. والقاضى الظالم يبدو يوم القيامة مسكينا بلا حول ولا قوة .. والعالم غير العامل الذى يتفيهق ويشقشق بالكلام دون أن يعمل به هو يوم القيامة بلسانين .. خيرك وشرك ظاهران لك « كل نفس بما كسبت رهينه » وكل امرىء بما كسب رهين » .. والمنزل ظاهر من واجهته .. وما هو موجود فى القلوب يظهر على الوجوه « يعرف المجرمون بسيماهم » و « لتعرفنهم فى لحن القول » لكن أنى لك أن تعرف هذا وكل ما لك فى هذه الدار هو هوس الفأر فى السطو .. وعلم القط المحصور فى كيفية صيد الفئران ؟!

٥٥٧٩ - ٥٥٨٦ : تريد أن تعرف لم ضربت المثل بالقط والفأر .. لأن القط مهما نظف نفسه فهو لص .. والفأر نجس وإن كان شعره كشعر السنجاب .. ولا يستطيع الفأر أن يرقص على أنغام القط أى لا يستطيع طامع ولص أن يتوافق مع طامع فيه .. فدعك من كل هذا .. دعك من الطمع .. واستمسك بالدين .. وكن ذكرا .. دع الدجاجة ترعى بيضها .. وكن أنت كالديك راعيا للدار .

٥٥٩٣ - ٥٥٩٧ : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » (المؤمنون / ١٠١) .. « وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا .. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » (الأسراء ١٢ - ١٣) ومثال أن القيامة كالبوتقة ورد فى كتاب فيه ما فيه لمولانا جلال الدين الرومى (ص١٥٠) ويتكرر مثل بوتقة الامتحان .. وحجر الامتحان كثيرا فى المثنوى « انظر على سبيل المثال لا الحصر : الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الأبيات ٧٤٢ - ٧٤٦ وشروحها) .

٥٥٩٨ - ٥٦٠١ : ما هو الشىء الذى يجعل الإنسان إنسانا ؟ أهو مجرد كونه من نسل آدم ؟! لا .. إنه العقل والنضج .. وما لم يكن الإنسان ناضجا فإن الشيطان يكون أفضل منه .. فبالسذاجة يضيع الإنسان كل مقومات إنسانيته .. ويترك للشيطان سبيلا إليه .. ويكون الاعوجاج ديدنه .. فالإنسان الذى يستحق لقب « البشرى » .. وإلا كان من الجن « من نار » أو من الوحش .. أو كان عقربا يلدغ ومقياس هذا النضج موجود بين العقل والهوى كما بينا سلفا .

٥٦٠٢ - ٥٦٠٦ : نفسيته أى منسوبة إلى الكيفيات النفسية وهى الفضائل الأربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة .. وهيولانية أى تخضع أيضا للكيفيات الجسمانية كالصور والأشكال والألوان وعقلية أى منسوبة إلى العقل الذى هو عبارة عن إدراك الكليات .. والنفس هى النافذة التى من خلالها يمكن معرفة أحوال القلب وأحوال الروح وقوة الجسد .. والإنسان مزيج من الطين ومن القلب .. ومن الروح يصير الإنسان عالما من العجائب العظيمة .. فهو الجامع بين كل الألوان .. وهو الجامع بين كل المتناقضات .. وكل المخلوقات سواه لون واحد .. البهيمة هوى والشيطان نار وشر .. والملائكة عبادة .. لكن الإنسان هو الذى يستطيع أن يكون واحدا منها « أو أن يجمع بين كل هذه المتناقضات » .

٥٦٠٧ - ٥٦١٤ : الروح جوهر لطيف مسجون فى سجن البدن ولذلك فهى دائما فى أنين وحنين إلى أصلها .. والبيت التالى له روايتان : رواية موجودة فى نسخة الحديقة المطبوعة ورواية أخرى أوردها مدرس رضوى فى التعليقات (ص٥٠٩) وهى التى قمت بترجمتها لأنها أكثر اقناعا .. وقد نقل صاحب التعليقات شرحها عن عبد اللطيف العباسى أن الملك الموجود دائما فى خدمة الروح هو

القلب لأنه البرزخ بين عالم الأمر وعالم الخلق .. وهو يريد سبعة أجنحة حتى يطير ويتخلص من التعلق الجسمانى .. فالقلب حينا مع الجسد وحينا مع الروح .. كالمرجان الذى يعد برزخا بين عالم النبات وعالم الحيوان .. ويشبه هذا العالم المتناقض بأنه كالمصطاد أى مكان الصيد .. هو ضعيف لأنه دائما مفتوح أمام الراغبين فى الصيد لكنه يجذب الحيوانات الضعيفة التى تذهب بأقدامها إليه وتصاد .. وهو ضعيف لأنه جسد والجسد حى بنفخة وميت بأخرى .. لكن القوة من القلب .. هو طين .. لكن هذا الطين يحتوى جوهرا فى داخله « عقد من العيوب فيه جوهرة واحدة » .

٥٦١٥ - ٥٦٢٤ : القيامة هى الميزان الحقيقى للخير والشر .. والقيامة من أجل من عبد الله لذاته لا خوفا ولا طمعا .. وهى محفل الرجال .. وأولئك الرجال الذين استطاعوا أن يحفظوا الأسرار فارتفعوا إلى عنان السماء .. تلك الأسرار التى قد تأتيهم أحيانا فى ليل الاستتار لا فى نهار التجلى الذى قد لا يتحمله ضعفهم .. مثلما لا يتحمل طائر عيسى « الخفاش أى الطير الذى أحياه عيسى » ضوء النهار .

٥٦٢٥ - مصدر الحكاية التى تبدأ بهذا البيت كما ذكر صاحب التعليقات ما ورد فى كتاب ربيع الأبرار لجار الله الزمخشرى « لما خلق الله آدم جاء النسر إلى الحوت فقال : رأيت اليوم خلقا ليتزلنى من وكرى وليخرجنك من البحر » كما وردت رواية أخرى لها فى نفس الكتاب : « الضب قاضى الطير والبهائم ، ويقولون أنها إجتمعت إليه أول ما خلق الإنسان فوصفوه له فقال : تصفون خلقا ينزل الطير من السماء ويخرج الحوت من الماء فمن كان ذا جناح فليطر ومن كان ذا مخلب فليحفر » (تعليقات مدرس رضوى ص ٥١٠) .

٥٦٣٥ - ٥٦٣٨ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج ١٩ - ٢١) وقد فسر ابن عطاء الهلوع بأنه الراضى إذا تحقق مراده والساخط إن لم يتحقق وقال أبو الحسن الوراق : لأنه ينسى الله فى النعمة ويذكره فى الشدة . وقال سهل : لأنه يمنع عند النعمة ويجزع عند الفقر وقال أبو عبيدة : هو الذى يفخر فى النعمة ولا يصبر على البلاء .. إنه يدعى الألوهية إذا أعطاه الله مثقال ذرة من واسع ملكه (فرعون) .. ولكنه ينهار إذا سمع صوتا لا يعرف مصدره .

٥٦٣٩ - أى خبيى عنه من أين أتى وإلى أين يمضى .. ولو عرف الإنسان أنه قطع مدارج عديدة حتى وصل إلى مرحلة الإنسانية دون أن يعى هذه المراحل وكأنه أتى إليها نائما .. وسيمضى فى مراحل أخرى بعد موته نائما أيضا .. لو عرف الإنسان أصله وعرف مصيره لما انتظمت أمور العالم .. (انظر لتفصيل هذه الفكرة مثنوى مولانا جلال الدين الكتاب الرابع ١٣٢٧ - ١٣٣٢ وشروحها) .

٥٦٤٦ - ٥٦٥٠ : المجاز أولا ثم الحقيقة فالهوى والهوس أولا .. والعقل أخيرا .. والجسد أولا ثم الروح (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) وهكذا تبدأ البنت الأمومة بدمية غير حية .. فإن دخلت فى أوان نضجها استبدلت الابن أو البنت بالدمية (نقل مولانا جلال الدين التشبيه بعينه وينصه فى البيتين ٣٥٩٧ و ٣٥٩٨ من الكتاب الخامس من المثنوى) وزاد بأن الأولاد الصغار أيضا يلعبون بسيوف خشبيه يستبدلون السيوف الحقيقية بها عندما يكبرون وهم جرا .. وسواء القط أولا عندما يأتى الربيع ثم تغريد البلبل .. كما أن الفكرة تشبه ما عالجه مولانا جلال الدين أيضا فى تفسير الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ « نحن الآخرون السابقون » (انظر الكتاب الثالث من المثنوى الأبيات ١١٢٨ - ١١٣٤ وشروحها) .

٥٦٥٢ - ٥٦٥٨ : « انا عرضنا الأمانة على الأرض والسموات والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان .. إنه كان ظلوما جهولا » .. هنا يقابل سنائى بين حالتين من حالات الإنسان : حالة الظلم والتجبر والكبرياء والعنجهية والاختيال .. وحالة المسكنة والتذلل أمام الخالق .. حالة أن يكون الإنسان نارا .. وحالة أن يكون ترابا .. حالة أن يكون طاووسا متبخترا متباهيا بريشه .. وحالةآكونه طاووسا ينظر إلى قبح قدميه ويقلل من كبريائه ، حالة الشيطانية عندما يجعل نفسه كابليس يقول : أنا خير منه .. وحالة الأدمية والتواضع عندما يكون مثل آدم ويقول « ربنا ظلمنا أنفسنا » .. حالة ادعاء العصمة وحالة الاعتراف بذل المعصية ، إن ادعاء القدرة وادعاء العصمة هو الذى يوقع فى ذل المعصية .. ومحطمو الأقدام غالبا ما يصلون إلى المشاعر قبل أولئك الأقوياء ذوى المطايا الفارهة .. وأولئك الجهال ذوو القلوب الطيبة قد يدركون المعانى العظيمة قبل أن يدركها أولئك العلماء الكبار المتفيهقون كما يقول مولانا جلال الدين (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث من المثنوى .. الأبيات ١١١٥ - ١١٢٧ وشروحها) .

٥٦٥٩ - ٥٦٦٤ : إشارة إلى الحديث القدسى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وقد تابع سنائى صاحب شرح التعرف فى اعتبار الحديث موجها إلى داود . أما صاحب كشف المحجوب فقد أسند الحديث موجها إلى موسى عليه السلام وورد الحديث فى كشف الأسرار دون ذكر لموسى أو لداود عليهما السلام (عن تعليقات ٥١٢) .. ولتعلم أن أرواح الأطهار هى خزانة الفلك أى أنها موضع

العلم الالهى اللدنى .. أما أجسامهم فقد تصل طهرا وعفافا إلى مرتبة الملائكة « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » .. وبالرغم من أن هذا الجسم غير مقبول .. إلا أنه موضع الحواس التى تستخدمها .. وهو - أى! لإنسان - ملىء بالعيوب وإن كان يظن أنه شديد المحال .. أجل لقد خلق فى أحسن تقويم .. لكنه يضع نفسه فى مرتبة أسفل السافلين .. كل ما يفخر به الإنسان أنه مقدم على البهائم لكن عليه أن يعلم أنه مقدم على البهائم بالعقل والأدب والحجى وإلا فإن البهيمة أفضل منه لأنها لم ترزق ذلك العقل .. بل إن الحيوان المدرب أفضل من الإنسان الجاهل .

٥٦٦٥ - ٥٦٧١ : كن عاشقا لواحدة فحسب .. كن رجل دنيا أو رجل آخرة ولا يصح لامرىء أن يكون عاشقا لاثنتين وإلا كان موت الروح مقيما معه ، هذا الرجل الموزع الذى يشتت قلبه وفكره فى كل طريق .. لا يبالى فى أى طريق هلك .. مثل هذا الرجل يكون ضعيفا كأنه بعوضه إذ اشتدت الحرب (أى حرب وحروب الحياة لا تنتهى) وإن كانت كل رجولته تظهر وقت الحرب فبالرغم من أنه باشق (مجرد طائر صغير .. إلا أنه يأكل أكل الفيل .. إنه مجرد نعامة .. وهذه النعامة كائن غريب فيها من الجمل وفيها من الطائر.. لكن لا هى تصبر صبر الجمل .. وهكذا الرجل الذى يوزع حبه وهيامه على أكثر من شىء .. إن أموره كلها فى غير موضعها كالنعامة (شتر مرغ بالفارسية شتر جمل ومرغ طائر) تجعل جانب الطائر فيها لحمل الأثقال وجانب الجمل فيها للبيض (II) .. والرجل الشجاع يعرف قيمة نفسه جيدا .. وحتى الجواد يعرف الرجل الضعيف إذا هم بركوبه ، ووضع الشىء فى موضعه هو العدل بعينه وهو تناسق الحياة وطبيعتها .. فالرجل مقاتل .. والروح حذره .. والملك لابد أن يكون قويا .. والمرأة لابد وأن تكون مسامرة هذا هو عمل كل منهم ومن الخير لكل امرىء أن يقوم بعمله .. وأن يعرف قيمته .. وأن يعادى على قدر همته ومبلغ نهمته .. فليس من اليسير أن يعادى المرء العقل .. وعالم العقل .. أنه بهذا يدمر نفسه ، ويدل على ضعفه وحمقه .

٥٦٧٢ - ٥٦٧٤ : إن الرجل القوى قليل الإضرار بالناس ، أنه ليس فى حاجة إلى إضرارهم لكى يسيطر عليهم ولكى يثبت ذاته ، هذا هو عمل الضعيف ، مثلما يكون الدخان كثيفا من الحطب الندى والحطب الصلب لا دخان له .. والجبان خائن .. أنه لايستطيع المواجهة فيطعن فى الظهر ، لكن قوى الروح فصيح قوام يطلق الحق لسانه ويستطيع أن يواجه وينتصر .

- الحكاية التى لم أقم بترجمتها بعد البيت ٥٦٧٧ فحواها أن امرأة كانت تلد .. وسعى أحدهم إلى زاهد القرية كى يقوم بالدعاء لها ليسهل الله لها الوضع .. فقابله مخنث وعرف مقصده فقال له : أبلغ سلامى إلى السيدة .. وقل لها أن التى ذاقت حلاوة الجماع عليها أن تتحمل مشقة الوضع .. ولابد أنك كنت تعلمين أن هذا الفعل لا يؤدى إلا إلى هذه النتيجة .. لكن الحوار الذى يسوقه سنائى هنا حوار مكشوف والمغزى المقصود من الحكاية واضح .. وهى أن حلاوة الدنيا كحلاوة الجماع .. لكنه قد يؤدى فى النهاية إلى مشقة الحساب وآلامه .. والناس غافلون عن قيمتهم ولا يقدرون أنفسهم حق قدرها .

٥٦٧٨ - ٥٦٩٢ : المثل المذكور فى البيت قد يكون ناظرا إلى كلمة الإمام على رضى الله عنه « إذا خفت شيئا فقع فيه فإن وقوعك فيه خير من توقيه » وهناك مثل عامى مصرى يؤدى نفس المعنى « وقوع البلاء ولا انتظاره » وللمثل أصل فصيح قد يكون « لاعيش لمن يضاجع الخوف » (معجم الأمثال العربية ٢/ ٧٠) والجبان لأنه لا يؤمن بالأجل فإنه يعيش دائما فى جهنم وهو لا يزال على ظهر الأرض أنه من خوف الموت فى موت مثل أناس من خوف فقر .. والبيت ٥٦٨٦ ناظر إلى المثل العربى : نعم الحارس الأجل .. كما أن الأبيات أيضا ناظرة إلى بيتى المتنبى :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ، حفيا بها مستهاما بها صبا .

فحب الجبان العيش أورده التقى ، وحب الشجاع العيش أورده الحربا .

كما يمكن أن يكون نفس البيت ناظرا إلى بيت معاوية :

وقد تدرك الحادثات الجبان ، ويسلم منها الشجاع البطل .

وتناول مولانا جلال الدين نفس الأفكار فى الكتاب الثالث من المثنوى (انظر الأبيات ٤٠١٨ - ٤٠٣٥ وشروحها) وعند الراغب الأصفهانى (٢/ ٩٤) سئل على بن الحسين : فى أى الجنن تحب أن تلقى عدوك .. قال : فى أجل متأخر .

٥٦٩٣ - انظر لتفسير هذا الخبر عن الإمام على رضى الله عنه شروح الأبيات ٣٢٦٠ من هذا الكتاب وفى المثنوى اسندت هذه الصفة إلى حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه .. وإن كانت منطلقا نحو تفصيلات فى غاية العمق عن الموت . (انظر الأبيات ٣٤١٩ - ٣٤٤٠ من الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى) .

٥٦٩٨ - ٥٧٠٠ : الحكاية المنسوبة إلى جحا هنا تدخل فى باب نبذ سنائى لكل ألوان التعصب واستكثاره على من لا يعرفون

الخوض فيما يجهلونه .. والسخرية هنا واضحة تماما .. فجحا قد بين موقفه من المفاضلة بين على وعمر رضى الله عنهما . بأن الموضوع ليس داخلا فى اهتماماته ويسند صاحب التعليقات الحكاية إلى الزمخشرى فى ربيع الأبرار « قيل لإعرابى : كيف حزنك على ولدك قال : ما ترك حب الغذاء والعشاء لى حزنا » (٥١٤) إلا أن الحكاية بنصها وردت منسوبة إلى بهلول وليس جحا فى كتاب أبى اسحق الحصرى القيروانى : جمع الجواهر فى الملح والنوادر (ص١٦٣ القاهرة سنة ١٩٥٣) . وفى البيت ٥٧٠٢ إشارة إلى أحدى كرامات لقمان الحكيم (انظر قصص الأنبياء للثعالبى ص٢٧٥) .

٥٧٠٤ – الإشارة الى شهوة آدم عليه السلام إلى « الأكل » من الشجرة المحرمة بعد اغراء من حواء ومن ثم تعد شهوة الطعام من أوائل الشهوات التى تقف فى وجه الإنسان وتحده من الانطلاق ، وليس الطعام الحرام هو الممنوع فحسب فهذا ما لا نقاش فيه .. والطعام الحلال أيضا المطلوب فيه عدم الاسراف .. وبعض الصوفية سار فى هذا الشوط إلى آخره .. فكانت الأربعينيه وكان الطى (أى الصوم المستمر) على أساس أن « الجوع طعام الصديقين » ، وحرم بعضهم على نفسه الأكل من الطعام الوحيد الموجود فى خلوته .. ويقف سنائى ومولانا كلاهما فى وجه هذا التنطع « انظر على سبيل المثال لا الحصر حكاية الصوفى الذى حرم على نفسه الأكل من فواكه جبل يعتزل فيه وكيف كانت نهايته فى الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الأبيات ١٦٣٤ – ١٧٠٤ وشروحها ، وانظر تفسيره للحديث النبوى المؤمن يأكل فى معي واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء . فى الكتاب الخامس من المثنوى الأبيات الأبيات ٦٤ – ١٦٧ وشروحها » .

٥٧١٤ – ٥٧١٥ : روى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢/ ٢١٨) خبرا عن عمر رضى الله عنه فى باب تقليل الطعام « يا بنى لأمرها طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب فلله در الحارث بن كلده حيث يزعم أن الدواء هو الأزم وهو ألا تدخل طعاما على طعام وأن الداء ادخال الطعام على الطعام . وهناك حديث نبوى يروى فى هذا المجال قال ﷺ نور الحكمة الجوع « احياء علوم الدين ٣/ ٨٤ » .

٥٧١٨ – هذا البيت أيضا ناظر إلى عبارة وردت فى الخبر المروى عن سيدنا عمر رضى الله عنه « اى بنى لم صفت أذهان العرب وصحت أبدان الرهبان مع طول الاقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النقرس ولا وجع المفاصل » فالصحة مع الجوع و « جوعوا تصحوا » حديث مروى عن الرسول ﷺ .

٥٧٤٤ – أى أن القمر عندما يمتلىء ويكتمل ويمضى من باب إلى باب يأخذ فى النقصان .

٥٧٤٥ – الحكاية التى تبدأ بهذا البيت عن عيسى عليه السلام الذى يشتهر فى كتب التصوف الإسلامى باسم روح الله « سمى عيسى روحا لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث » « الثعالبى قصص الأنبياء ص٣٠٨ » وقصة الإبرة التى حجبت زاهدا عن الدرجات العلى فى الجنة وردت فى الرسالة القشيرية عن الصوفى حسان بن أبى سنان .

٥٧٥٩ –الحكاية التى تبدأ بهذا البيت عن سيدنا عيسى عليه السلام أيضا . وقد وردت عند أبى طالب المكى « قوت القلوب ٢/ ١٩٢ » وعند الغزالى « احياء ٣/ ٣٤ » ونصها عند الغزالى « فمن أقصى درجات الزهد زهد عيسى عليه السلام أن عيسى توسد حجرا فى منامه فجاء إليه الشيطان وقال : أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذى حدث فقال : توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا ، فلم لا تضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض » وقد نظم فريد الدين العطار هذه القصة فى كتاب منطق الطير « انظر الترجمة العربية لبديع جمعة » .

٥٧٩٦ – روى أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل « صف لى الخمر » فقال الأخطل « أولها صداع وآخرها خمار » قال : فما يعجبك منها .. قال : بينهما ضربة لا يعدلها ملكك .

٥٧٩٧ – ٥٧٩٩ : معظم الأوصاف الواردة هنا عن الخمر ليست من ابتكار سنائى بل واردة عند شعراء الخمر الفرس الكبار من أمثال منوجهرى والذين أيضا تأثوا تأثرا كبيرا بخمريات أبى نواس واقتفوا أثر ابى الشعر الفارسى : الرودكى .

٥٨٠٤ : جيفة الحمار هى الجسد واللص هو الخمر .

٥٨٠٧ – ٥٨١٩ : هذه الدار التى تعيش فيها ملأى بمن يريدون أخذك أخذ عزيز مقتدر ومن البله ألا تكون فى وعيك وأن تقضى فى تدخين الخشخاش وأكل الحس إلى جواره .. ولصك موجود فى الدار .. يجرى منك مجرى الدم .. وخازنك أى نفسك خائنة وغريبة .. والفتنة من حولك .. فلماذا لا تجلس مفيقا وقد أغلقت فمك .. لم تفعل ما يطلق لسانك بالشر .. وهذا أنت تشرب حتى السكر .. بحيث أن قربة الخمر تتهاوى منك كأنها من تراب .. أتكون من نسل آدم .. وأنت تعاقر الخمر نهارا وتنام ليلا .

٥٨٢٠ – ٥٨٢٥ : تذكر أصلك .. ابن من أنت .. وإلى من تنتسب .. حتى لا تتلف مالك فيما يتلف عقلك ويتلف نفسك ..

وتشترى بنفسك ضياعك .. إن آدم لا يـزال فى القيد .. وأنت ولده فكيف بـك تسكردون أن تفكر فى خـلاص أبيك .. وكيف بك تقوم بتسمين هذا الجسد .. غافلا عن أن النحيل نشط .. والسمين تنهار اعضاؤه عندما يقوم بأدنى مجهود .. وهكذا أيها الطفل .. سوف تنال حسابك .. عندما يلبس القوم ملابس السرى ويزمعون السعى .

٥٨٣٨ - ٥٨٤٢ : تشبيه الخصال السيئة بـالحيوانات والوحوش التى تسكن جسد الإنسان ونفسـه وتحوله بالتالى إلى وحش من الأنماط التعبيرية السائدة عند الصوفية ولمولانا جلال الدين فى هذا الموضوع باعٌ واسع وله البيت الشهير .

بالأمس كان الشيخ يطوف المدينة حاملا مصباحا صائحا مللت الوحوش والسباع وأريد إنسانا :

ورؤية الناس فى إسواق فى صورة الوحوش رؤيا تكررت عند كثير من الصوفية .. والغريب أن هذه الأمثال الموجودة عند سنائى وردت قبله عند الشاعر الاسمعيلى الكبير الحكيم ناصر خسرو وهى تنتشر فى ديوانه .. كما شرحها فى جامع الحكمتين فى أكثر من موضع (انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) .. والمقصود من تجسيد هذه الخصال الذميمة التى تقيد قدم الإنسان وتحد من انطلاقه هو التنفير منها .. وهذا هو الجانب التعليمى الموجود عن كل الصوفية .. وعند مولانا جلال الدين تفسير « خذ أربعة من الطير » يصور كل خصلة ذميمـة بطائر .. ومن ثم أمر الله تعالى سيـدنا إبراهيم بأن يقتل هـذه الطيور الأربعة (انظر التفصيـلات فى الكتاب الخامس من مثنوى مولانا جلال الدين الأبيات ٣١ - ٦٤ و ٣٩٥ - ٤١٩ و ٧٦٥ - ٧٨٠ وشروحها) .

٥٨٤٣ - البيت ناظر إلى الحديث النبـوى : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفـأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » . سنن أبى داود ٤/٢٤٩ (مصر ١٣٦٩ - ١٣٧٠ هـ) .

٥٨٥٠ - « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » حديث منسـوب إلى الرسول ﷺ .. حين يموت وتتجسد أمامه خصاله الذميمة سوف يدرك من كان يصاحب ومن كان يصادق طيلة عمره .

٥٨٥٥ - ٥٨٠٦ : المقصود بالحرب هنا الجهاد الأكبر أى جهاد النفس ، وهو الباب المفتوح لقتل كل هذه الوحوش التى تعيش داخل الإنسان .

٥٨٦٢ - « ألا أن أولياء الله لا يموتون بل يتقلون من دار إلى دار » حديث نبوى . وهذا هو معنى الموت المذكور فى البيت .

٥٨٦٤- المقصود بحمل الجسد حيا إلى ذلك المكان أى إلى الدار الآخرة هـو حمل الخصال الذميمة التى كانت من صفات هذا الجسد فى الدنيا .. أترك الجسد وكل ما يتعلق به تحت طبقات التراب .. وامضى إلى « العالم الجديد » نقيا متجردا من كل شىء .

٥٨٦٦ - ٥٨٦٩ : كما أن لك خلقة هنا جديرة بهذا المنزل .. هناك خلقة أخـرى جديرة بذاك المنزل .. عندما تغلق العين هنا .. تتفتح تلك العين الجديرة بذلك العالم .. وإن لم تكن تصدق .. فهل لديك خبر عما كنت من قبل حتى تدرى ماذا سوف تكون بعد هذه المرحلة ؟! وهل أنت حتى فى هذه المرحلة من الحيـاة الدنيا ثابت لا تتغير من مرحلة كونك جنينا إلى مـرحلة الكهولة .. هناك يستجيب الله لـلدعاء الـذى دعاه الـرسول ﷺ « اللهـم أرنا الأشيـاء كما هى » .. أنك لم تر شيئـا بـالفعل من عالم الآخـرة .. أنت سمعت الاسم وسمعت الوصف .. ولكن أى اسم وأى وصف .. ومتى كان الاسم يغنى .. ومتى كان الوصف ينطبق على حالا يوصف أصلا .

٥٨٧١ - ٥٨٧٣ : الإنسان كـالعريس .. والعقبى هى العـروس .. والموت هو حفل الزفـاف .. من هذا المعنى الـذى عبر عنه سنائى فى بيت واحد انطلق مولانا جلال الدين إلى معانى عديدة لا تخرج فى مجموعها عن هذا المعنى ، فقد عبر عن العقبى بأنها عروس الصدق وعنـدما تنفى عـن الإنسان حياة الجسد ، ويصبح عقـلا خالصا وروحـا خالصـة فانها تنكشف لـه كل الأمور كما هـى « انظر الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين ٣٥٣٥ - ٣٥٨٢ وشروحها » .

٥٨٧٤ - الحكاية الذى تبدأ بهذا البيت .. ليست حكاية بالمعنى المفهوم بل مجرد حوار بين امرأة ونصائح منها موجهة إلى شاب احتك بها فى الطواف . وللحكايـة نظير مختلـف بعض الاختـلاف ورد فى كتـاب « التبر المسبـوك فى نصـائح الملـوك » للإمـام الغـزالى (ص١٢٧) وواضح من حوار المرأة أن سنائى يرمز للطواف بالسعى فى الدنيـا وأنه ينبغى أن يكون خالصا لله تعالى .. وأن الدنيا ليست موضع التمتع وموضع النظر لكنها موضع الخطر ومقام الخوف .

٥٨٨٥ - ٥٨٨٦ : هـذا هـو الخوف الحقيقى .. الخوف من الله .. وكل مـن يخاف الله فحسب ولا يخاف أحـدا من البشر .. فإن خلق العالم كله يرتعدون منـه .. وهذا هو المعنى الحقيقى للتكبير ، الله أكبر أى أكبر من كل الخلق .. ومن كل شىء .. وهو الجدير بأن يخشى وليس البشر .. وقـد توسع مولانـا جلال الـدين الرومى فى هـذا المعنى .. أنه بقـدر قيمة المرء يكون مـن يخشاه .. والفأر لا يخش الأسد.. بل يخشى القط .. إنما يخشى الأسـد من يكون جديرا بخشيـة الأسد .. ومن هنا تتحدد قيمة المرء بمـن يخشاه ومن يخاف منه ..

ومن يخشى جبابرة الأرض .. إنما يكون همه بقدر خشيته « انظر لتفصيلات أكثر الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى الأبيات ٢٩٩٨ - ٣٠١٣ وشروحها » .

٥٨٩١ - العميان السكارى هنا هم البشر عموما ، وهو إنما يعبدون بشرا بجاه العلم وقوة الدين .. وإلا فإنهم بلا علم ولا دين أدنى من البهائم بمراحل .

٥٨٩٢ - هذا الصوفى المدعى نجس الظاهر والباطن .. فلا يغرنك منه قوله ، لا تنظر إلى ظاهره .. وانظر إلى باطنه .. إنما يكون الظاهر انعكاسا لما يجرى فى الباطن .. وعلى الوجوه يبدو ما فى القلوب « سيماهم فى وجوههم » فإذا لم تكن ملتزما بالشرع فى ظاهره فباطنه أسوأ من هذا الظاهر .٥٨٩٣ : وقفت طويلا أمام هذا البيت : كيف يكون الكسب الحلال قطا فى الظاهر وكلبا فى الحقيقة ؟! وقد يكون المقصود هنا أن كثيرا من الناس اعتمادا على أن كسبهم حلال يترفهون فوق ما يقتضى الدين ويتنعمون فوق ما يقتضى العقل ومن ثم يكون الاسراف من الكسب الحلال مكروها .. وأن كان يبدو ظاهرا حلالا .

٥٨٩٤ - موقف من سنائى من الجنود « والغزاة » لا يختلف كثيرا عن موقف كثير من الصوفية .. ولا شك أن العصر الذى عاش فيه سنائى (القرن الخامس والسادس الهجرين) والعصر الذى عاش فيه مولانا جلال الدين (القرن السابع الهجرى) وهوعصر العسكرية التركية ممثلة فى أوائل السلاجقة فى عصر سنائى وأواخرهم فى عصر مولانا جلال الدين كان يقدم نماذج من الجنود والغزاة للمجتمع لا يقلون جشعا وتسلطا وجهلا عن « كولونيلات الانقلابات » المعاصرين .. وهؤلاء عادة يدخلون فى عداء مع المثقفين وبخاصة مع المثقفين الذين لا يسيرون فى ركابهم .. ومن هنا فعندما يشركهم سنائى مع الكلاب والشياطين .. ويسخر منهم مولانا جلال الدين مر السخرية فى أكثر من موضع من المثنوى .. يكون ذلك تعبيرا عن ظاهرة من ظواهر المجتمعات البشرية على مر التاريخ عموما .

٥٨٩٥ - النور الذى يكون معتمدا على العقل فقط دون الشرع هو مصباح فى يد لص .. تماما كالعلم عندما يتعلمه لئيم .. فعندما يكون الذكاء والعقل غير محدود وغير مهذب بالأوامر والنواهى فهو خطر « كسيف فى يد زنجى ثمل » .. وأليس النصاب والمحتال من أذكى الناس ؟! و « السارح » بعلمه تاجرا لخدمة أى نظام .. ألا يعد عالما فى الظاهر ؟!!

٥٨٩٧ - ٥٩٠٤ : يقدم سنائى نماذج للمراءاة والتظاهر والإدعاء فى صور مكثفة ومتابعة فالخمر زورق ذو نقاب تتلاعب به أمواج جيحون .. ورجل اللقمة وعبد البطن والحيلة .. وهو مجرد طاووس يغطى بريشه الملون قبح قدميه .. وذلك الصوفى المتواجد الذى يرفع صوته إنما يذكر بطائر الحجل فى الجبل يرفع صوته فيدل اعداءه والصيادين عليه .. وذلك المدعى يعيش فى الخيال بلا طعام ولا نوم.. إنما يحزب بنفسه منزله .. وذلك الذى يدعى أنه المسيح فى حين أنه أمرض عشرات الآلاف من الناس .. وهو يتظاهر .. ويتحدث بالأحاديث الغامضة .. ويطلسم نفسه كأنه الدجال .. حينا يرتدى الخرقه وحينا يرتدى الجوال هؤلاء هم العارفون والمرشدون المزورون كلهم كالماء المالح مهما شربت منه ازددت ظمأ .. هم غيلان فى هذه الصحراء وليسوا بالمرشدين فحذار منهم .

٥٩٠٨ - ٥٩٠٩ : أليست العزلة فى الحقيقة أفضل من كل رفاق السوء هؤلاء .. وقد يكون طلابى للعز طبعا وديدنا ..فلست من أولئك الذين يوطنون أنفسهم على الذلة ويألفونها .

٥٩١٠ - وصف للربيع كنوع من « التمرين الشعرى » فهو فى الحقيقة لا يمهد لشىء مثلما كان وصف الليل يمهد لظهور المرشد « النفس الكلية » .

٥٩١٣ - إشارة إلى الآية الكريمة « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير » (الروم/ ٥٠) .

٥٩٤٤ - ٥٩٥٧ : يبدو أنه كان من التهم التى وجهت لسنائى أنه يقتبس كثيرا من آداب العرب وأنه يعتمد على كتب العرب فى نظمه لشعره .. وقد يكون هناك من ذكره أيضا فى هذا لوقت المبكر بأن العرب هم الذين حطموا ملك العجم « الشعوبية لم تختف قط من ايران » وهو فى هذه الأبيات يسوى بين الغربى والفارسى .. ويشجب الشعوبية فكلا العربى والفارسى دخلا تحت مظلة الإسلام وليس معنى أن العرب هم الذين فتحوا ايران أن يكون الحكم لهم والملك لهم ذلك أنه عندما احترق ملك كأعوام الهيا أى الحطب الذى تغذى به النار المقدسة عند المجوس .. حدثت التسوية .. ولكل منهما عمله الذى يقوم به .. فالفارسى للادارة والعربى للحماية والغزو وتعظيم العربى وتبجيله ليس لأنه عربى بل الأمر أبعد من ذلك .. أنه على سبيل المعنى لا أكثر .. وقد يكون المعنى المذكور هنا على أساس أن العربى هو الذى أدخل الدين الحنيف إلى البلاد فينبغى أن يحترم لهذا المعنى .. وليس هذا يعنى أن يسود وأن يحكم .. وإلا

كان أبو جهل جديرا بـالحكم لأنه عربى .. الحكم والرئاسة بالفضل .. وهذا أمر لا يتوقف على كون المرء عـربيا أو فارسيا ومن الواضح من البيت ٥٩٥٧ أنه يرد بهذه الأبيات على ذلك « الجلف » الذى دعـاه « عربى الأدب » وأنه لهذا السبب يتعصب للعرب . ويبدو أنها ظلت تهمة فى ايران من الفتح ومنذ ذلك الوقت المبكر .

٥٩٥٨ - ٥٩٧٠ : ويـرد هنـا على تهمة أنـه عـربى الأدب .. وهى تهمـة لا تعنى شيئـا .. فـالأدب بالفضـل وليس بالعـربيـة والفارسية.. والدين نفسه حسم قضية أفضلية العمر بى على غيره من الأجناس .. فهناك كثيرون من العرب من أمثال « أبى لهب » كانت الدعوة لصق دارهم لكنهم لم يستجيبوا للرسول إذا دعاهم فى حين أن « سلمان » كان من أرض ايـران .. ومع ذلك فقد سعى إلى الدين سعيا ومن هنا اعترف الرسول ﷺ لسلمان أنه من آل البيت فقال « سلمان منا آل البيت » وكان موقف القرآن من أبى لهـب معلومـا .

٥٩٦٩ - يقدم سنـائى فكرة الجنسيـة الإسلامية فنسبـة الدين هى النسبـة الصحيحة وما عـداها فهو هـوس أدى بالـدولة إلى الانهيار فهذا يقـول أنه عربى .. وذاك يقول أنه فارسى والثـالث تركى والرابع هندى وهكذا .. وأى حكم يسـعى إليـه ، وأيه دولة تطمع فيها وهى اليوم سعى « دو » وغدا ضرب وعقاب « لت » .

٥٩٧١ - ٥٩٩٢ : الأبيات التالية فى وصف الخمر تبدو وكأنها اعتـذار لمن يشربون الخمر .. ويبدو أن سنائى فى بعض الأحيان يتغلب عنده حرصه على معتقـداته وافكاره وإلا فى هذ الذى يقوله .. أولى ألا تقترب منها إن كنت لا تتحملهـا .. محك الرجال .. غذاء الروح .. سلوى الآدمى ؟! سلوى الأذكياء فى هذه الدار الخراب ؟!! ثم يحاول أن يتخلص فيقول خمر عقل الصديق .. فيجعل الصديق الذى يشير عند الملمات خمرا .. لكنه يعود فيقول .. مدد عشرة الكـرام .. القليل منها عزيز .. حين تشربها اعزها وحين تشربك تذلك .. يعنى ماذا .. ثم يصل إلى قمة هـذا الموقف الغريب فيكرر بيت الخيام الشهير : شرب الخمـر خير من أكل احوال الوقف .. أى أنها وإن كانت حـراما فإن سرقة أموال الـوقف والأموال العامة (أمـوال الرباط) أفظع منهـا .. ترى هل هذه الأبيات لسـنائى بالفعل .. أم إنها دخيلة على الحديقة ؟! هل نظمها سنائى بناء على رغبة أحد « الأقوياء » ؟! أم أنها من إضافات النساخ على الحديقة ؟!!

٥٩٩٥ - ٦٠٠٩ : ليس المال مكروهـا فى حد ذاته إذا كان المرء جـوادا .. وإنما جعل المال للجود به .. وإلا فإنـه حتى إن كان حلالا فهو شاغل للمرء عن زمانه وعن عصره .. وإن كان حراما فهو تهلكه فى الآخرة .. وكان الرسول ﷺ يشفق على مصير عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لكثرة ماله وقال : رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا بها فى خبر طويل عن عائشة رضى الله عنها صفة الصفوة ١/ ٣٥٢ وهكـذا فلا يغـرنك أن يكون المال حـلالا فلا تتعلق ؟ حتى وإن كان حـلالا .. ثم يتناول سنـائى مفارقـة عجيبة من مفارقـات حولـه وفى عصره .. الجياع الذيـن يتـساقطون لأنهم لا يجدون مـا يقتاتـون به .. بينها تزين سيـور الركـائب ومؤخـرات البغال بالذهب .. فهل لو كانت للذهب قيمة لكان يستخدم فى هذه المواضع ؟

٦٠١٦ - لم أجد للحكـاية التى تبدأ بهذا البيت أصـلا ويبدو أنها من تأليف سنـائى وقد ذكر رمـوزها بعد أن قصهـا فالأعمى الأحدب الأبله هو الإنسان ، والحمام الدنيا ، والابرة الشهوات ، والألم ما يكابده الإنسان من أجل شهواته دون أن يقلع عنها .

٦٠٤٣ - الحكاية التى تبـدأ بهذا البيت من الحكايات الشائعـة فى المأثور الإسلامى ذكر صـاحب التعليقات أنها فيها يبدو من الحكايات المانوية ومن كتـاب بلوهر وبوذاسف ، وذكر أن الصدوق « الشيخ الصدوق ؟ » وذكر فى كتـابه « اكمال الدين واتمام النعمة » أن هذه الحكـاية من حكـايات بلوهـر ، وقبل الصدوق ذكـرها ابن المقنع (المقتول سنـة ١٤٢ هـ) فى تـرجمة لكتاب كليلة ودمنـة فى باب برزويـه الطبيب وواضح أن سنائى رجع إلى ابن المقنع فى نظمـه للحكايـة وليس إلى الترجمة الفارسية التى قـام بها أبو المعـالى نـصر الله والمسـاة بـ « كليله ودمنه بهرا مشاهى » لأن الثابت أن الحديقة نظمت قبل أن يقوم أبو المعالى بترجمته إذ ذكر بعض أبيات منها كشواهد فى ترجمة .

٦٠٦٧ - الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت عند القشيرى فى كتاب « التحبير والتذكير » ص٤١ وبطلها عنده هو الشبلى .

٦٠٧٧ - الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم أجدلها أصلا .

٦٠٨٦ - الحكايـة التى تبدأ بهذا البيت وردت بعد سنـائى عند جلال الـدين الرومى « انظر الكتـاب الرابع من مثنوى مـولانا جلال الدين الأبيـات ، ٦٢٥ - ٦٥٢ وشروحها » وبالرغم من أن الأصل واضح عند سنـائى إلا أن بديع الزمان فروزانفـر لم يذكر ذلك فى « مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى ص١٣٣ » .

٦١٠١ -الحكايـة هنا قائمة على تـورية لفظية ولم أجـد لها أصلا . وجابلسا هـى فى الجغرافيا الأسطوريـة أقصى مغرب الأرض ويقابلها جابلقا فى أقصى الطـرف الشرقى وهى معربة « جابلص » وهى المنزل الأخير للسـالك فى المأثور الصـوفى بينما تعد جابلقا المنزل الأول .

٦١١٣- الحكاية التى تبدأ بهذا البيت تدور حول شخصية الإسكندر التى حظيت باهتمام كبير من كتاب الحكايات ، ولا شك

أن ثمة خلطا حدث بين الإسكندر المقدونى والإسكندر ذى القرنين الوارد فى القرآن الكريم « انظر نظامى الكنجوى لعبد النعيم حسنين ص٣٧١ (القاهرة ١٩٥٤) وقصص الأنبياء (ص٢٠٩) ثم صار الإسكندر مثيلا لسليمان عليه السلام فى شدة بأسه وسعة ملكه ، وقصة سعيه فى البحث عن ماء الحياة بالذات عدت مجالا كبيرا لاشتقاق كثير من المعانى الصوفية وتناولها سنائى فى أكثر من موضع فى الحديقة (انظر ص١١٦ وص١٩١ على سبيل المثال من المتن الفارسى للحديقة) والحكاية هنا تدور حول وفاة الإسكندر . وقد رودت شبيهها فى قابوس نامه حينما سخر ذو القرنين العالم وعندما وصل إلى الدامغان أثناء عودته أوصى قائلا : عندما أموت .. ضعونى فى تابوت واجعلوا فيه فجوة وأخرجوا يدى من هذه الفجوة حتى يعلم الناس أننى استوليت على كل العالم وخرجت بيد خالية » (قابوس بن وشمكير : قابوس نامه بتحقيق أمين عبد المجيد بدوى ص١٢٦ (أو ١٧٦) طهران ١٣٣٥ هـ . ش) .

٦١٢٠ - الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ليست حكاية بالمعنى المفهوم بل نصائح من « استاذ » للاسكندر بأن يقلل من سفك الدماء ، وذكر سنائى أيضا مضمونها فى حكاية أخرى وردت فيها بعد فى الحديقة بين كوفى وهشام (الأبيات ٨٦٦١ - ٨٦٩٥ من الحديقة) ولب الحكايتين ورد عند الإبشيهى المتوفى بعد سنائى (سنة ٨٥٠ هـ) دون اسناد . (المستطرف فى كل فن مستطرف جـ١ ص٥٨ القاهرة ١٢٦٨ هـ) .



فهرس الجزء الأول

الموضوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

❑ ❑ ❑


مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦